

القراءة

تذكرة الأولياء

فريد الدين العطار النيسابوري

المجلد الأول

ترجمة وتقديم وتعليق

دكتورة منال اليمنى عبد العزيز



المطار، محمد بن إبراهيم المطار النيسابوري

١٢٣٠ - ...

تذكرة الأولياء/ فريد الدين المطار النيسابوري:

ترجمة وتقديم وتعليق منال الهمنى عبدالعزیز۔

القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠٠٦.

مج ١ : ٢٢ سم - (التراث)

تسلك ٩-٢٠٧-٤١٩-٩٧٧.

١- المتصرفون (مترجم ومقدم ومعلق)

١- عبدالعزیز، منال الهمنى

ب- العنوان.

رقم الإيداع بدار الكتب ١٥١٧٧ / ٢٠٠٦

I.S.B.N 977-419-207-9

ديوى ٦٩، ٩٢٢

تذكرة الأفياء

فريد الدين العطار النيسابوري

ترجمة وتقديم وتعليق

دكتورة منال اليماني عبدالعظيم

المجلد الأول



الهيئة المصرية العامة للكتاب

٢٠٠٦

تقديم

موضوع البحث هو كتاب «تذكرة الأولياء» لفريد الدين العطار النيسابورى.

ولفريد الدين العطار مؤلفات كثيرة حظى بعضها بالبحث والدراسة مثل: منطلق الطير، ومصيبت نامه، والهى نامه، وهندنامه، ومن مؤلفاته الهامة الأخرى «تذكرة الأولياء».

وكتاب «تذكرة الأولياء» - كما يبدو من عنوانه - وضع فى شرح أحوال عدد من الأولياء ومشايخ الصوفية. وهذا الكتاب يتمتع بأهمية كبرى للأسباب الآتية:

١ - إن كتاب «تذكرة الأولياء» هو المؤلف النثرى الوحيد المعروف لـ فريد الدين العطار، والذى يمكن من خلاله معرفة خصائص أسلوبه النثرى، وهل كان مبرزاً فى نثره كما كان مبرزاً فى شعره، إلى حد أنه اشتهر كشاعر وليس كأديب.

٢ - إن كتاب «تذكرة الأولياء» يعد من أقدم المؤلفات الفارسية التى اقتصت بترجم شيوخ الصوفية، وقد حفل بالكثير والكثير من الروايات المنسوبة إلى مشايخ الصوفية، والكرامات المتعلقة بهم، والأقوال المأثورة عنهم.

٣ - إنه يمكن من خلال كتاب «تذكرة الأولياء» التعرف على علم التصوف وأصوله ومبادئه، ومفاهيم الصوفية ومعتقداتهم واصطلاحاتهم.

وعلى الرغم من أهمية هذا الكتاب، والشهرة الواسعة التي حازها، إلا أنه لم يحظ بالدراسة والتحليل والترجمة إلى اللغة العربية، وكذلك فإن ما كتب عنه في كتب المؤرخين قليل لا يعدو مجرد التعريف به، سوى الدراسة التي قام بها الدكتور استعلامي عن الكتاب، ونال بها درجة الدكتوراه في الأدب الفارسي وكذلك ما ذكره أحمد ناجي القيسي عنه في كتابه «عطار نامه».

لذا كان من الضروري دراسة الكتاب، وترجمته إلى اللغة العربية، ليسهل على القارئ العربي الاطلاع عليه، والاستفادة منه.

والبحث مكون من قسمين:

• القسم الأول:

وعنوانه دراسة في «تذكرة الأولياء»، وهو بدوره مقسم إلى ثلاثة أبواب:

الباب الأول:

وعنوانه كتاب «تذكرة الأولياء»، ويشتمل على ثلاثة فصول:

الفصل الأول: يتناول عنوان الكتاب وتاريخ تأليفه.

والثاني: يتناول موضوع الكتاب.

والثالث: مصادر الكتاب.

والباب الثاني:

وعنوانه منهج فريد الدين العطار في «تذكرة الأولياء»، ويشتمل على

فصلين:

الفصل الأول: يتناول المنهج.

والثاني: الأسلوب.

والباب الثالث:

بعنوان «تذكرة الأولياء» دراسة مقارنة ويشتمل على ثلاثة فصول:

الفصل الأول: وعنوانه «تذكرة الأولياء» بين كتب التصوف العربية والفارسية.

والثاني: يوضح مكانة الكتاب بين مصادر التصوف الإسلامى.

والثالث: يبين القيمة الأدبية والعلمية للكتاب.

ثم تأتى بعد ذلك الخاتمة.

* والقسم الثانى:

يشتمل على ترجمة النصف الأول من الكتاب، وتسبقها مقدمة تعرف بمخطوطات الكتاب وطبعاته.

وجدير بالذكر أيضاً أننى اعتمدت فى ترجمتى على نسخة نيكلسون؛ لأن هذه النسخة تعد أفضل نسخ «تذكرة الأولياء» للأسباب الآتية:-

١- إن رنولد آلن نيكلسون اطلع على ست مخطوطات فى سبيل إعداده لهذه النسخة وهى: مخطوطات ليدن، والمتحف البريطانى، ومكتبة باريس الأهلية، وكتالوج ايتيه، ومخطوط حصل عليه عن طريق إدوارد برون. ونسخة فهرس المخطوطات الفارسية بمكتبة برلين الملكية، ونسخة لاهور المطبوعة طباعة حجرية.

٢- إن هذه النسخة هى أقرب النسخ إلى المخطوط الذى حصلت عليه للكتاب والذى يرجع تاريخ نسخه إلى ٧٢٥هـ.

ومن المصادر التي أفادتني كثيراً في إعداد هذا البحث الدراسة التي قام بها الدكتور محمد استعلامي عن كتاب «تذكرة الأولياء»، والتي نشرت في إيران ونال عليها درجة الدكتوراه، وقد أمدني بها أستاذي الدكتور/ فؤاد عبد المعطي الصياد.

ويعد أسأل الله أن أكون قد وفقت في إلقاء بعض الضوء على هذا الكتاب والتعريف به.

والله ولي التوفيق...

* * *

وأنتهز هذه الفرصة وأقدم خالص شكري وعظيم امتناني لأستاذي - الدكتور/ محمد السعيد جمال الدين، وكذلك أستاذتي الدكتورة/ ملكة على التركي على ما بذلاه معي من جهد في سبيل إتمام هذه الدراسة، جزاهما الله عنى خير الجزاء.

النصف الأول

ثن

كتاب

تذكرة الأئمة

من تصنيف

الشيخ أبو حامد محمد بن أبي بكر إبراهيم الشيرازي فريد الدين

عطار النيسابوري

تكملة قرن السابع هجري نوسنة مئة

وجالابتاريخ ١٣٢٢ هجري مطابق ١٩٠٥ ميلادي

بسنغاي واهتمام وتصحيح

أقلعباد

ونولدالرن نينكسوت

مدرس زبان فارسي در دانشگاه تهران

بزبان طبع امرایته کزید

وینیه

انشاء الله النصف الثاني

طبع في مطبعة ميرزا في مدينة لندن

تمهيد عن الكاتب ومؤلفاته

إذا أردنا التعريف بفريد الدين العطار فسوف نواجهنا مشكلات عديدة تتعلق بميلاده ووفاته وحتى اسمه؛ وذلك لاختلاف كتب التذاكر، وتأخرها عن عصره.

لذا سنكتفى هنا بإيراد إشارة سريعة للتعريف به نظراً لأنه قد سبقت دراسته أكثر من مرة، ولضيق مجال البحث عن الخوض في هذا المجال. وعلى هذا فمصنف هذا الكتاب هو «أبو طالب محمد، أو أبو حامد محمد، بن أبي بكر، بن «اسحق، الملقب بفريدالدين، المشهور، «بالعطار»^(١).

كان والده يعمل بالعطارة وورث عنه فريد الدين هذه المهنة^(٢).

ولد فريد الدين العطار في قرية كدكن من أعمال نيسابور في عهد السلطان سنجر بن ملكشاه^(٣).

قضى فريد الدين العطار في نيسابور حوالي ثلاثة عشر عاماً^(٤) والمرجح أنه اشتغل في هذه الفترة بمهنة العطارة التي ورثها عن والده، وأحياناً كان يحضره خمسمائة مريض فيقوم بمعالجتهم، وفي نفس الوقت انشغل بتأليف الكتب ونظم الأشعار والزهد والسلوك^(٥).

وأمضى فريد الدين العطار فترة من عمره في السفر والترحال وفقاً لعادة السالكين فزار الرى والكوفة ومصر ودمشق ومكة والهند وتركستان^(٦).

وزار فريد الدين العطار كثيراً من المشايخ من مكة حتى ما وراء النهر وأدرك صحبة مجد الدين البغدادي في هذه السفريات واللقاءات^(٧).

وتوفي ما بين عامي ٦١٨هـ^(٨) و٦٢٧هـ^(٩).

ويقع قبره خارج شادياخ في المنطقة المعروفة بمدينة العظمة بالقرب من نيسابور^(١٠).

كان فريد الدين العطار ملماً بالعلوم والفنون الأدبية والحكمة والكلام والنجوم ومحيطاً بالعلوم الدينية من تفسير ورواية أحاديث وفقه، وبصيراً بعلم الأعشاب، وعارفاً بخواص الأدوية والعقاقير، ومدركاً لحركة الأفلاك وسير النجوم^(١١).

وللعطار مؤلفات كثيرة أوصل البعض عددها إلى مائة وأربعة عشر مؤلفاً منها: «أسرارنامه»، «الهي نامه»، «خسرونامه»، «مختار نامه»، «مصيبت نامه»، «منطق الطير»، وغيرها من المنظومات بالإضافة إلى ديوان قصائد وغزليات^(١٢).

القسم الأول

الباب الأول

دراسة في كتاب «تذكرة الأولياء»

كتاب «تذكرة الأولياء»

الفصل الأول

عنوان الكتاب وتاريخ تأليفه

عنوان الكتاب:

ليس هناك شك حول اسم الكتاب فقد أطلق فريد الدين العطار على كتابه اسم «تذكرة الأولياء» حيث قال: ما ترجمته:
«وأسميت هذا الكتاب تذكرة الأولياء» (١٣).

بينما ينفرد بلوشيه في ذكر أن الاسم الكامل لهذا الكتاب هو: «تذكرة الأولياء وتبصرة الأصفياء» (١٤).

والأرجح أن عنوان الكتاب هو «تذكرة الأولياء» فحسب، وذلك للأسباب الآتية:

١- إن فريد الدين العطار قال صراحة في مقدمة كتابه: «وأسميت هذا الكتاب «تذكرة الأولياء»».

٢- إن النسخين اللتين لهما هذا العنوان أولاهما: من القرن الثالث عشر الهجرى/ التاسع عشر الميلادى، والأخرى: مخطوطة عام ١١٥٩هـ/ ١٧٤٦م (١٥).

أى أنهما نسختان متأخرتان وأغلب الظن أن إضافة «وتبصرة الأصفياء» إلى «تذكرة الأولياء» كان من عمل النساخ.

٣ - إن بلوشيه هو الوحيد الذي انفرد بذكر هذا العنوان «تذكرة الأولياء وتبصرة الأصفياء».

٤ - إن المؤرخين أجمعوا على أن عنوان الكتاب هو «تذكرة الأولياء»^(١٦).

٥ - أن جميع النسخ الخطية للكتاب والمحفوظة بدار الكتب أو الهيئة المصرية العامة للكتاب والتي يتراوح تاريخ نسخها بين الأعوام ٧٢٥هـ، ١٢٦٧هـ تحمل نفس العنوان^(١٧).

بناء على ما سبق يمكن القول إن عنوان الكتاب هو «تذكرة الأولياء»، وإن فريد الدين العطار ذكر هذا العنوان ذاته في مقدمة التذكرة وإن المؤرخين الذين خلفوه أكدوا هذا العنوان وأجمعوا عليه.

تاريخ تأليفه:

لم يُحدد العطار تاريخاً معيناً لتأليف كتابه هذا، واختلفت كذلك آراء المؤرخين حول تاريخ تأليفه، فمنهم من يرى أنه ألف في أوائل القرن السادس الهجري^(١٨)، ومن يرى أنه ألف في أواخر القرن السادس أو أوائل القرن السابع^(١٩)، ومن يرى أنه ألف في أوائل القرن السابع الهجري^(٢٠) بينما يحدد سعيد نفيسي تاريخ تأليف هذا الكتاب بعام ٦١٧ هـ معتمداً على ما ذكره بلوشيه من أن العطار أشار في كتابه «تذكرة الأولياء» إلى أنه ألفه عام ٦١٧ هـ في عهد محمد خوارزمشاه^(٢١).

وفي الواقع لا تبدو في الكتاب أية إشارة من هذا النوع، كما أن أحداً من المؤرخين لم يذكر ذلك، ومع هذا يبدو أن الرأي الذي وصل إليه سعيد نفيسي - والذي اتفق معه فيه صاحب كتاب «كارنامه بزركان إيران» -^(٢٢) هو الصائب وذلك للأسباب الآتية:

١ - إن العطار لم يذكر هذا الكتاب في أي من منظوماته، وهذا يدل على أنه ألفه بعد الفراغ من نظمها.

٢ - إن فريد الدين العطار ذكر في منظوماته سن الثلاثين حيث قال في (مختار نامه)^(٢٣):

بحثت بالروح ثلاثين عاماً عن أثر للمعشوق
فضلت ولم أدركه (٢٤).

ونكر سن الأربعين في منظومته «مختار نامه» أيضاً فقال:

كل روح تبصر مرشداً في الطريق

فهى تبصر بعين الجنون طيلة أربعين عاماً

طالما مر الأربعون (عاماً) ترى شمساً

وقد قاصت أشعتها من طاقة وجودها (٢٥).

ونكر سن الستين والسبعين في هذا البيت من ديوانه حيث قال:

وفي السبعين انحلى ظهرك كالقوس وأنت غافل

هنتك بالنوم وتجاوز عمرك الستين كالسهم (٢٦).

ونكر سن التسعين في ديوانه حيث قال:

اتضح أمر ذلك الشيخ الذى بلغ التسعين

وفي نفس الوقت عقد زنار (٢٧).

فإذا كان العطار قد ذكر بلوغه سن التسعين في أشعاره، وإذا كان قد ألف كتابه «تذكرة الأولياء» بعد الفراغ من منظوماته فقد ألقه إذن بعد بلوغه التسعين من عمره وهذا يتفق مع التاريخ السابق ذكره.

٣- إن فريد الدين العطار ألف منظومته «لسان الغيب» (٢٨) وهو فى شيخوخته وبعد أن وقعت له حادثة فى نيسابور بعد تأليف منظومته «مظهر العجائب» التى مدح فيها الأئمة الإثني عشر، وغالى فيها فى وصف مناقب

على، مما أثار عليه سخط أحد فقهاء سمرقند الكبار، فاتهمه بالرفض، وأفتى بوجوب قتله فثار عليه العامة، وأغاروا عليه، وخرّبوا داره، ونفوه عن البلدة، وأرادوا قتله لكنه نجا بفضل الله واتجه إلى مكة^(٢٩).

فإذا أخذنا في الاعتبار أن التذكرة ألغت بعد أن فرغ فريد الدين العطار من تأليف منظوماته، وأنه ألف هذه المنظومة وهو في شيخوخته، فهذا يرجح أن الكتاب ألف في عام ٦١٧ هـ.

٤ - يذكر بديع الزمان فروزانفر في كتابه «شرح احوال ونقد وتحليل آثار الشيخ فريد الدين عطار، أن خواجه نصير الدين الطوسي (٥٩٧ - ٦٧٢ هـ) التقى بالعطار في نيسابور، وكان العطار في ذلك الوقت شيخاً هرمًا وقال بديع الزمان نقلًا عن ابن الفوطى:

«رأه مولانا نصير الدين أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسي بنيسابور وقال: كان شيخاً مفهوماً حسن الاستنباط والمعرفة لكلام المشايخ والعارفين والأئمة والسالكين، والمعروف أن نصير الدين هذا خرج من نيسابور عام ٦١٨ هـ بعد قتل أستاذه قطب الدين المصرى في القتل العام في نيسابور^(٣٠). وبظرة متفحصة إلى هذا القول يتضح جلياً أن العطار كان في هذا العام أى ٦١٨ هـ شيخاً فصيحاً ملماً بأقوال المشايخ والعارفين والأئمة والسالكين مدركاً لها، فليس ببعيد إذن وهو على هذه الخصال أن يكون قد ألف كتابه هذا في تلك الحقبة من الزمن.

٥ - يتضح من كتاب «تذكرة الأولياء، أن فريد الدين العطار ألفه بعد أن فرغ من رحلاته - التي استمرت ثلاثين سنة والتي شملت الرى والكوفة ومصر ودمشق ومكة والهند وتركستان -^(٣١) وطوافه، وبعد أن جمع مادته - حيث اطلع على أربعمائة كتاب من كتب الصوفية -^(٣٢) وحشد كرامات الأولياء والروايات المنقولة عنهم وبعد أن نصحت قريحته.

الفصل الثاني

موضوع الكتاب

موضوع الكتاب :

إذا كان عنوان الكتاب ناطقاً على ما فيه، فلنقرأ عنوان كتابنا للعرف مضمونه أو موضوعه. وعنوان كتابنا «تذكرة الأولياء» ويشرح د. حسين مجيب المصرى مفهوم لفظ التذكرة فيقول:

«جاء في لسان العرب لابن منظور أن التذكرة: ما يستذكر به الشيء وهو أعم من الدلالة والأمانة... وفي تفسير البيضاوى أنها التذکر. هذا هو المعنى اللغوى المعجمى للكلمة إلا أن لها معنى اصطلاحياً إلى ذلك فهى تطلق على كتاب يضم بين دفتيه علماً ما وهذا العلم يتذكره القارىء وبذلك يكون هذا الكتاب مذكراً به فهو كتاب يحث على ما فيه الحاجة إلى التذكر» (٣٣).

وإذا أردنا أن نطبق المفهوم السابق للفظ التذكرة على مضمون كتابنا لا نطبق تماماً فنحن أمام كتاب يضم علماً يتذكره القارىء ويذكره الكتاب به. ولكن أى نوع من العلم يتناوله هذا الكتاب؟

فى الواقع أن الكتاب يترجم لعدد من الأولياء ومشايخ الصوفية الذين عاشوا قبل الغزو المغولى، ويذكر أقوالهم وآراءهم ومناقبهم ومكارم أخلاقهم وما أثر عنهم من روايات، وكما قال المطار: «يشرح مقاماتهم وكراماتهم وحالاتهم» (٣٤). ولا يهتم الكتاب كثيراً بسيرتهم أو حياتهم الخاصة.

ويبدأ الكتاب بالإمام جعفر الصادق وينتهي بحسين بن منصور الحلاج وقد اختلف المؤرخون حول عدد التراجم التي يشملها الكتاب.

فمنهم من قال: إن الكتاب يشتمل على سبع وتسعين ترجمة^(٣٥).

ومن قال: إنه يحتوى على ست وتسعين ترجمة^(٣٦).

ومن قال: إنه يشتمل على سبعين ترجمة^(٣٧).

ومن قال: إنه يضم اثنتين وسبعين ترجمة^(٣٨).

وفى الواقع يمكن ترجيح العدد الأخير للأسباب الآتية:

١ - إن فريد الدين العطار ذكر فى مقدمته لكتابه (تذكرة الأولياء) أسماء الأولياء الذين سترجم لهم وأعد لهم فهرساً يشتمل على اثنتين وسبعين ذكراً^(٣٩).

٢ - إن القائلين بأن الكتاب يشتمل على سبعين ترجمة ربما لم يطلعوا عليه أو على مقدمة مؤلفه لأنهم إن كانوا قد اطلعوا عليه لكانوا أدركوا بسهولة أنه يشتمل على اثنتين وسبعين ترجمة. وربما هم اطلعوا على نسخ سقطت منها ترجمتان على سبيل السهو أو الخطأ.

٣ - إن جميع النسخ المخطوطة أو المطبوعة للكتاب فى أوربا وإيران قبل القرن العاشر الهجرى تحوى على اثنتين وسبعين ترجمة أما النسخ المتأخرة فتحوى على ست وتسعين ترجمة^(٤٠).

٤ - إن الترجمة الأويغورية للتذكرة التى ترجمت فى عهد الأمير عlishير نوائى (القرن التاسع الهجرى) والتى اطلع عليها الدكتور محمد استعلامى تحوى على اثنتين وسبعين ترجمة وكذلك فإن التراجم التركية الأخرى التى اطلع عليها تحوى على نفس العدد^(٤١).

٥ - أن نيكلسون ذكر في مقدمته للكتاب أن معظم المخطوطات التي إطلع عليها تتضمن اثنتين وسبعين ترجمة أو أقل، ولكن عدة نسخ منها تشتمل على عشرين أو خمس وعشرين ترجمة إضافية خاصة بشيوخ مشاهير في عصور متأخرة فضمنها نسخته لأن مادتها شيقة لكنه أطلق اسم «تذكرة الأولياء» على الاثنتين وسبعين ترجمة فقط^(٤٢).

٦ - إن د. محمد استعلامي اطلع على نسخة قيمة للكتاب يقال إنها بقيت عن القرن التاسع تنتهي بذكر الحلاج ثم خاتمة الكتاب، وكذلك نسخة أخرى ترجع إلى عام ٩٨٥هـ. تنتهي أيضاً بذكر الحلاج^(٤٣).

٧ - وجد في أغلب النسخ التي تحوى على هذه الملحقات أن الخط الذي كتبت به الملحقات غير الخط الذي كتب به النص الأصلي وفي هذا دليل على أن كاتب هذه غير كاتب تلك^(٤٤).

٨ - أن القائلين بأن الكتاب يحوى على سبع وتسعين ترجمة أو غير ذلك ظنوا أن الملحق - الذى أضيف إلى الكتاب والذى يحمل عنوان «ذكر متأخران مشايخ كبار رحمة الله عليهم أجمعين» - متعلق بالكتاب أو هو جزء منه. والواقع أن هذا الملحق أضيف إلى الكتاب بعد أن كتب على شاكلته، وذلك لأنه كما ورد في كتاب «عطار نامه»: «إن ويلهام بيرسج مؤلف «فهرست المخطوطات الفارسية في برلين عام ١٨٨٨م وجد نسخة مخطوطة للكتاب في مكتبة برلين الوطنية تحوى على ملحق مكتوب عليه «ذكر متأخران مشايخ كبار رحمة الله عليهم أجمعين على يد أضعف الخلائق وأحقهم الرجاء إلى عفو الله تعالى وغفرانه محمود بن أبى القسم بن عيسى بن حسين بن أبى القسم الكفر بابى»^(٤٥).

فلماذا لا يكون محمود هذا هو مؤلف هذا الملحق وليس العطار.

٩ - كذلك فإن مجلة «پیام نوین» التي تصدر في طهران نشرت مقالاً لأحد المستشرقين الروس أثبتت فيه أن هذا الملحق لا صلة له بالعطار أبداً^(٤٦).

وقيل إنها مقبسة من كتاب مجهول لأحمد بن محمد بن الحسين بن أحمد الطوسي، وإنها قد أضيفت في أوائل القرن الرابع عشر الميلادي إلى «تذكرة الأولياء» لفريد الدين العطار^(٤٧).

١٠ - إن فريد الدين العطار قال في ذكر الإمام جعفر الصادق ما ترجمته:

... لكننا نبدأ بالصادق تبركاً... ولما كان من أهل البيت وقد كثرت الأقوال عن طريقته والروايات عنه، نورد عدة كلمات له. ولأنهم جميعاً متساوون، فعندما يرد ذكر له يكون ذكراً للجميع^(٤٨).

ويتضح مما سبق أن فريد الدين العطار سيكتفي بذكر الإمام جعفر الصادق من أهل البيت جميعاً، لأنه عندما يرد ذكر له فهو نكر للجميع أي أن فريد الدين لن يذكر أحداً آخر من أهل البيت فكيف نجده بعد ذلك يتحدث عن محمد الباقر أبي جعفر الصادق؟ بناء عليه فالملاحظات ليست له.

١١ - يتضح مما سبق أن الأسباب التي تدعونا إلى عدم قبول هذه الملاحق كثيرة خاصة إذا استعرضنا معها ما ذكره د. استعلامي حيث قال:

- إن آخر ذكر في هذه الملحقات متعلق بالإمام محمد الباقر وأول ذكر في التذكرة متعلق بالإمام جعفر الصادق ومن ثم يقول: إن أراد العطار أن يورد اسم الإمام الباقر وحالاته في كتابه ألا يذكر الأب قبل الابن؟ وهل يورد سيرة الباقر وأقواله في صفحة أو صفحتين بينما يفرد للشيخ أبي الحسن الخرقاني أكثر من خمسين صفحة من كتابه!.

- إن عدد صفحات الملحقات وحجمها غير متناسق كما ذكر في المثال السابق، وأنه لم ير مثل هذا التفاوت في التذكرة ويقول إن رأينا فإنه ليس متعلقاً بشخص مثل الإمام الباقر.

- إن هذه الملحقات غير دقيقة وغير بليغة حيث إنه يقول: ورد في بداية ذكر الإمام الباقر، صاحب باطن وظاهر أبو جعفر محمد باقر، ثم يرد في السطور التالية، كنيته أو أبو عبدالله يوده، أي كانت كنيته أبو عبد الله ومن ثم فما أبو جعفر إذن؟ (٤٩).

ومن ثم ينتهي د. محمد استعلامي إلى أن مجهولاً جمع الروايات المتطقة بالمشايخ في القرن العاشر الهجري أو الحادي عشر بمراجعة المصادر المتداولة في ذلك الوقت، وأضافها إلى التذكرة، وأن هذه الأذكار تفاوتت طولاً وقصرًا حسب ما حصل عليه من معلومات، فظن الكتاب أن هذه الملحقات للعطار وزادها على نسخ القرن العادي عشر الهجري (٥٠).

ويبدو رأيه هذا صائبًا لكل الأسباب التي سبق ذكرها.

أقسام الكتاب:

ويقسم الكتاب إلى:

١ - المقدمة:

يبدأ فريد الدين العطار كتابه بمقدمة عربية فصيحة - وهو فيها مقاد للهجویری فی كتابه، كشف المحجوب، - تتضمن حمداً لله وتمجيذاً له حيث يقول:

«الحمد لله الجواد بأفضل أنواع النعماء المنان بأشرف أصناف العطاء المحمود في أعالي ذرى العز والكبرياء... ذى العظمة والجبروت والبهاء» (٥١).

وتتناول فكرة شائعة عند الصوفية وهي فكرة الفناء والبقاء^(٥٢) حيث يقول:

«... وربط طرف بقاء المنغمسين في لجاج بحار توحيديه بالفناء وخط
شرف فناء المتغفلين في قعر قرية البهاء بمحض البقاء... وأغناهم بالفناء عن
البقاء والبقاء عن الفناء»^(٥٣).

ثم يشهد بعد ذلك بوحدانية الله ويشير إلى فكرة وحدة الوجود^(٥٤) حيث يقول:

«... ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له يوازيه، ولا نظير له
بصاهبه فإن نظرنا إلى الأوصاف الألوهية فلا إله إلا هو وإن تأملنا الوجود فلا
هو إلا هو»^(٥٥).

ويشهد أن محمداً رسول الله ويصلى عليه وعلى آله وأصحابه فيقول:

«ونشهد أن محمداً عبده ورسوله ونبيه وصفيه... صلى الله عليه وعلى آله
وأصحابه... وسلم تسليماً كثيراً».

ثم يتبع المقدمة المريية بمقدمة فارسية يتحدث فيها عن أسباب تأليفه
للكتاب، وهي كما ذكرها كالآتي:

١ - رغبة إخوان فريد الدين العطار في الدين^(٥٦).

٢ - أن يبقى كتاب تذكرة الأولياء تذكيراً عن فريد الدين العطار بحيث
يذكره كل من يقرأه بالدعاء^(٥٧).

٣ - أن يستفيد كل من يقرأ التذكرة من كلام المشايخ الذين ورد ذكرهم بها
لأن كلام المشايخ فيه فائدتان: الأولى: إذا كان القارئ يرغب في الاستقامة
والإتجاه إلى الحق، تقوى همته ويزداد طلبه، والثانية: إن كان مغروراً، أطاح
بالغرور عن نفسه، وحقق قول الشيخ المحفوظ (رحمة الله عليه):

« لا تزن الخلق بميزانك وزن نفسك بميزان الموقنين لتعلم فضلهم وإفلاكك، (٥٨) .

٤ - أن تجعل الحكايات والروايات التي وردت في كتاب التذكرة قلب المرید والقارىء ثابتاً، وتكون له زاداً وزواداً في الدنيا والآخرة فقد قال الجنيد (٥٩) حين سئل عن فائدة الحكايات والروايات: إن كلامهم (الأولياء) جند من جنود الله (تعالى) يقوى به قلب المرید ويزوده، بالمدد ودليل هذا القول أن الحق (تعالى) يقول: «وكلأ نقص عليك من أنباء الرسل ما نثبت به فؤادك»، (٦٠)(٦١).

٥ - إن سيد الأنبياء (صلوات الله عليه) يقول: «عدد ذكر الصالحين تنزل الرحمة، أي أن الرحمة تنزل على خوان المؤمن عند ذكره للأولياء والصالحين كأنها الغيث، وسيكون له نصيب منها بلا شك» (٦٢).

٦ - إن أرواح الأولياء وأقوالهم وما أثر عنهم كانت عوناً لفريد الدين العطار وملجأً وملأناً يستكين إليه بعيداً عن تقلبات الزمن المضطرب وتحقق له السعادة قبل دنو أجله (٦٣).

٧ - أن فريد الدين العطار رأى أن كلامهم هو أفضل كلام بعد القرآن والأحاديث، وأنه شرح للأحاديث والقرآن؛ فأعد هذا الكتاب ليتشبه بهم وإن لم يكن منهم (٦٤)؛ فمن تشبه بقوم فهو منهم، (٦٥).

٨ - إن كتاب «تذكرة الأولياء» يشتمل على آيات قرآنية كثيرة وأحاديث، ولما كان القرآن يلزمه لغة ونحواً وصرفاً مما لا يدركه الكثير من الفرس، فقد حرص فريد الدين العطار على أن يترجم تلك الآيات والأحاديث وغيرها إلى اللغة الفارسية حتى تعم الفائدة للجميع (٦٦).

٩ - أن يؤثر كلام المشايخ في تهذيب نفوس من يطالعه لأن عبد الرحمن الإسكافي^(٦٧) حين سئل عن يقرأ القرآن ولا يفهمه هل يؤثر فيه؟ فقال: إن القرآن يؤثر فيه كثيراً وإن كان لا يفهمه . فما بال من يقرأ ويفهم ما يقرأه فلا شك أن التأثير هنا سيكون أوقع^(٦٨) .

١٠ - شغف فريد الدين العطار بسيرة المشايخ وأقوالهم وتعلق قلبه بهم فهو لا يستطيع أن يقول أو يسمع سوى كلامهم لذلك فقد جعل منه عملاً يومياً يشغل به لصالح أهل الزمان^(٦٩) .

١١ - أن يستفيد الناس من السلف الصالح بعد رحيلهم وذلك بمطالعة أقوالهم وقراءة سيرتهم فقد سأل بعض الناس الإمام أبا يوسف الهمداني^(٧٠) (رحمة الله عليه) ما نفع - حين يمضى الزمان وتوارى هذه الطائفة (الصالحون) وجهها في النقاب - حتى نسلم؟ فقال: إقرأوا كل يوم ثمان ورقات من كلامهم، من ثم رأى فريد الدين العطار أن يعد لهم هذه التذكرة^(٧١) .

١٢ - اهتم فريد الدين العطار بتسجيل أقوال المشايخ وشرحها قدر ما يستطيع لأن هذا النوع من الكلام اختفى كلية وليس المدعون لباس أهل المعاني وعزَّ العارفون كالكبريت الأحمر^(٧٢) .

١٣ - إن فريد الدين العطار رأى أنه حل زمان الخير فيه شر ونسى أشرار الناس فيه أختيار الناس؛ فأعد تذكرة للأولياء أسماها «تذكرة الأولياء، كى لا ينسى أهل الخمران أهل السعادة، ويسعون إلى الاعتكاف والخلوة ويشغفون بالأولياء حتى يسعدون السعادة الأبدية»^(٧٣) .

١٤ - إن فريد الدين العطار وجد أن كلام الأولياء والصالحين أفضل كلام فهو يحقر الدنيا في عين الرجل، ويذكره بالآخرة ويفرس فيه محبة الحق

ويجعله يتزود لطريق لا نهاية له؛ لهذا كان كتابه هذا من جملة الواجبات فمن يقرأه يدرك أى باعث فى نفوسهم جعلهم يقولون ما يقولون، ما يفعلون^(٧٤).

١٥ - أن يكون هذا الكتاب شفيماً لفريد الدين العطار يوم القيامة^(٧٥).

وبعد ذلك يختم فريد الدين العطار مقدمته بدعاء إلى الله (تعالى) ألا يحجبه عن هؤلاء القوم وأن يجعل كتابه هذا سبباً للقرب إليه لا البعد عنه. ثم يعقب ذلك بفهرس للكتاب وذكر للأولياء الذين سيرجم لهم.

هذا وينقسم الكتاب إلى قسمين: القسم الأول:

ويشتمل على أربعين ذكراً للأشخاص التالية أسماؤهم :

- | | |
|------------------------------|--------------------------|
| ١ - الإمام جعفر الصادق . | ٢ - أويس القرني . |
| ٣ - الحسن البصري . | ٤ - مالك بن دينار . |
| ٥ - محمد بن واسع . | ٦ - حبيب العجمي . |
| ٧ - أبو حازم المكي . | ٨ - عنبه بن الغلام . |
| ٩ - رابعة العدوية . | ١٠ - الفضيل بن عياض . |
| ١١ - إبراهيم بن أدهم . | ١٢ - بشر الحافي . |
| ١٣ - ذر اللون المصري . | ١٤ - أبو يزيد البسطامي . |
| ١٥ - عبد الله بن المبارك . | ١٦ - سفيان الثوري . |
| ١٧ - شقيق البلخي . | ١٨ - أبو حنيفة الكوفي . |
| ١٩ - محمد بن إدريس الشافعي . | ٢٠ - أحمد بن حنبل . |
| ٢١ - داود الطائفي . | ٢٢ - الحارث المحاسبي . |
| ٢٣ - سليمان الدارائي . | ٢٤ - محمد بن السماك . |
| ٢٥ - محمد بن أسلم . | ٢٦ - أحمد بن حرب . |

- ٢٧ - حاتم الأسم .
 ٢٨ - سهل بن عبد الله التستري .
 ٢٩ - معروف الكرخي .
 ٣٠ - سري السقطي .
 ٣١ - فتح الموصلي .
 ٣٢ - أحمد الحواري .
 ٣٣ - أحمد خضرويه .
 ٣٤ - أبو تراب النخشي .
 ٣٥ - يحيى بن معاذ الرازي .
 ٣٦ - شاه بن شجاع الكرمانى .
 ٣٧ - يوسف بن الحسين .
 ٣٨ - أبو حفص الحداد .
 ٣٩ - حمدون القصار .
 ٤٠ - ملصور بن عمار .

القسم الثانى:

ويشتمل على اثنين وثلاثين ذكراً للأشخاص التالية أسماؤهم:

- ٤١ - أحمد بن عاصم الأنطاكي .
 ٤٢ - عبد الله بن خبيق .
 ٤٣ - الجنيد البغدادي .
 ٤٤ - عمرو بن عثمان المكي .
 ٤٥ - أبو سعيد الخراز .
 ٤٦ - أبو الحسين النوري .
 ٤٧ - أبو عثمان الحيري .
 ٤٨ - عبد الله بن الجلا .
 ٤٩ - أبو محمد بن رويم .
 ٥٠ - ابن عطاء .
 ٥١ - إبراهيم الرقي .
 ٥٢ - يوسف الأسيوطي .
 ٥٣ - أبو يعقوب النهرجوري .
 ٥٤ - سمونون المحب .
 ٥٥ - أبو محمد المرتضى .
 ٥٦ - محمد بن فضل .
 ٥٧ - أبو الحسن البوشنجي .
 ٥٨ - محمد بن علي حكيم الترمذي .
 ٥٩ - أبو الخير الأقطع .
 ٦٠ - عبد الله الروعدي .
 ٦١ - أبو بكر الوراق .
 ٦٢ - عبد الله بن منازل .

- ٦٣ - على بن سهل الإصفهاني .
٦٤ - خير النجاج .
٦٥ - أبو حمزة الخراساني .
٦٦ - أحمد بن مسروق .
٦٧ - عبد الله بن أحمد المغربي .
٦٨ - أبو علي الجرجاني (للجوزجاني) .
٦٩ - أبو بكر الكتاني .
٧٠ - عبد الله بن محمد بن خفيف .
٧١ - أبو محمد الجريري .
٧٢ - حسين بن منصور الحلاج .

الفصل الثالث

مصادر الكتاب

اعتمد فريد الدين العطار في تصنيف كتابه على مصادر متعددة، وأشار في مقدمة كتابه وثناياه إلى بعض هذه المصادر إشارات طفيفة، فهو غالباً لا يذكر المصادر ولا يبين الأسانيد. وتنقسم مصادر تذكرة الأولياء، إلى قسمين:

أولاً: الروايات الشفوية:

لا شك أن الروايات التي رددتها الألسنة عن مشايخ الطريقة والأولياء وتناقلتها الأفواه، وترامت إلى مسامع فريد الدين العطار، قد شكلت مصدراً هاماً من المصادر التي استمد منها مادة كتابه.

فقد قال في ذكر سفیان الثوري:

كما يروي الدراويش عنه... (٧٦).

وقال في ذكر الإمام جعفر الصادق:

وقد كثرت الكلام عن طريقته وكثرت الروايات عنه... (٧٧).

وقد تكررت حصيلته من هذه الروايات من منابع متعددة هي:

١ - ببيلته العامة:

ولد فريد الدين العطار في قرية كدكن، النابعة لنيسابور (٧٨)، وعاش فيها

فترة من حياته.

ومدينة نيسابور في عهد شيخنا كانت تعد منبعاً للعلماء، وواحدة من المراكز العلمية الهامة في العالم الإسلامي، بها مدارس كثيرة للشافعية والحنفية، وكانت مقصداً لكثير من العلماء والفقهاء والأدباء والصوفية وطلاب العلم، نخرت بالعديد من المكتبات المقدسة بنفائس الكتب (٧٩).

ونيسابور إحدى مدن إقليم خراسان هو الإقليم الشمالي الشرقي من إيران وكانت حلقة الإتصال بين إيران وآسيا الغربية وأوروبا وأفريقية وآسيا الشرقية والشمالية. والواقع أن كثيراً من الصوفية عاشوا في هذا الإقليم مثل إبراهيم بن أدهم وشقيق البلخي وبشر الحافي والفضيل بن عياض وأبو يزيد البسطامي وحاتم الأصم وأبو حفص الحداد وأبو عثمان الحيري وغيرهم (٨٠).

ومثل هذه الظروف البيئية - من حركة علمية ثقافية مزدهرة وتجمع للعلماء والفقهاء والأدباء، وامتزاج حضارى بين شعوب مختلفة، ووجود لعدد من شيوخ صوفية ذاع صيتهم وشاع الحديث عنهم وعن كراماتهم في تلك الأونة - كانت لابد أن تؤثر في شخصية كاتبنا وثقافته، وأن تجعله محيطاً بكثير من الحكايات والكرامات المتعلقة بهؤلاء المشايخ وغيرهم.

٢ - بينته الخاصة :

نشأ فريد الدين العطار في أسرة متدينة، فقد كان والده مريداً لقطب الدين حيدر (٨١).

وكانت أمه ورعة تقيّة دينة زاهدة اعتبرها نالية لرابعة العدوية (٨٢). ولا شك أن هذه النشأة جعلته محباً للأولياء شغوفاً بسيرتهم، ووفرت له فرصة الاطلاع على الكثير من الروايات والكرامات المتعلقة بهم.

٣ - رحلاته :

أمضى فريد الدين العطار فترة من عمره في السفر والترحال، زار خلالها مكة ومصر ودمشق والكوفة والرى وبلاد الهند والترك.

وصرح العطار بذلك حيث قال في منظومته «لسان الغيب» :

تطلعت إلى عشق محبوب

فسرت إلى مكة ومصر ودمشق

وطفت الكوفة والرى حتى خراسان

وعبرت سيحون وجيحون

واتجهت من الصين إلى ملك الهند وبلاد الترك

مثل أهل الغطا

وفي النهاية استقرت في نهبابور

وذاع صيتي في العالم (٨٣).

ولا شك أن هذه الرحلات قد هيأت له فرصة الالتقاء بالعديد من الناس على اختلاف درجاتهم من علماء ومشايخ وعامة وصوفية، سمع منهم العديد من الحكايات والروايات والأقاويل، وأخذ عنهم الكثير من المعلومات القيمة التي ضمها كتابه.

٤ - صحبته للمشايع :

على الرغم من أن فريد الدين العطار لم يذكر صراحة إرادته لمشايع من المشايخ إلا أنه زار كثيراً من المشايخ من مكة حتى ما وراء النهر (٨٤).

ويقال: إنه التحق بخدمة ركن الدين أكاف، وتاب على يده، وحضر حلقة دراويشه^(٨٥) وأدرك صحبة الشيخ مجد الدين البغدادي^(٨٦) والشيخ نجم الدين كبرى^(٨٧). وكذلك أدرك صحبة قطب الدين حيدر في طفولته^(٨٨).

وصحبته لهؤلاء المشايخ بلا شك وفرت له الاستماع إلى كثير من الحكايات والأقوال والكرامات عن الصوفية، وعرفته بالطريق وسلوكه وخباياه مما أفاده في كتابه.

ثانياً: الكتب المدونة:

ذكر فريد الدين العطار في مقدمة كتابه أنه استفاد من بعض الكتب وإن كان لا يفصح عن أسمائها أو أسماء مؤلفيها إلا في القليل النادر.

فيقول في ذكر أبي حازم المكي:

«وكلامه كثير في الكتب...»^(٨٩).

ويقول في مقدمة الكتاب:

«وإن أراد شخص أن يستزيد من أقوالهم فإنه سيجدها كثيرة في كتب المتقدمين والمتأخرين»^(٩٠).

وذكر العطار في مقدمته أيضاً أسماء ثلاثة كتب هي:^(٩١)

١ - كتاب شرح القلب:

في الواقع ليس لدينا معلومات عن هذا الكتاب سوى ما ورد في كشف الظنون، حيث ذكره حاجي خليفة تحت عنوان «شرح القلوب»، وقال إنه في أحوال الأولياء^(٩٢)، وعده المرحوم القزويني من مؤلفات فريد الدين العطار نفسه، وذكر فريد الدين العطار هذا الكتاب في نهاية ذكر أبي علي الجرجاني كأحد أعماله وهو حتى الآن في زاوية النسيان^(٩٣).

٢ - كتاب كشف الأسرار:

ذكر حاجي خليفة في كتابه كشف الظنون خمسة كتب تحمل عنوان كشف الأسرار منها : كشف الأسرار في التصوف لأبي الصادق بن الحسن الطبري، وكشف الأسرار في التصوف لأبي الفتوح محمد بن الفضل الشعراني المتوفى ٥٣٨هـ . وكشف الأسرار، للإمام الحافظ أبي بكر أحمد بن علي الخطيب البغدادي المتوفى عام ٤٦٣هـ^(٩٤) . وكل واحد من هذه الكتب الثلاثة يمكن أن يكون هو ما ذكره العطار، وفي الواقع ليس في متناول أيدينا نسخة لأى منهم، ولا نعرف إلى أى كشف منهم كانت إشارة العطار.

٣ - معرفة النفس والرب:

ذكره د. محمد استعلامي باسم «معرفة النفس» فقط .
وكما قال د. استعلامي هذا الكتاب مجهول ولا يمكن أن نقول أى شيء يتعلق به^(٩٥) .
والواقع إننا لم نطلع على هذه الكتب الثلاثة حتى نحدد مدى استفادة العطار منها .

وبالطبع ليست هذه الكتب الثلاثة فقط هي التي اعتمد عليها العطار في كتابه، فقد اتضح لنا بعد ترجمة عدد من الأذكار أن العطار أخذ عن كتب أخرى، أغلبها كانت عربية كما ذكر في مقدمة كتابه^(٩٦) .

وجدير بالذكر إننا سنكتفي في هذا الفصل بمجرد الإشارة إلى هذه الكتب على أن نعرف بها ونبين مدى استفادة العطار منها تفصيلاً في الباب الثالث بعون الله .

٤ - اللمع :

لأبي نصر عبد الله بن علي السراج الطوسي المتوفى (٣٧٨هـ - ٩٨٨م) .
وقد استفاد فريد الدين العطار من هذا الكتاب، ونقل منه بعض الحكايات
المتعلقة بالمشايخ وبعض الأقوال والأخبار المأثورة عنهم.

٥ - التعرف لمذهب أهل التصوف :

لأبي بكر محمد بن اسحق البخارى الكلابادى (م ٣٨٠هـ - ٩٩٠م) .
استفاد فريد الدين العطار من هذا الكتاب خاصة فيما يتعلق بأقوال الصوفية.

٦ - طبقات الصوفية :

لأبي عبد الرحمن محمد بن حسين السلمى (م ٤١٢هـ - ١٠٢١م) .
واستفاد العطار من هذا الكتاب فى نقل بعض الحكايات والأخبار عن
الصوفية . وكذلك أخذ عنه الكثير من الأقوال المتعلقة بهم . وهناك ترجمة
لطبقات الصوفية باللغة الفارسية الهروية جمعها أحد تلاميذ شيخ الإسلام أبى
إسماعيل عبد الله بن محمد الأنصارى الهروى من خلال وعظ أستاذه فى
مجالس الدرس، وهذه الترجمة عبارة عن كتاب طبقات الصوفية بالإضافة إلى
موضوعات وأقوال أخرى كان يزيدها الأستاذ على المضمون الأصلي^(١٧) .

ويمقارنة عقدها د . محمد إستعلامى بين النص الفارسى للطبقات وبين
تذكرة الأولياء اتضح له أن العطار استفاد من النص العربى، ويجوز أنه لم يكن
لديه علم قط بوجود ترجمة السيد الأنصارى الهروية^(١٨) .

٧ - حلية الأولياء :

لحافظ أبى نعيم أحمد بن عبد الله الإصفهانى (م ٤٣٠هـ - ١٠٣٨م)

استفاد العطار من هذا الكتاب خاصة فيما يتعلق بالحكايات التي رويت عن الأولياء الذين ترجم لهم .

٨ - الرسالة القشيرية :

لأبي القاسم عبد الكريم بن هوازن القشيري (م ٤٦٥ هـ - ١٠٧٢ م) . استفاد فريد الدين العطار كثيراً من الرسالة القشيرية فيما يتعلق بالروايات عن المشايخ وكراماتهم وأقوالهم .

وترجمت الرسالة القشيرية بعد الإمام القشيري على يد أحد تلاميذه ويدعى أبوعلی حسن بن أحمد العثماني إلى الفارسية، وطبع الأستاذ بدیع الزمان فروزانفر هذه الترجمة وصحها، (٩٦) .

وبمقارنة عقدها د . استعلامی بین ترجمة الرسالة والتذكرة اكتشف أن أغلب عبارات هذه الترجمة بعينها أو بقليل من الاختلاف موجودة في تذكرة الأولياء وبناء عليه فقد قال إن هذه الترجمة هي أهم مصدر للعطار (١٠٠) .

وقبل أن نزيد د . استعلامی فی رأیه أو نخالقه ننظر فی الأمثلة التي ساقها:

المثال الأول:

تذكرة الأولياء

جنید کتت که هیچ کس را ندیدم در
عبادت کاملتر سری که نود وهشت
سال بر او بگذشت که پهلوی بر زمین
نهاد مکر در بیماری مکر (١٠٢) .

وترجمتها :

ترجمة الرسالة

جنید کوید هرکز ندیدم کسی به
عبادت سری نود وهشت سالش بود
وهرکز پهلویش بریستر نرسیده بود
مکر اندر علت مکر (١٠١) .

وترجمتها :

قال الجنيد: لم أر شخصاً قط أكمل في العبادة من سرى فقد مرت عليه ثمانية وتسعون عاماً لم يضع فيها جانبه على الأرض سوى في مرض الموت.

تذكرة الأولياء

سهل بن ابراهيم كَفَت: با ابراهيم ادهم سفر كردم، بيمار شدم، آنچه داشت بر من نفقه كرد. آرزویی از او خواستم، خری داشت، بفروخت و بر من نفقه كرد. چون بهتر شدم كَفَتَم: خر كجا ست؟ كَفَت: بفروختم. كَفَتَم: من ضعيفم بر چه سوار شوم؟ وجه بر نشينم؟ كَفَت: يا برادر بر كردن من نشين. سه منزل مرا بر كردن نهاد و برفت^(۱۰۳).

وترجمتها:

قال سهل بن ابراهيم: سافرت مع ابراهيم بن ادهم، فمرضت، فأنفق ما يملكه علي، وطلبت منه طلباً وكان له حمار فباعه وأنفق (ثمنه) علي. وعندما شعرت بتحسنت قلت:

يقول الجنيد: لم أر شخصاً قط (عبادته مثل) عبادة سرى فقد بلغ الثامنة والتسعين من عمره ولم يكن قد وضع جانبه على الفراش قط سوى في علة الموت.

المثال الثاني:

ترجمة الرسالة

سهل بن ابراهيم كَوَيْد: با ابراهيم ادهم سفر كردم بيمار شدم، آنچه داشت بر من نفقه كرد. آرزویی از او خواستم، خری داشت بفروخت و بر من نفقه كرد. چون بهتر شدم كَفَتَم: خر كجا ست؟ كَفَت: بفروختم. كَفَتَم: بر چه نشينم؟ كَفَت: يا برادر بر كردن نشين. سه منزل مرا بر كردن همی كَشِيد^(۱۰۳).

وترجمتها:

يقول سهل بن ابراهيم: سافرت مع ابراهيم بن ادهم، فمرضت، فأنفق ما يملكه علي. طلبت منه طلباً وكان له حمار فباعه وأنفق (ثمنه) علي، عندما شعرت بتحسنت قلت:

أين الحمار؟ قال: بعته، فقلت: علام
 وأجلس؟ قال: اجلس على رقبتى يا
 أى شىء أجلس، فقال: اجلس على
 رقبتى يا أختى ووضعى على رقبتى
 ثلاثة منازل.
 ثلاثة منازل ومضى.

ويتضح من المثالين ما يلى:

فى المثال الأول نجد تشابهاً فى المضمون لا العبارة وهذا لأن المصدر فى
 العبارتين كان واحداً وهو النص العربى للرسالة القشيرية.
 وفى المثال الثانى نجد تشابهاً فى المضمون والعبارة.
 ويستفاد من هذا أن العطار كان يأخذ أحياناً عن النص العربى للرسالة
 القشيرية، وأحياناً أخرى كان يأخذ عن النص الفارسى لها.

٩ - صفة الصلوة:

لأبى الفرج جمال الدين عبد الرحمن بن على الجوزى البغدادى (م ٥٩٧ -
 ١٢٠١م).

استفاد فريد الدين العطار من هذا الكتاب فى نقل العديد من الحكايات
 والأقوال المتعلقة بمشاىخ الصوفية ويمكن القول إننا نجد ترجمة لعبارات بن
 الجوزى فى «تذكرة الأولياء».

ومن المصادر الفارسية التى أشار إليها العطار فى كتابه كتاب.

١٠ - كشف المحجوب:

لأبى الحسن الهجويزى^(١٠٥) (المتوفى ٤٦٧هـ - ١٠٧٥م).
 اعتمد العطار كثيراً على هذا الكتاب وغالباً ما كان ينقل عنه عين عباراته
 مع اختلافات بسيطة فى اللفظ.

١١ - أسرار التوحيد:

في مقامات الشيخ أبي سعيد لمحمد بن المنور بن أبي سعيد بن طاهر بن أبي الخير (م ٥٧٤ - ١١٧٩م).

في الواقع كانت استفادة العطار من هذا الكتاب محدودة ويمكن القول: إنه استفاد منه في الشكل العام أو المنهج باعتبار أنه أقدم مؤلف فارسي كتب في شرح حال أحد الصوفية.

ولا شك أن فريد الدين العطار قد اعتمد على مصادر أخرى غير تلك التي سبق ذكرها. فقد انشغل بجمع حكايات الصوفية سبعة عشر عاماً^(١٠٦)، وطالع أربعمائة كتاب لأهل الطريقة^(١٠٧) وبالإضافة إلى ذلك استند العطار في كتابه إلى العديد من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية والأقوال المأثورة. فقد كان محيطاً بالعلوم الدينية من تفسير ورواية أحاديث وفقه^(١٠٨).

وكذلك عمد العطار في «تذكرة الأولياء» إلى الأشعار العربية والفارسية.

الباب الثاني

منهج د. فريد الدين العطار، في
تذكرة الاولياء،

الفصل الأول



المنهج

لا شك أن لكل كاتب طريقته في تناوله لموضوع ما، وتتوقف هذه الطريقة على عوامل متعددة منها: طبيعة هذا الموضوع ومضمونه والغرض منه وغيرها من العوامل.

وإذا أردنا أن نتعرف على طريقة فريد الدين العطار في تناوله لموضوع كتابه تذكرة الأولياء، فسوف نجد أنه قد شرح لنا منهجه في «تذكرة الأولياء» في مقدمته لهذا الكتاب . ويمكن تلخيص منهجه - كما بيئه - في النقاط التالية: إن فريد الدين العطار حين جمع مادة كتابه حصل على أخبار وحكايات وأقوال كثيرة جداً إن سجلها كلها خرج الكتاب عن حد الاختصار؛ لذلك فقد انتخب بعض هذه الأخبار والحكايات والأقوال^(١٠٩).

إن فريد الدين العطار نقل بعض الأخبار والحكايات والأقوال - التي وردت في كتابه تذكرة الأولياء - عن كتب التصوف المتقدمة السابقة عليه، فكما ذكر بنفسه اطلع على كتاب «شرح القلب»، و«كتاب كشف الأسرار»، و«كتاب معرفة النفس والرب»، ويحتمل أن يكون قد نقل عنها أيضاً^(١١٠).

وقد سلك فريد الدين العطار في تناوله «التذكرة الأولياء» مسلك الاختصار والإيجاز سواء في سرده لبعض الحكايات، أو في شرحه لبعض الأقوال والحكايات في حالات الضرورة القصوى^(١١١).

كذلك يتضح مما ذكره فريد الدين العطار أنه لم يهتم بذكر الأسانيد أو المصادر التي نقل عنها مادة كتابه «تذكرة الأولياء» (١١٢).

كما اتخذ فريد الدين العطار جانب الحيطة والحذر قدر استطاعته في نقله لحكايات المشايخ وأقوالهم، فإن كان هناك شك في نسبة رواية أو قول أو كرامة لأحد المشايخ كان يتجاوزها ولا ينقلها. وإن كان هذا لم يمنعه من نقل بعض الحكايات الخاطلة (١١٣).

وبالإضافة إلى ما سبق فقد ذكر فريد الدين العطار أنه لم يتدخل في شرح كلام المشايخ أو تفصيله إلا نادراً وفي حالات الضرورة القصوى وذلك للأسباب الآتية:

١ - إن فريد الدين العطار رأى أنه من الأدب ألا يقحم كلامه بين كلام الأولياء سوى أنه أضطر إلى ذلك للدفاع عنهم والرد على المنتقدين والمدعين (١١٤).

٢ - وقد رأى فريد الدين العطار أنه من الأولى بمن يحتاج إلى شرح أو توضيح لكلام الأولياء أن يعود إلى كلامهم ذاته ويشرحه (١١٥).

٣ - ويقول العطار أيضاً: إن الأولياء مختلفون فبعضهم أهل معرفة وبعضهم أهل معاملة، وبعضهم أهل محبة، وبعضهم أهل توحيد، وبعضهم يجمع بين كل ذلك، ولكل منهم طريقته التي تفرض عليه رسوماً وأداباً وعبادة معينة ومفاهيم محددة، لذلك فهو إن شرح حال كل منهم على حدة لخرج الكتاب عن حد الاختصار (١١٦).

هذا هو المنهج كما شرحه فريد الدين العطار في مقدمته «لتذكرة الأولياء».

لكن بعد الاطلاع على كتاب «تذكرة الأولياء» ودراسته وبالإضافة إلى ما ذكره فريد الدين العطار عن منهجه يمكن القول:

إن فريد الدين العطار كان يبدأ ذكره أو ترجمته لأى من الأولياء بمجموعة من الجمل المسجعة التى تصف صاحب الذكر وتعدد مناقبه وغالباً ماتكون على وزن اسمه أو لقبه، وهذه الجمل تدل أيضاً على تسلط فريد الدين العطار على المصطلحات والمفاهيم والمعانى الصوفية ومهارته فى استخدامها للدلالة على مكانة صاحب الترجمة ومقامه فى التصوف. وهذه الجمل غالباً ماتهىئ القارئ لما يقرأه، والمستمع لما يلقى عليه.

مثال:

قال فريد الدين العطار فى بداية ذكر إبراهيم بن أدهم:

هو سلطان الدنيا والدين، وعنقاء قاف اليقين، هو كنز عالم العزلة، وخزينة قصر الثروة، هو ملك الإقليم الأعظم، وريبب اللطف والكرم، شيخ الزمان إبراهيم بن أدهم (رحمة الله عليه) (١١٧).

ويتضح من العبارة السابقة أن إبراهيم بن أدهم كان سلطاناً للدنيا ومن المشهور عنه أنه كان ملك بلخ وكان من أبناء الملوك، وكان سلطان دين، فقد ترك الملك واتجه إلى العلى ثم اهتزل الخلق وأصبح شيخ زمانه.

وجدير بالذكر أن فريد الدين العطار فى بدئه لأذكاره فى تذكرة الأولياء بهذه الجمل المسجعة لم يكن مبتكراً إنما كان متأثراً بل ومقلداً فى ذلك لكتاب التصوف السابقين عليه مثل الحافظ أبى نعيم الإصفهانى فى كتابة حلية الأولياء، والهجويزى فى كشف المحجوب.

ويعد أن يصف فريد الدين العطار صاحب الترجمة ويمدد مناقبه، بمدحه بمجموعة من الجمل التى تبين مكانته فى التصوف.

مثال:

قال فريد الدين العطار فى ذكر إبراهيم بن أدهم أيضاً:

«كان نقى زمانه، وكان ربيب الإقبال، وكان حجة الزمان وبرهانه، وله فى مختلف معاملات اللة وأصناف الحقائق حظ كامل، وكان مقبولاً لدى الجميع» (١١٨).

وبعد ذلك ينقل فريد الدين العطار مجموعة من الأخبار المتعلقة بصاحب الترجمة، وغالباً ما تتعلق بموطنه ورحلاته وتلقيه العلم، وصحبته للمشايخ وتعرف بشيوخه وأتباعه.

مثال:

قال فريد الدين العطار فى ذكر بشر الحافى:

«كان قد أدرك الفضيل بن عياض، وكان مريداً لخاله على بن حشرم، وكان عالماً فى علم الأصول والفروع. ولد فى مرو، وكان يقيم فى بغداد» (١١٩).
وبعد ذلك يبدأ فريد الدين العطار فى سرد مجموعة من الحكايات التى تتعلق بصاحب الترجمة.

وقبل أن نتطرق إلى الحديث عن الحكايات فى كتاب «تذكرة الأولياء» يجدر بنا أن نعرف بمدلول لفظ الحكاية، ونبين لماذا لجأ فريد الدين العطار وغيره من شيوخ الصوفية بصفة عامة إلى إيراد الحكايات فى كلامهم.

أما عن مدلول لفظ «الحكاية» فقد قال د. أمين عبد المجيد بدوى (١٢٠) فى تعريفه للحكاية:

«وأما الحكاية... فلا تخرج عن سرد واقعة أو وقائع حقيقية أو خيالية وهى أكثر ما تكون منقولة عن الغير ويرسل الحاكي الكلام فيها على سجيته إرسالاً دون تقيد بقواعد فنية دقيقة».

فالحكاية إذن قصة قصيرة يقتصر دور الحاكى فيها على النقل والتعبير.

والقصة قد تتعلق بحادثة من الأحداث وفي هذه الحالة يوجه القاص جل اهتمامه إلى هذه الحادثة دون الأفكار أو الشخصيات، وقد تتعلق بفكرة من الأفكار فيوجه القاص كبير عنايته إلى هذه الفكرة دون الأحداث أو الأشخاص، وقد تدور القصة حول شخصية من الشخصيات فيحاول القاص إبراز ملامح هذه الشخصية وتجسيدها وتحديد اتجاهاتها والعوامل المؤثرة فيها بشتى السبل سواء بإيراد حادثة وقعت لها أو فكرة رجحت لها أو أى شىء يعينه على إبراز تلك الشخصية^(١٢١).

والحكايات فى «تذكرة الأولياء» وإن تلوحت من حيث مضمونها - كما ستشرح فيما يلى - إلا أنها جميعاً تحاول أن تبرز شخصية من حكيت عنه هذه الحكايات وتجسدها للقارئ.

هذا عن تعريف الحكاية فماذا عن لجوء مشايخ الصوفية إلى إيراد الحكايات فى كلامهم.

فى الواقع إن بديع الزمان فروزانفر يرجع اهتمام الصوفية بإيراد الحكايات والتمثيل فى كلامهم إلى الأسباب الآتية^(١٢٢):

١ - إن الصوفية إن نظمو شعراً، أو عقدوا مجلساً، أو ألفوا كتاباً فهم غالباً ما يوجهون كلامهم إلى العامة، ويهدفون إلى نصحتهم وإرشادهم، ومن البديهي أن البراهين والاستدلالات المنطقية لاتجدى مع العامة لذلك فهم يلجئون إلى الحكاية والقصة فى كلامهم للعامة من أجل الوصول إلى الغرض المنشود.

٢ - إن كثيراً من موضوعات التصوف لايتيسر فهمها بالقول الصريح المباشر (مثل وحدة الوجود والبقاء والبقاء مثلاً) لذلك يلجأ الصوفية إلى شرحها وتفسيرها عن طريق الحكاية والتمثيل فتكون سهلة الفهم للعامة.

٣ - إن أغلب كلام الصوفية هو نتيجة للوجد والحال وثمره للمشاهدة والكشف (مثل أقوالهم في الفناء والبقاء والتوحيد والعشق والمحبة والسكر والحيرة) ولا يتيسر فهم مثل ذلك الكلام للعامة إلا عن طريق الحكاية.

٤ - خاف أغلب الصوفية أن تظهر عقائدهم وينتشر مذهبهم فكانوا يرمزون إلى ما يريدون الحديث عنه عن طريق التمثيل والحكايات، لتصل آراؤهم إلى الناس بطريقة غير مباشر ويتضح مما سبق أن بعض حكايات الصوفية هدفها النصح والإرشاد وبعض هذه الحكايات تشرح المفاهيم الصوفية، وبعضها يفسر أقوال الصوفية، وبعضها حكايات رمزية تعبر عن مذهب الصوفية وعقائدهم.

وقد لجأ فريد الدين العطار إلى نقل الحكايات في كتابه «تذكرة الأولياء»؛ لأنها أيسر السبل التي يستطيع بها أن يبلغ مراده، ويوصل مفاهيم الصوفية وأفكارهم لأكبر قدر ممكن من الناس، ويشرح لهم بها أقوال الصوفية واصطلاحاتهم ويطلعهم على آدابهم ورسومهم، ويبين لهم طيب أخلاق الأولياء وحسن معاملتهم، وكان هدفه هو نصح العامة وإرشادهم فهم عندما يطلعون على هذه الحكايات، يحسن اعتقادهم بالأولياء، ويحاولون اتباعهم والسير على نهجهم.

والحكايات في «تذكرة الأولياء» متنوعة المضامين وإن كانت جميعها تهدف إلى إبراز شخصية الولي، وإيجاد حسن الاعتقاد به فيتبعه الناس ويسيروا على نهجه.

وكما قلنا فالحكايات متنوعة يمكن تصليفها إلى ما يأتي:

حكايات تتعلق بكرامات الأولياء:

وكتاب «تذكرة الأولياء» يزخر بمثل هذه الحكايات.

مثال:

قال فريد الدين العطار في ذكر مالك بن دينار (رحمة الله عليه):

إن مالكا كان قد جلس في سفينة، ولما طلب منه أهل السفينة الأجرة، قال: لا أملك شيئا، فضربوه حتى فقد وعيه، ولما تاب إلى رشده طالبوه بالأجرة ثانية، فقال: لا أملك نقودا فهموا أن يلقوا به في البحر فظهر ماكان في البحر من سمك، وفي فم كل سمكة ديناران من الذهب، فمد مالك يده، وأخذ دينارين من سمكة، وأعطاهما لهم، ولما رأى ملاحو السفينة ذلك خسروا أمام قدميه (١٢٣).

حكايات تتعلق بمجاهدات الأولياء ورياضاتهم:

وهذه الحكايات منتشرة على طول الكتاب.

مثال:

قال فريد الدين العطار في ذكر أويس القرني (رضى الله عنه):
يروى عن أويس: أنه لم يلم الليل قط طوال عمره، وكان يمضي ليلة في القيام وليلة في الركوع وليلة في السجود (١٢٤).

حكايات تتضمن أخبارا متعلقة بصاحب الترجمة:

وهذه الحكايات منتشرة في كتاب «تذكرة الأولياء».

مثال:

قال فريد الدين العطار في ذكر محمد بن السماك (رحمة الله عليه): يروى عن محمد بن السماك: أنه كان أعزبا، ولم يرد أن يتزوج لأن زوجه سيكون لها شيطان، وهو له شيطان، ووجود شيطانين في بيت واحد أمر لا يطيقه محمد بن السماك (١٢٥).

حكايات تتعلق بأداب الأولياء ورسوخهم:

وهي متوفرة في كتاب «تذكرة الأولياء»، وتبين آدابهم في الصحبة والجيرة

والسمع والخلوّة والعبادات مثل الصلاة. وسنورد مثلاً على آداب الأولياء في
الصحة.

مثال:

قال فريد الدين العطار في ذكر إبراهيم بن أدهم (رحمة الله عليه):

يروى أن سهلاً بن إبراهيم سافر مع إبراهيم بن أدهم، وحدث أن مرض؛
فأنفق إبراهيم عليه كل ما كان معه، فطلب سهل منه طلباً، ولم يكن لديه شيء؛
فباع حماره ولبي له رغبته ولما تماثل سهل للشفاء، ولم يجد الحمار، قال
لإبراهيم: وعلام أجلس؟، قال له إبراهيم: على كتفي وحمله على عنقه ثلاثة
منازل(١٢٦).

حكايات تتعلق بطيب اخلاق الأولياء وحسن معاملتهم:

وهذه الحكايات وردت كثيراً في «تذكرة الأولياء».

مثال:

قال فريد الدين العطار في ذكر مالك بن دينار (رحمة الله عليه):

يروى: أن مالكاً كان قد استأجر داراً أمام دار يهودى. وكان محراب دار
مالك ملاصقاً لباب اليهودى، فأراد اليهودى أن يؤذيه؛ فحفر حفرة وأعد لها
منفذاً قرب المحراب، وكان يقضى فيها حاجته، فتسرب النجاسة إلى دار
مالك، ومع هذا لم يغضب مالك وكان يكظم غيظه(١٢٧).

**حكايات تبين مدى توكل الأولياء على الله واعتمادهم
عليه وثقتهم به:**

وتكثر مثل هذه الحكايات في كتاب «تذكرة الأولياء».

مثال :

قال فريد الدين العطار في ذكر رابعة العدوية (رحمة الله عليها):
 قصدت رابعة الحج ذات مرة، وحدث أن نفق حمارها الذي كانت تحمل
 عليه متاعها في البادية، فعرض عليها الناس المساعدة، لكنها أبت وقالت: إنها
 جاءت متوكلة على الله، وناجت ربها مناجاة ماكادت أن تنلهي منها حتى
 نهض حمارها، فوضعت متاعها عليه ومضت (١٢٨).

حكايات تتضمن شرحاً لبعض المفاهيم الصوفية:

مثل الفناء والبقاء ووحدة الوجود وغيرها .

وقد وردت مثل هذه الحكايات متفرقة في كتاب «تذكرة الأولياء» .

مثال :

قال فريد الدين العطار في ذكر أبي يزيد البسطامي (رحمة الله عليه):
 يروى: أن أبا يزيد كان يلحظ عن الحقيقة ذات يوم، وكان يمص شفتيه
 ويقول: أنا الشارب والشراب والساقى أيضاً (١٢٩).

وفي هذه الحكاية إشارة إلى فكرة وحدة الوجود.

**حكايات تتعلق بحوادث وقعت للأولياء وجعلتهم يتجهون
 إلى الحق:**

وقد ذكر كتاب «تذكرة الأولياء» بمثل هذه الحكايات التي تبين سبب توبتهم
 وسلوكهم السلوك القويم .

مثال :

قال فريد الدين العطار في ذكر عبد الله بن المبارك (رحمة الله عليه):

وكان سبب توبته أنه فتن بجارية، فوقف تحت حائط دارها ليلة كاملة حتى صباحها، وكانت ليلة قارصة البرد ولما أذن لصلاة الفجر وكان يظنها المعشاء، خجل من نفسه إذ وقف ليلة كاملة موافقة لهواه بينما كان يمل إذا قرأ الإمام سورة طويلة في الصلاة، وتاب (١٢٠).

إذن فالحكايات في تذكرة الأولياء، متنوعة المضامين كما سبق أن ذكرنا، وإن كان هدفها واحد، وهي كثيرة جداً فقد نخر كتاب تذكرة الأولياء بكم هائل من هذه الحكايات.

وقد أحصى بديع الزمان فروزانفر عدد هذه الحكايات فوجدتها تسعمائة وثمان وثمانين حكاية منها:

خمسمائة وأربع وأربعون حكاية في النصف الأول.

أربعمائة وأربع وأربعون حكاية في النصف الثاني. (١٢١)

وجدير بالذكر أن عدد الحكايات يختلف من ذكر لآخر حسب مكانة صاحب الذكر في التصوف، وحسب المادة المتوفرة لفريد الدين العطار.

فقد ذكر فريد الدين العطار سبع وثمانين حكاية عن أبي يزيد البسطامي.

وبعد أن ي سرد فريد الدين العطار الحكايات المتعلقة بصاحب الترجمة يذكر الأقوال المأثورة عنه، ويمكن تصنيف هذه الأقوال بدورها إلى:

أقوال تعرف بمقامات الصوفية:

مثل: التوبة والزهد والفقر والتوكل والخوف والرجاء والورع.

أقوال تعرف بأحوال الصوفية:

مثل: العشق والمحبة والرضا والتسليم والأنس والتوحيد.

أقوال تعرف بآداب الصوفية:

مثل: التواضع والطاعة والقناعة والصدق والتقوى والخشوع فى الصلاة والجهاد.

أقوال توحى ببعض المفاهيم الصوفية:

مثل: وحدة الوجود والفناء والبقاء.

أقوال توضح معاني الفاظ تدور بين الصوفية:

مثل: الصدق والإيثار والجوع والتصوف والفتوة والإلهام واليقين.

أقوال تعرف بأنواع من الناس:

مثل: المؤمن والمنافق والأحمق والبخيل والحقود والفاسق.

وكذلك هناك أقوال تتضمن نصحاً وإرشاداً.

وهذه الأقوال كثيرة وممنشرة على طول الكتاب، ويختلف مفهوم كل قول

منها من شيخ إلى آخر.

وعلى هذا فكتاب «تذكرة الأولياء» يحظى بكم هائل من الأقوال أيضاً. وقد

أحصى بديع الزمان فروزانفر عدد هذه الأقوال فوجدها الفين وثمانمائة وأربعة

وستين قولاً منها:

ألف ومائة واثنان وتسعون قولاً فى النصف الأول من تذكرة الأولياء.

وألف وستمائة واثنان وسبعون قولاً فى النصف الثانى من تذكرة الأولياء (١٣٢).

ولاشك أن عدد هذه الأقوال يختلف من ذكر إلى آخر حسب مكانة صاحب

الذكر فى التصوف، وحسب المادة المتوفرة لفريد الدين العطار.

وقد بلغ عدد الأقوال التى ذكرها فريد الدين العطار عن أبى الحسن

الخرقانى أربعمائة وتسعة قولاً (١٣٣).

وجدير بالذكر أن فريد الدين العطار كان أحياناً يورد مجموعة من الأقوال، ثم ينقل بعدها مجموعة من الحكايات، لكنه كان في أغلب الأحيان يسرد مجموعة من الحكايات المتعلقة بصاحب الترجمة، ثم يتبعها بمجموعة من الأقوال.

وبعد أن ينقل فريد الدين العطار الأقوال المأثورة عن صاحب الترجمة، كان أحياناً ينتقل إلى ذكر مناجاته، لكنه في أغلب الأحيان كان ينتقل بعد ذكر الأقوال مباشرة إلى الحديث عن وفاة صاحب الذكر والكرامات المتعلقة بها. ثم يختتم الذكر بالدعاء لصاحبه بالمغفرة والرحمة.

وبناء على ماسبق يمكن تلخيص منهج فريد الدين العطار فيما يلي:

أن فريد الدين العطار كان يبدأ الذكر بمجموعة من الجمل المسجعة في مناقب صاحب الذكر، ثم يمدحه بمجموعة أخرى من الجمل التي تبين مكانته في التصوف، ثم يورد بعض الأخبار المتعلقة بصاحب الذكر، ثم يسرد الحكايات التي رويت عنه، ثم ينتقل إلى ذكر الأقوال المأثورة عن صاحب الذكر، ثم ينتقل إلى الحديث عن وفاته وكراماته عند الوفاة، ثم الدعاء له بالمغفرة والرحمة.

الفصل الثاني

الانسلوب

تعد الفترة مابين أواسط القرن الخامس الهجرى وحتى أوائل القرن السابع الهجرى من أزهى فترات اكتمال النثر الفارسى ونضجه، ففي هذه الفترة ظهر كثير من الكتاب الفرس الكبار، وألفت العديد من الكتب المتعلقة بالحكمة والعرفان والعلم والأدب، ولم تترك هذه الكتب مجالاً من المجالات إلا وطرقته، وراج تأليف الكتب الفارسية إلى جانب العربية، وكانت قوة المتصوفة وانتشار التصوف - فى هذه الفترة - سبباً من أسباب رواج النثر، وألفت عدة كتب صوفية بالنثر الفارسى تتناول مسائل صوفية مختلفة: من بيان لأصول التصوف وشرح لأحوال المتصوفة. (١٢٤) وإلى هذه الفترة ينتمى كتاب «تذكرة الأولياء»، وكتاب «تذكرة الأولياء»، وإن كان قد تأثر بسمات الأسلوب فى تلك الفترة (١٢٥) كاستعمال للألفاظ والتركيبات العربية وإيراد للشعر ضمن النثر، فإن له سمات أخرى قد أخذها عن العهد السامانى (١٣٦) أو استعدها من الأسلوب القديم أو انفرد بها سنوردها فيما يلى.

خصائص أسلوب فريد الدين العطار فى تذكرة الأولياء:

قبل الحديث عن خصائص أسلوب فريد الدين العطار فى «تذكرة الأولياء»، لابد أن نتذكر أن فريد الدين العطار كان قد اعتمد فى تصنيف كتابه على مصادر متعددة استمد منها مادة كتابه كما سبق شرحه، وهذا الأمر جعل أحد المؤرخين يقول: «إن نثر تذكرة الأولياء ليس نثراً خاصاً بفريد الدين العطار

لأن كتاب العطار مؤلف من أجزاء مقتبسة من الكتب الأخرى، وإن كانت هناك عبارات من عنده في بعض الأحيان، فقد اتبع أسلوب الشخص الذي أخذ عنه، وحتى في مقدمة التذكرة - التي كتبها بفكرة وقلمه - مشابهة لأسلوب التأليف الذي يلاحظ في متن الكتاب وطريقة تناوله التي تشبه طريقة الهجویری والعماني (مترجم الرسالة القشيرية) اللذين إتبعهما العطار، وكلما ترجم العطار رواية من الكتب العربية كتبها بعبارات فارسية على نفس نمط المترجمين السابقين عليه كالهجویری والعماني، (١٣٧).

هذه هي وجهة نظر د. محمد استعلامي في نشر «تذكرة الأولياء». لكن لا يمكننا أن نسلم بهذا الرأي للأسباب الآتية:

(١) إن فريد الدين العطار صنف هذا الكتاب بعد أن نظم العديد من المنظومات الصوفية الرائعة، وبعد أن نضجت قريحته، فكان تصنيف مثل ذلك الكتاب أمراً سهلاً بالنسبة له.

(٢) كان لابد لفريد الدين العطار أن يتأثر بالمصدر الذي ينقل عنه وإن كان - كما ذكر د. استعلامي - كلما ترجم رواية من الكتب العربية كتبها بعبارات فارسية على نفس نمط المترجمين السابقين له كالهجویری والعماني فسجد أنه لم ينقل عن الهجویری والعماني فقط وإنما نقل عن مصادر تصوف عربية أيضاً وأنه كلما كان ينقل رواية كان ينقلها على نفس النمط لابنفس الألفاظ فعندما كان ينقل عن مصدر فارسي، كان يبدل الألفاظ القديمة بألفاظ حديثة مثلاً. وعندما كان ينقل عن مصدر عربي كان يسعى جاهداً للحفاظ على مضمون الرواية، وإن اضطره هذا إلى استعمال ألفاظ عربية بعينها وردت في المصادر التي نقل عنها وذلك تأكيداً للمعنى وحفاظاً عليه.

(٣) إن كان فريد الدين العطار قد أخذ معظم مادته من المصادر السابقة عليه؛ لأن طبيعة موضوع كتابه قد فرضت عليه ذلك فليس معنى هذا أنه كان مجرد ناقل، لأنه تدخل بإبداء رأيه في بعض المسائل الصوفية التي تعرض لها.

(٤) إن تأثر فريد الدين العطار باللغة العربية الذي بدا جلياً في كتابه - لا يرجع لكونه مجرد ناقل عن مصادر عربية ولكن يرجع إلى:

(أ) رواج اللغة العربية وازدهارها في فترة تأليف الكتاب والفترة السابقة عليها.

(ب) معرفة فريد الدين العطار بالعربية.

(ج) رواج المؤلفات الصوفية العربية وانتشارها منذ أواخر القرن الرابع الهجرى وحتى أوائل القرن السابع الهجرى.

(د) استفادة فريد الدين العطار من المصادر الصوفية العربية ونقله عنها.

(هـ) ازدياد نفوذ الدين الإسلامى وانتشار المدارس الدينية وتعددتها في أنحاء البلاد وأقبال الطلاب عليها.

وجدير بالذكر أن فريد الدين العطار كان قد أورد في كتابه بعض الألفاظ والتراكيب وأحياناً العبارات العربية؛ حفاظاً على المعنى فقد كان حريصاً على تأكيد المعنى الذى يريده، ومع ذلك كان فريد الدين دائماً يترجم العبارات العربية التى ينقلها إلى الفارسية حتى يعرفها من لا يفهمون العربية.

(٥) أما عن مقدمة الكتاب فقد قال د. استعلامى عنها: إن فريد الدين العطار كتبها بفكره وقلمه.

بناء على ماسبق يمكن القول: أن أسلوب «تذكرة الأولياء» هو أسلوب فريد الدين العطار ولاشك، إذن ماهي خصائص أسلوب العطار في تذكرة الأولياء؟.

قسم محمد بن عبد الوهاب القزويني خصائص أسلوب «تذكرة الأولياء» إلى خصائص نحوية، وخصائص صرفية، وخصائص لغوية^(١٣٨) (صوتية).

ويمكن أن نصيف إلى التقسيم السابق الخصائص البلاغية وخصائص أخرى، بالإضافة إلى رسم الخط أو طريقة الكتابة.

أولاً: الخصائص النحوية:

(١) كان فريد الدين العطار يورد الفعل مع الجمع واسم الجمع مصرفاً مع الضمير المفرد الغائب (او)^(١٣٩) وهذه سمة من سمات الأسلوب في القرنين الخامس والسادس^(١٤٠).

مثال (١):

«آدم وحواء بمرء ونوح وإبراهيم خليل بمرء»^(١٤١).

وترجمته:

«مات آدم وحواء، ومات نوح وإبراهيم الخليل».

والفاعل هنا آدم وحواء جمع والفعل (بمرء) مصرف في الماضي المطلق مع الضمير (او) في حين أنه كان يجب أن يصرف مع الضمير (ايشان) أي (بمرردند) ونفس القول ينطبق على الشق الثاني من العبارة.

مثال (٢):

«بيشتر خلق از معانی آن بهره نمی توانست کرفت»^(١٤٢)

وترجمته :

«لا يستطيع أغلب الخلق الاستفادة من معانيها،

والفاعل هنا (بيشتر خلق) وهو اسم جمع في حين أن الفعل مصرف مع الضمير الثالث (أو) وكان يجب أن يكون (نمی توانستند كرفت).

(٢) كان فريد الدين العطار أحيانا يستعمل (را) لاحقة المفعول الصريح بعد المفعول الغير صريح (١٤٣).

مثال :

«دنیا را بکبر از برای تن را و آخرت را بکبر از برای دل راه» (١٤٤)

وترجمته :

«اتخذ الدنيا من أجل الجسد والآخرة من أجل القلب».

والمفعول الغير صريح هنا (تن) ومع ذلك جاء العطار بـ (را) لاحقة المفعول الصريح بعده وكذلك الحال مع (دل).

(٣) كذلك كان فريد الدين يلحق (را) علامة المفعول الصريح بالفاعل أحيانا (١٤٥).

مثال :

«ویراکشت سلطانیان خورده است» (١٤٦)

وترجمته :

«إنه قد أكل زرع السلاطين».

والفاعل هنا (وی) والحق به العطار (را).

(٤) كان فريد الدين العطار كثيراً ما يستبدل دال في (يد) ضمير فاعلية المخاطبين بـ (الناء) .

مثال :

«شما درس كرديد ویدان عمل نکر دیت» (١٤٧)

وترجمته :

«تعلمتم الدرس ولم تعملوا به» .

(٥) كان فريد الدين العطار كثيراً ما يستعمل (نا) كأداة ربط .

مثال (١) :

«خواستم نادستش فراکیرم» (١٤٨) .

وترجمته :

«اردت أن أمسك يده» .

مثال (٢) :

«جمله منبرها بفرمود تابشکستند» (١٤٩) .

وترجمته :

«أمر بتحطيم كل المنابر» .

(٦) استخدم فريد الدين العطار السابقة (نا) كثيراً في النفي .

مثال :

«کفتم نام من وپدر من چون دانستی و مرا بچه شناختی هرکز نادیده» (١٥٠) .

وترجمته :

قلت كيف علمت اسمي واسم أبي ويأى شئ عرفنى ولم ترنى قطه .

(٧) كذلك استعمل منه، للنفى كثيراً .

مثال :

«ومى كريد ونه بشب قرار كيرد ونه بروز» (١٥١) .

وترجمته :

«وهو بيكى ولايهداً ليلاً أو نهاراً» .

كان فريد الدين العطار يستعمل (در) بدلاً من الباء .

مثال (١) :

«در حسن نكريد» (١٥٢)

وترجمته :

«ينظر إلى الحسن» .

مثال (٢) :

«فرداى قيامت حق تعالى هفتاد هزار فرشته بيا فريند در صورت

اويس» (١٥٣)

وترجمته :

«يخلق الحق (تعالى) يوم القيامة سبعين ألف ملكاً على شاكلة أويس»

(٩) كذلك استعمل فريد الدين العطار أكثر من حرف من حروف الجر

بصورة متتالية .

مثال (١) :

«چنان نقل کرده آمد که چون نشسته بودی کفتی در بیش جلاذ نشسته، (١٥٤)».

وترجمته :

«بروی كذلك: «إنه عندما كان يجلس، فكأنه جلس أمام جلاذ»

مثال (٢) :

«سایلی فرا درآمده، (١٥٥)».

وترجمته :

«حل سائل».

(١٠) كان فريد الدين العطار يضع باء الزينة قبل نون النفي.

مثال :

«وقدم در راه ننهی وهفتاد مقام بنکذاری، (١٥٦)».

وترجمته :

«ولاتضع قدماً في الطريق ولاتتجاوز سبعين مقاماً».

(١١) كان فريد الدين العطار يستخدم الهمزة بدلا من (اي) مع المخاطب

في زمن الماضي النقلي.

مثال (١) :

«اكنون تو هفتاد سال ورا پرستیده، (١٥٧)»

وترجمته :

«لقد عبديته أنت الآن سبعين عاماً».

مثال (۲) :

«كفّت تو ندانسته که کارکنان خدای رابه پیشه حاجت نیست»، (۱۵۸)

وترجمته :

قال ألا تعلم أن عمال الله لا حاجة لهم بالحرفة.

(۱۲) كذلك استعمل فريد الدين ازیس که وازآنکه وازجهت که بدلا من

زیرا که او زیرا.

مثال :

«وکفّت یاطیفور دانی بچه چشمم خال کرد ازیس که در فراق نومیکریمتم

ویشتم دوتا شد ازیس که غم تو خوردم»، (۱۵۹).

وترجمته :

«قالت: أتعلم باطيفور أن عيني أضيرت؛ لأنني كنت أبكي فراقك وأن

ظهري اتحنى لأنني حزنت عليك.

(۱۳) استعمل فريد الدين العطار المصدر «شدن، كثيراً بمعنى (رفتن).

مثال (۱) :

«كفتم ببا زار شوم»، (۱۶۰)

وترجمته :

«قلت أذهب إلى السوق.

مثال (۲) :

«چون مردی سخت انداز بود تیراو دورتر شود»، (۱۶۱).

وترجمته:

«كلما كان الرجل حاذقاً يبعد سهمه.»

(١٤) كذلك ألحق فريد الدين (تر) لاحقة الصفة التفضيلية بالاسم لا الصفة (١٦٢).

مثال:

«فريضة تر» (١٦٣)

(١٥) وردت في «تذكرة الأولياء» بعض الاستعمالات القديمة مثل عطف الفعل المصروف مع الجمع على الفعل المصروف مع المفرد.

مثال:

«أصحاب در ببستند وكفت» (١٦٤).

وترجمته:

«أغلق الأصحاب الباب وقالوا.»

والمفروض أن تكون:

«أصحاب در ببستند وكفتند.»

(١٦) أحياناً كان فريد الدين يتبع كاشكى بكه أو كى وكاشكى لاتتبع بكه (١٦٥).

مثال (١):

«وكفت كاشكى كى خلق بشناخت خود توانندى رسيد» (١٦٦).

وترجمته:

«ليت الخلق يعرفون أنهم يستطيعون الوصول.»

مثال (٢) :

«وسخن اوست که کاشکی که بدانمی که مرا دشمن می دارد» (١٦٧).

وترجمته :

«وقوله ليتنى أعلم أنه يعاديني».

(١٧) كذلك استعمل فريد الدين أكر همه بمعنى أكر (١٦٨).

مثال (١) :

«قدم بریسات سلاطین منه أكر همه محض شفقت بود بر خلق» (١٦٩).

وترجمته :

«لاتضع قدماً على بساط السلاطين وإن أشفقوا على الخلق محض الشفقة».

مثال (٢) :

«گفت آرزو آنست که پیش از آنکه بمیرم أكر همه يك لحظه بود او را بدانم» (١٧٠).

وترجمته :

«قال: رغبتى أن أعرفه قبل أن أموت وإن بقيت هناك لحظة».

(١٨) استعمل فريد الدين (آن) كأداة للتعريف وهذه سمة من سمات

الأسلوب القديم.

مثال :

«آن بیشوای اهل ملامت، آن شمع جمع قیامت، آن برهان مرتبت و تجرید،

آن سلطان معرفت و توحید، آن حجة الفقر فخری، قطب وقت ذو النون

مصری» (١٧١).

وترجمته:

هو إمام أهل الملامة، وشمع جمع القيامة، هو برهان المرتبة والتجريد، وسلطان المعرفة والتوحيد هو حجة الفقير فخرى، قطب الزمان ذو اللون المصرى (رحمة الله عليه).

(١٩) لم يكن فريد الدين العطار يهتم بسياق الجملة كأن يقدم ويؤخر فى الإضافات.

مثال:

«وَكَفَّتْ دُنْيَا بَكَدَاشْتَنْ زَهْدِ نَفْسِ اسْتِ وَأَخْرَتْ بَكَدَاشْتَنْ زَهْدِ دَلِ وَتَرَكَ خُودِ كَفْتَنْ زَهْدِ جَانِ» (١٧٣).

وترجمته:

«وقال: ترك الدنيا زهد النفس، وترك الآخرة زهد القلب، وترك النفس زهد الروح».

وكان يجب أن تكون العبارة:

«وَكَفَّتْ: كَدَاشْتَنْ دُنْيَا زَهْدِ نَفْسِ اسْتِ، وَكَدَاشْتَنْ أَخْرَتِ زَهْدِ دَلِ، وَتَرَكَ كَفْتَنْ خُودِ زَهْدِ جَانِ».

(٢٠) وكذلك لم يكن فريد الدين يهتم بالإتيان بالفعل فى آخر الجملة وفقاً للقواعد الفارسية، وكان يأتي به فى وسط الجملة فى كثير من الأحيان، وأغلب الظن أن هذا تأثير عربى.

مثال:

«كَفَّتْ اَيْنِ تَنْ بَا مِنْ قَرَارِ نَمِي كِيرِدِ دَرِ طَاعَتِ حَقِّ تَعَالَى» (١٧٣).



وترجمته :

«قال: لا يطارعنى هذا الجسد فى طاعة الحق تعالى، .

(٢١) كذلك كثرت الالتفاتات(١٧٤) فى أسلوب فريد الدين .

مثال :

«زانکه میگفت انا الحق کفتمد: بگوئى: هو الحق کفت: بلى همه او ست شما میگوئید که کم شده است،(١٧٥) .

وترجمته :

لأنه كان يقول: أنا الحق، قالوا: قل: هو الحق، قال: بلى فالكل هو، وأنتم تقولون إنه فقد .

(٢٢) كذلك كان فريد الدين يستخدم المصدر كاملاً فى زمن المستقبل دون

حذف النون .

مثال :

«بزرگى کفت که اى اهل معنى طریق معنى بنکرید که باحسین منصور چه کردند تابا مدعیان چه خواهند کرد،(١٧٦) .

والمفروض :

(چه خواهند کرد) .

وترجمته :

«قال شيخ: يا أهل المعنى، انظروا إلى طريق المعنى، وما فعلوا مع حسين منصور (لندركوا) ما سيفعل مع المدعين، .

وجدير بالذكر أن الجمل في «تذكرة الأولياء» في أغلبها متداخلة لا يفصلها عن بعضها البعض شيء.

ثانياً: الخصائص الصرفية:

(١) استعمل فريد الدين العطار صيغة خاصة للمضارع الإخباري لا توجد إلا في بعض الصيغ النادرة في بعض أشعار القدماء مثل: كلمى بدلاً من مى كنم، وكنى بدلاً من مى كنى، وكندى بدلاً من مى كند، وكنددى بدلاً من مى كندد (١٧٧).

مثال (١):

أ - «أكر توانمى خود را طلاق دهى» (١٧٨).

وترجمته:

«إن استطعت أن تطلق نفسك».

مثال (٢):

ب - «أكرهمه عمر بشكر مشغول كرتنى» (١٧٩).

وترجمته:

«إن شغلت بالشكر طول عمرك».

(٢) كذلك استعمل فريد الدين في أسلوبه صيغة قديمة للماضي الاستمراري الكامل (١٨٠).

فاستعمل مثلاً: كرد مى بدلاً من ميكردم، وكردى بدلاً من ميكرد، وكرديمى بدلاً من ميكرديم، وكردندى بدلاً من ميكردند وغالباً ما كان يستعمل كرتنى للمفرد المخاطب، وأحياناً كان يستعملها كزمانى بدلاً من ميكرديم.

أمثلة :

أ- «تواکر امروز حرب کردتی اسیرشدی .. وچون گوشت خوک بخوردتی کافرت کردندی، (۱۸۱)» .

وترجمتها :

«إن حاربت اليوم أسرت ... وطالما أكلت لحم الخنزير جملوك كافرا،

ب- «اگر شما درانجا نکه نمیگردتی ایشان چندین اسراف نکردندی پس چون شما نظر میکلید شریک باشید در مظلمت این اسراف، (۱۸۲)» .

وترجمتها :

«لو لم تكن تنظر إلى ذلك المكان لما كانوا يسرفون كل هذا الإسراف، ومن ثم عندما تنظرون، تشاركون في مظلمة هذا الإسراف.»

ج- «اگردست دیکر بیرون بودی نصیب وی بدادمانی، (۱۸۳)» .

وترجمتها :

«إن أخرجت يدك الأخرى لكنا نعطيها نصيبها.»

د- «این حال که تراپیش آمده است اکریمال وجمال راست آمدی مالهای عظیم بدادیمی، (۱۸۴)» .

وترجمتها :

«هذه الحال التي اعترتك لو تستقيم بالمال والجمال، لكنا نبذل المال الوفير.»

ه- «كاشکی کوسفندی بودی تاپریان کردمانی، (۱۸۵)» .

وترجمتها :

«ليتها كانت شاه لكنا شويناها.»

(٣) كان فريد الدين يأتي بفعل بودن - الذى يستخدم فى تصريف الفعل فى زمن الماضى البعيد - فى زمن الماضى البعيد (أى بوده بود) (١٨٦).

مثال:

«آنجا كه آن چهار دانگ درجیب می نهادی خدای تعالی حاضر نبود، و آن ساعت اعتماد بر خدای نبوده بود» (١٨٧).

وترجمته:

ألم يكن الله تعالى موجوداً عندما كنت تضع تلك العملات الأربع فى جيبك، ولم تكن قد اعتمدت عليه فى ذلك الوقت.

ثالثاً: الخصائص الصوتية:

وهى كثيرة منتشرة فى الكتاب نذكر منها:

(١) قلب الباء واو مثل:

كاربين = كابين ومعناها مهر أو صداق.

اشتروار = اشتريار ومعناها الحمل.

اشتروانى = اشترينانى ومعناها الجمال.

(٢) قلب الواو باء مثل:

كجابه = كجاره ومعناها هودج.

(٣) قلب الباء فاء مثل:

زفان = زيان ومعناها لسان.

(٤) قلب الباء الفارسية واواً مثل.

واديد - پديد ومعناها رأى.

(٥) قلب الشين جيم مثل:

كاجكى - كاشكى ومعناها لبت.

(٦) استعمال اينج مقابل آنج وكذلك اينك مقابل أنك مثل:

هرجه در بغداد كردى براى من كردى ومن اينج كردم براى خدا كردم، (١٨٨).

وترجمتها:

كل ما فعلته فى بغداد فعلته من أجلى وكل ما فعلته أنا فعلته من أجل الله.

(٧) وكذلك استعمل فريد الدين العطار بانجده بدلاً من بانزده، وهزده

وهشده بدلاً من هجده، ودينه بدلاً من ديروز، ونبايد بدلاً من مبادا، ويخفت

بدلاً من بخواب (أمر الحاضر)، ويوك بدلاً من بود (أى شايد)، وسديكر بدلاً

من سوم (١٨٩).

رابعاً: خصائص رسم الخط اله (طريقة الكتابة):

توجد فى «تذكرة الأولياء» بعض خصائص رسم الخط لكنها ليست خاصة

به، وإنما كانت رائجة فى أغلب الكتب التى ألفت قبل القرن السابع.

(١) فمثلاً كانت كى تكتب بدلا من كه، وأنك تكتب بدلا من أنك، وأنج

بدلاً من آنچه، وهرج تكتب بدلاً من هرجه، وكبا بدلاً من كه + با، وهجيز

تكتب بدلاً من هيچ چیز، وسختر بدلاً من سخت + تر (١٩٠).

(٢) ومن خصائص رسم الخط كتابة ياء المخاطب بعد الهاء غير المفروضة

مثل:

مانده ی، بوده ی، نه ی، که ی .

وتعنى مانده، بوده، نه (أى نيسى) وكه (كىسى) (١٩١).

(٣) كذلك كتابه الجيم والباء الفارسيين بنقطة واحدة مثل الجيم والباء فى العربية (١٩٢).

خاصاً: الخصائص البلاغية:

إذا نظرنا إلى الصناعات البلاغية فى كتاب تذكرة الأولياء فنسجد أنه خلا منها تقريباً سوى صنعتين هما: السجع والترصيع .

(١) فقد التزم فريد الدين العطار - كما سبق ذكره - بإيراد أسجاع فى بداية كل ذكر على نفس وزن اسم أو لقب صاحب الذكر، وتبين مكانته فى التصوف، مما جعله يأتى أحياناً بأسجاع ركيكة متكلفة كما يقول بهار وغيره .

مثال (١) :

«آن از دوكون كرده اعراض، پير وقت فضيل بن عياض، (١٩٣) .

وترجمته:

«هو المعرض عن الكونين، شيخ الزمان فضيل بن عياض، .

مثال (٢) :

«آن خليفة الهى، آن دعامة نامتناهى، آن سلطان العارفين، آن حجة الخلايق اجمعين، آن بخته جهان ناكامى، شيخ بايزيد بسطامى رحمه الله عليه، (١٩٤) .

وترجمته:

«هو الخليفة الإلهى، والدعامة اللامتناهية، هو سلطان العارفين، وحجة الخلائق اجمعين، هو خبير عالم المعاناة، الشيخ أبو يزيد البسطامى (رحمة الله عليه) .

(٢) كذلك أتى فريد الدين العطار ببعض العبارات المرصعة (١٩٥).

مثال :

«آن مرد میدان معنی، آن فرد ایوان تقوی، آن محقق حق ونبی، قطب وقت أبو تراب النخشبی» (١٩٦).

وترجمتها :

«هو رجل میدان المعنى، وفرد ایوان التقوی، هو محقق الحق، ونبی زمانه وقطبه، أو تراب النخشبی».

وفيما عدا هاتين الصلعتين، فقد خلا الكتاب من الصناعات البلاغية تقريباً، ليكون قريباً من فهم العامة، وملائماً للهدف الذي ألف من أجله وهو نصح العامة وإرشادهم.

سادساً: خصائص أخرى:

بالإضافة إلى الخصائص التي سبق ذكرها فقد اتسم كتاب «تذكرة الأولياء» بخصائص أخرى منها:

(١) الاستشهاد بالشعر العربي والفارسي، وهي سمة من سمات الأسلوب في العصر الذي ألف فيه الكتاب. وقد بلغ عدد الأبيات ثمانية عشر بيتاً.

(٢) التضمين بالقرآن الكريم والأحاديث النبوية الشريفة، وهي تمثل نسبة كبيرة في الكتاب.

(٣) تكرار لفظ بود وداشت في بداية التراجم.

مثال (١) :

«صاحب حسن بصری بود، وازیزرکان این طایفه بود، ویرا کرامات

مشهور بود، ورياضات مذكور، ودينار نام پدرش بود، ومولود او در حال عبوديت پدر بود، اگرچه بنده زاده، بود ازهر دو کون آزاده بود، (١٩٧).

وترجمته:

«كان صاحب الحسن البصرى، وكان من مشايخ هذه الطائفة، وله كرامات مشهورة، ورياضات مذكورة. كان اسم والده (دينار)، وولد فى ظل عبودية والده، ومع أنه كان ابن عبد، (إلا أنه) كان متحرراً من الكونين.»

مثال (٢):

«وزياني داشت در بيان معارف و اسرار... ويا ابو تراب صحبت داشته... و او خود اديب بود و رياضاتى و كراماتى داشت، و در ملامت قدمى محكم داشت و همنى بلند (١٩٨).»

وترجمته:

«وله بيان فى بيان المعارف والأسرار، وصاحب أبى تراب، وكان هو نفسه أديب، وله رياضات وكرامات، وله فى الملامة قدم محكم وهمة عالية.»

(٤) كذلك فإن الأثر العربى بدأ جلياً منتشراً على طول الكتاب سواء من حيث الألفاظ والتركيبات، أو الجمل والعبارات، وذلك للأسباب التى سبق ذكرها.

وقد احصى بهار نسبة الكلمات العربية إلى الفارسية فى الكتاب فوجدها من ١٠٪ إلى ١٢٪ (١٩٩).

وخلصه القول أن أسلوب كتاب «تذكرة الأولياء» تميز بالبساطة والسلامة واللطفة والبعد عن التكلف كما أجمع الكثيرون على ذلك (٢٠٠). وجمل الكتاب

فى أغلبها بسيطة ليست مركبة ولا معقدة، وألفاظه فى معظمها مؤدبة للمعنى ومؤكدفة له.

وكذلك فقد وفق العطار فى الإتيان بالحكايات فى ثنايا كتابه لأن هذه الحكايات ساهمت فى تقريب المعنى و الهدف المنشود إلى أذهان العامة، والحكايات عنده تجرى مجرى الأمثال فى أقوال غيره .

ولاشك أن البساطة والسلاسة، والبعد عن التكلف، وبساطة التعبير وانتقاء الألفاظ فى كتاب «تذكرة الأولياء» جاءت مناسبة للهدف الذى صنف الكتاب من أجله، وهو نصح العامة وإرشادهم فقد كان الكتاب سهل الفهم بالنسبة لهم أولاً وأيضاً بالنسبة للخاصة فعمت الفائدة وشملت الجميع .

الباب الثالث

تذكرة الاولياء : دراسة مقارنة

الفصل الأول

تذكرة الأولياء بين
كتب التصوف العربية والفارسية

يعد كتاب «تذكرة الأولياء» من أقدم المؤلفات التي تختص بتراجم الأولياء والصوفية في اللغة الفارسية، فلم يسبقه في هذا المجال سوى «كشف المحجوب» لأبي الحسن علي بن عثمان الجلابي الفزنوي (م ٤٦٥هـ) وترجمة طبقات الصوفية للسلمي والتي قام بها أبو إسماعيل عبدالله بن محمد الأنصاري (م ٤٨١هـ). هذا وقد ألفت قبله كتب عربية كثيرة في تراجم الأولياء ومناقب الصوفية ومشايخ الطريقة مثل: «طبقات الصوفية» لأبي عبدالرحمن محمد بن الحسين السلمى النيسابوري (م ٤١٢هـ) و«حلية الأولياء» لأبي نعيم أحمد بن عبدالله الإصفهاني (م ٤٣٠هـ) و«صفة الصفوة» لجمال الدين أبي الفرج عبدالرحمن بن علي الجوزي (م ٥٩٧هـ) وغيرها.

وكتاب «تذكرة الأولياء» وإن كان قد تميز على الكتب الفارسية السابقة عليه باتساع موضوعه وشموله، وكذلك إختصاصه بتراجم الأولياء والصوفية إلا أنه استفاد إلى حد كبير من الكتب السابقة عليه سواء كانت عربية أو فارسية، وكذلك استفادت منه الكتب الفارسية المؤلفة بعده وتأثرت به.

وقبل أن نبين مواضع استفادته من هذه الكتب، ومدى تأثيره فيها وتأثره بها لتحديد مكانته بين مصادر التصوف الاسلامي - وهو موضوع الفصل التالي - يجدر بنا أن نعرف بهذه الكتب:

أولاً: كتب التصوف المؤلفة قبل «تذكرة الأولياء»:

الكتب العربية:

١ - اللمع:

مؤلف هذا الكتاب هو أبو نصر عبدالله بن علي السراج الطوسي المتوفى ٣٧٨هـ (٩٩١) والملقب ببطاروس الفقراء. (٢٠٢) كان السراج مريداً لأبي محمد المرتضى، وكان قد أدرك سري السقطي وسهل التستري (٢٠٣).

تجول السراج في أرجاء العالم الإسلامي فزار القاهرة وبغداد ودمشق والرملة ودمياط والبصرة وتبريز ونيسابور. واجتمع بأعلام التصوف الإسلامي، ونشر علوم الصوفية ومعارفهم (٢٠٤).

وكتاب اللمع هو الكتاب الأم في تاريخ التصوف الإسلامي فهو أكبر المراجع وأوثقها وأغزرها مادة في التصوف ومن مادته اقتبس كافة من أرخ للتصوف. (٢٠٥)

وكتاب اللمع، يشتمل على مائة وخمسة وخمسين باباً تتناول:

بيان علم التصوف ومذهب الصوفية ونعت طبقات أصحاب الحديث وذكر طبقات الفقهاء والصوفية والرد على أعداء الصوفية واعتراض الصوفية على المتفهمة، والكشف عن اسم الصوفية، وإثبات علم الباطن والتوحيد، وصفة العارف، والفرق بينه وبين المؤمن، وتشرح لأحوال الصوفية ومقاماتهم، وتحدث عن أهل الصفوة واتباعهم لكتاب الله (عز وجل) واقتنائهم برسول الله (ﷺ)، وتتناول هذه الأبواب أيضاً ذكراً لأصحاب الرسول، وآداب المتصوفة في الوضوء والزكاة والصوم والصحبة والضيافة وغيرها، وتلتحق الأبواب كذلك إلى مكانات الصوفية وأشعارهم، وتفسير السماع والوجد، وشطحات الصوفية وأخطائهم في الحرية والعبودية والفناء وغيرها (٢٠٦).

والكتاب يعبر عن التصوف من وجهة نظر أهل السنة، فالسراج يحيل كل أصل من الأصول التي يتعرض لها في كتابه إلى القرآن والسنة، ويدعمه بالآيات القرآنية والأحاديث، (٢٠٧).

وقد صدرت طبعة للمع في مصر ١٣٨٠ هـ - ١٩٦٠ م قام بتحقيقها والتقديم لها وتخريج أحاديثها د. عبد الحليم محمود وطه عبد الباقي سرور.

٢ - التعرف لمذهب أهل التصوف:

مؤلف هذا الكتاب هو الشيخ أبو بكر محمد بن إبراهيم البخارى الكلابادى (م ٣٨٠ هـ) (٢٠٨)، كان الكلابادى يلقب بتاج الإسلام، وكان فقيهاً حنفياً صوفياً (٢٠٩).

ويعد كتاب التعرف من أقدم ما كتب عن التصوف فقد ألفه الكلابادى فى أوائل القرن الرابع الهجرى (٢١٠).

وكتاب التعرف موسوعة علمية كبرى فى التصوف، فهو يشتمل على خمسة وسبعين باباً يتناول فيها المؤلف: سبب تسمية الصوفية بالصوفية والتعريف برجال التصوف ويشرح أقوالهم فى التوحيد والصفات والرؤية والقدر وخلق الأفعال والاستطاعة والجبر والوعد والوعيد والشفاعة والروح والملائكة والرسل والكرامات والإيمان وغيرها. ثم يتطرق إلى الحديث عن علوم الصوفية، وأحوالهم ومقاماتهم كالتوبة والزهد والصبر والفقر ثم يتحدث عن مجاهداتهم ومعاملاتهم، ثم يختتم كتابه بالحديث عن السماع (٢١١).

وللكتاب شرح لشيخ الإسلام عبد الله بن محمد الأنصارى الهروى المتوفى ٤٨١ هـ، وشرح للقاضى علاء الدين التبريزى، وشرح للإمام إسماعيل بن محمد بن عبد الله المستملى المتوفى فى ٤٣٤ هـ (٢١٢) ونشرت ترجمة إنجليزية له فى كمبريدج عام ١٩٣٦ م. (٢١٣)

٣- طبقات الصوفية:

مؤلف هذا الكتاب هو محمد بن الحسين بن محمد بن موسى بن خالد بن سالم بن ربيعة بن سعيد بن قبيصة بن سراقة المعروف بأبي عبد الرحمن السلمى^(٢١٤) (م ٤١٢ هـ).^(٢١٥)

صرف أبو عبد الرحمن همه إلى دراسة الحديث والتصوف فرحل إلى العراق والرى وهمدان ومرور والحجاز وغيرها، وتعلم على يد عدد من الشيوخ منهم: المحدث أبي الحسن الدارقطنى والصوفى أبى نصر السراج وأبى القاسم النصر آبادى وأبى عمرو بن جنيد^(٢١٦)، وكذلك فقد أدرك الشيخ أبو سعيد ابن أبى الخير صحبته^(٢١٧).

ولأبى عبد الرحمن السلمى مؤلفات فى الحديث والتفسير والتصوف أشهرها كتاب «طبقات الصوفية» الذى ألفه فى نهاية القرن الرابع الهجرى^(٢١٨).

والكتاب يشتمل على خمس طبقات، تتناول كل طبقة ترجمة لأحوال عشرين رجلاً من رجال الصوفية - تقريباً - ظهوروا فى زمن واحد أو أزمنة متقاربة وتذكر أقوالهم.

وكان عبد الله الأنصارى يملئ كتاب الطبقات فى مجالس وعظه ويضيف إليه تراجم لمشايع آخرين وذلك باللهجة الهروية القديمة، لذلك قام الجامى بتلخيصه وتهذيبه بالفارسية الحديثة وأضاف إليه تراجم أخرى وأعد كتاب نفاتح الأنس^(٢١٩).

٤ - حلية الأولياء وطبقات الأصفياء:

مؤلف هذا الكتاب هو الحافظ أبو نعيم أحمد بن عبد الله الإصبهانى المتوفى ٤٣٠ هـ^(٢٢٠).

وقد ألف هذا الكتاب باللغة العربية عام ٤٢٢ هـ (١٠٣١).

«وكتاب «حلية الأولياء» أوسع كتاب ألف في تراجم الصوفية، فهو يشتمل على شرح لأحوال ستمائة وتسعة وثمانين شخصاً من الزهاد والعباد والصوفية في صدر الإسلام وحتى أواخر القرن الرابع الهجري، هذا إلى جانب الكلمات والمواعظ والحكم والآداب والقصص والحكايات المنسوبة إلى كل واحد منهم، والأخبار التي رواها عدد كبير منهم، (١٠٣٢)».

وطبع هذا الكتاب في مصر من سنة ١٣٥١ إلى ١٣٥٧ هـ. ق واختصره الشيخ أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن الجوزي، وسماه «صفة الصفة»، واختصره كذلك محمد بن الحسن الحسيني (١٠٣٣) وتوالى طبع «حلية الأولياء» بعد ذلك.

٥ - الرسالة القشيرية:

مؤلفها أبو القاسم عبد الكريم بن هوازن القشيري المتوفى ٤٦٥ هـ. (١٠٣٤)

وكان القشيري تلميذاً لأبي علي الدقاق (م ٤٠٥ هـ) وزوجاً لإبنته وكان تلميذاً أيضاً لأبي عبد الرحمن السلمي، ومعاصراً لأبي سعيد بن أبي الخير - الذي كان يعقد مجلساً في زاويته كل أسبوع - والهجويري (١٠٣٥). وكذلك كان أستاذاً لأبي علي الفارمدي (١٠٣٦).

وقد ألف القشيري هذه الرسالة عام ٤٣٧ هـ (١٠٣٧).

وتعد الرسالة من الكتب الأساسية في التصوف وتشتمل على أربعة وخمسين باباً وثلاثة فصول توضح عقائد الصوفية وتشرح لأحوال ثلاثة وثمانين شخصاً من مشاهير المشايخ، وتفسر الألفاظ الصعبة الشائعة بين العارفين، وتبين مقامات أهل السلوك وأحوالهم وآدابهم وكرامات الأولياء (١٠٣٨).

ونظراً لأهمية الرسالة فقد شرحها القاضي زكريا بن محمد الأنصاري (م - ٩١٠هـ) في مجلد مع المتن سماه «أحكام الدلالة على تحرير الرسالة»، وشرحها الشيخ الفقيه سديد الدين أبو محمد عبد المعطى بن عبد العلى اللخمي في كتاب سماه «الدلالة على فوائد الرسالة»، وشرحها المولى على القارئ في مجلدين (٣٣٩).

وقد ترجمت الرسالة إلى الفارسية مرتين:

الأولى: ترجمها أبو على بن أحمد العثماني أحد تلاميذ القشيري وهي ترجمة سقيمة بها كثير من الأخطاء، وتوجد نسخة منها في مكتبة «أيا صوفيه» تحت رقم ٢٠٧٧، ونسخة منها في المتحف البريطاني.

والثانية: ترجمها أبو الفتوح عبد الرحمن بن محمد النيسابوري عام ٥٥٠ هـ، وتوجد نسخة منها في مكتبة «لالا إسماعيل» تحت رقم ١٢٠ (٣٣٠).

وطبعت في مصر عام ١٣٤٦ هـ. ق. ثم طبعت بعد ذلك عدة مرات، وأهم طبعاتها الطبعة المحققة لعبد الحلیم محمود، و«محمود بن الشريف» التي نشرت في القاهرة عام ١٣٨٥ هـ - ١٩٦٦ م وتقع في جزئين.

٦- صفة الصفة:

مؤلف هذا الكتاب هو أبو الفرج عبد الرحمن بن على المعروف بابن الجوزي المتوفى ٥٩٧ هـ (٣٣١).

تلمذ ابن الجوزي على يد على بن عبد الواحد الديلمي وابن الحصين وأبى عبد الله البار، وله مصنفات كثيرة في أنواع العلوم والتفسير والحديث والفقه والزهد والوعظ والأخبار والتاريخ قيل إنها تزيد على ثلاثمائة وأربعين مصنفاً منها ما هو عشرون مجلداً أو أقل (٣٣٢).

وكتاب «صفة الصفة» هو اختصار لكتاب «حلية الأولياء» للحافظ أبي نعيم الإصفهاني فقد أخذ ابن الجوزي على كتاب الإصفهاني الإطالة في الأسانيد، وتكرار كثير من الحكايات منها ما هو باطل وموضوع وغير مجاز، وكذلك أخذ على أبي نعيم خلطه في ترتيب القوم فقدم من ينبغي أن يؤخر وأخر من ينبغي أن يقدم إلى غير ذلك (٣٣٣) مما جعله يختصر كتاب الحلية، ويضيف إليه بعض تراجم الصفة، وقد ترجم ابن الجوزي في هذا الكتاب لما يزيد على ألف شخص من الأولياء والصالحين والصحابه والتابعين والصفوية من الرجال والنساء، وشرح أحوالهم وتتبع أخبارهم والحكايات المروية عنهم، والأقوال المنسوبة إليهم (٣٣٤).

وقد قام الشيخ إبراهيم بن أحمد الرقي بدوره باختصار هذا الكتاب وسماه «أحسن المحاسن»، وكذلك اختصره أبو عمرو مرزوق بن حميد القرشي (م ٥٦٤هـ) ونظمه أبو المعالي سعد بسن على الوراق الحظيري (م ٥٢٨هـ) (٣٣٥).

الكتب الفارسية:

٧- كشف المحجوب:

مؤلفه أبو الحسن علي بن عثمان بن أبي علي الجلابي الهجویری الغزنوی (م - ٤٧٠هـ) (٣٣٦).

كان الهجویری تلميذاً لأبي العباس أحمد بن محمد وأبي القاسم علي الجرجاني الطوسي، ومريداً لأبي الفضل محمد بن الحسن الختلي وصاحب خواجه أبا أحمد المظفر بن أحمد بن حمدان، وكان معاصراً لأبي القاسم عبد الكريم بن هوزان القشيري وأبي سعيد بن أبي الخير (٣٣٧).

وللهجويرى مؤلفات كثيرة فى التصوف لم يصلنا منها سوى «كشف المحجوب» .

وقد أتم الهجويرى تأليف كتابه «كشف المحجوب» بين عامى ٤٤١، ٤٤٢ هـ (٢٣٨) .

والكتاب يشتمل على أربعين باباً : تتناول إثبات فضيلة العلم، وتشرح مقامات الصوفية وعقائدهم فى معرفة الله والتوحيد والإيمان وعباداتهم كالصلاة والزكاة والصوم والطهارة والحج، وتوضح آدابهم ورموزهم ورسومهم، وتشرح لأحوال مشاهير مشايخ التصوف منذ القرون الإسلامية الأولى وحتى عهد المؤلف، وتعرف ببعض فرقهم ومذاهبهم وتشتمل على توضيح للألفاظ الصوفية والمفاهيم والمصطلحات الصوفية الصعبة (٢٣٩) .

وقد طبع چوكوفسكى هذا الكتاب عام ١٣٤٤ هـ . ق - ١٩٢٦ م فى ليلنجراد ، وكتب له مقدمة باللغة الروسية (٢٤٠) .

هذا وقد قامت الأستاذة الدكتورة إسعاد عبد الهادى قنديل بترجمته إلى اللغة العربية .

٨ - أسرار التوحيد فى مقامات الشيخ أبى سعيد :

مؤلف هذا الكتاب هو محمد بن المنور بن أبى سعيد بن أبى طاهر بن أبى سعيد بن أبى الخير (٢٤١) .

وألف ابن المنور هذا الكتاب حوالى عام (٥٧٤ هـ) (٢٤٢) . ويعد هذا الكتاب أول مؤلف فى الفارسية يتعلق بحياة أحد الصوفية وهو يشتمل على ثلاثة أبواب :

الأول: فى بداية حياة الشيخ أبى سعيد، والثانى: فى أواسط حياة الشيخ،

والثالث: فى إنتهاء حياة الشيخ. وهذه الأبواب تشتمل على معلومات قيمة عن رسوم وعادات الصوفية واجتماعاتهم وتشكيلاتهم، ويشرح المفاهيم والمصطلحات الصوفية مثل الخلوة والزاوية والرياضة والسماع والرقص والخرقة والمرقع والوجد والحال، ويصف أنواع المجاهدات والآداب الصوفية، والشروط التى ينبغى توفرها فى الشيخ والمريد، وطبيعة الحياة فى الخانقاهات^(٢٤٣).

وقد قامت الأستاذة الدكتورة إسماعيل عبد الهادى قنديل بترجمته إلى اللغة العربية.

ثانياً: الكتب المؤلفة بعد تذكرة الأولياء:

«نفحات الأنس من حضرات القدس»

أما عن الكتب التى ألغت بعد تذكرة الأولياء، وتأثرت به، واستفادت منه، فممنها كتاب «نفحات الأنس من حضرات القدس»: لمولانا نور الدين عبدالرحمن بن أحمد الجامى المتوفى ٨٩٨ هـ^(٢٤٤).

بدأ جامى تصنيف كتابه عام ٨٨١ هـ وأتمه عام ٨٨٣ هـ ويشتمل الكتاب على مقدمة قصيرة للمؤلف وتسع مقولات فى الأصول الصوفية، وتراجم لشيخوخ الصوفية تتجاوز الستمائة ترجمة^(٢٤٥).

وكتاب «نفحات الأنس»، ترجمة لكتاب «طبقات الصوفية»، الذى ألفه محمد بن حسين السلمى النيسابورى ونقله خواجه عبد الله الأنصارى إلى اللغة الهروية ثم نقله جامى بناء على طلب أمير عليشير نوائى إلى الفارسية الحديثة^(٢٤٦) وكذلك نقل جامى عن «كشف المحجوب» وأسرار التوحيد، الجزء الأكبر من مادة كتابه^(٢٤٧).

وبناء على ما سبق فإن تأثر «نفحات الأنس»، بتذكرة الأولياء، كان تأثراً محدوداً للغاية لا يعدو نقله جملة أو عبارة فى أغلب الأحيان، لذلك سنركز فى دراستنا على كتاب كان تأثره بالتذكرة شديداً وواضحاً وجلياً وكذلك اعترف مؤلفه فى مواضع كثيرة من الكتاب بنقله عن فريد الدين العطار، والمتصفح

لهذا الكتاب يرى مدى تأثر مؤلفه بالعمار ونقله عنه فالكتاب يكاد يكون نقلاً موجزاً للتذكرة الأولياء، سوى أن المؤلف أضاف إلى كتابه بعض تراجم لم ترد في التذكرة والكتاب هو:

٩- خزينة الأصفياء:

مؤلف هذا الكتاب هو غلام سرور صاحب اللاهورى المفتى غلام محمد بن المفتى رحيم الله القریشى الأسمى.

وغلام سرور من علماء بلاد الهند فى القرن الثالث عشر الهجرى وكان على قيد الحياة حتى عام ١٢٨٣ هـ، وكانت له يد طولى فى النظم والنثر والإنشاء.

بدأ غلام سرور تأليف هذا الكتاب عام ١٢٨٠ هـ وأتمه عام ١٢٨١ هـ.

وخزينة الأصفياء كتاب فى شرح أحوال كبار رجال الدين ومشايخ الصوفية والعارفين فى إيران والهند والكتاب مكون من سبعة مخازن:

المخزن الأول: فى شرح حال الرسول (صلى الله عليه وسلم) والأئمة (رضوان الله عليهم) والخلفاء وأتباع أهل السنة.

والخمسة مخازن التالية: فى ذكر مشايخ وأولياء الأسر: القادرية والجشنية والنقشبندية والسهروردية.

والمخزن السابع: يشتمل على شرح لأحوال زوجات النبى وبناته ومجموعة من عارقات النساء وصالحاتهم ومجاذيب عقلاء المجانين.

ويتميز كتاب «خزينة الأصفياء» بأن مؤلفه كان يورد تاريخ ميلاد من يترجم له وكذلك تاريخ وفاته من أكثر من مصدر تاريخى.

طبع كتاب «خزينة الأصفياء» عام ١٣٣١ هـ. ق فى مطبعة «منشى نولكسور» فى كانپور التابعة للهند (٢٤٨).

الفصل الثاني

مكانة الكتاب بين
مصادر التصوف الإسلامي

سبق أن ذكرنا أن فريد الدين العطار اعتمد كثيراً في كتابه «تذكرة الأولياء» على مصادر التصوف المؤلفة قبله سواء أكانت عربية أو فارسية، وإن كان لا يهتم بذكر هذه المصادر أو بيان هذه الأسانيد في المواضع التي ينقل فيها عنها أو يستفيد منها فيها، إلا أن المتصفح لهذه المصادر يدرك مدى التأثير والتأثر بينها وبين التذكرة، وإن كان فريد الدين قد تأثر بالمصادر المؤلفة قبله، فإنه أيضاً أثر في المصادر المؤلفة بعده، ولنعرف مكانة كتابه «تذكرة الأولياء» بين هذه المصادر سواء المؤلفة قبله أو بعده علينا أن نبين مظاهر التأثير والتأثر بينها.

مظاهر التأثير والتأثر

أولاً: بين اللمع وتذكرة الأولياء:

استفاد فريد الدين العطار في كتابه «تذكرة الأولياء» من «اللمع» استفادة محدودة، ونقل منه بعض الحكايات المتطقة بالمشايخ والأقوال والأخبار المأثورة عنهم، نذكر منها بعض الأمثلة:

اللمع

(ص ١٤٥)

وسمعت طيفور يقول: سمعت موسى بن عيسى يقول: سمعت أبي يقول: سمعت أبا يزيد رحمه الله يقول: لقد هممت أن أسأل الله تعالى أن يكفيني مؤنة الأكل، ومؤنة النساء ثم قلت: كيف يجوز لي أن أسأل الله عز وجل هذا ولم يسأله رسول الله عليه الصلاة والسلام فلم أسأله وكفاني الله تعالى مؤنة النساء حتى لا أبالي استقبلتني امرأة أو حائط.

(ص ٢٤٤) :

وقال أبو تراب: عرض على طعام، فامتنعت من أكله فعوقبت بالجوع أربعة عشر يوماً، فعلمت أنني عوقبت، فاستغثت إلى الله (تعالى) وتبت.

(ص ٢٦٥) :

وحكى عن إبراهيم ابن أدهم (رحمه الله تعالى) أنه قال: إذا

تذكرة الأولياء

(ص ١٥٣) ذكر أبي يزيد البسطامي يروي أن الشيخ قال: أردت أن أسأل الحق تعالى أن يكفيني مؤنة النساء ثم قلت: لا يجوز لي هذا، ولم يسأله النبي (عليه السلام) هذا، وبهذه الحرمة كفاه الحق تعالى ذلك حتى تساوت لدى المرأة والحائط (٢٤٩).

(ص ٢٩٦، ٢٩٧) ذكر أبي تراب:

وقال (أبو تراب): عرض على طعام ذات يوم، فامتنعت عنه فظللت جائعاً أربعة عشر يوماً بشؤم ذلك الامتناع (٢٥٠).

(ص ٩٣) ذكر إبراهيم بن أدهم:

قال (إبراهيم بن أدهم): الفقير الذي تزوج كأنه جلس في سفينة، وطالما

رزق بولد غرق (٢٥١).

تزوج الفقير فمطله مثل رجل ركب
السفينة، فإذا ولد له قد غرق.

ص (١٣٠) ذكر نوى النون:

ص (٨٠):

وقال: الرضا سرور القلب بمر
القضاء (٢٥٢).

الرضا سرور القلب بمر القضاء.

ثانياً: بين التعرف لمذهب أهل التصوف وتذكرة الأولياء:

نقل فريد الدين العطار في كتابه «تذكرة الأولياء» العديد من الحكايات
والأقوال المتعلقة بمشايخ الصوفية عن هذا الكتاب كما سيتضح من الأمثلة
الآتية:

تذكرة الأولياء

التعرف لمذهب أهل التصوف

ص (٣٨، ٣٩) ذكر أبي حفص:

(ص ١٤٧):

يقول أبو عثمان الحيرى: كنت
أمضى يوماً إلى أبي حفص، فرأيت
أمامه بضع حبات من الزبيب،
فأخذت زبيبة ووضعتها في فمي
فأمسك بحلقى وقال: يا خائن، لما
أكلت زبيبتي وبأي سبب؟ فقلت:
إننى أعرف قلبك وأثق فيك،
وعلمت أيضاً أن كل ما تملكهوقال أبو عثمان: كنت عند أبي
حفص، وبين يديه زبيب، فأخذت
زبيبه ووضعتها في فمي، فأخذ
بحلقى وقال يا خائن، تأكل
زبيبتي؟ فقلت: لفتى بزهادتك في
الدنيا وعلمي بإيثارك أخذت
الزبيبة، فقال يا جاهل! تلق بقلب لا
يملكه صاحبه!؟

تؤثره، فقال: إني لا أثق بقلبي أيها
الجاهل، فكيف تثق أنت به (٢٥٣).

ح ١ (ص ٢٧٨) ذكر سرى

قال السرى: عندما أعلم مجيئ
الناس إلى ليتعلموا منى العلم، أَدْعُو
(قائلاً): يا رب هب لهم علماً
يشغلهم عنى، حتى لا يشغلوننى،
فإني لا أحب محيلهم إلى (٢٥٤).

تذكرة الأولياء

ح ١ ص (٢٦٥) ذكر سهل:

وقال (سهل): التجلى على ثلاثة
أحوال تجلى الذات وهى المكاشفة،
وتجلى الصفات وهى موضع النور
وتجلى حكم الذات وهى الآخرة وما
فيها (٢٥٥).

ح ١ (١٣٣) ذكر ذى النون:

سئل (ذو النون): ما أول درجة
يرقاها العارف؟ فقال: التحير، ثم
الافتقار، ثم الاتصال، ثم الحيرة (٢٥٦).

ص (١٤٤):

قال السرى المسقطى: إني أذكر
مجيئ الناس إلى، فأقول: اللهم هب
لهم من العلم ما يشغلهم عنى فإنى
لا أحب محيلهم إلى.

التعرف لمذهب أهل التصوف

ص (١٢١)

قال سهل: التجلى على ثلاثة
أحوال: تجلى الذات وهى المكاشفة،
وتجلى صفات الذات وهى موضع
النور، وتجلى حكم الذات وهى
الآخرة وما فيها.

ص (١٣٧):

قيل لذى النون: ما أول درجة
يرقاها العارف؟ فقال: التحير، ثم
الافتقار، ثم الاتصال، ثم التحير.

ثالثاً: بين طبقات الصوفية وتذكرة الأولياء:

اعتمد فريد الدين العطار على هذا الكتاب في نقل بعض الحكايات والأخبار المتعلقة بمشايق الصوفية، واعتمد عليه أكثر في نقل العديد من أقوال المشايخ.

والمصنف للكتابين يدرك مدى التأثير بينهما في هذا الشأن، ومعظم الأذكار في «تذكرة الأولياء»، لا تكاد تخلو من قول أو أكثر ورد «طبقات الصوفية».

والأمثلة هي:

تذكرة الأولياء

١٠٠، ص (١٠٠) ذكر إبراهيم بن أدهم:

وقال أحمد بن خضرويه: قال إبراهيم لرجل في الطواف: لا تنال درجة الصالحين حتى تجوز ست عقاب: تغلق باب النعمة، وتفتح باب الشدة، وتغلق باب العز، وتفتح باب الذل، وتغلق باب النوم، وتفتح باب السهر، وتغلق باب الغنى، وتفتح باب الفقر، وتغلق باب الأمل، وتفتح باب الأجل والتزوين والاستعداد للموت (٢٥٧).

طبقات الصوفية

س (٣٧، ٣٨)

سمعت منصور بن عبد الله، يقول: سمعت محمد بن حامد، يقول: سمعت أحمد خضرويه، يقول: قال إبراهيم بن أدهم لرجل في الطواف: اعلم، أنك لا تنال درجة الصالحين حتى تجوز ست عقاب: أولها: (أن) تغلق باب النعمة، وتفتح باب الشدة. والثانية: أن تغلق باب العز وتفتح باب الذل. والثالثة: أن تغلق باب الراحة وتفتح باب الجهد، والرابعة: أن تغلق باب النوم، وتفتح

باب السهر. والخامسة: أن تغلق
باب الغنى، وتفتح باب الفقر
والسادسة: أن تغلق باب الأمل،
وتفتح باب الاستعداد للموت.

ص (٦٥) :

وياسناده (حاتم الأصم) قال شقيق:
«ليس شيء أحب إليّ من الضيف،
لأن رزقه ومؤنته على الله، ولي
أجره».

ح ١ (ص ٢٠١) ذكر شقيق:

وقال (شقيق): «ليس هناك شيء
أحب إليّ من الضيف لأن رزقه
ومؤنته على الله - وأنا لا شأن لي
بينهما - ولي أجره وثوابه (٢٥٨)».

ص (٩٥)

وياسناده (حامد اللغاف)، قال حاتم:
«أطلب نفسك في أربعة أشياء:
العمل الصالح بغير رياء، والأخذ
بغير طمع والعطاء بغير منه،
والإمساك بغير بخل».

ح ١ ص (٢٥٠) ذكر حاتم:

وقال (حاتم) اطلب نفسك في أربعة
مواضع: العمل الصالح بغير رياء،
والأخذ بغير طمع، والعطاء بغير
منة، والإمساك بغير بخل (٢٥٩)».

ص (١٠٩) :

وبهذا الإسناد (العباس بن حمزة)
قال أحمد: «ما ابتلى الله عبداً بشيء
أشد من الغفلة والقسوة».

ح ١ (٢٨٧) ذكر أحمد الحواري:

وقال (أحمد): «ما ابتلى الله عبداً
بشيء أشد من الغفلة وقسوة
القلب» (٢٦٠)».

ص (١٠٤) :
 قال (محمد بن حامد القرمذى)،
 وقال أحمد: «من صبر على صبره
 فهو الصابر، لا من صبر وشكاً» .
 ح ١ ص (٢٩٣) ذكر أحمد
 بن خضرويه :
 وقال (أحمد): «من صبر على
 صبره فهو الصابر لا من صبر
 وشكاً» (٢٦١) .

ص (١١٠) :
 قال (منصور بن عبدالله)، وسمعت
 يحيى يقول: «ثلاث خصال من
 صفة الأولياء: الثقة بالله فى كل
 شىء، والغنى به عن كل شىء،
 والرجوع إليه فى كل شىء» .
 ح ١ (٣٠٢) ذكر يحيى بن
 معاذ:
 وقال: «ثلاث خصال من صفة
 الأولياء: الثقة بالله فى كل شىء،
 والغنى به عن كل شىء، والرجوع
 إليه فى كل شىء» (٢٦٢) .

رابعاً: بين حلية الأولياء وتذكرة الأولياء:

كان طبعياً أن يتأثر فريد الدين العطار «بحلية الأولياء» لأن «حلية الأولياء»
 و«تذكرة الأولياء» كتباً فى شرح أحوال مجموعة من الزهاد والعباد والصوفية
 وتداروا أقوالهم ومواعظهم وآدابهم بالإضافة إلى القصص والحكايات المنسوبة
 إلى كل واحد منهم والأخبار المتعلقة بهم .

والأمثلة التالية توضح هذا التأثير:

حلية الأولياء

تذكرة الأولياء

ح ٨ ص (١١٣) :

حدثنا عبد الله بن محمد ثنا اسحق بن
أبي إحصان ثنا أحمد بن أبي الحواري
قال : سمعت أبا عبد الله الساجي يقول:
سأل رجل فضيل بن عياض فقال: يا
أبا علي متى يبلغ الرجل غايته من
حب الله تعالى؟ فقال له الفضيل: إذا
كان عطاؤه ومنعه إياه عندك سواء،
فقد بلغت الغاية من حبه.

ح ١ ص (٨٠) ذكر الفضيل:
قالوا: متى يبلغ الرجل غايته من
حب الله (تعالى)؟ فقال: طالما
تساوى لديه المنع والعطاء، فقد بلغ
غاية محبته (٢٦٣).

ح ٨ ص (٣٣٦) :

حدثنا محمد بن علي ثنا أحمد بن
محمد بن إبراهيم قال: سمعت أحمد
بن محمد البراء يقول: سمعت
سفيان بن محمد المصيصي يقول:
رأيت بشر بن الحارث في النوم،
فقلت: ما فعل الله تعالى بك؟ قال:
غفر لي وأباح لي نصف الجنة.
وقال لي يا بشر لو سجدت على
الجمر ما أدبت شكر ما جعلت لك
في قلوب عبادي.

ح ١ ص (١١٣) ذكر بشر:
ورأى آخر (بشر) في المنام فقال:
ما فعل الله بك؟ قال: غفر لي،
وأباح لي نصف الجنة، وقال لي: يا
بشر لو سجدت لي على الجمر، ما
أدبت شكر ما وهبتك من منزلة في
قلوب عبادنا (٢٦٤).

ح ٩ (٣٨٠) :

حدثنا أبي ثنا أحمد ثنا سعيد قال ذو النون وسأله رجل فقال: يا أبا الفيض ما التوكل؟ فقال له: خلع الأرياب وقطع الأسباب فقال له: زدني فيه حالة أخرى فقال: إلقاء النفس في العبودية، وإخراجها من الربوبية.

ح ١ ص (١٣٢) ذكر ذى النون:

سئل (ذو النون) ثانية: عن علامة التوكل فقال: هو خلع الأرياب وقطع الأسباب قالوا: زدنا، قال: طرح النفس في العبودية وإخراجها من الربوبية^(٢٦٥).

ح ٩ (ص ٣٢٧) :

وقال (منصور): إن الحكمة تنطق في قلوب العارفين بلسان التصديق، وفي قلوب الزاهدين بلسان التفضيل، وفي قلوب العباد بلسان التوفيق، وفي قلوب المريدين بلسان التفكير، وفي قلوب العلماء بلسان التذكير.

ح ١ ص (٣٣٧) ذكر منصور:

وقال منصور: إن الحكمة تنطق في قلوب العارفين بلسان التصديق، وفي قلوب الزاهدين بلسان التفضيل، وفي قلوب العباد بلسان التوفيق، وفي قلوب المريدين بلسان التفكير، وفي قلوب العلماء بلسان التذكير^(٢٦٦).

خاصاً: بين الرسالة القشيرية وتذكرة الأولياء:

استفاد فريد الدين العطار من «الرسالة القشيرية» - خاصة الجزء المتعلق بترجم شيوخ الصوفية - في نقل بعض الحكايات المنسوبة إلى هؤلاء المشايخ خاصة المتعلقة بكراماتهم، وكذلك نقل عن الرسالة بعض الأقوال المأثورة عن شيوخ الصوفية والأخبار المتعلقة بهم.

كما سيوضح من الأمثلة الآتية:

الرسالة القشيرية

تذكرة الأولياء

(ص ١٨ ، ١٩) :

سمعت محمد بن الحسين (رحمه الله) يقول: سمعت محمد بن عبدالله الرازي يقول: سمعت بلالاً الخواص يقول: كنت في تيه بني إسرائيل، فإذا رجل يماشيني، فتعجبت منه، ثم ألهمت أنه الخضر (عليه السلام) فقلت له: بحق الحق من أنت؟ فقال: أخوك الخضر، فقلت له: أريد أن أسألك، فقال: سل، فقلت: ما تقول في الشافعي (رحمه الله)، فقال: هو [من] الأوتاد. فقلت: ما تقول في أحمد بن حنبل (رضي الله عنه) قال: رجل صديق.

قلت: فما تقول في بشر بن الحارث الحافي؟ فقال: لم يخلق بعده، مثله.

(ص ٢٠) :

سمعت الأستاذ أبا علي الدقاق (رحمه الله تعالى) يقول: كان

ح د ص (١٠٨) ذكر بشر:

يروى أن بلالاً الخواص، قال: كنت أمضى في تيه بني إسرائيل، وكان رجل يمضى معي، فألهمني قلبى أنه الخضر، قلت: بحق الحق قل، ما اسمك؟ قال: أخوك الخضر قلت: ما تقول في الشافعي؟ قال: هو من الأوتاد قلت: ما تقول في أحمد بن حنبل؟ قال: هو من الصديقين. قلت: ما تقول في بشر؟ قال: لن يوجد بعده مثله (٢١٧).

ح ا ص (٢٣٥ ، ٢٣٦) :

وكانت عناية الحق (تعالى) تحفظه إلى حد أنه عندما كان يمد يده إلى

الحارث المحاسبي إذا مد يده إلى
إصبعه عرق، فكان يمتنع عنه.

طعام فيه شبيهة، كان عرق يتحرك
داخل إصبعه، بحيث لا يطاوعه
الإصبع، فكان يعرف أن تلك اللقمة
فيها شبيهة (٢٦٨).

ص (١٧) :

ويحكى عن السرى أنه قال:
التصوف اسم لثلاث معان: وهو
الذى يطفى نور معرفته نور ورعه،
ولا يتكلم بباطن في علم ينقصه
عليه ظاهر الكتاب أو السنة، ولا
تحمله الكرامات على هتك أستار
محارم الله.

ح ١ ص (٢٨٢) ذكر سرى :

وقال السرى: التصوف اسم لثلاث
معان : وهو الذى لا يطفى (نور)
معرفته نور ورعه، ولا يتكلم بباطن
فى علم ينقصه عليه ظاهر الكتاب،
وتحملة الكرامات على نهى الناس
عن المحارم (٢٦٩).

ص (٣١) :

ومات صديق له وهو عند رأسه،
فلما مات، أطفأ حمدون السراج،
فقالوا له: فى مثل هذا الوقت، يزداد
فى السراج الدهن، فقال لهم: إلى
هذا الوقت، كان الدهن له، ومن هذا
الوقت، صار الدهن للورثة.

ح ١ ص (٣٣٢) . ذكر حمدون :

ووصل (حمدون) فى التقوى إلى
حد أنه: كان بجوار فراش صديق له
ذات ليلة، وكان فى النزع فلما
ومات، أطفأ حمدون السراج، وقال:
لهذا السراج وارث فى هذه الساعة،
ولا يجوز لنا إشعاله (٢٧٠).

سادسا: بين صفة الصفة وتذكرة الأولياء:

سبق أن ذكرنا أن كتاب «صفة الصفة» هو اختصار لكتاب «حلية الأولياء» مع إضافة بعض التراجم إليه لذلك كثيرا ما نجد حكايات وأخبارا وأقوالا متعلقة بمشايخ التصوف وردت في الحلية و«صفة الصفة» وكذلك «تذكرة الأولياء» إلا أن فريد الدين العطار نقل عن «صفة الصفة» حكايات وأقوالا لم ترد في «حلية الأولياء» نذكر منها على سبيل المثال:

تذكرة الأولياء

صفة الصفة

حـ ص (١٧١) ذكر أبي يزيد:
وقال (أبو يزيد): رأيت الحق (عز وجل) في المنام، فسألته: كيف الطريق إليك؟ قال: أترك نفسك تصل إليّ (٢٧١).

حـ ص (١٠١)
على بن المثنى قال: سمعت عمي يقول: سمعت أبي يقول: سمعت أبا زيد يقول: رأيت رب العزة (تبارك وتعالى) في المنام، فقلت: يا بارخدا، كيف الطريق إليك؟ فقال: اترك نفسك ثم تعال.

حـ ص (٢٣٢) ذكر أبي سليمان:
وقال (أبو سليمان): الجوع عند الله خزينة من الخزائن المدخرة، لا يعطى إلا من يحب (٢٧٢).

حـ ص (١٨٩)
أحمد بن أبي الحواري قال: سمعت أبا سليمان عبد الرحمن بن أحمد العنسي، يقول: ... وإن الجوع عنده في خزائن مدخرة، ولا يعطى إلا من أحب خاصة.

ح ٢ ص (٢٤٢):

قال علان: وأى شيء أعجب من هذا، اشتري (سرى) كر لوز بتسعين ديناراً. فأناه الدلال وقال: أريد ذلك اللوز، فقال: خذه. فقال: بكم؟ قال: بثلاثة وستين ديناراً. قال له الدلال: إن اللوز قد صار الكر بتسعين فقال له الدلال: وإنى قد عقدت ببني وبين الله (تعالى) لا أغش مسلماً. لست آخذ منك إلا بتسعين ديناراً. فلا الدلال اشتري منه، ولا سرى باعه.

ح ١ ص (٢٧٤) ذكر سرى:

يروى أن السرى لم يكن يطلب في البيع والشراء ربحاً سوى نصف دينار على كل عشرة، وذات مرة اشتري لوزاً بستين ديناراً، وحدث أن ارتفع ثمن اللوز. فأناه دلال وقال: بعه، قال: بكم؟ قال: بثلاثة وستين ديناراً. قال الدلال: ثمن اللوز اليوم تسعون ديناراً، فقال: إنى قد عقدت العزم ألا آخذ أكثر من نصف دينار على كل عشرة دنائير، ولن أنقض عزمي، فقال الدلال: وأنا أيضاً لا أبيع بضعتك بالقليل، فلم يبيع الدلال، ولم يجز سرى (٢٧٣).

ح ٤ (ص ١٥٠، ١٥١):

أبو العباس الشرقي قال: كنا مع أبي تراب النخشبى فى طريق مكة، فمرض، فعدل عن الطريق إلى ناحية، فقال له بعض أصحابه: أنا عطشان، قال: فضرب برجله فإذا عين من ماء زلال. فقال الفتى: أحب أن أشربه فى قدح، فضرب بيده الأرض، فنارله قدحاً من زجاج أبيض كأحسن ما رأيت، فشرب، وسقانا، ومازال القدح معنا إلى مكة.

ح ١ ص (٢٩٦) ذكر أبى تراب:

يقول أبو العباس السيرمى: كنت مع أبى تراب فى البادية، فقال أحد الأصحاب: أنا عطشان: فضرب الأرض برجله، فإذا عين من ماء. فقال الرجل: أحب أن أشربه فى قدح، فضرب بيده الأرض، فإذا قدح من زجاج أبيض كأحسن ما رأيت، فشرب من ذلك الماء، وسقى الرفاق، ومازال القدح معنا إلى مكة (٢٧٤).

سابعاً : بين كشف المحجوب وتذكرة الأولياء :

اعتمد فريد الدين العطار اعتماداً كبيراً على «كشف المحجوب» في نقل الحكايات والأخبار والأقوال المتعلقة بمشايخ الصوفية . وهو كما ذكر بهار (٢٧٥) غالباً ما كان ينقل عنه نفس عباراته مع قليل من التصرف بأن يبدل الألفاظ القديمة بالحديثة .

والأمثلة على تأثر فريد الدين «بكشف المحجوب» كثيرة ومنتشرة على طول الكتاب، وقد عقد بهار موازنة بين الكتابين (٢٧٦) وأورد محمد عباسي (٢٧٧) في مقدمته لكشف المحجوب مثالا لهذا التأثير والتأثر بينهما .

الأمثلة :

تذكرة الأولياء

كشف المحجوب

١ (٥٣) ذكر حبيب :
مَرَّ الحسَن على باب صومعة
(حبيب) وقت صلاة العشاء، وكان
قد أقام الصلاة ، ووقف، فدخل
الحسن، وكان حبيب يقرأ الحمد
«الهمد»، فقال الحسن: إن الصلاة خلفه
ليست صحيحة، ولم يقتد به، وكبيراً =

ص (٢٩٧) من الترجمة العربية :
... أن الحسن مَرَّ يوماً بباب
صومعته (حبيب) وقت صلاة
العشاء، وكان قد أقام الصلاة ووقف
يصلي، فدخل الحسن ولم يقتد به،
لأن لسانه لم يكن جارياً على قراءة
القرآن .

الأصل الفارسي للعبارة :

وقى نماز شام حسن بدر صومعه لو (حبيب) بگشت،
وقامت نماز شام گفته بود، بدر نماز ایستاده، حسن
درآمد، حبيب الحمد را الهنمی خواند، گفت نماز دربی
لو درست نیست، بدر افتاد نکرده، و خود بانگ نماز

ص (١٠٧) من الأصل الفارسي :

... کی نماز شامی حسن بدر صومعه وی
(حبيب) بگذشت. وی قامت نماز شام گفته بود،
وآندر نماز ایستاده، حسن آفرد آمد، واقفدا
بدونکرده، از آنچه زبان وی برخواندن قرآن .

تذكرة الأولياء

و کبر للصلاة بنفسه، ولما حل الليل، نام فرأى الحق تبارك وتعالى فى المنام، فقال: يا إلهى! فیم [یکون] رضاؤك؟ قال: كنت قد أدركت رضاؤنا يا حسن فلم تعرف قدره، قال: يا إلهى، وما هو؟ قال: لو أنك صليت خلف حبيب لكنت قد نلت رضاؤنا.

حد ۱ ص (۸۵، ۸۶) ذکر
إبراهيم بن أدهم:
وجاء إبراهيم بن أدهم أبا حنيفة (رضى الله عنه) ذات يوم، فنظر إليه أصحاب أبى حنيفة بعين الإحتقار، فقال أبو حنيفة: جاء سيدنا إبراهيم. فقال له أصحابه: وما وجد هذه السيادة، قال: لأنه انشغل دائماً بخدمة الله، وانشغلنا نحن بخدمة أنفسنا.

بکزار، چون شب در آمد، بخفت، حق را تبارک وتعالى بخواب دید، گفت: ای بار خدای رضای تودر چه چیز است، گفت: یا حسن رضا من در یافتہ بودی، قدرش ندانستی، گفت: بار خدایا آن چه بود، گفت: اگر تونماز کردی از پس حبيب، رضا ما دریا فته بودی.

کشف المحجوب

ولما نام (الحسن) رأى الله سبحانه وتعالى فى منامه فقال: يا إلهى ياذا الجلال! فیم يكون رضاؤك؟ فقال: يا حسن، كنت قد أدركت رضاؤنا فلم تعرف قدره، فقال: يا إلهى تعاليت! ما هو؟ قال: لو أنك صليت خلف حبيب بالأمس .. لكانا رضينا عنك.

ص (۲۴۳) من الترجمة العربية:
وجاء إبراهيم بن أدهم أبا حنيفة (رحمه الله) وعليه مرقعة من الصوف فنظر اليه أصحاب - أبى حنيفة - بعين الإحتقار، فقال أبو حنيفة: جاء سيدنا إبراهيم بن أدهم فقال له أصحابه: لا يجرى الهزل على لسان إمام المسلمين،

جاری نبود، شب کی بخفت، خداوند سبحانه وتعالى بخواب دید، گفت: بار خدایا رضای تو اندر چه چیز است؟ گفت: یا حسن رضای ما یافتہ بودی، قدرش ندانستی، گفت بار خدایا آن چه چیز بود، گفت: اگر تواز پس حبيب دوش نماز بکردی، .. از تو راضی شدیمی.

تذكرة الأولياء

الأصل الفارسي للعبارة:

ويك روز بيش ابو حنيفه (رضى الله عنه) در آمد، اصحاب ابو حنيفه ويرا بچشم تقصير نكرستند، ابو حنيفه گفت: سيدنا ابراهيم آمد، اصحاب گفتند، اين سيادت بچه يافت؟ گفت. بدانكك دايم بخدمت خداوند مشغول بود، وما بخدمت تنهائ خود مشغول.

كشف المحجوب

ص (٥١) من الأصل الفارسي:

وابراهيم ادهم بنزدك ابو حنيفه آمد (رح)، با مرقعة از صوف، اصحاب ويرا بچشم تصغير نكرستند بو حنيفه گفت: سيدنا ابراهيم بن ادهم آمد، اصحاب گفتند: بر زبان امام مسلمانان هزل فبم وجد هذه السيادة؟ قال: بالمداومة على الخدمة، فقد انشغل بخدمة الله، وانشغلنا بخدمة أنفسنا حتى صار سيدنا.

ح ١ ص (٣٤٨، ٣٤٩) ذكر حاتم: وسأل أحد المشايخ حاتمًا: كيف تصلى؟ قال: حين يدخل الوقت، أتوضأ وضوءًا ظاهريًا وآخر باطنيًا، وقال: الظاهري بالماء والباطني بالتوبة، وعندئذ أدخل المسجد، وأجعل المسجد الحرام شاهدي، وأضع مقام إبراهيم بين حاجبي، وأرى الجنة عن يميني، والجحيم عن يساري، والصراط تحت قدمي، وأتخيل ملك الموت خلفي،

ص (٥٤٢، ٥٤٣) من الترجمة: ويقول واحد من المشايخ: سألت حاتمًا الأصم، (رحمة الله عليه)، كيف تصلى؟ قال: حين يدخل الوقت أتوضأ وضوءًا ظاهريًا وآخر باطنيًا: الظاهري بالماء، والباطني بالتوبة. ثم أدخل المسجد وأجعل المسجد الحرام شاهدي، وأضع مقام إبراهيم بين عيني، وأرى أن الجنة عن يميني، والنار عن يساري، والصراط تحت قدمي، وملك الموت خلفي، وعندئذ

كشف المحجوب

نرود، این سیادت بجه یافت؟
گفت: بخدمت بردوام، کی بخدمت
خداوند مشغول شد، وما بخدمت
تناه خود، تاوی سید ما کشت.

تذكرة الأولياء

الأصل الفارسی للعبارة:

ویکی از مشایخ حاتم را پرسید، که
نماز چگونه کنی گفت: چون وقت
درآید، ووضوء ظاهر کنم، ووضوء
باطن کنم، گفت: ظاهر را بآب باک
کنیم، وباطن را بتسویه، وآنکاه
بمسجد درایم، ومسجد حرام را
مشاهده کنم، و مقام ابراهیم را در
میان دو ابروی خود بنهم، و بهشت
را بر راست خود، و دوزخ بر چپ
خود، و صراط زیر قدم خود دارم،
و ملك الموت را پس پشت
و أعهد بقلبی لله، و عند نذ أكبر
بتعظیم، و أقوم بحرمة، و أقرأ بهیبة،
وأسجد بتضرع، و أركع بتواضع،
و أجلس بحلم، و أسلم بالشكر، و هكذا
تكون صلاتی.

ص (۳۸۷) من الأصل الفارسی:

یکی از مشایخ کوید: از حاتم اصم
رحمة الله عليهم پرسیدم، که نماز
چگونه کنی؟ گفت: چون وقت اندر
آید، بک وضوئی ظاهری و باطنی
بکنم بآب، و باطنی بتویه، و آنکاه در
مسجد اندر آیم، و مسجد حرام را
شاهد کنم، و مقام ابراهیم را میان دو
ابروی خود نهم، و بهشت را بر راست
خود دانم، و دوزخ را بر چپ خود،
و صراط را زیر قدم خود، و ملك
الموت را از پس پشت خود، و آنکاه
تکبیری کنم، و أكبر بتعظیم، و أقوم
بحرمة، و أقرأ بهیبة، و أسجد
بتضرع، و اركع بتواضع و أجلس
بحلم و و قار، و اسلم بالشكر، و بالله
العون.

تذكرة الأولياء

ج ۱ ص (۲۹۸) ذکر أهی
 تراب:
 وقال (أبو تراب): الفقير قوته ما
 وجد، ولباسه ما ستر، ومسكنه حيث
 نزل.

كشف المحجوب

ص (۳۳۴) من الترجمة العربية:
 يرد عنه أنه قال: الفقير قوته ما
 وجد، ولباسه ما ستر، ومسكنه حيث
 نزل.

خود انکارم، و دلرا بخدای سپارم،
 آنکاه تکبیر بکوم با تعظیم، و قیامی
 بحرمت، و قراءتی با هیبت،
 و سجودی با تضرع، و رکوعی با
 تواضع، و جلوسی بحلم، و سلامی
 بشکر بکوم، نماز من این چنین بود

با تعظیم، و قیامی بحرمت،
 و قراءتی با هیبت، و سجودی
 بتضرع، و رکوعی بتواضع
 و جلوسی بحلم و وقار، و سلامی
 بشکر، و بالله العون.

الاصل الفارسی للعبارة:

و کفنت: فقیر آنست که قوت او آن
 بود که بیابد، و لباس او آن بود که
 عورتی بیوشد، و مسکن او آن بود
 که در آنجا باشد.

ص (۱۵۲) من الأصل الفارسی:
 ازوی می آید که کفنت: الفقیر قوته
 ما وجد، و لباسه ما ستر، و مسکنه
 حيث نزل، درویشی قوتش آن بود
 که بیابد، و در آن اختیار نکند،
 و لباسش آنک ویرا بیوشد اندر آن
 تصرف نکند، و جایکا هش آنکک
 فرود آید، و منزل کند، و خود
 راجائی نسا زد.

ثامناً: بين أسرار التوحيد وتذكرة الأولياء:

استفاد فريد الدين العطار من «أسرار التوحيد» في ناحيتين:

الأولى: أنه نقل عنه بعض القصص والحكايات المتعلقة بمشايخ الصوفية.

الثانية: أنه نقل عنه الكثير من الألفاظ والمصطلحات الصوفية والتي أعد لها

بهار فهرساً في كتابه «شيك شناسی» شرح فيه معناها الصوفى

ونذكر منها على سبيل المثال:

آداب، ادب، ادب وقت: الأدب المراد الثقافة وآداب كل عمل هي مراعاة

ضرورياته وواجباته وتحسينه واتمامه .

آدمى كرى: أحياناً بمعنى البشرية وأحياناً بمعنى الإنسانية.

آزادى، آزادى: آزادى تأتي أحياناً بمعنى «تشكر» ولكن في «أسرار التوحيد،

بمعنى النجاة والنجاة من الماديات (٢٧٨).

أما عن الحكايات التي نقلها العطار عن «أسرار التوحيد» فيمكن القول: إنها

محدودة إذا ما قيست باستفادته من بقية مصادر التصوف الإسلامى السابقة

عليه.

مثال :

تذكرة الأولياء

١٥٤ ص (٢٧٤) من ذكر سرى:

وفى بدء أمره كان يقسم في بغداد،

وكان له حانوت، كان يعلق ستاراً

على بابه ويدخل فيه، ويصلى

وفى كل يوم كان يصلى.

أسرار التوحيد

٢٨٤ ص من الترجمة العربية:

قال الشيخ: كان سرى السقطى يملك

حانوتاً في بغداد اعتاد أن يجلس

فيه، ولم يكن الحانوت يبيعه،

تذكرة الأولياء

الأصل الفارسی للعبارة:

در ابتدا، در بغداد نشستی، دکانی داشت، و پرده از در دکان در آویخته، درآمدی، و نماز کردی، هر روز چندین رکعت نماز کردی، فجاء رجل من جبل اللکام لزیارته، ورفع الستار عن الباب، وسلم، وقال لسری: يبلغك الشيخ فلان من جبل اللکام السلام، فقال السری: إنه قد سكن الجبل ولا يعمل، ويجب على الرجل الانشغال بالحق في السوق بحيث لا يغيب عنه لحظة.

أسرار التوحيد

ص (٢٦٤) من الأصل الفارسی: شیخ گفت: سری سقطی در بازار بغداد نشستی، و دکانی داشتی و هیچیز در دکان نبود که بفروختی (٢٧٩) قد علق علی بابه ستاراً، وأخذ یصلی خلفه. وجاء رجل من جبل اللکام لتحیته فأرشدوه إلى مکانه، فدخل السوق، وسار حتی بلغ الحانوت، ورفع الستار وحیاء. فیل لسری: لقد حیاک الشیخ فلان من اللکام فقال: أين ذهب؟ فیل: لقد عاد إلى الجبل، فقال: لا ینبغی هذا لکی یكون الرجل رجلاً، بل ینبغی للرجل أن یشغل بعبادة الله، ولو كان فی سوق وسط الناس. وألا یجعل قلبه یخلو من ذکر الله لحظة.

ولکن پرد ککی از آن دکان آویخته بودی، و پس پرده نماز می کردی، وقتی کسی از جبل اللکام بزیارت وی بنشان، ببازار درآمد، تا بندگان وی، و آن پرده بر گرفت، و سلام گفت، سری سقطی را گفت فلان پیراز جبل اللکام ترا سلام گفته است، گفت: از اینجا رفته است، باز کوه شدن، مردی نبود مردمان بخدای مشغول باشد، و یک لحظه بدل ازو خالی نبود.

تاسعاً : بين تذكرة الأولياء و خزينة الأصفياء :

وكما تأثر فريد الدين العطار بالمصادر السابقة عليه فقد أثر أيضاً في المصادر اللاحقة له ومنها «خزينة الأصفياء»، فقد تأثر غلام سرور صاحب اللاهوري مؤلف هذا الكتاب بالعطار تأثراً شديداً واعترف في مواضع كثيرة من كتابه بنقله عن فريد الدين العطار والمتصفح لهذا الكتاب يدرك شدة تأثر مؤلفه بالعطار في نقل الحكايات المنسوبة إلى المشايخ ويجد أنه يسرد مجموعة من الحكايات المتصلة والمنقولة حرفياً في معظم الأحيان وينفس ترتيبها من التذكرة سوى أنه بدل بعض الألفاظ القديمة بألفاظ حديثة وهذا في التراجم التي وردت في «التذكرة»، وفي «خزينة الأصفياء».

والأمثلة على هذا كثيرة نذكر منها :

تذكرة الأولياء

خزينة الأصفياء

ح ١ ص (١٥) تذكرة أويس :

أحياناً كان سيد الأنبياء (عليهم السلام) يلتفت ناحية اليمن، ويقول: إنى لأجد نفس الرحمن من قبل اليمن. وقال سيد الأنبياء (عليهم السلام) أيضاً: يخلق الحق (تعالى) سبعين ألف ملك يوم القيامة على شاكلة أويس

ح ٢ ص (١١٨) أويس :

يقول فريد الدين العطار في «تذكرة الأولياء»: إن حضرة خاتم النبوة عليه الصلاة والتحية كان يلتفت بوجهه المبارك ناحية اليمن، ويقول: إنى لأجد نفس الرحمن من قبل اليمن. وقال سيد الأنبياء (عليه الصلاة الأعلى): يخلق الحق تعالى

سبعين

تذكرة الأولياء

الأصل الفارسي للعبارة

كَاه كَاه خواجه انبيا عليهم السلام
 روى سوى يمن كردى، وكفتى:
 إنى لأجد نفس الرحمن من قبل
 اليمن. يعنى نسيم رحمت از جانب
 يمن مى يابم. وياز خواجه انبيا
 كفت عليهم السلام، كه فرداى
 قيامت حق تعالى هفتاد كى يحمل
 أويس بينهم إلى الحضرة ويذهب
 إلى الجنة، فلا يعرف شخص قط
 إلا ما شاء الله أيهم أويس

حدا ص (٤١) ذكر مالك:

ويقول البعض: إن مالكا بن دينار كان
 قد جلس فى سفينة، وعندما وصلت
 إلى وسط البحر، قال أهل السفينة:
 هات أجرة السفينة. قال: ليس لى،
 فضرىوه طويلاً حتى فقد وعيه،
 وعندما تاب إلى رشده ثانية، قالوا له:
 هات أجرة السفينة، فقال: لا أملك،
 قالوا: فلمسك بقدميه، ونلقى به فى
 البحر، فظهر كل ما كان من سمك فى
 الماء، وقد أمسكت كل واحدة .

خزينة الأصفياء

الأصل الفارسي للعبارة

فريد الدين العطار در تذكره
 الاولياى فرمايد، كه حضرت خاتم
 النبوة عليه الصلوة والتحية روى
 مبارك بجانب يمن كردى،
 وفرمودى، كه إنى لاجد نفس
 الرحمن من قبل اليمن. يعنى مى
 يابم نسيم رحمت از جانب يمن.
 ونيز خواجه انبيا عليه الصلوة
 الاعلى ألف ملك يوم القيامة على
 شاكلة أويس حتى يذهب بينهم إلى
 الجنة ولا يعرفه أحد.

حدا ص (١٢٢) مالك:

يروى أن مالكا بن دينار جلس فى
 سفينة، وعندما وصلت إلى وسط الماء،
 طلب ربان السفينة الأجرة من ركبها،
 قال مالك: لا أملك شيئاً أمنحه لكم
 فغضب الملاحون وضرىوه حتى فقد
 وعيه، وعندما تاب إلى رشده. طلبوا
 منه الأجرة ثانية. وقالوا: إن أمسكنا بك
 ألقينا بك فى البحر، فأنجه مالك إلى
 البحر، وفى حال ظهرت أسماك البحر،
 وفى فم كل واحدة دينار من الذهب،
 فمد مالك يده، وأخذ ديناراً من فم

تذكرة الأولياء

هزار فرشته را بیافریند، در صورت
اویس تا اویس را در میان ایشان
بعرصات برآوردند، و ببهشت رود،
تا هیچ آفریده الا ما شاء الله واقف
نکردد، که در آن میان اویس
کدامت.

الأصل الفارسی للعبارة:

و بعض کوبند: مالک دینار در کشتی
نشسته بود، جرن پیمان دریا رسید،
اهل کشتی گفتند: غله کشتی بیار،
گفت: ندارم، چندانش بزدند هوش
ازو بیرون رفت، چون بهوشی
پاز آمد، گفتند: بایش کیریم، و در
دریا اندازیم، هرچه در آب ما می
بود همه سر بر آوردند، هر یکی دو
دینا زر درد هان گرفته، مالک،
دینارین من الذهب بفيها، فمد مالک
پده، وأخذ دینارین من سمكة وأعطاهما
لهم و عندما رأى ملاحو السفينة
ذلك، خروا أمام قدميه، ثم مضى
على وجه الماء حتى اختفى. ولهذا
السبب سمي مالك بن دينار.

خزينة الأصفياء

فرمود: که فردای قیامت حق
تعالی هفتاد و هزار فرشته بصورت
اویس قرنی بیافریند، تادر میان
ایشان اودر بهشت رود، و کسی او
را نشناسی.

الأصل الفارسی للعبارة:

نقل است که روزی مالک دینار
در کشتی سوار شد، چون کشتی
در عین دریا رسید، کشتیبانان مزد
کشتی از راکبان کشتی در خواستند،
مالک گفت: که هیچ ندارم که بدهم،
ملاحان برآشفتنند، و چندان زدند که
بیهوش شد، چون بازیه هوش آمد،
بار دیگر طلب کردند، گفتند، اگر تو
گرفته، دریا می اندازیم، مالک متوجه
بدریا شد، فی الحال ما هیان دریا سر
در رآب بیرون آوردند، بحالیکه
دردهان هر یک دیناری سمکه، وألقاه
إلى الملاح فتعجب ملاحو السفينة لهذه
الحال، و خروا أمام قدميه، و تابوا، قال
مالك: إنه أخرج قدمه من السفينة،
و مضى على وجه الماء. و اشتهر بمالك
بن دينار منذ ذلك اليوم.

تذكرة الأولياء

ح ۱ ص (۲۳۷) :

قال أحمد الحواری: مرض ابن السماك وأخذنا بوله لنعرضه على طبيب نصراني كان معاصراً له، وفي الطريق الذي كنا نسير فيه رأينا رجلاً جميل الوجه، زكى الرائحة، طاهراً يرتدى ثياباً نظيفة قدم إلينا، وقال: إلى أين تذهبون؟

خزينة الأصفياء

ح ۲ ص (۱۳۲)

ويروى عن الشيخ أحمد الحواری (رحمة الله عليه) أن ابن السماك مرض ذات مرة فحملت بوله إلى طبيب، وفي الطريق تقدم إلى شيخ نقى السريرة وضاء الوجه وقال لى: إلى أين تذهب؟

دست فراکرد، وازيك ما هي دو دینار بستد ویدیشان داد، چون کشق بانان چنین دیدند، درپای او افتادند او بر روی آب برفت، تا نا پیدا شد، ازین سبب، نام او مالک دینار آمد.

از زر بود، مالک دست درازکرد، ویک دینار ازدهان ما هي گرفتہ پیش ملاح انداخت، بمعانته ابحال ملاحان متحیر شده، سروپای وی آوردند، وتائب گشتند، مالک گفت: وپا ازگشتی بیرون نهاد، ویر روی آب برفت، از آن روز نامش مالک دینار مشهور است.

الأصل الفارسی للعبارة:

أحمد حواری كُتبت: ابن سماك بیمار شد تا آب او حاصل کردیم، تا نزد طبيب بریم نصرانی، که در رفت او بود، در راه که می رفتم، مردی را دیدیم، نیکو روی، و خوشی بوی، و پاکیزه، و جامه پاک پوشیده، پیش ما باز آمد، و گفت: کجایم روید؟

الأصل الفارسی للعبارة:

ولز شيخ احمد حواری رحمة الله عليه روایت است، که وقتی ابن السماك رنجور شد، قاروره وی پیش طبیب می بردم، در راه پیری رو شهنضمیری با چهره پرنور پیش من آمد، و گفت: کجا میروی؟

تذكرة الأولياء

قلت: إلى الطبيب النصراني فلان، نريد أن يفحص ابن السماك، وتحمل البول لعرضه عليه. فقال: سبحان الله! أستمعين حبيب الله بعدو الله! وتذهبون إليه عودوا، واذهبوا إلى ابن السماك وقلوا له أن يضع يده على تلك العلة ويقرأ أعوذ بالله من الشيطان الرجيم و«بالحق أنزلناه» وشرحنا له الحال ففعل ما أمر به فشفى في الحال.

خزينة الأصفياء

قلت: ابن السماك مريض، وأريد دواء له من الطبيب قال: سبحان الله! أستمعين حبيب الله بغير الله. عد، اذهب إلى ابن السماك وقل له أن يضع يده على ذلك العضو الممطل ويقول: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، وبالحق نزل. فعدت وشرحت له الحال ففعل ابن السماك ذلك، وشفى في الحال.

كُفتم: بفلان طبيب ترسا، خواهيم كه ابن سماك را تجريت كلد، وآب می بریم، تا بروی عرضہ کنیم، كفت: سبحان الله دوست خدای از دشمن خدای استعانت می جوید، وینزدیک وی می روید، بازگردید، وینزدیک ابن سماك روید، ویکوئید تا دست برآن علت نهد بر خواند: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم و«بالحق أنزلناه» وبالحق نزل.. ما باز كشتیم، و حال بدو نمودیم، ار چنان كرد كه فرموده بود، در حال شفا یافت.

كُفتم ابن السماك بیمار است، برای وی داروی از طبیب میخواستیم، كفت: سبحان الله دوست خدا از غیر خدا استعانت میخواستید! باز کبیرد، ویه نزدیک ابن سماك برو، ویکو، كه دست بدان عضو كه رنج دارد به نهد، ویکوید: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم و«بالحق نزل» من باز كشتیم، و حال باوی بیان كردم، ابن سماك همچنان عمل كرد، فی الحال صحت یافت.

وبعد أن ذكرنا مواضع التأثير والتأثر يتضح أن فريد الدين نقل الكثير من مادة كتابه من الكتب المؤلفة قبله كما نقلت عنه الكتب الصوفية المؤلفة بعده .

وأن فريد الدين كان أحياناً يبدل بعض الألفاظ القديمة بألفاظ حديثة تناسب العصر الذي صنف فيه كتابه .

كما أنه أغفل ذكر الأسانيد في معظم الأحيان مراعاة للاختصار . كذلك فإن تأثيره بهذه المصادر اتضح جلياً في الموضوع لا الشكل فقد نقل أخباراً وأقوالاً وحكايات لمشايخ الصوفية ولم يتبع منهج كاتب غيره بل كان له منهجه الخاص به في معالجة موضوعه اللهم إلا في المقدمة فقد حذا فيها حذر الكتاب السابقين عليه كما سبق أن ذكرنا .

وجدير بالذكر أنه تم توضيح مواضع التأثير والتأثر بين «تذكرة الأولياء» ومصادر التصوف المؤلفة قبله في الجزء الخاص بالترجمة .

الفصل الثالث

القيمة الأدبية والعلمية للكتاب

سبق أن ذكرنا أن هناك مجموعة من المصادر الصوفية التي ألفت قبل «تذكرة الأولياء» والتي ألفت بعده، وقلنا إن بعض هذه المصادر كان عربيًا وبعضها كان فارسيًا، وبيننا مظاهر التأثير والتأثر بين هذه المصادر وبين «تذكرة الأولياء»، وبناء على ذلك نحاول أن نقيم الكتاب في هذا الفصل ونحدد مكانته بين هذه المصادر .

(١) بالنسبة للكتب السابقة عليه :

أولاً: الكتب العربية :

وتتمثل هذه الكتب في «اللمع» و«التعرف لمذهب أهل التصوف» و«طبقات الصوفية» و«حلية الأولياء» و«الرسالة القشيرية» و«صفة الصفوة» .

أما عن «اللمع» فقد اقتصر على بيان أصول التصوف، وأساس مذهب المتصوفة وعقائدهم وذلك، بإيراد أقوال المشايخ في الموضوع الذي يتطرق إليه دون أن يبدي المؤلف رأيه إلا نادراً . (٢٨٠)

و«التعرف لمذهب أهل التصوف» موسوعة في علم التصوف وجوهره عن طريق إيراد العديد من أقوال الصوفية، مع التذليل والتحليل والبرهان فهو يحلل كل ما يتحدث عنه، ويبرهن عليه ويأتي له بالدليل من الكتاب والسنة (٢٨١) .

وطبقات الصوفية: يشتمل على تراجم لمجموعة من شيوخ الصوفية ويذكر الحكايات المنسوبة لهم، والأقوال المأثورة عنهم، وكذلك ما سمعه المؤلف مما يتعلق بهم، واقتصر دور مؤلفه على عرض هذه المعلومات فقط.

وحلية الأولياء: كتاب يشرح أحوال مجموعة كبيرة من الزهاد والعباد والصوفية ويورد الكلمات والمواعظ والحكم والقصص والأقوال والحكايات المنسوبة إلى كل منهم وبعض الأحاديث التي أسندت إليهم.

أما الرسالة القشيرية: فقد جمع مؤلفها بين الأصول المتعلقة بالتصوف وتراجم شيوخ الصوفية، فهي تبين عقائد الصوفية، وتشرح لأحوال ثلاثة وثمانين شخصاً من الصوفية، وتذكر أقوالهم والحكايات المتعلقة بهم، وقد سلك مؤلفها مسلك الإيجاز، ولم يكن يبدي رأيه في مسألة من المسائل التي تعرض لها المشايخ أو قول من أقوالهم.

وصفة الصفة: يمكن أن يقال عنه ما قيل عن الحلية سوى أن مؤلفه مال إلى الإيجاز واختصار الأسانيد.

أما عن تذكرة الأولياء: فقد اقتصرت بتراجم الأولياء، واقتصر على شرح لأحوال اثنين وسبعين شخصاً من المتصوفة، وأورد الحكايات المتعلقة بهم والأقوال المأثورة عنهم، والأفعال والكرامات المنسوبة إليهم مثله في ذلك مثل الطبقات والرسالة (الجزء الخاص بالتراجم) والحلية والصفة إلا أنه تميز عليها جميعاً بما يأتي:

١ - إن فريد الدين العطار في تذكرته التي اقتصرت بتراجم الأولياء وجه جل اهتمامه إلى عرض الحكايات والأقوال والأخبار المتعلقة بأصحاب التراجم، وبذل جهداً كبيراً في جمعها وذكرها أكثر من أي مؤلف آخر؛ لذلك وجدنا أن بعض الأذكار استغرقت عدداً كبيراً من الصفحات مثل ذكر أبي يزيد البسطامي الذي استغرق أربعاً وأربعين صفحة.

٢- بالرغم من أن، تذكرة الأولياء، كتاب يشرح لأحوال عدد من الأولياء إلا أن مؤلفه فريد الدين تعرض من خلال ترجمته لهؤلاء الأولياء لبعض الأصول والمفاهيم والمعتقدات الصوفية، وكذلك الأحوال والمقامات والمجاهدات والرياضات ففريد الدين إذن عرّف بالتصوف وأصوله ومفاهيمه من خلال شرحه لأحوال المتصوفة.

٣- كان فريد الدين ينلّي برأيه أحيانا في بعض المسائل التي قد يعرض لها في ذكر من الأذكار، وإن كان يتحرز من ذلك في معظم الأحيان، لأنه كان من الطبيعي أن يعرض آراءه من يترجم له لا آراءه هو، ولأنه لا يريد أن يقم كلامه وسط كلام المشايخ والأولياء.

مثال:

ورد في ذكر محمد بن واسع أن شخصا طلب العظة منه فقال له: كن ملكا في الدنيا والآخرة بالزهد. ويفسر فريد الدين العطار ذلك بأن الشخص حين يزهدي الدنيا فإنه يستغنى عن الخلق ويصبح غنياً كالملك، وهكذا يكون ملكا في الدنيا والآخرة (٢٨٢).

ثانياً: الكتب الفارسية:

وتتمثل في كشف المحجوب وأسرار التوحيد.

أما كشف المحجوب: فقد جمع مؤلفه بين الأصول الصوفية وتراجم الشيوخ محتذياً حذو القشيري، وتميز على الرسالة بأنه كان يتناول كل شيء بالتفسير والإيضاح، ويناقش الآراء المتعلقة بالموضوع الذي يتحدث عنه ثم يأتي المؤلف برأيه الخاص فهو معلم أكثر منه مؤرخ أو راوية وتميز الكتاب بإيراده لمجموعة من الفرق الصوفية (اثنتي عشرة فرقة) نسب كلاً منها إلى مؤسسها، وشرح المذهب الخاص بها والرسوم والعادات المتعلقة بها (٢٨٣).

وكتاب أسرار التوحيد:

ألف في شرح حال الشيخ أبي سعيد بن أبي الخير، لكنه اشتمل على معلومات عن رسوم الصوفية وعاداتهم واجتماعاتهم وتشكيلاتهم والمفاهيم والمصطلحات المتعلقة بهم.

وإن كان «كشف المحجوب» يتميز على «تذكرة الأولياء» بعرضه ودراسته للعديد من الأصول والمبادئ والفرق الصوفية، فقد تعرض العطار لبعض هذه الأصول من خلال تراجمه للأولياء، ولم يفرد لها فصلاً مستقلة وإذا كان الهجویری توسع في دراستها أكثر من العطار وذلك لاختلاف الفرض عند كل منهما، فقد كان هدف العطار نصح العامة وإرشادهم بأن يجعلهم يتبعون الأولياء، ويسيروا على نهجهم، ولم يكن غرضه إعداد مؤلف في التصوف كعلم له أصول ومبادئ.

وتميزت التذكرة على كشف المحجوب بالميزات التالية:

١- إن اختصاص التذكرة بالتراجم جعل مؤلفها (فريد الدين) يبذل أقصى جهده في جمع الحكايات والأقوال والأخبار المتعلقة بأصحاب التراجم.

فجاءت التذكرة سجلاً حافلاً بالعديد من الحكايات والأقوال والأخبار، فقد احتفظت لنا بثمان وثمانين وتسعمائة حكاية وأربعة وستين وثمانمائة وألف من الأقوال المتعلقة بالتصوف وأصوله ومفاهيمه.

٢- كذلك فإن أسلوب التذكرة جاء أسهل من «كشف المحجوب» حتى إن فريد الدين العطار عندما كان ينقل عن «كشف المحجوب» بعض العبارات كان يبدل الألفاظ القديمة بالألفاظ حديثة ملائمة للعصر الذي ألف فيه العطار كتابه فجاءت لغته سهلة بسيطة.

وتميزت التذكرة على أسرار التوحيد:

بأنها شرحت لأحوال اثنين وسبعين شخصاً من شيوخ الصوفية في حين أن أسرار التوحيد، اقتصر على شرح لحال شيخ واحد من شيوخ الصوفية هو الشيخ أبو سعيد بن أبي الخير.

وهناك مميزات أخرى اقتصت بها التذكرة هي:

١- أن «تذكرة الأولياء» هي المؤلف النثرى الوحيد لفريد الدين العطار ويمكننا من خلاله معرفة سمات أسلوب فريد الدين العطار، وكذلك سمات النثر الفارسي في القرن السابع الهجرى.

٢- تعد التذكرة من أقدم المؤلفات الفارسية التي اقتصت بتراجم شيوخ الصوفية.

٣- تميز أسلوب التذكرة بالبساطة واللطافة والبعد عن التكلف والصنع (٢٨٤) فقد كتبت بلغة سهلة سلسلة يمكن للعامة والخاصة فهمها وإدراكها.

هذا وتعد التذكرة أفضل نموذج للنثر الفارسي في القرن السابع الهجرى. (٢٨٥)

ونظراً لقيمة الكتاب فقد ألزم قطب بن محى الجهرمى - وهو من منصوفة القرن التاسع وعارفيه - مريديه بمطالعة «تذكرة الأولياء» و«كيمياء سعادة» وإحياء علوم الدين. (٢٨٦)

ولأهمية الكتاب أيضاً ترجم إلى عدة لغات هي:

اللغة العربية

يقال: إن هناك نسخة عربية من «تذكرة الأولياء» في مكتبة جامعة طهران محفوظة تحت رقم (٣٣٧) وتشتمل هذه النسخة على ثلاثمائة وثمان وثلاثين

صفحة تبدأ بذكر جعفر الصادق. هذا وقد استنتج القزويني وجود اسم سراج الدين عمر بن علي بن عمر القزويني في الورقة الأولى من النسخة (المترقى بقول السيوطي في ذيل طبقات الحفاظ للذهبي سنة ٧٧٥هـ / ١٣٧٣م ويقول محشى الكتاب سنة ٧٤٨هـ / ١٣٤٧م) ويقول مؤلف الأعلام ٧٢٠هـ / ١٣٢٠م) وبناء عليه فإنه رجح أن الترجمة تمت بعد سنة ٧٤٨ أو ٧٧٥هـ. هذا وقد عثر أحمد ناجي القيسي في هامش الصفحة الرابعة بعد الثلاثمائة على هذا السطر: «ابن كتاب رادرشب ٣١ دلو ٨٨٠ خط براى يا دكارى است، وترجمتها: كتبت هذا الكتاب فى ليلة ٣١ دلو سنة ٨٨٠ وهو للذكرى، واستنتج د. القيسى من ذلك أن الترجمة تمت ما بين ٧٤٨، ٨٨٠هـ ويذكر أن المترجم مال إلى الاختصار فقد حذف بعض أقوال المشايخ وكلماتهم فى الجزء الأول، وقدم وأخر فى الجزء الثانى، وأسقط ثلاث تراجم من القسم الأول، هى: ترجمة محمد بن فضل وأبى الحسن البوشنجى والحلاج^(٢٨٧). وقد حاولت الحصول على صورة لهذه النسخة العربية لكنى لم أستطع للأسف، لذلك فلا يمكن إضافة شئ لما سبق ذكره وقد قام عبد الرحمن بدوى بترجمة ذكر رابعة العدوية إلى اللغة العربية^(٢٨٨).

وقد عثر د. القيسى على فصل متعلق بمناقب الحلاج مترجم إلى اللغة العربية فى مكتبة الأوقاف العامة^(٢٨٩).

اللغة التركية:

ترجمت التذكرة إلى اللغة التركية الشرقية (بالحروف الأويغورية)، وتوجد نسخة من هذه الترجمة فى المكتبة الوطنية فى باريس محفوظة تحت رقم ١٠٠، وقد قام باثيت كورتى بنشرها فى باريس سنة ١٨٩٠م، وتشتمل هذه الترجمة على نفس أبواب التذكرة الأصلية وتختتم بالحلاج، لكن بها سقطات وأحياناً لم يكن المترجم الأويغورى يدرك المعانى ودقائق العبارات، فعجزت عباراته عن بيان حقائق المعرفة.^(٢٩٠)

وقد كتبت هذه الترجمة بخط كان رائجاً في بلاط الجنكيزيين وتوجد منها نسخة في خزانة السلطان الفاتح محفوظة تحت رقم ٢٨٤٨ (٢٩١).

وقد ترجمت التذكرة إلى التركية عدة مرات:

فهنالك ترجمة باللغة التركية القديمة قام بها أيدين أوغلي محمد بك في ٧٠٧ - ٧٣٤ هـ / ١٣٠٧ - ١٣٣٣ م وتوجد مخطوطة منها في خزانة ولي الدين افندي محفوظة تحت رقم ١٦٤٣ (٢٩٢).

وترجمة قام بها سنان الدين يوسف بن خضر خواجه باشا (م ٩٩١ هـ / ١٤٨٦ م).

وترجمة قام بها رضا القره حصارى.

وترجمة يمتلكها العالم التركي حلمي ضيا كتبت بين سنتي ١٠٠٠ و ١١٠٠ هـ / ١٥٩١ - ١٦٨٨ م.

وترجمة أعدها خواجه شاه بن سيد أحمد بن سيد أسد الله الخوارزمي بالتركية الشرقية، توجد في المتحف الآسيوي في ليننجراد ١٢٣٤ هـ / ١٨٢٨ - ١٨٢٩ م.

وترجمة أخرى بالتركية الشرقية الأوزبكية (بلهجة خيويه) موجودة في أكاديمية العلوم السوفيتية التاجيكية في طاشقند، ترجع إلى القرن التاسع عشر الميلادي (٢٩٣).

اللغة الأوردية:

ترجم عطاء الرحمن صديقي التذكرة إلى الأوردية، ونشرت الترجمة في لاهور ١٩٢٥ م.

وكذلك ترجمة ملك محمد غايت إلى الأوردية، ونشرت الترجمة عام ١٩٣٠ م (٢٩٤).

اللغة الفرنسية :

قام باثيت دى كورتى بترجمة التذكرة إلى الفرنسية عن النسخة المترجمة إلى التركية الشرقية ذات الحروف الأويغورية، المحفوظة فى المكتبة الوطنية فى باريس ونشرها عام ١٨٩٠ هـ، وهذه الترجمة تشتمل على اثنين وسبعين ذكراً أسوة بالترجمة الأويغورية وفى بدايتها مقدمة متعلقة بكتاب «تذكرة الأولياء» وموضوعه (٢٩٥).

اللغة السويدية :

ترجمها إلى السويدية الهارون ايرك هيرملين عن طبعة نيكلسن الفارسية ونشرها مع النص الفارسى فى مجلدين فى استكهولم سنة ١٩٣١ م (٢٩٦).

اللغة الإنجليزية :

نقلت مارجرىت سمث بعض النماذج من التذكرة إلى الإنجليزية فى رسالتها عن العطار ونشرتها فى لندن عام ١٩٣٢ م.

وأعد آربرى ترجمة مختصرة للتذكرة مشتملة على تراجم الأولياء ومجردة من الأقوال والزوايات ونشرها عام ١٩٦٦ م تحت عنوان:

Muslem saints and Mystics

بدأها بمقدمة عن العطار ثم تحدث عن أصول التصوف والتصوف فى إيران، وازدهار الأدب الصوفى بها، ثم انتقل إلى الحديث عن أسباب تأليف التذكرة ومصادرها ثم ختم مقدمته بجدول بين فيه مواضع التأثير والتأثر بين السلى والقشبرى والهجوبرى والعطار (٢٩٧).

هذا وقد نظم حافظ العلاف - أحد شعراء القرن التاسع الهجرى وكان يقيم فى شيراز - التذكرة عام ٨٢١ هـ بتشجيع من أبى الفتح إبراهيم سلطان بن

شاهرخ - أحد ملوك الأسر القديمورية المشهورين والراعين للعلم، وكان يحكم العراق وفارس - وسماها، ولى نامه، وهو يقول في مقدمتها: إنه ألهم بأن ينظم هذا الكتاب وعندما وصل الخبر إلى السلطان إبراهيم شجعه على ذلك.

وقد انشغل حافظ بنظمها ست سنوات وهي تشمل على أربعة وعشرين ألف بيت من الشعر وأتمها عام ٨٢١ هـ في حرم جامع البيت العتيق ويقال جامع شيراز العتيق، وتوجد نسخة من هذه المنظومة في مكتبة مدرسة اللغات الشرقية في موسكو، ويقال: إن هناك نسخة أخرى منها في مكتبة المتحف الآسيوي ببلينجراد (موزه آسای لیکنراد) (٢٩٨).

ومع أن كتاب «تذكرة الأولياء» يتمتع بأهمية كبرى وقيمة عظيمة كما سبق أن ذكرنا إلا أن هناك بعض المآخذ التي تؤخذ عليه هي:

١- لم يهتم فريد الدين العطار بالترتيب التاريخي في سرده للشخصيات فنجدته مثلاً بدأ بذكر محمد بن جعفر الصادق (المتوفى ١٤٣ هـ) ثم تبعه بذكر أويس القرني (المتوفى ٣٧ هـ) ثم ذكر الحسن البصري (المتوفى ٣٧١ هـ) ثم مالك بن دينار (المتوفى ١٣١ هـ).

٢- على الرغم من أن فريد الدين العطار اتخذ جانب الحيطة والحذر في نقله للحكايات المنسوبة إلى الأولياء، إلا أن بعض هذه الحكايات جاءت كاذبة بعيدة عن الواقع، فمثلاً يقول فريد الدين في ذكر أبي يزيد البسطامي: «إنه خدم مائة وثلاثة عشر شيخاً كان الصادق من بينهم». (٢٩٩) بينما توفي جعفر الصادق سنة ١٤٣ هـ، وتوفي أبو يزيد سنة ٢٦١ هـ. وفي ذكر إبراهيم بن أدهم نقل العطار رواية وقعت له مع الصنوبري عندما جلسا تحت شجرة رمان، وطلبت الشجرة من الصنوبري أن يشفع لها عند إبراهيم ليأكل من رمانها، وقد كانت شجرة قصيرة ثمارها حامضة فابتعت ببركة إبراهيم بن أدهم (٣٠٠).

والجدير بالذكر أن الصنوبري شاعر توفى عام ٣٣٤ هـ ولم يكن معاصراً لإبراهيم بن أدهم (المتوفى ١٦١ أو ١٦٢ هـ) (٣٠١).

وكذلك في ذكر سرى السقطي، ذكر فريد الدين العطار حكاية وقعت بين حبيب الراعي وسرى فحواها «أن حبيباً الراعي مرُّ بدكانه يوماً فأعطاه شيئاً للفقراء فدعا له ففترت الدنيا على قلبه» (٣٠٢).

والمعروف أن سرى (م ٢٥٧ هـ) لم يكن معاصراً لحبيب الراعي.

وجدبر بالذكر أن هذه الحكاية وردت في «كشف المحجوب» ونقلها العطار عنه.

ويقول العطار عن حمدون القصار: أنه كان شيخاً لعبد الله بن المبارك (٣٠٣) في حين أن عبد الله توفى قبله بتسعين عاماً.

٣. جاءت بعض الحكايات التي نقلها فريد الدين غريبة تنسم بالمبالغات والشطط أحياناً فمثلاً ورد في ذكر إبراهيم بن أدهم «أن إبراهيم كان في سفر وفرغ زاده فصبر أربعين يوماً وأكل الطين» (٣٠٤).

وذكر كذلك «أن إبراهيم لم يجد ما ينفقه فأكل الحصى خمسة عشر يوماً» (٣٠٥). والمعروف أن النتيجة في هاتين الحالتين غالباً ما تكون الموت.

وفي ذكر الشافعي ورد أنه «أراد أن يرى امرأة منافقة فعقد قرانه عليها ورآها ثم طلقها» (٣٠٦).

ولا ندرى ما هدف الكاتب من إيراد هذه الحكاية.

ويذكر عن سهل بن عبد الله التستري «أنه كان يفطر مرة كل ليلة ثم مرة كل ثلاثة أيام، ثم مرة كل خمسة أيام، ثم مرة كل سبعة أيام، ثم مرة كل عشرين يوماً ثم مرة كل سبعين يوماً» (٣٠٧).

وإن كان يقطر مرة كل سبعين يوماً لكان قد انتهى قبل أن يتم السبعين يوماً.

ومن الأمور الغريبة التي تذكرها عن شاه شجاع أنه لم يتم طيلة أربعين عاماً، وكان يضع الملح في عينه، فكانت قد أصبحت كقدحين من الدماء (٣٠٨).

وجدير بالذكر أن فريد الدين العطار كان معبراً عن الفكر السائد في عصره، ويبدو أن مثل هذه الحكايات كانت مقبولة لدى العامة والخاصة على السواء. وجدير بالذكر أيضاً أن بعض هذه الحكايات وردت في مصادر التصوف الأخرى.

٤. كذلك اشتملت بعض الحكايات على مبالغات مرفوضة، فقد ورد في ذكر أبي يزيد حين سئل عن مجاهداته ورياضاته أنه منع الماء عن نفسه عاماً لأنها لم تطع له أمراً (٣٠٩).

وجاء في ذكر أحمد بن حنبل «أن محمد بن خزيمة رآه في المنام بعد الوفاة فسأله ما فعل الله بك؟ فقال غفر لي، ووضع تاجاً على رأسي، ونملاً في قلمي» (٣١٠).

٥. أحياناً كان فريد الدين لا يراعى الدقة في نقل الحكايات، ففي ذكر الفضيل بن عياض يقول العطار: «أن بول ابنه احتبس فدعا له بالشفاء فشفى في الحال» (٣١١).

في حين أن الحكاية وردت في الحلية بإسناد العباس بن أبي طالب عن محمد بن اسحاق عن إبراهيم بن عبد الله «أن بول فضيل نفسه هو الذي احتبس فدعا الله بالشفاء فشفى» (٣١٢).

ونقل فريد الدين حكاية وقعت بين أبي حفص ويهودى طلب منه أبو

حفص أن يعد له طلسمًا، يقرب بينه وبين محبوبته فأعده له لكن المراد لم يتحقق لأن اليهودى طلب من أبي حفص ألا يفعل خيراً طيلة أربعين يوماً، لكنه وهو قادم إلى اليهودى بعد انقضاء المهلة، أزال حجراً في الطريق؛ حتى لا يتعثر فيه أحد. فقال له اليهودى: لا تغضب الله الذى عصيته أربعين يوماً لكنه أكرمك لعمل خير فمت به فى يوم فتاب أبو حفص على يد اليهودى، (٣١٣).

وهذه الحكاية نقلها العطار عن «كشف المحجوب»، كما هى إلا نهايتها فى كشف المحجوب، فتاب أبو حفص وأسلم اليهودى، (٣١٤).

وربما يشير هذا إلى أن كثرة تردد هذه الحكايات على الألسنة أفقدها عنصر الدقة.

٦- كذلك نقل العطار أقوال المشايخ الشائعة دون تدقيق فى ذكر حارث يقول: «وقال (حارث): هناك ثلاثة أشياء إن ظفروا بها استفادوا منها، ولم نجدنا نحن هى: المحبة الحسنة بالرعاية والوفاء والشفقة، (٣١٥).

فى حين أنها وردت فى الحلية بإسناد الجنيد بن محمد عن أبى العباس بن مسروق على هذا النحو: قال الحارث: «فقدنا ثلاثة أشياء لا نكاد نجدنا إلى الممات: حسن الصيانة، وحسن القول مع الديانة، وحسن الإخاء مع الأمانة، (٣١٦).

ونقل عن أبى سليمان الدارنى أنه قال: لكل شئ علامة وعلامة الخذلان ترك البكاء، ولكل شئ صدأ، وصدأ نور القلب الشيع، (٣١٧).

فى حين أن هذا القول ورد فى الرسالة كما يأتى:

وقال (أبو سليمان): «لكل شئ علم وعلم الخذلان ترك البكاء، وقال: لكل شئ صدأ وصدأ نور القلب شيع البطن، (٣١٨).

وفى ذكره ليحيى بن معاذ قال: قال (يحيى): «المقلاء ثلاثة: من ترك الدنيا قبل أن تتركه، ومن بنى قبره قبل أن يدخله، ومن أرضى ربه قبل أن يلقاه» (٣١١).

وقد ورد هذا القول في الحلية على هذا النحو: «وقال: المصيب من عمل ثلاثة أشياء: من ترك الدنيا قبل أن تتركه، وبنى قبره قبل أن يدخله، وأرضى ربه قبل أن يلقاه» (٣٢٠).

٧- كذلك يؤخذ على العطار إغفاله ذكر الأسانيد في معظم الأحيان أو اختصارها وإن كان هذا قد حقق له غاية قصدها وهي الاختصار إلا أن ذكره للأسانيد كان سيعطى كتابه مزيداً من القيمة والثقة في المعلومات التي أتى بها. والأمثلة على ذلك كثيرة وممنشرة على طول الكتاب.

٨- كذلك تضمن الكتاب بعض الأحاديث الموضوعية مثل: «قال رسول الله سيكون في أمتي رجل يقال له نعمان بن ثابت وكنيته أبو حنيفة هو سراج أمتي» (٣٢١).

والخلاصة أن كل عمل - سواء أكان عملاً أدبياً أو غير ذلك - يتمتع بمزايا لا يخلو من عيوب، وكذلك الحال في «تذكرة الأولياء»، فكما أن له مزاياه التي تتلخص في أنه من أقدم المؤلفات الفارسية التي اقتصت بتراجم الصوفية، وأنه حفظ لنا الكثير من الحكايات والأقوال المتعلقة بالأولياء، وأن لغته جاءت سلسة سهلة يمكن للعمامة والخاصة إدراكها وذلك لتلائم الهدف الذي ألف من أجله الكتاب وهو النصيح والإرشاد، كما أن أسلوب الكتاب يعد من أفضل نماذج النثر الفارسي الغير متكلف في القرن السابع الهجري - فإن عليه بعض المآخذ أيضاً - والتي سبق شرحها - إلا أن هذه المآخذ لا تقلل من شأنه وقيمه خاصة إذا قرأ الكتاب وتم تناوله بشئ من التدقيق والتمحيص.

الخاتمة

بناء على ما سبق يمكن القول:

- ١- إن عنوان الكتاب هو «تذكرة الأولياء» فحسب.
- ٢- إن فريد الدين العطار ألف كتابه هذا عام ٦١٧ هـ بعد أن أتم تأليف منظوماته، وفرغ من رحلاته، ومال إلى العزلة والاعتكاف، وانتهى من جمع مادته.
- ٣- إن كتاب «تذكرة الأولياء» يشتمل على اثنين وسبعين ترجمة لأولياء عاشوا قبل الغزو المغولي، ويذكر أفعالهم وآراءهم ومناقبهم ومكارم أخلاقهم وما أثر عنهم من روايات، ويشرح مقاماتهم وكراماتهم وأحوالهم.
- ٤- إن فريد الدين العطار استفاد في تصنيف كتابه هذا من الروايات الشفوية التي تناقلتها الأفواه والتي ترامت إلى مسامعه وكذلك من الكتب الصوفية المؤلفة قبله سواء أكانت عربية مثل «اللمع» و«التعرف لمذهب أهل التصوف»، و«طبقات الصوفية» و«حلية الأولياء» و«الرسالة القشيرية»، و«صفة الصفة» أم كانت فارسية مثل «كشف المحجوب» و«أسرار التوحيد».
- ٥- إن فريد الدين العطار كان يبدأ الذكر بمجموعة من الجمل المسجعة التي تصف صاحب الذكر، وتعدد مناقبه، وغالباً ما تكون على وزن اسمه أو لقبه، ثم يمدحه بمجموعة من الجمل التي تبين مكانته ومقامه في التصوف، ثم

يسرد بعد ذلك مجموعة من الحكايات التي تتعلق بصاحب الترجمة، ثم ينقل مجموعة من الأقوال المأثورة عنه ثم ينتقل إلى الحديث عن وفاة صاحب الذكر والكرامات المتعلقة بها.

٦- إن مضامين الحكايات تنوعت في «تذكرة الأولياء» من حكايات تتعلق بكرامات الأولياء، وأخرى تتعلق بمجاهداتهم، وحكايات تتضمن أخباراً متعلقة بصاحب الترجمة، وأخرى تتعلق بأداب الأولياء ورسومهم وطيب أخلاقهم وحسن معاملتهم وتوكلهم على الله وثقتهم به، وكذلك عرفت الأقوال بمقامات الصوفية وأحوالهم وآدابهم ومفاهيمهم.

٧- إن نثر «تذكرة الأولياء» تميز بالسلاسة واللطافة والبعد عن التكلف والصنعة، وجمله في أغلبها بسيطة ليست مركبة ولا معقدة وألفاظه منتقاه مؤدية للمعنى ومؤكدة له، وهذه الخصائص جاءت مناسبة للهدف الذي صنف من أجله الكتاب وهو نصح العامة وإرشادهم عن طريق ذكر مناقب الصوفية وأخلاقهم.

هذا ويعد نثر الكتاب من أفضل نماذج النثر الفارسي في القرن السابع الهجري.

٨- إن فريد الدين العطار اعتمد على كتاب «كشف المحجوب» اعتماداً كبيراً في تصنيف كتابه «تذكرة الأولياء»، فهو كثيراً ما كان ينقل عنه عين عباراته سوى أنه كان يبدل الألفاظ القديمة بألفاظ حديثة مناسبة للعصر الذي ألف فيه الكتاب.

٩- إن استفادة فريد الدين العطار من «اللمع» و«أسرار التوحيد» كانت استفادة محدودة تلتخص في أنه نقل منهما بعض الحكايات المتعلقة بمشايق الصوفية، ونقل من أسرار التوحيد بعض الألفاظ والمصطلحات الصوفية.

١٠- إن فريد الدين العطار أثر في المصادر اللاحقة له - كما تأثر بالمصادر السابقة عليه - ومن هذه المصادر، خزينة الأصفياء، التي تأثر مؤلفها غلام سرور صاحب اللاهوري تأثراً شديداً بفريد الدين العطار، وكان ينقل عنه عين عباراته سوى أنه بدل بعض الألفاظ القديمة بألفاظ حديثة مناسبة للعصر الذي ألف فيه الكتاب.

١١- إن كتاب «تذكرة الأولياء» يميز على غيره من المؤلفات الصوفية بالميزات الآتية:

(أ) إن «تذكرة الأولياء» تعد من أقدم المؤلفات الفارسية التي اقتصت بتراجم شيوخ الصوفية.

(ب) إن فريد الدين العطار وجه جل اهتمامه إلى عرض الحكايات والأقوال والأخبار المتعلقة بأصحاب التراجم، وبذل جهداً كبيراً في جمعها، فجاءت تذكرته سجلاً حافلاً بالعديد من الحكايات والأقوال، فقد احتفظت لنا بثمان وثمانين وتسع مائة حكاية وأربعة وستين وثمانمائة وألف من الأقوال المتعلقة بالتصوف وأصوله ومفاهيمه.

(ج) شرح فريد الدين العطار بعض الأصول والمفاهيم والمعتقدات الصوفية، وكذلك الأحوال والمقامات والمجاهدات والرياضات من خلال شرحه لأحوال المتصوفة.

(د) كان فريد الدين العطار يدلي برأيه أحياناً في بعض المسائل التي تعرض لها في أذكاره.

١٢- إن كتاب «تذكرة الأولياء» نظراً لأهميته، فقد ترجم إلى لغات عدة منها: التركية والأوردية والفرنسية والإنجليزية والسويدية.

كذلك نظمه حافظ العلاف - أحد شعراء القرن التاسع - شعراً وسماه «ولى
نامه».

وبما أن كل عمل له جوانب إيجابية وأخرى سلبية، فهناك بعض المآخذ التي
أخذت على التذكرة مثل: عدم إهتمام فريد الدين بالترتيب التاريخي في سرده
للشخصيات، ونقله لحكايات غريبة وكاذبة ويعبده عن الواقع، وأقوال خاطئة،
وكذلك إغفاله ذكر الأسانيد، وذكره لبعض الأحاديث الموضوعية، لكن هذه
المآخذ لا تقلل من قيمة الكتاب وأهميته إذا تم تناوله بحرص ودقة. وربما
نتذكر هنا ما نادى به فضيلة شيخ الأزهر عند استقباله لأحد الوفود الأجنبية
من ضرورة تنقية التصوف الإسلامى مما علق به من شوائب.

الحواشي والتعليقات

- (١) ادوارد جرانفيل برون: تاريخ الأدب في إيران من الفردوسي إلى السعدي، نقله إلى العربية الدكتور إبراهيم أمين الشواربي، ١٣٧٣هـ - ١٩٥٤م، (ص ٦٤٣).
- (٢) أمير دولتشاه بن علاء الدولة بختيشاه الغازي السمرقندي/ تذكرة الشعراء بسعي واهتمام وتصحيح ادوارد برون انكليسي، ليدن ١٣١٨هـ - ١٩٠٠م، (ص ١٩٢).
- (٣) للسابق (ص ١٨٨).
- (٤) ادوارد جرانفيل برون: تاريخ الأدب من الفردوسي إلى السعدي، ترجمة الدكتور إبراهيم أمين الشواربي (ص ٦٤٤).
- (٥) فريد الدين المطار: تذكرة الأولياء، بسعي واهتمام وتصحيح رنولد آن نيكلسون، ليدن ١٣٢٢هـ - ١٩٠٥م، النصف الأول (ص د) من مقدمة القزويني.
- (٦) ادوارد جرانفيل برون: تاريخ الأدب في إيران من الفردوسي إلى السعدي/ ترجمة د. إبراهيم أمين الشواربي، (ص ٦٤٤).
- (٧) علي أكبر دهخدا: لغت نامه، زیر نظر دکتر محمد معین، دکتر سید جعفر شهیدی، ١٣٤٥هـ. ش، (ص ٣١٠).
- (٨) انظر: بديع الزمان فروزانفر: شرح أحوال ونقد وتحليل آثار شيخ فريدالدين محمد عطار نيشابوري، تهران ١٣٥٣هـ، ش، چاپ دوم (ص ٩١).
- (٩) انظر: سعيد نفیسی: جستجو در احوال و آثار تاریخی فريد الدين عطار نيشابوري، تهران ١٣٢٠هـ. ش، (ص ٣٩).
- (١٠) دولتشاه بن علاء الدولة بختيشاه: تذكرة الشعراء (ص ١٨٩).
- (١١) انظر: بديع الزمان فروزانفر: شرح أحوال ونقد وتحليل آثار شيخ فريد الدين محمد عطار نيشابوري، (ص ٣٨، ٤١).
- (١٢) فريد الدين عطار، تذكرة الأولياء، بسعي واهتمام وتصحيح رنولد آن نيكلسون، النصف الأول، ص (د) من مقدمة القزويني
- (١٣) الأصل الفارسي للعبارة:

- «واين كتاب تذكرة الأولياء نام نهادم» .
- الشيخ أبي حامد محمد بن أبي بكر إبراهيم الشهير بفريد الدين عطار النيسابوري، تذكرة الأولياء بسمى واهتمام وتصحيح رنولد آلن نيكلسون، لندن ١٣٢٢ هـ - ١٩٠٥ م، النصف الأول (ص ٦) من المقدمة .
- (١٤) أحمد ناجي القيسي، عطار نامه أو كتاب فريد الدين العطار النيسابوري وكتابه، منطلق الطير، بغداد ١٣٨٨ هـ، ١٩٧٨ م. الطبعة الأولى (ص ٤٣٥) .
- (١٥) السابق (ص ٤٣٥) .
- (١٦) منهم على سبيل المثال:
- محمد نصير ميرزا حسين شيرازي، آثار عجم، ١٣١٤ هـ. ش (ص ٧٢) .
- رضا قليخان هدايت، تذكرة رياض العارفين، ١٣١٦ هـ. ش، چاپ دوم، (ص ١٨٣)
- سعد نفيسي، جستجو در احوال و آثار تاريخي فريد الدين عطار نيشابوري (ص ١١٠) .
- شبلې للنعماني، شعر العجم يا تاريخ شعرا وادبيات ايران، ترجمة سيد محمد تقى فخر داعى كيلاني، تهران ١٣٢٧ هـ. ش جلد دوم (ص ٨) .
- حمد الله بن أبي بكر المستوفي القزويني، تاريخ كزيده، بسمى واهتمام ادوارد براون انكليسي، جلد اول (ص ٧٤٠) .
- مصطفى بن عبد الله الشهير بحاجي خليفة، كشف الظنون عن اسامي الكتب والفنون، على بتصحيحه وطبعه محمد شرف الدين ياللقا ورفعت بيلكه انكليسي، ١٣٦٠ هـ. ق، ١٩٤١ م، المجلد الأول (ص ٣٨٥) .
- ادوارد جراتنيل براون، تاريخ الأدب في إيران من الفردوسي إلى السعدي، ترجمة الدكتور إبراهيم أمين الشرايبي (ص ٣٨٥) .
- (١٧) انظر فهرست المخطوطات الفارسية بالهيئة المصرية العامة للكتاب .
- (١٨) د. زهرای خانلر (كيا) . فرهنگ ادبيات فارسي دري، ايران، (ص ١٣١) .
- (١٩) د. ذبيح اللخ صفا، تاريخ ادبيات در ايران، چاپ سوم تهران ١٣٣٩ هـ. ش، جلد دوم از موانه قرن پنجم تا آغاز قرن هفتم هجري (ص ١٠٢٢) .
- محمد تقى بهار، سبك شناسي يا تاريخ تطور نثر فارسي، تهران، جلد دوم، (ص ٢٠٥) .
- (٢٠) د. رضا زاده شفق، تاريخ ادبيات ايران، تهران ١٣٢١ هـ. ش. (ص ٢٣٣) .
- (٢١) جستجو در احوال و آثار تاريخي فريد الدين عطار نيشابوري (ص ٤٩) .
- (٢٢) كارنامه بزرگان ايران، ١٣٤٠ هـ. ش، (ص ٢٤٢) .
- (٢٣) جدير بالذكر أن فريد الدين العطار ذكر هذه المنظومة كأحد مؤلفاته في مقدمة منظومته خسرو نامه حيث قال:

مصيبت نامه زاد رهروا نست

الهي نامه كنج خسروا نست

جهان معرفت اسرار نامه است

پهشت اهل دل مخفار نامه است

وترجمتها:

مصوبت نامه زاد السالكين.

لهي نامه كسز الملوک.

اسرار نامه دنيا المعرفة.

وجنة المارفين مختار نامه.

خسرو نامه فرید الدین أبو حامد محمد بن أبو بكر ابراهيم عطار نيشابوري، بتصحيح واقتضام احمد سهيلي خوانساري، تهران (ص ۳۳).

(۲۴) الأصل الفارسي للبيت:

سی سال بجان نشان جانان جستم

من کم شدم ونولفتم او ربابز

نقلاً عن بديع الزمان فروزانفر، شرح احوال ونقد وتحليل آثار شيخ. عطار، (ص ۷).

(۲۵) الأصل الفارسي للبيتين:

هرجان که بره رهمون می نگرَد

چل سال بنیده چدون می نگرَد

چون چل بگشخت آفتاب می بوند

کسز روزن هر ندره بدون می نگرَد

نقلاً عن المرجع السابق (ص ۹).

(۲۶) الأصل الفارسي للبيت:

نو عاشقی ربهفتاد پشت شد چو کمان

توخوش بخفته وهمرت چوتیر رفقه زشت

نقلاً عن المرجع السابق (ص ۱۰).

(۲۷) الأصل الفارسي للبيت:

کسارش پد بد آمد کسان پسر نود ساله

برجست وميسان حالی برهست زناری

نقلاً عن المرجع السابق، (ص ۱۰).

(۲۸) ذكرت معظم المصداير هذه المنظومة على أنها من مؤلفات فرید الدین العطار - وإن كان هناك شك في نسبتها إليه - ومن هذه المصادر على سبيل المثال:

شبلې النصائي، شعر المعجم، (ص ۷).

د. ذبيح الله صفا، تاريخ ادبيات در ايران (ص ۸۶۱).

سعيد نفيسي، جستجو در احوال وآثار تاريخي فرید الدين، (ص ۹۷).

د. اندرارد برون، تاريخ الأدب من الفرديوسي إلى السعدي، ترجمة إبراهيم أمين الشولوي (ص ۶۴۴ و ۶۴۵).

د. ذبيح الله صفا، كنج سخن، شاهران بزرگه پارسى كوی ومنتخب آثار آقان، تهران ۱۳۵۴، چاپ دوم، جلد دوم از نظامی تا جامی، (ص ۱۰۸).

- محمد علي مدرس، ربحانة الأدب في تراجم المعروفين بالكنية واللقب باكلى والقاب، تبريز، چاپ دوم، جلد چهارم، (ص ١٤٥).
- (٢٩) انظر: فريد الدين عطار، تذكرة الاولياء، بسى واهتمام وتصحيح رنولد الن نيكلسون، (ص ١) من المقدمة.
- (٣٠) ص (١٣).
- (٣١) ادوارد براون، تاريخ الأدب من الفرديسي إلى السمدي، ترجمة د. إبراهيم أمين الشواربي (ص ٦٤٤).
- د. عبد الوهاب عزام، التصوف وفريد الدين العطار (ص ٥٥).
- (٣٢) دولتشاه بن علاء الدولة بختيشاه الغازي للمرقدى، تذكرة الشعراء، (ص ١٨٧).
- د. بديع محمد جمعة، منطلق الطير لفريد الدين العطار اللينساورى، مراجعة وتقديم د. عبد اللعيم محمد حسنين، الطبعة الأولى ١٩٧٥م، (ص ٢٣).
- (٣٣) جراهام بيلي، الأدب الإسلامى فى شبه القارة الهندية الباكستانية، قدم له وعلق عليه وأضاف إليه ونقله عن الإنجليزية د. حسين مجيب المصرى، القاهرة ١٩٨٨م، (ص ١٩٥) من التعليقات.
- (٣٤) الأصل الفارسى للجملة: «بعد لزان شرح مقامات وكرلمات وحالات ايشان أعجاز نعيم بعون الله تعالى».
- فريد الدين عطار، تذكرة الاولياء، بسى واهتمام وتصحيح رنولد الن نيكلسون (ص ٧) من مقدمة العطار.
- (٣٥) د. قاسم غنى: تاريخ التصوف فى الإسلام، ترجمه عن الفارسية صادق نشأت، راجعه د. أحمد ناجى القيسى، د. محمد مصطفى مراد ١٩٧٢م، الجزء الثانى، (ص ٥٨).
- (٣٦) د. رضا زاده شفق، تاريخ ادبيات ايران، (ص ١٣٣).
- (٣٧) حاجى خليفه: كشف الظنون عن أسامى الكتب والفنون، (ص ٣٨٥).
- د. سيد عليرضا نقرى، تذكره نويس در هلد وباكستان، ١٣٤٣ هـ.ش، ١٣٨٣ هـ.ق، (ص ٧٥٨).
- أحمد سهيلي خواتسارى: خسرو نامه فريد الدين ابو حامد محمد بن ابو بكر إبراهيم عطار نيشابورى، تهران ١٣٣٩ هـ.ش، (ص ٥٨).
- (٣٨) سعيد نفيسى: جستجو در احوال وآثار تاريخى فريد الدين عطار، (ص ٩١).
- هرمان اته: تاريخ ادبيات فارسى، ترجمة د. رضا زاده شفق، تهران ١٣٥١، (ص ١٥٨)، بديع الزمان فروزانفر، شرح احوال ونقد وتحليل آثار شيخ فريد الدين، (ص ٨٦).
- د. ابراهيم الدسوقى ثنا: التصوف عند الفرس، (ص ٢٠).
- (٣٩) انظر: فريد الدين عطار، تذكرة الأولياء، النصف الأول، ص (٩٠، ٨٠٧) من المقدمة.
- (٤٠) فريد الدين عطار نيسابورى، تذكرة الأولياء، بر رسي، تصحيح متن، توضيحات وفهارس دكتور محمد استعلاى، چاپ دوم: ٢٥٣٥ شاهنشاهى (ص ٢٧) من المقدمة.
- (٤١) السابق، (ص ٢٧، ٢٨) من المقدمة.

Faridu "Ddin" Attar, Tadhkiratu, L- Awliya, Edited in the Original Persian, (٤٢)
With - Preface Indices and Variants By Reynold A. Nicholson, M.A. P - (7).

(٤٣) فريد الدين عطار نيسابوري، تذكرة الأولياء، بررسي، تصحيح متن، توضيحات وفهارس د.
محمد استعلامي، (ص ٣٠).

(٤٤) المرجع السابق، (ص ٢٨).

(٤٥) أحمد ناجي القيسي، (ص ٤٣٨).

(٤٦) المرجع السابق، نفس الصفحة.

(٤٧) المرجع السابق، نفس الصفحة.

(٤٨) الأصل الفارسي للجملة هو:

... اما بسبب تبرك بصادق ايندا كلیم... وچون ازاهل بيت برد وسخن طريقت او بيشدر
كفته است وروايت ازوي بيشتر آمد، كلمه چند از آن او بيا وريم كه ايشان همه يكي اند چون
تكر او كرده، شود از آن همه برده.

فريد الدين عطار، تذكرة الأولياء، للصف الأول، (ص ١٠، ٩).

(٤٩) انظر: فريد الدين عطار، تذكرة الأولياء، بررسي، تصحيح متن، توضيحات وفهارس د.
محمد استعلامي (ص ٢٨، ٢٩).

(٥٠) انظر: المرجع السابق (ص ٣٠، ٣١).

(٥١) فريد الدين عطار، تذكرة الأولياء، للصف الأول، ص (١) من المقدمة.

(٥٢) الفناء: واحد من أسمى للمقامات الصوفية، ويعطى سقوط الأوصاف المضمومة وللبقاء بقيام
الأوصاف المحمودة وفي هذا المقام لا يرى السالك للذمات الظاهرية والموجودات وإنما يرى
باطنها وحقيقتها بقلبه الملكوني لا ارتباطه واتصاله بالمبدأ، وفي هذا المقام يتحرر السالك من
الشهوات والرغبات كلية ويفنى عن نفسه ويدور في فلك عالم الوحدة وتذوب صفاته البشرية
في آثار الربوبية ويفنى عن ذاته وعندئذ يبقى بالحق. انظر: أبي القاسم عبد الكريم بن هوازن
القشيري، الرسالة القشيرية طبعة محمد علي صبيح، (ص ٦١).

د. قاسم غني: بحث در آثار وافكار واحوال حافظ، قسمت أول تاريخ تصوف در اسلام
ونظورات وتغولات مختلفة آن از صدر اسلام تا عصر حافظ، جلد دوم، (ص ١٢٨، ١٢٩).

(٥٣) فريد الدين عطار: تذكرة الأولياء، للصف الأول، (ص ١) من المقدمة.

(٥٤) وحدة الوجود: تعني أن الوجود واحد حقيقي ووجود الأشياء عبارة عن تجلي للحق في صورة
الأشياء، وهي نزهة فارسية هندية نفذت إلى النصوص الإسلامية عن طريق الصوفي أبي
يزيد البهاسمي في أواخر القرن الثالث الهجري الذي قال: أنا الشارب والشارب والساق
وتطورت على يد العلاج الذي اعتقد بأنه لا موجود إلا الله فهو الوجود الحقيقي وما عداه
وجود وهمي لا يقوم إلا به، وروح الشاعر أبو سعيد بن أبي الخير لهذه الفكرة في القرن
الخامس الهجري ثم اكتملت ونضجت على يد محيي الدين بن عربي في القرن السابع
الهجري ونظريته في وحدة الوجود هي: لا موجود إلا الله وهو وحده الوجود الحق والمطلق
ولا موجود سواه ونحن إن كنا موجودين فإنما كان وجودنا به، والحقيقة الوجودية واحدة لا

- كلرة فيها ولا تعدد، وما تراه الحواس من كلارت لا يعمد أن يكون سوراً ومجالى تجلى فيها لذات الالهية.
- انظر: د. سيد جعفر سجادي، فرهنگ لغات واصطلاحات وتجهيزات عرفاني، ١٣٥٤ هـ. ش، چاپ دوم، (ص ٤٨٣).
- إبراهيم حامد المغازي، التصوف في عصر الشبستري، بحث غير منشور للحصول على درجة الدكتوراه في الأدب الفارسي، (ص ٩٧ - ٩٩).
- (٥٥) فريد الدين عطار: تذكرة الأولياء، النصف الأول، ص (١) من المقدمة.
- (٥٦) انظر: السابق، (ص ٣) من المقدمة.
- (٥٧) انظر السابق، نفس الصفحة.
- (٥٨) انظر: السابق، (ص ٤) من المقدمة.
- (٥٩) الجليد: أبو القاسم جنيد بن محمد اللهلوندي ثم البغدادي، أسله من نهاوند وورثته بالمراق، كان أبوه يبيع الزجاج قبله كان يقال له: القوريرى. تفقه على أبي ثور أحد أصحاب الشافعي ببخدا وكان يفتي على مذهب الشافعي، توفي عام ٢٩٨ هـ.
- انظر: أبو بكر ابن هداية لله الحموي الملقب بالسنف، طبقات الشافعية، بخدا ١٣٥٦ هـ، (ص ١٠).
- أبو عبد الرحمن السلمي، طبقات الصوفية، تحقيق نور الدين شروبة، الطبعة الثالثة ١٤٠٦ هـ، ١٩٨٦ م، (ص ١٥٥).
- (٦٠) سورة هود، الآية (١٢٠).
- (٦١) انظر: فريد الدين عطار، تذكرة الأولياء، النصف الأول، (ص ٤) من المقدمة.
- (٦٢) انظر: السابق، نفس الصفحة.
- (٦٣) انظر: فريد الدين عطار: تذكرة الأولياء، النصف الأول، (ص ٤) من المقدمة.
- (٦٤) انظر السابق، نفس الصفحة.
- (٦٥) ورد هذا الحديث في مسند أحمد بن حنبل، بيروت، ١٩٨٥ م، ج ٢، (ص ٥٠).
- (٦٦) فريد الدين عطار: تذكرة الأولياء، النصف الأول (ص ٥) من المقدمة.
- (٦٧) الإمام عبد الرحمن الإسكافي أو الأكافي: اسمه عبد الجبار ويبدو أنه كان معاصراً للسلطان سدر السلجوقي وقتل في أحد الاضطرابات المنحبية.
- فريد الدين عطار، تذكرة الأولياء، برسي، تصحيح متن، توضيحات وفهارس د. محمد استعلامي (ص ٨٢٤، ٨٢٥).
- (٦٨) فريد الدين عطار: تذكرة الأولياء، النصف الأول، (ص ٥) من المقدمة.
- (٦٩) انظر: السابق، نفس الصفحة.
- (٧٠) أبو يوسف الهمداني: هو يوسف بن أيوب ولد ٤٤١ هـ وتوفي ٥٣٥ هـ كان زاهداً وصوفياً، وتعلم الفقه في بخدا ودفن في مرو وله أثران في الحديث هما: منازل السالكين وزينة الحياة.
- فريد الدين عطار، تذكرة الأولياء، برسي، تصحيح متن، توضيحات وفهارس د. استعلامي (ص ٨٢٥).

- (٧١) انظر: فريد الدين عطار، تذكرة الأولياء، النصف الأول، (ص ٥).
- (٧٢) انظر: المرجع السابق، نفس الصفحة.
- (٧٣) انظر: المرجع السابق، (ص ٦).
- (٧٤) انظر: المرجع السابق، نفس للصفحة.
- (٧٥) انظر: المرجع السابق، (ص ٧).
- (٧٦) انظر: السابق، (ص ١٩١).
- (٧٧) انظر: السابق (ص ١٠).
- (٧٨) دولتشاه بن علاء الدولة بختيشاه الغازي السمرقندي، كتاب تذكرة الشعراء، بسمي واهتمام وتصحيح إدوارد برون انكليسي، لندن ١٣١٨هـ / ١٩٠٠م، (ص ١٨٨).
- (٧٩) انظر: الشيخ الإمام شهاب الدين أبي عبد الله باقرت بن عبد الله العموي للرومي البغدادي، كتاب معجم البلدان، على بتصحيحه وترتيب وضعه وكتابة المستدرک عليه محمد أمين الخانجي الكتبي بقرائته على الأديب العموي أحمد بن الأمين الشنقيطي، الطبعة الأولى اختتام سنة ١٣٢٣هـ، وافتتاح سنة ١٩٠٦م، المجلد الثامن، (ص ٣٥٨، ٣٥٩)، بديع الزمان فرورزافر، شرح احوال ونقد وتحليل آثار شيخ عطار، (ص ٣٨).
- (٨٠) انظر: باقرت العموي، معجم البلدان، (ص ٣٥٦: ٣٥٩).
- د. عبد الوهاب عزلم، التصوف وفريد الدين العطار، (ص ٤٦).
- (٨١) دولتشاه بن علاء الدولة بختيشاه: تذكرة الشعراء، (ص ١٩٢) وقطب الدين حيدر واحد من كبار المارفين، يصل نسبه بالإمام عبد الله بن الإمام موسى الكاظم (عليه السلام) وتنسب إليه الجماعة الميمنية ويقال: إنه كان يحمل الحديد في يده كالشمع، توفي عام ٦١٨هـ.
- فريد الدين عطار، خسرو نامه، بتصحيح واهتمام أحمد سهيلي خوانساري (ص ٤٢).
- (٨٢) ملكة على التركي، منظومة الهى نامه للشاعر فريد الدين العطار، بحث غير منشور أعدته للحصول على الدكتوراه فى اللغة الفارسية وأدائها عام ١٩٧٩م، (ص ٢٧).
- (٨٣) الأصل الفارسي للأبيات:
سر برآورده به محبوسى عشق
سيوركرده مکه ومصير ودمشق
كوفه وروى تا خراسان كشته لم
سيحى وجيحووش را بپريده لم
ملك هند وستان وتركىستان زمين
رفته چون لعل خطا از سرى چين
عاقبت كردم به نيشابور جاى
اوفساد از من به عالم ابن صدا
نقلا عن شبلى اللسماني: شعر العجم، (ص ٧).
- (٨٤) على اكبر دمخدا: لغت نامه، زير نظر د. محمد معين، د. سيد جعفر شهيدى، ١٣٤٥هـ ش، (ص ٣١٠).

- (٨٥) فريد الدين عطار، خسرو نامه، بتصحيح واهتمام أحمد سهيلي خوانساري، (ص ٣٦، ٣٧).
وركن الدين أكاف: هو ركن الدين أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الصمد بن أحمد بن علي أكاف كان من كبار الرعاظ ولزهاد، ولد في «سختن» إحدى قرى نيسابور وكان من تلاميذ الشيخ أبي نصر بن أبي القاسم القشوري وتلميذ أبي سعد بن أبي صادق العمري وأبي بكر العمري وإسماعيل بن عبد الغافر الفارسي في الحديث صاحب عبد الملك الطبري في سفره للحج وكان يدرس مختصر أبي محمد عبد الله بن يوسف الشافعي م ٤٣٨هـ في فروع الشافعية هناك، ثم اختار العزلة بعد عودته إلى مكة.
انظر: المرجع السابق، نفس الصفحة.
- (٨٦) رضا قليخان هدايت، مجمع الفصحاء، ١٢٧١هـ، الجزء الأول (ص ٣٦٧).
ومجد الدين البغدادي: هو أبو سعيد مجد الدين شرف بن مزيد البغدادي من كبار مشايخ الصوفية المشهورين، أصله من بغداد التابعة لخورزم، كان أبوه ماهراً في الطب، وكان مجد الدين فريد زمانه في العلم والمعرفة. وهو من تلاميذ شيخ الشيوخ نجم الدين كبرى. يقال: إنهم ألقوه في نهر جيحون متهمونه بملاقة مع والده خوارزمشاه، لكن خوارزمشاه ندم بعد قتله والتحق بخدمة الشيخ نجم الدين كبرى.
انظر: فريد الدين عطار، خسرو نامه، بتصحيح واهتمام لحمد سهيلي خوانساري، (ص ٣٨).
- (٨٧) فريد الدين عطار: خسرو نامه، بتصحيح واهتمام أحمد سهيلي خوانساري (ص ٣٩، ٤١).
ونجم الدين كبرى: هو مرشد الأولياء الشيخ نجم الدين أحمد بن عمر بن مجد بن عبد الله الخبزي القوارزمي الملقب بكبرى من كبار مشايخ الزمان وعارفيه، ولد عام ٥٤٠هـ. قام بالسياحة والتجوال في شبابه وبعد إتمامه التحصيل، وأدرك مجالس كبار العلماء. وكان يتغلب على جميع مناظريه ومناقضيه ولهذا سمي «الطامة الكبرى».
انظر: المرجع السابق، نفس الصفحة.
- (٨٨) محمد علي مدرسي: ربحانة الأدب في تراجم المعروفين بالكنية وللقب ياكئي والقاب، تبريز، چاپ دوم، جلد چهارم (ص ١٤٥).
وقطب الدين حيدر سبق التعريف به.
- (٨٩) فريد الدين عطار، تذكرة الأولياء، النصف الأول، (ص ٥٦).
(٩٠) السابق (ص ٢) من المقدمة.
(٩١) السابق نفس الصفحة.
(٩٢) ج ٢. صود (١٠٤٢).
(٩٣) فريد الدين عطار، تذكرة الأولياء، بررسي، تصحيح متن، توضيحات وفهارس د. محمد استعلامي (ص ١٣).
(٩٤) انظر: حاجي خليفة: كشف الظنون، ج ٢ (صود ١٤٨٦).
(٩٥) فريد الدين عطار: تذكرة الأولياء، بررسي، تصحيح متن، توضيحات وفهارس د. محمد استعلامي، (ص ١٣).
(٩٦) فريد الدين عطار، تذكرة الأولياء، النصف الأول، (ص ٥).

- (٩٧) فريد الدين عطار: تذكرة الأولياء، بررسی، تصحيح متن، توضیحات وفهرس د. اسمعلائی (ص ١٢).
- (٩٨) انظر: السابق (ص ١٥، ١٤).
- (٩٩) انظر: السابق (ص ١٨).
- (١٠٠) انظر: السابق (ص ١٨).
- (١٠١) المرجع السابق: نفس الصفحة.
- (١٠٢) المرجع السابق (ص ١٩).
- (١٠٣) المرجع السابق، نفس الصفحة.
- (١٠٤) للمرجع السابق، نفس الصفحة.
- (١٠٥) ذكر فريد الدين العطار الهجویری فی موضعین من كتابه.
- النصف الأول (ص ٢٠٨)، النصف الثاني (ص ٦٨).
- (١٠٦) دولتشاه بن علاء الدولة بختیشاه: تذكرة الشعراء (ص ١٨٨).
- د. أحمد مومض، شاعر الصوفية فريد الدين العطار وقصائده رابعة ويكتاش، (ص ٢٤).
- (١٠٧) دولتشاه بن علاء الدولة بختیشاه: تذكرة الشعراء، (ص ١٨٧).
- سعيد نفیسی: جستجو در احوال وآثار تاریخی فريد الدين عطار، ص (٩١).
- (١٠٨) بدیع الزمان فروزنگر: شرح احوال ونقد وتعلیل آثار فريد الدين عطار، (ص ٣٨).
- (١٠٩) انظر: فريد الدين عطار، تذكرة الأولياء، النصف الأول (ص ٣، ٢) من المقدمة.
- (١١٠) انظر: المرجع السابق، نفس الصفحة.
- (١١١) انظر: المرجع السابق، نفس الصفحة.
- (١١٢) انظر: المرجع السابق، نفس الصفحة.
- (١١٣) انظر: المرجع السابق، (ص ٣).
- (١١٤) انظر: المرجع السابق، (ص ٣) من المقدمة.
- (١١٥) انظر: المرجع السابق، نفس الصفحة.
- (١١٦) انظر: المرجع السابق، نفس الصفحة.
- (١١٧) الأصل الفارسی للعبارة:
- آن سلطان دنیا ودين، آن سيمرغ قاف يقين، آن كنج عالم عزلت، آن خزينة سراي دولت،
آن شاه اقليم اعظم، آن پرونده لطف وكرم، پيروقت ابراهيم بن ادم رحمة الله عليه.
- فريد الدين عطار، تذكرة الأولياء، النصف الأول، (ص ٨٥).
- (١١٨) الأصل الفارسی للعبارة:
- مفتی وقت بود وصديق دولت بود وحجت وپرهان روزگار بود ودار انواع معاملات ملت
واسناف حقایق حظي تمام داشت ومقبول همه بود،
انظر: فريد الدين عطار: تذكرة الأولياء، النصف الأول، (ص ٨٥).
- (١١٩) الأصل الفارسی للعبارة: فسنبل عياض در بافته بود، ومريد خال خود بود علي بن حشرم،
ودر علم اصول وفروع عالم بود، مولد لو از مسرود بود، ببغداد شمسئی فريد الدين عطار،
تذكرة الأولياء، النصف الأول (ص ١٠٦، ١٠٧).

- (١٢٠) القصة في الأدب الفارسي، (ص ٨٨).
- (١٢١) انظر: السابق، (ص ٨٩، ٩٠).
- (١٢٢) شرح أحوال ونقد وتحليل آثار فريد الدين، (ص ٥٢).
- (١٢٣) انظر: فريد الدين عطار، تذكرة الأولياء، النصف الأول، (ص ٤١).
- (١٢٤) انظر: السابق (ص ٢١، ٢٢).
- (١٢٥) انظر: فريد الدين عطار، تذكرة الأولياء، النصف الأول، (ص ٣٣٦).
- (١٢٦) للمرجع السابق (ص ٩٦).
- (١٢٧) للمرجع السابق (ص ٤٤).
- (١٢٨) انظر: المرجع السابق، (ص ٦١).
- (١٢٩) انظر: للمرجع السابق (ص ١٥٩).
- (١٣٠) المرجع السابق (ص ١٧٩).
- (١٣١) شرح أحوال ونقد وتحليل آثار فريد الدين، (ص ٥١).
- (١٣٢) المرجع السابق (ص ٥١).
- (١٣٣) انظر: للمرجع السابق، (ص ٨٧).
- (١٣٤) انظر د. ذبيح الله صفا، تاريخ ادبيات در ايران، جلد دوم، (ص ٨٧٨: ٨٧٩).
- (١٣٥) تحول اللار منذ أواسط القرن الخامس وحتى أوائل القرن السابع من نثر بسيط ملي إلى نثر متكلف مصنوع يمزج كثيراً بالعربية وترك الكتلاب الإيجاز واهتموا بالإطناب والوصف والتجميل وظهرت الألفاظ والتراكيبات والاصطلاحات الجديدة وراج استعمال الشعر ضمن اللار.
- انظر: للمرجع السابق، (ص ٨٧٩، ٨٨٠).
- (١٣٦) يدسم الأسلوب في العهد الساماني بأنه كان بسيطاً وموجزاً وغير مصطنع ومرسلاً وكانت تختلط فيه الألفاظ للفارسية بالعربية.
- انظر: محمد تقى بهار (ملك الشعراء)، سبك شناسى باتاريخ تطور نثر فارسى، تهران، جلد دوم، (د) من المقدمة، (ص ٢٠٥).
- (١٣٧) انظر: فريد الدين عطار: تذكرة الأولياء، بررسى، تصحيح متن، توضيحات وفهارس د. محمد استعلامى، (ص ٢٤).
- (١٣٨) فريد الدين عطار، تذكرة الأولياء، للنصف الأول، ص ٥٠، من مقدمة القزوينى.
- (١٣٩) انظر: للمرجع السابق، (ص ك) من مقدمة القزوينى.
- (١٤٠) فريد الدين عطار، تذكرة الأولياء، بررسى، تصحيح متن، توضيحات وفهارس، د. محمد استعلامى، (ص ٢٧).
- (١٤١) فريد الدين عطار، تذكرة الأولياء، للنصف الأول (ص ٢٠).
- (١٤٢) انظر: للمرجع السابق، (ص ٥).
- (١٤٣) انظر: للمرجع السابق، (ص ك) من مقدمة القزوينى.
- (١٤٤) للمرجع السابق، (ص ١٩٣).

Faridu "Din" Attar, Tadkiratu "L - Awliya' With Preface BY (١٤٥)
Nicholson, M.A.P. (d)

- (١٤٦) تذكرة الأولياء، النصف الأول، (ص ١٨٠).
(١٤٧) انظر: المرجع السابق، (ص ٣٩).
(١٤٨) انظر: تذكرة الأولياء، النصف الأول، (ص ١٨).
(١٤٩) للمرجع السابق (ص ٢٩).
(١٥٠) انظر: السابق، (ص ٣٠).
(١٥١) انظر: السابق، (ص ٢٢).
(١٥٢) انظر: السابق، (ص ٢٩).
(١٥٣) السابق (ص ١٥).
(١٥٤) انظر: السابق، (ص ٣٩).
(١٥٥) انظر: السابق، (ص ٦٣).
(١٥٦) انظر: السابق، نفس الصفحة.
(١٥٧) السابق (ص ٣٤).
(١٥٨) انظر: السابق، (ص ٩٨).
(١٥٩) انظر: السابق، (ص ١٣٨).
(١٦٠) انظر: السابق، (ص ١٤٦).
(١٦١) السابق (ص ١٠٥).

Faridu "Din" Attar, Tadkiratu "L - Awliya' With Preface BY (١٦٢)
Nicholson, M.A.P. (9).

- (١٦٣) تذكرة الأولياء، النصف الثاني، (ص ١٩٦).
(١٦٤) انظر: المرجع السابق، (ص ١٦٤).

Faridu "Din" Attar, Tadkiratu "L - Awliya' With Preface BY (١٦٥)
Nicholson, M.A.P. (10).

- (١٦٦) تذكرة الأولياء، النصف الأول، (ص ١٦٤).
(١٦٧) انظر: المرجع السابق، (ص ٢٤٤).
(١٦٨) Tadhiratu' L - Awliya, With Preface By Nicholson M.A. P -- (10)
(١٦٩) تذكرة الأولياء، النصف الأول، (ص ٣١).
(١٧٠) انظر: المرجع السابق، (ص ١٣٤).
(١٧١) السابق (ص ١١٤).
(١٧٢) تذكرة الأولياء، النصف الثاني، (ص ١٤٠).
(١٧٣) تذكرة الأولياء، النصف الأول، (ص ١١٥).
(١٧٤) الالتفات هو أن ينتقل المتحدث من الحديث عن المخاطب إلى الغائب، ومن الغائب إلى المخاطب وأمثال ذلك.

- انظر: محمد بن عمر الرادوياني، كتاب ترجمان البلاغة، باهتمام وتصحيح حواشي وتوضيحات احمد آتش، استانبول ١٩٤٩ هـ، (ص ٧٩).
- (١٧٥) تذكرة الأولياء، النصف الثاني، (ص ١٤٠).
- (١٧٦) انظر: المرجع السابق، (ص ١٤٥).
- (١٧٧) تذكرة الأولياء، النصف الأول، (ص ك) من مقدمة القزويني.
- (١٧٨) المرجع السابق، (ص ٩٣).
- (١٧٩) السابق (ص ١١٣).
- (١٨٠) المرجع السابق، (ص كا) من مقدمة القزويني.
- (١٨١) المرجع السابق، (ص ٤٢).
- (١٨٢) السابق (ص ١٩١).
- (١٨٣) المرجع السابق، (ص ٢٩٩).
- (١٨٤) المرجع السابق، (ص ٢٦).
- (١٨٥) المرجع السابق، (ص ٣٢٤).
- (١٨٦) المرجع السابق، (ص كب) من مقدمة القزويني.
- (١٨٧) السابق: (ص ٢٠٠).
- (١٨٨) السابق: (ص ٣٢٩).
- (١٨٩) المرجع السابق، (ص كج وكذ) من مقدمة القزويني.
- (١٩٠) السابق: (ص ك)، من مقدمة القزويني.
- (١٩١) المرجع السابق، نفس الصفحة.
- (١٩٢) المرجع السابق، نفس الصفحة.
- (١٩٣) السابق: (ص ٧٤).
- (١٩٤) السابق، (ص ١٣٤، ٢٣٥).
- (١٩٥) بهار: سبك شناسي، (ص ٢٠٦) والترصيع معناه في اللغة غرس الجوهر ومعناه في الاصطلاح هو أن يأتي الشاعر في مصرعي بيته أو الكاتب في شقّي عبارته بكلمات متقابلة متففة في الوزن والحرف الأخير.
- انظر: محمد بن عمر الرادوياني، ترجمان البلاغة، باهتمام وتصحيح حواشي وتوضيحات أحمد آتش، (ص ٧).
- (١٩٦) تذكرة الأولياء، النصف الأول، (ص ٢٩٤).
- (١٩٧) السابق (ص ٤٠، ٤١).
- (١٩٨) المرجع السابق، (ص ٣١٦).
- (١٩٩) بهار سبک شناسی، (ص ٢١٠).
- (٢٠٠) منهم على سبيل المثال:
- شبهلى النعماني: شعر المعجم، (ص ٨).
- أحمد سهيلي خوانساري: خسرونامه فريد الدين عطار، (ص ٥٨). بدیع الزمان فروزانفر:

- شرح احوال ونقد وتحليل آثار فريد الدين، (ص ٨٨). رضا زاده شفق: تاريخ الأدب الفارسي، ترجمة محمد موسى هند أوى، (ص ١٢٠).
- (٢٠١) حاجي خليفة: كشف الظنون، المجلد الثاني، ١٩٤٣ - ١٣٦٢ هـ، عمود (١٥٦٢).
- (٢٠٢) د. ذبيح الله صفا، تاريخ ادبيات در ايران، جلد اول از آغاز عهد اسلامي تا دوره سلجوقي، تهران ١٣٤٢ هـ. ش چاپ چهارم، (ص ٢٥٧).
- (٢٠٣) جامي، نفعات الانس، (ص ٢٨٣).
- (٢٠٤) أبو نصر السراج الطوسي، اللمع، حققه وقدم له وخرج أحاديثه د. عبد الحليم محمود، طه عبد الباقي سرور، مصر ١٣٨٠ هـ - ١٩٦٠، (ص ١٤).
- (٢٠٥) انظر المرجع السابق، (ص ١٠).
- (٢٠٦) انظر فهرس اللمع، (ص ٦٣٧: ٦٤٦).
- (٢٠٧) الهجویری، كشف المحجوب، دراسة وتطبيق د. إسعاد عبد الهادي (ص ١٥٤).
- (٢٠٨) حاجي خليفة، كشف الظنون، ١، عمود (٤١٩).
- (٢٠٩) أبو بكر محمد الكلایادی، التعرف لمذهب أهل التصوف، حققه وعرف بأعلامه وقدم له د. عبد الحليم محمود طه عبد الباقي سرور، القاهرة ١٣٨٠ هـ - ١٩٦٠ م (ص ١٦٢).
- (٢١٠) التعرف لمذهب أهل التصوف (ص ١٦٢).
- (٢١١) انظر: فهرس موضوعات التعرف لمذهب أهل التصوف، (ص ١٦٥ وما بعدها).
- (٢١٢) التعرف، (ص ١٦٣).
- (٢١٣) انظر: المرجع السابق، (ص ١٦٣).
- (٢١٤) أبو عبد الرحمن السلمي، طبقات الصوفية، تحقيق نور الدين شريفة، القاهرة ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م، الطبعة الثالثة، (ص ١٦) من مقدمة المحقق.
- (٢١٥) حاجي خليفة، كشف الظنون، (عمود ١١٠٤).
- (٢١٦) أبو عبد الرحمن السلمي، طبقات الصوفية، تحقيق نور الدين شريفة، (ص ١٩)، من مقدمة المحقق.
- (٢١٧) جامي، نفعات الأنس (ص ٣١١).
- (٢١٨) أبو عبد الرحمن السلمي، طبقات الصوفية، (ص ٥٠) من مقدمة نور الدين شريفة.
- (٢١٩) د. قاسم غني: بحث در آثار وافكار واحوال حافظ، تهران ١٣٤٠ هـ. ش، جلد دوم (ص ٤٧٦).
- (٢٢٠) حاجي خليفة: كشف الظنون، عمود (٦٨٩).
- (٢٢١) د. قاسم غني: تاريخ التصوف في الإسلام، ترجمة صادق نشأت، راجعه د. أحمد ناجي القيسي، د. محمد مصطفى حلمي، ٢، (ص ٧٥٠).
- (٢٢٢) انظر: د. قاسم غني، بحث در آثار وافكار واحوال حافظ، جلد دوم، (ص ٤٧٥).
- (٢٢٣) حاجي خليفة، كشف الظنون، عمود (٦٨٩).
- (٢٢٤) حاجي خليفة، كشف الظنون، عمود (٨٨٢).
- (٢٢٥) انظر: الهجویری، كشف المحجوب، دراسة وتطبيق د. إسعاد عبد الهادي، (ص ١٥٧).

- (٢٢٦) جامي، نفحات الأنس، ص (٣١٣).
- (٢٢٧) أبو القاسم عبد الكريم بن هوازن القشيري، الرسالة القشيرية وعليها هوامش من شرح زكريا الأنصاري رحمه الله، القاهرة طبعة محمد علي صبيح وأولاده، ص (٢).
- (٢٢٨) انظر: فهرست موضوعات الرسالة القشيرية، (ص ٣٢٤ وما بعدها)، كشف الظنون، (ص ٨٨٢)، تاريخ التصوف في الإسلام، (ص ٧٥١).
- (٢٢٩) حاجي خليفة، كشف الظنون، عمود (٨٨٢).
- (٢٣٠) انظر: صفا، تاريخ ادبيات، ح ٢، (ص ٨٨٩).
- (٢٣١) حاجي خليفة، كشف الظنون، عمود (١٠٨٠).
- (٢٣٢) انظر: أبو الفرج عبد الرحمن بن الجوزي، صفة الصفوة ضبطها وكتبها هوامشها إبراهيم رعمضان وسعيد اللحام، بيروت ١٤٠٩ هـ - ١٩٨٩ م، الطبعة الأولى، الجزء الأول (ص، ب) من ترجمة المؤلف.
- (٢٣٣) انظر: المرجع السابق، ح ١، ص (١٣:٥)، حاجي خليفة، كشف الظنون، عمود (٦٨٩).
- (٢٣٤) انظر: ابن الجوزي، صفة الصفوة، (ص ١٤: ١٦).
- (٢٣٥) حاجي خليفة، كشف الظنون، (عمود ١٠٨٠).
- (٢٣٦) د. قاسم غني، تاريخ التصوف في الإسلام ح ٢، (ص ٧٥١).
- (٢٣٧) انظر: الهجويزي، كشف المحجوب، دراسة وترجمة د. إسعاد عبد الهادي، (ص ٥٧: ٦٥).
- (٢٣٨) انظر: المرجع السابق، (ص ١١٩).
- (٢٣٩) انظر ابن الجوزي، صفة الصفوة، فهرست الموضوعات، (ص ٣٩٤، ٦٧١) وما بعدها.
- (٢٤٠) د. قاسم غني، تاريخ التصوف في الإسلام، ح ٢، (ص ٧٥١).
- (٢٤١) انظر: المرجع السابق، ص (٧٥٥).
- (٢٤٢) محمد بن المنور بن أبي سعيد بن طاهر بن أبي سعيد بن أبي الخير، أسرار التوحيد في مقامات الشيخ أبي سعيد، ترجمة د. إسعاد عبد الهادي فنديل، مراجعة د. يحيى الغضاب، (ص ٦) من مقدمة المترجم.
- (٢٤٣) انظر: المرجع السابق، (ص ٩، ١١).
- (٢٤٤) حاجي خليفة، كشف الظنون، ح ٢، عمود (١٩٦٧).
- (٢٤٥) الهجويزي، كشف المحجوب، دراسة وتعليق د. إسعاد عبد الهادي، ص (١٦٣).
- (٢٤٦) جامي، نفحات الأنس، ص (١٦٤).
- (٢٤٧) كشف المحجوب، دراسة وتعليق د. إسعاد عبد الهادي فنديل، ص (١٦٣).
- (٢٤٨) انظر: محمد علي مدرسي، ربحانة الأدب، جلد چهارم، چاپ دوم، تبريز، (ص ٢٥٠: ٢٥٣).
- (٢٤٩) اللص الفارسي للعبارة: نقلت كه كفت: خواسم تا از حق تعالی درخواهم، مؤنت زنان ازمن كفايت كند، بس كفتم: روايتود اين، خواستن كه پيغمبر عليه السلام نحواست، بدین حرمت داشت پيغمبر حق تعالی آنرا كفايت كرد، بیش من چه زنی چه ديواری هرد ويکی است.
- (٢٥٠) اللص الفارسي للعبارة: 'وگفت: روزی طعامی بر من عرضه کردند، منع کردم، چهارده روز کرسنه ماندم، از شومی آنک منع کردم.

- (۲۵۱) النص الفارسی للمبارة: «كُفْتُ: اَنْ درویشی که زن کرد در کوشی نشست، و چون فرزندان آمد، غرق شد».
- (۲۵۲) النص الفارسی للمبارة: «كُفْتُ: رضا شاد بودن دلست در تلخی قضاء».
- (۲۵۳) النص الفارسی، ابو عثمان حیرری کوید: که روزی در پیش ابو حفص می رفتم، میونیری چند دیدم پیش او نهاده، یکی برداشتم، و در دهان نهادم، حلق مرا بگرفت، و گفت: ای خاین، میوز من بخوردی، از چه وجه؟ گفتم: من از دل تو دانم، بر تو اعتماد دارم، و نیز دانستم که هر چه داری، ایشارکنی، گفت: ای جاهل، من بر دل خویش اعتماد ندارم، تو بر دل من چون اعتماد داری؟».
- (۲۵۴) النص الفارسی للمبارة: «سری كُفْتُ: چون خیر می یابم، که مرد مان بر من می آید، تا از علم آموزند، دعا گویم: یا رب تو ایشانرا علمی عطاکن، کی مشغول گرداند، تا من ایشانرا بکار نیابم، که من دوست ندارم، کی ایشان سوی من آید».
- (۲۵۵) النص الفارسی للمبارة: «وَكُفْتُ: تجلی بر سه حال است: تجلی ذات و آن مکاشفه است، و تجلی صفات و آن موضع نور است، و تجلی حکم ذات و آن آخرت است، و ما فيها».
- (۲۵۶) النص الفارسی للمبارة: «برسیدند که اول درجه کی عارف روی بدانجا نهد چیمت؟ گفت: تحیر، بعد از آن افتقار، بعد از آن اتصال، بعد از آن حیرت».
- (۲۵۷) النص الفارسی للمبارة: «واحمد خضرویه كُفْتُ: ابراهیم مردی را در طرف كُفْتُ: درجه صالحان نیایی، تا از شش عقیه نگذری، یکی آنک در نعمت برخورد ببندی، و در محنت بر خود بکشائی، و در عز بر بندی، و در ذل بکشائی، و در خواب بر بندی، و در بیداری بکشائی، و در توانگری ببندی، و در درویشی بکشائی، و در اهل ببندی، و در اجل و در آراسته بودن و در ساختگی کردن مَرَك بکشائی».
- (۲۵۸) النص الفارسی للمبارة: «وَكُفْتُ: هیچیز دوست ترا زهمان ندارم، از بهر آنک روزی و مؤنت او بر خدای است، و من در میان هیچ کس نیم، و مزد و ثواب مرا».
- (۲۵۹) النص الفارسی للمبارة: «وَكُفْتُ: در چهار موضع نفس خود را بازجوی، در عمل صالح بی ریا، و در گرفتن بی طمع، و در دادی بی ملت، و در نگاه داشتن بی بخل».
- (۲۶۰) النص الفارسی للمبارة: «وَكُفْتُ: مبتلا نکرد اند حق تعالی هیچ بنده را بچیزی سخت تر از غفلت و سخت دلی».
- (۲۶۱) الأصل الفارسی للمبارة: «وَكُفْتُ: هر که صبر کند بر صبر خویش او صابر بود، نه آنک صبر کند و شکایت کند».
- (۲۶۲) الأصل الفارسی للمبارة: «وَكُفْتُ: سه خصلت از صفت اولیاست: اعتماد کردن بر خدای در همه چیزها، و بی نیاز بودن بدو از همه چیزها، و رجوع کردن بدو در همه چیزها».
- (۲۶۳) الأصل الفارسی للمبارة: «كُفْتُ: مرد در کدام وقت درد و سستی حق بغایت برسد؟ كُفْتُ: چون منع و عطا هر دو یکی برو یکسان شوند، بنایت محبت رسیده است».
- (۲۶۴) الأصل الفارسی للمبارة: «وَكُفْتُ: دیگری بخوابش دید، گفت: خدای باتو چه کرد؟ كُفْتُ: مرا بپامرزید، و یک نیمه از بهشت مرا مباح کرد انید، و مرا كُفْتُ: یا بشر، تا بودی، اگر مرا در آتش سجده کردتی، شکر آن نکراردی، که ترا در دل بندگان خود جای دادم».

(۲۶۵) الأصل الفارسی للعبارة: بارد یگر برسیدند از علامت توکل، کُفت: خلع ارباب، وقطع اسباب، کُفتند: زیادت کن، کُفت: انداختن نفس در عبودیت، و بیرون آوردن نفس از ربوبیت.

(۲۶۶) الأصل الفارسی للعبارة: وکُفت: حکمت سخن گوید دردل عارفان بزبان تصدیق، ودر دل زاهدان بزبان تعصیل، ودر دل عابدان بزبان ترفیق، ودر دل مریدان بزبان تفکر، ودر عالمان بزبان تذکره.

(۲۶۷) الأصل الفارسی للعبارة: نقلت که خواص کُفت: درتیه بنی اسرائیل می رفتم، مردی با من می رفت، الهامی بدل من آمد، که او خضر است، کُفتم: بحق حق کی بکوی، که ترا نام چیست؟ کُفت: برادر تو خضر است کُفتم: در شافعی چه گوئی؟ کُفت: از اورتا است کُفتم: در احمد حنبل چگوئی؟ کُفت: از صد یقا نست. کُتم: در بشر چگوئی؟ کُفت از بهن او چون او نبود.

(۲۶۸) الأصل الفارسی للعبارة: وعنايت حق تعالی در حفظ او چندان بود که، چون دست بطعامی بردی، که شبهت درو بودی، رگی در پشت انکشت او کشیده شدی، چنانکه انکشت فرمان او نبردی، او بدانستی، که آن لقمه بوجه نیست.

(۲۶۹) الأصل الفارسی للعبارة: وکُفت: تصوف نا میست سه معنی را: یکی آنک معرفش نور ورع فرونگورد، ودر عالم باطن هیچ نگوید که نقض ظاهر کتاب بود، وکرامات اورا بدان دارد که مردم باز دارد از محارم.

(۲۷۰) الأصل الفارسی للعبارة: ودر تقوی چنان بود که شبی بر بالین دوستی بود، در حالت نزع، چون آن دوست وفات کرد، چراغ بنشانند، وکُفت: این ساعت این چراغ وارث است، ما را روا نباشد سوختن.

(۲۷۱) الأصل الفارسی للعبارة: وکُفت: حق را بخواب دیده، پرسیدم، که راه بتو چو نیست؟ کُفت: ترک خود کوی که بمن رسیدی.

(۲۷۲) الأصل الفارسی للعبارة: وکُفت: جوع نزدیک خدای از خزانه مدخر که نهدد بکسی الا بدان که او رادوست دارد.

(۲۷۳) الأصل الفارسی للعبارة: و نقلت که در خرید و فروخت خرده نیم سود نخواستی، یکبار بشصت دینار بادام خرید بادام گران شد، دلال بیامد، وکُفت: بفروش، کُفت: بچند؟ کُفت: بشصت و سه دینار، کُفت: بهاء بادام امروز نود دینار است، کُفت: قرار من اینست که هرده دینار نیم دینار بیش ستانم، من عزم خود نقض نکتم، دلال کُفت: من نیز روا ندارم که کالای تو بکم بفروشم، نه دلال فروخت، و نه سری روا داشت.

(۲۷۴) الأصل الفارسی للعبارة: «ابو العباس سیرمی گوید: کجا بر تراب در بادیه بودم، یکی از یاران کُفت: مرا تشنه است. بای بر زمین زد، چشمه آب پدیدامد، مرد کُفت: مرا چنان آرزوست که بقدر بخورم، دست بر زمین زد، قد حی برآمد، از آبکینه سبید که از آن نیکوتر نباشد، وی از آن آب بخورد، و یاران آب داد، و آن قدح تا همگه با ما بود.

(۲۷۵) انظر: سبک شناسی، جلد دوم، (ص ۲۰۶).

- (٢٧٦) انظر، السابق، (ص ٢٠٦ - ٢٠٩).
- (٢٧٧) أبو الحسن على بن عثمان الجلابى الهجرى: كشف المحجوب، از روى متن تصحيح شده والدين زو كوكسكى، ترجمة مقدمة مفصل روسى بفارسى با تحقيقات نوين راجع به مصنف وآثار روى ويحث تاريخى در باره تجليات تصوف ايرانى بانضمام فهرستهاى هفتگانة وللحاق دو فهرست بقلم: محمد عباس ١٣٣٦ هـ. ش، (ص ٣٢).
- (٢٧٨) انظر، سبك شناسى، جلد دوم، (ص ٢١٠ - ٢٢١).
- (٢٧٩) محمد بن مدرابى سعيد بن ابى طاهر بن ابى سعيد مهيلى: أسرار اللوحيد، باهتمام د. ذبيح الله صفا، تهران، ١٣٣٢ هـ. ش.
- (٢٨٠) انظر: للمع: (ص ١٨)، من مقدمة المؤلف، كشف المحجوب، ص (١٨١).
- (٢٨١) انظر: التعرف لمنهـب أهل التصوف، (ص ٧).
- (٢٨٢) انظر: تذكرة الأولياء: النصف الأول، ص (٢).
- (٢٨٣) انظر، كشف المحجوب، ترجمة د. إسعاد عبد الهادى قنديل، (ص ١٨٢، ١٨٣).
- (٢٨٤) تذكرة الأولياء، النصف الأول، (ص بط) من مقدمة القزوينى.
- (٢٨٥) سعيد نفيسى، جستجو در احوال، (ص ١١٠) وهذا الرأى بالطبع يستحق المناقشة إلا أنه يشير لأهمية نثر تذكرة الأولياء.
- (٢٨٦) يبدع الزمان فروزانفر، شرح أحوال، (ص ٨٧).
- (٢٨٧) انظر: أحمد ناجى القيسى، عطار نامه، (ص ٤٤٣، ٤٤٤)، تذكرة الأولياء، بررسى تصحيح متن د. استعلامى (ص ٣٠، ٣١).
- (٢٨٨) انظر: شهيدة العشق الإلهى، رابعة العدوية، الكويت ١٩٧٨، الطبعة الرابعة، (ص ١٤٦: ١٦١).
- (٢٨٩) عطار نامه، (ص ٤٤٥).
- (٢٩٠) انظر: أحمد ناجى القيسى، عطار نامه، (ص ٤٤٥)، تذكرة الأولياء، بررسى د. استعلامى، (ص ٣٢).
- (٢٩١) انظر: المرجعان السابقان، نفس الصفحات.
- (٢٩٢) أحمد ناجى القيسى، عطار نامه، (ص ٤٤٥).
- (٢٩٣) انظر: المرجع السابق، (ص ٤٤٦).
- (٢٩٤) انظر، سعيد نفيسى، جستجو در احوال عطار، (ص ١١١).
- (٢٩٥) انظر: تذكرة الأولياء، النصف الأول، (ص ١٣٦).
- (٢٩٦) انظر: المرجع السابق، (ص ١٠٤، ١٠٥).
- (٢٩٧) عطار نامه (ص ٤٤٦).
- (٢٩٨) انظر: عطار نامه (ص ٤٤٧)، تذكرة الأولياء، بررسى د. استعلامى، (ص ٣٢).
- (٢٩٩) انظر: عطار نامه (ص ٤٤٧).
- (٣٠٠) انظر: المرجع السابق (ص ٤٤٧: ٤٤٩).
- (٣٠١) فريد الدين العطار، تذكرة الأولياء، بررسى د. استعلامى (ص ٨٣٤).

- (٣٠٢) انظر: تذكرة الأولياء، النصف الأول، (ص ٢٧٥).
- (٣٠٣) انظر المرجع السابق، (ص ٣٣٢).
- (٣٠٤) انظر: المرجع السابق، (ص ٩٦).
- (٣٠٥) انظر: المرجع السابق، نفس الصفحة.
- (٣٠٦) انظر: المرجع السابق، (ص ٢١٣).
- (٣٠٧) انظر: المرجع السابق، (ص ٢٥٣).
- (٣٠٨) انظر: المرجع السابق، (ص ٣١٢).
- (٣٠٩) انظر: المرجع السابق، (ص ١٥٦).
- (٣١٠) انظر: المرجع السابق، (٢١٩).
- (٣١١) انظر: المرجع السابق، (ص ٨٤).
- (٣١٢) انظر: حيلة الأولياء، ح.٨، (ص ١٠٩).
- (٣١٣) انظر: تذكرة الأولياء، النصف الأول (ص ٣٣٣).
- (٣١٤) انظر كشف المحجوب، ص (٣٣٦).
- (٣١٥) انظر: تذكرة الأولياء، النصف الأول (ص ٢٢٨).
- (٣١٦) حلية الأولياء: ح.١٠، (ص ٧٥).
- (٣١٧) تذكرة الأولياء، النصف الأول، (ص ٢٣).
- (٣١٨) ص (٢٥).
- (٣١٩) تذكرة الأولياء، النصف الأول، (ص ٣٠٤).
- (٣٢٠) ح.١٠، (ص ٦٨).
- (٣٢١) نقلا عن تذكرة الأولياء، النصف الأول، (ص ٤) من مقدمة القريظي.

القسم الثاني

مقدمة مخطوطات الكتاب وطبعاته

١ - مخطوطات الكتاب:

هناك العديد من النسخ الخطية لكتاب «تذكرة الأولياء» هي نسخ:

- المتحف البريطاني.

- ريو ١٩٠٦، ١٩ إضافي القرن ١٤ م.

- المتحف البريطاني ١٦، ٧٣١ إضافي القرن ١٧ م.

- مجموعة المرحوم براون كمبرج رقم ٧ - ١٤ سنة ١٣٠٧ .

- نفسها رقم ١٢٧ .

- نفسها رقم ١٢٨ .

- نفسها رقم ٢٢١ .

- نفسها رقم جي ٣ - ٧ سنة ١٢٩٧ (مكتوبات).

- نفسها رقم جي ٤ - ٩ سنة ١٢٦٩ (مختصرة).

- جامعة كمبرج - ملحق رقم ٢٩١ .

- مجموعة شفر رقم ٣٨١ - قرن ١٣ .

- نفسها رقم ١٤٦٦ سنة ٩٨٨ .
- المكتبة الوطنية باريس ٢٣٠٦ سنة ١٢٢٤ .
- نفسها رقم ٤٠٣ سنة ١١٥٩ .
- نفسها رقم ٤٠٤ - القرن ١٣ - ١٤ .
- نفسها رقم ٤٠٥ سنة ٨٨٨ .
- نفسها رقم ٤٠٦ - القرن ١٦ .
- نفسها رقم ٤٠٧ سنة ١٠٤٩ .
- نفسها رقم ٤٠٨ - القرن ١٣ .
- نفسها رقم ١٥٣ - القرن ١٨ (منتخبات) .
- ديوان الهنداته رقم ١٠٥١ سنة ١٠٩١ .
- نفسها رقم ١٠٥٢ (٧٠ ترجمة) .
- نفسها رقم ١٠٥٣ (٧٠ ترجمة) .
- نفسها رقم ١٠٥٤ (قطعة منه) .
- بانكيبور الهند - رقم ٦٥٩ سنة ٧٢٤ (جزآن) .
- نفسها رقم ٦٦٠ سنة ٨٣٠ .
- نفسها رقم ٦٦١ سنة ٩٣٩ .
- البودلية سخاور رقم ٦٢٢ عليها ختم ١٠٢٠ (جزآن) .
- نفسها رقم ٦٢٣ سنة ١٠٢٦ - ١٠٢٧ .
- نفسها رقم ٦٢٤ سنة ١٠٧٨ .
- نفسها رقم ٦٢٥ مجلدان .

- بودلية بيستن رقم ٢٥٦٧ سنة ٦٩١ (٧٢ ترجمة) .
- نفسها رقم ٦٥٦٨ سنة ٦٩٥ (٧٢ ترجمة) .
- نفسها رقم ٦٥٦٩ سنة ٩٨٧ (٩٦ ترجمة) .
- نفسها رقم ٦٥٧٠ - القرن ١٩ .
- طاشقند رقم ٢٢١٣ سنة ٦٩٨ (الجزء الثاني) .
- طاشقند رقم ٢٢١٢ سنة ١٣٢٧ مع ترجمة أوزبكية .
- نفسها رقم ٢٢٠٧ - القرن ١٩ .
- نفسها رقم ٢٢٠٦ سنة ١٢٦٢ .
- نفسها رقم ٢٢٠٥ سنة ١٢٥٣ .
- نفسها رقم ٢٢٠٤ سنة ١٢٤١ .
- نفسها رقم ٢٢٠٣ .
- نفسها رقم ٢٢٠٢ سنة ١٢٣٥ .
- نفسها رقم ٢٢٠١ - القرن ١٨ - ١٩ .
- نفسها رقم ٢٢٠٠ سنة ١٢١٢ .
- نفسها رقم ٢١٩٩ - القرن ١٨ .
- نفسها رقم ٢١٩٨ - القرن ١٧ - ١٨ .
- نفسها رقم ٢١٩٧ - القرن ١٧ .
- نفسها رقم ٢١٩٦ - القرن ١٦ - ١٧ .
- نفسها رقم ٢١٩٥ - القرن ١٧ .
- نفسها رقم ٢١٩٤ سنة ٦٩٨ .

- موسكو ميكلوخور رقم ١٤٠ سنة ٨٨٩ (٩٧ ترجمة).
- نفسها رقم ١٤١ - القرن ١٥ .
- نفسها رقم ١٤٢ سنة ١٠٠٣ .
- نفسها رقم ١٤٣ - القرن ١٧ (٧٢ ترجمة) .
- نفسها رقم ١٤٤ - القرن ١٧ (٩٦ ترجمة) .
- نفسها رقم ١٤٥ - القرن ١٧ .
- نفسها رقم ١٤٦ - القرن ١٨ .
- نفسها رقم ١٤٧ سنة ٩٢٥ (٩٧ ترجمة) .
- نفسها رقم ١٤٨ - القرن ١٧ .
- بهر كلكته رقم ٨٣ - القرن ١٦ .
- الجمعية الآسيوية ايثانوف رقم ٧٧٠ قطعة منها قرن ١٩ .
- نفسها رقم ٧٧١ سنة ١١١٢ (الاول) .
- ايسالا زترستين رقم ٤٠٨ سنة ٧٩١ .
- نفسها رقم ٦٣٦ .
- آصفية حيدر آباد رقم ١٣٥ (انتخاب) .
- نفسها رقم ٣٤ .
- نفسها رقم ٣ سنة ٩٢٨ .
- نفسها رقم ٣١ (انتخاب) .
- نفسها رقم ١١ سنة ١٠٨٢ .
- آصفية سركار عالي ص ١٦ .

- ولى الدين استانبول رقم ١٦٤٢ .
- نفسها رقم ١٦٤٥ .
- نور عثمانية استانبول رقم ٢٢٩٧ .
- نفسها رقم ٢٥٣١ .
- قليج على باشا استانبول رقم ٧٣١ .
- نفسها رقم ٧٣٢ .
- جامعة القاهرة رقم ١٤٨ سنة ١٢٦٠ .
- نفسها رقم ٥٢٤ (مملخبات) .
- دار الكتب المصرية رقم ٨ تصوف فارسي سنة ٧١٥ .
- نفسها رقم ٢ تاريخ فارسي قوله سنة ٧١٧ .
- نفسها رقم ٣ تاريخ فارسي .
- نفسها رقم ٤ تاريخ فارسي .
- نفسها رقم ٥ تاريخ فارسي سنة ١٢٦٧ .
- آستان قدس رضوى رقم ٨٣٤٧ - قرن ١١ .
- مصطفى عاطف استانبول (في جامعة طهران) فلم ١٠٤ سنة ٨٢٨ .
- كلية الآداب طهران رقم ٢٤٣ ج - قرن ١١ .
- سبهسالار طهران رقم ٧٣٤٢ .

• بشأن المخطوطات راجع فهرست المخطوطات بدار الكتب المصرية، أحمد ناجي القيسي، عطار
نامه (ص ٤٥٣: ٤٥٧)

طبعاته

طبع كتاب «تذكرة الأولياء» عدة طبعاات هي :

- ١- طبعة لاهور ١٣٠٦هـ - ١٨٨٩م.
- ٢- طبعة لاهور ١٣٠٨هـ.
- ٣- طبعة لكنهور ١٣٠٨هـ - ١٨٩١م.
- ٤- طبعة بمبى بلا تاريخ.
- ٥- طبعة ليدن باهتمام رنولد آئن نكلسون (با مقدمة قزوينى ج ١٣٢٢١هـ - ١٩٠٥ ج. ٢، ١٣٢٥هـ - ١٩٠٧م.
- ٦- طبعة استكهولم ١٩٣١م (عن الطبعة السابقة بالزتكفراف).
- ٧- طبعة طهران الأولى (عن طبعة نكلسون) ١٣٢١ش.
- ٨- طبعة طهران الثانية (عن طبعة نكلسون).
- ٩- طبعة طهران الثالثة (عن طبعة نكلسون) ١٣٣٦ش.
- ١٠- طبعة دهلى (مطبعة فخر المطابع ١٨٥٢).
- ١١- طبعة دهلى (مطبعة مجتنبائى).
- ١٢- طبعة بمبى - مطبعة محمدى ١٣٢٥ (حجرية).
- ١٣- طبعة بمبى - مطبعة محمدى ١٣٨١هـ (حجرية).
- ١٤- طبعة بمبى - ١٣٠٥ (حجرية).
- ١٥- طبعة لاهور سنة ١٣٤١هـ (حجرية).
- ١٦- طبعة الهند ١٢٨٣هـ (حجرية).
- ١٧- طبعة بمبى ١٢٩٤ (حجرية).

- ١٨- طبع دهلى ١٣١٧ هـ (حجرية).
- ١٩- متحف الآثار القديمة طهران رقم ٣٥٩٢ سنة ١٠٠٧ (أسرار الأبرار وأخبار الأخيار).
- ٢٠- جامعة توينكن رقم ١٥٨٦.
- خزانة أحمد ناجى القيسى عليها بعض التواريخ أقدمها ١٢٣٣ عليها تملك لعبد القادر إبراهيم باشا يابان.

• أحمد ناجى القيسى: صطارنامه، (ص ٤٥١، ٤٥٢).



نص الترجمة
لكتاب تذكرة الاولياء

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الجواد بأفضل أنواع النعماء، المنان بأشرف أصناف العطاء
المحمود في أعالي ذرى العز والكبرياء، المعبود بأحسن أجناس العبادات في
أعماق الأرض وأطباق السماء، ذى العظمة والجبروت والبهاء والجلالة
والملكوت والثناء، الذى علا فاحتجب بأنوار المجد والقدس والثناء عن أعين
الناظرين وأبصار البصراء، ودنا فاقترب من بصائر المحترقين فى وهج العناء،
وربط طرف بقاء المنغمسين فى لجاج بحار توحيده بالبقاء، وخلط شرف فناء
المتغلغلين فى قعر قرية البهائم بمحض البقاء، وأغناهم بعزة الفقر إليه عن ذل
الركون إلى الأشياء، وأولاهم التوفيق للحمد عما هو فى خزانة الآلاء، وأغناهم
بالفناء عن البقاء وبالبقاء عن الفناء، فصاروا بنور فناء الفناء مخلصين عن
هواء الأهواء، وخطوا رحال الأنس بفناء القدس مودعين بفناء الفناء، وانقطعوا
بالنور الحقيقى عن تخاييل الأضلال وتمائيل الأقياء التى هى أعيان الدهماء
وأشخاص الإنشاء. نحمده أن كفانا كيد من عادانا فيه، ودفع عنا شر من ناوانا
بقلبه وآوانا بفيه، وشغل عنا كل شاغل عنه، وألف بيننا وبين كل مؤلف بيننا
وبينه، وجعلنا خدماً وعباداً له، وأكرمنا بشريف خطابه وكريم كتابه، وجعلنا
متبعين لحبيبه، ثم من جملة أحبائه، ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له

يوازيه ولا نظير له بضاهيه، فإن نظرنا إلى الأوصاف الأولوية فلا إله إلا هو،
 وإن تأملنا الوجود فلا هو إلا هو، ونشهد أن محمداً عبده ورسوله ونبيه وصفيه،
 أرسله بالحق إلى كافة الخلق، فحل برفيع محله عقد أهل الزيف والضللال، وفل
 بحدده عدد زمر الخزي واللكال، وأطفأ بظوره نار الغواية، وبوأ أنصاره دار
 الهداية، وأضاء قلوب المهتدين بهديه بأنوار جواهر الدين، ووقفهم لاقتناء
 مفاخر ذخائر اليقين، وبصرهم بغوامض سراير النبیین، وخص الأصفياء
 والأتقياء من أتباعهم الذين نفضوا أيديهم عن الكونين، ورفضوا عن قلوبهم
 الالتفات إلى نميم الدارين، من شواهد الغيب المكنون، بما لا يبصره لواحق
 العيون، ولا يستشرف له طوالع العقول ونواجم الظنون، وبلغ قلوبهم بما كاشفها
 به من نهايات المطالب وغايات الهمم، واقتنع عن أسرارهم مما طالعها به من
 أقاصى المقاصد وغايات الغم، واستصنى أرواحهم بما يستملكه من أنوار
 الجلايا القدسية عن شوائب الأنوار وكدورات الظلم.

صلى الله عليه وسلم وعلى آله وأصحابه ما ذر شارق لطف من مشرق
 فضل، وما وقب غاسق بعد من أفق طرد ما ابتلى بالبعد العاشق، وما أومض
 بارق هداية من سحب عداية، وما لفظ ناطق صدق بكلمة عشق، وما تقلقل
 قدم شوق في بادية نوح، وسلم تسليمًا كثيرًا.

مقدمة

إن تجارزت القرآن والأحاديث، فليس هناك كلام أسمى من كلام مشايخ الطريقة (رحمة الله عليهم)، لأن كلامهم نتيجة للعمل والحال وليس ثمرة للحفظ والقال، ومن العيان لا البيان، ومن الأسرار لا التكرار، ومن العلم اللدنى لا العلم الكسبي ومن المعاناة لا الاجتهاد، ومن عالم أدبني ربي لا من عالم علمني أبي، فهم ورثة الأنبياء (صلوات اللهم عليهم أجمعين).

وكنت أرى رغبة شديدة لجماعة من الأصحاب في كلام هؤلاء القوم، ورجبت أنا أيضاً في مطالعة أحوالهم رغبة ملحة، وكانت أقوالهم كثيرة، فإن جمعتها كلها طال (الحديث) (لذا) انتخبت (بعضها) من أجلى ومن أجل الأصحاب، وإن استفدت أنت منها فمن أجلك أنت (أيضاً). وإن أراد شخص مزيداً من أقوالهم، فكتب المتقدمين والمتأخرين تذخر بذكر هذه الطائفة حيث يجد مراده. وإن طلب طالب شرحاً مستفيضاً لكلمات هؤلاء القوم فليتصفح كتاب «شرح القلب» وكتاب «كشف الأسرار» وكتاب «معرفة النفس والرب»، ليحيط بذلك المعاني. ونعتقد أن كل من اطلع على هذه الكتب الثلاثة، لا يخفى عليه أى قول من أقوال هذه الطائفة إلا ما شاء الله. وإن شرحت هذه الأقوال هنا لاستغرقت ألف صفحة، لكن طريق الإيجاز والاختصار سلة كما فخر رسول الله ﷺ فقال:

، وأوتيت جوامع الكلم، واختصر لى الكلام اختصاراً.

وحذفت الأسانيد لأن الكلام كان (على هذا النحو): نقل عن شيخ فى كتاب ما وذكر فى كتاب آخر عن شيخ آخر ما هو مخالف لما نقله الشيخ الأول، وكذلك كانت تفاصيل الحكايات والحالات مختلفة أيضاً. فاحتطت (فى ذلك) قدر الإمكان.

ومن الأسباب الأخرى لعدم إيراد شرح لأقوالهم: أننى لم أر أنه من الأدب أن أقحم كلامى بين كلامهم، ولم أجد ذلك من الذوق، ولم أستمع كلامى بين مثل هذا الكلام سوى إشارات وردت فى أماكن قليلة، لدفع خيال الغرياء والمدعين. وسبب آخر هو: أن كل من يحتاج إلى شرح أقوالهم فالأولى به أن ينظر إلى كلامهم ويشرحه.

وسبب آخر هو: أن الأولياء مختلفون: فبعضهم أهل معرفة، وبعضهم أهل معاملة وبعضهم أهل محبة، وبعضهم أهل توحيد، وبعضهم يجمع بين كل هذا، وبعضهم (يتصف) بصفة، وبعضهم دون الصفة وبعضهم لا صفة له. فإن شرحت كلامهم على حدة، لخرج الكتاب عن حد الاختصار. وإن ذكرت الأنبياء والصحابة وأهل البيت، يلزمنى كتاب آخر منفصل. وكيف يستقيم بلسانى شرح (حال) قوم مذكورين لدى الله ورسوله، ومحمودين فى القرآن والأخبار، وهم أهل عالم آخر ودنيا أخرى، فالأنبياء والصحابة وأهل البيت ثلاثة أقوام ساعد كتاباً فى نكرهم إن شاء الله، ليبقى عن العطار تذكاراً ثلاثياً عن هؤلاء الأقوام الثلاثة.

وقد حملنى على جمع هذه الأقوال (تصنيف هذا الكتاب) عدة أسباب:

أولاً: رغبة إخوان الدين الذين كانوا يطلبون ذلك، وسبب آخر هو: أن يبقى تذكاراً على ينشر به كل من يقرأه، ويذكرنى بدعاء الخير، ويسبب انشراحه

يوهب لى الانسراح فى التراب، فعندما توفى يحيى بن عمار - الذى كان إماماً للهرورى، وأستاذنا للشيخ عبد الله الأنصارى - شوهد فى المنام فسئل: ما فعل الله بك؟ قال: جاءنى الهاتف قائلاً: كان لى حساب شديد معك يا يحيى، لكنك كنت تنتنى علينا فى مجلس ذات يوم، فمر على مجلسك أحد أحبائنا، وسمع ذلك، فطاب وقته. فجعلت لك ثواباً لإسعاده، وإلا كنت سترى ماذا كنت أفعل بك؟ وسبب آخر هو: أنهم قالوا للشيخ أبى على الدقاق: هل توجد فائدة (لنا) فى سماع كلام الرجال طالما أننا لا نستطيع العمل به؟ قال: بلى: إن فيه فائدتين: الأولى: إن كان الرجل طالباً تقوى همته ويزداد طلبه والثانية: إن وجد شخص أن نفسه تتسم بالغرور أطاح بذلك الغرور، وطرد هذا الإدعاء من رأسه، ويذى الحسن منه شيئاً، ويرى نفسه كان مبصراً كما قال الشيخ المحفوظ (رحمة الله عليه) «لا تزن الخلق بميزانك وزن نفسك بميزان الموقنين لتعلم فضلهم وإفلاسك. وسبب آخر هو: أنهم قالوا للجنيدي: ما فائدة هذه الحكايات والروايات للمريد؟ فقال: إن كلامهم (الأولياء) جند من جنود الله (تعالى)، يقوى به قلب المرید إن كان محطماً، فيجد فى أولئك الجند مدداً له والدليل على هذا القول أن الحق (تعالى) يقول: «ومكلاً نقص عليك من أنباء الرسل ما نثبت به فؤادك». وسبب آخر هو: أن سيد الأنبياء (صلوات الله عليه) يقول: «عدد ذكر الصالحين تنزل الرحمة، فإن وضع شخص مائدة تنزل الرحمة عليها كالمنطر، ولا يمكن إعادته من هذه المائدة بلا نصيب. وسبب آخر هو: أن أرواح الأولياء المقدسة ستكون عوناً له فى هذا الزمان المضطرب، وستظلمه بظل السعادة قبل الأجل. وسبب آخر هو: أنني رأيت أن أفضل كلام بعد القرآن والأحاديث هو كلامهم (الأولياء)، ورأيت أن كلامهم فى مجمله هو شرح للأحاديث والقرآن، فشغلت بهذا العمل لعلى أتشبه بهم، وإن لم أكن منهم أكون قد تشبهت بهم «فمن تشبه بقوم فهو منهم، كما قال الجنيدي (رحمة الله

عليه): أحسنوا للمدعين فهم أهل تحقيق، وقبلوا أقدامهم، فإنهم إن لم تكن لهم همة عالية (في شيء) كانوا يدعون شيئاً آخر. وسبب آخر هو: أنه طالما يلزم (فهم) القرآن والأخبار (معرفة) اللغة والنحو والصرف، لأن أغلب الخلق لا يستطيعون الاستفادة من معانيهما فهذا الكلام - الذي هو شرح لهما وللخاصة والعامّة نصيب فيه - مع أن أغلبه كان باللغة العربية، فقد نقلته إلى اللغة الفارسية حتى تعم (الفائدة). سبب آخر يبدو لي واضحاً وهو: إنهم إن قالوا قولاً مخالفاً لهواك، فإنك تسعى للثأر من ذلك الشخص (الذي خالفك) وتكر هذا القول أعواماً، فطالما أن القول الباطل له مثل هذا الأثر في نفسك، فإن قول الحق يمكن أن يكون له في قلبك مثل (هذا) الأثر آلاف المرات، وإن لم تكن تدري، بذلك مثلما سئل الإمام عبد الرحمن الإسكافي عن يقرأ القرآن، ولا يفهم ما يقرأه، أيقن لذلك القرآن أي تأثير فيه، فقال: يتناول المرء الدواء، ولا يعلم تأثير ما يتناوله، والقرآن لا يؤثر فقط، بل يؤثر بعمق، فكيف لو أنه أدرك ما يقرأه، فسيكون أثر ذلك كبيراً. سبب آخر هو: أن لي قلباً لا يمكنه أن يقول أو يسمع سوى هذا الكلام إلا مكرها ومضطرباً، وما لا بد لا جرم، فجعلت من كلامهم (الأولياء) واجباً على أهل الزمان، لأجد لي مؤمناً على هذه المائدة، كما يقول الشيخ أبو علي سياه: لي رغبتان الأولى: أن أسمع قولاً من أقواله، والثانية: أن أرى ولياً من أوليائه. ثم قال: أنا رجل أُمي لا أستطيع أن أكتب شيئاً، أو أقرأ شيئاً، يلزمني شخص يتحدث هو، وأسمعه أنا، أو أتحدث أنا، ويسمعني هو، فإن لم يكن هناك حديث عنه (الله) في الجنة، لصناق بها أبو علي.

وسبب آخر هو: أنهم سألوا الإمام أبا يوسف الهمداني (رحمة الله عليه) ماذا تفعل - عندما يمتنى هذا الزمان، وتوارى هذه الطائفة (الأولياء) وجهها في النقاب - حتى نسلم؟ فقال: تقرأون كل يوم ثمان ورقات من كلامهم، ومن ثم

فقد رأيت أن إعداد ورد لأهل الغفلة هو فرض عين. سبب آخر هو: أن رياض محبة هذه الطائفة كانت تنمو في قلبي منذ الطفولة بلا سبب، وكان كلامهم مفرحاً لقلبي طوال الوقت، فجمعت كلامهم قدر استطاعتي على أمل أن «المرء مع من أحب»، لأن هذا النوع من الكلام قد اختفى كلية في هذا الزمان، وليس المدعون لباس أهل المعاني، وعز العارفون كالكبريت الأحمر، كما قال الجنيدي للشبلي (رحمة الله عليهما): «إذا وجدت من يوافقك على كلمة مما تقول فتمسك به». سبب آخر هو: إنني مثلما أرى فقد حل زمان «الخير فيه شر، ونسى فيه أشرار الناس أخيار الناس، فأعددت تذكرة للأولياء، وأسमित هذا الكتاب «تذكرة الأولياء، حتى لا ينسى أهل الخسران في هذا الزمان أهل السعادة، ويسعون إلى أهل الاعتكاف والخلوة، ويرغبون في مصالهم حتى ينعمون بالسعادة الأبدية في ظل سعادتهم. سبب آخر هو: أنه لما كان هذا الكلام (كلام الأولياء) هو أفضل كلام لعدة أسباب هي: أولاً: أنه يحقر الدنيا في عين الرجل، ثانياً: يذكره بالآخرة، ثالثاً: يفرس في قلب الرجل محبة الحق، رابعاً: عندما يسمع الرجل هذا النوع من الكلام يعد العدة لطريق لا نهاية له، لذا كان جمع مثل هذا الكلام من جملة الواجبات. ويمكن القول: إنه ليس هناك أفضل من هذا الكتاب في الدنيا، لأن كلامهم شرح للقرآن والأخبار وهما أفضل الكلام. ويمكن القول: إن هذا الكتاب يجعل المحدثين رجالاً، والرجال شجعاناً والشجعان أفراداً والأفراد عين المعاناة وشرط على من يقرأ هذا الكتاب أن يدرك أي معاناة في أرواحهم (الأولياء) بحيث جعلت مثل هذه الأفعال والأقوال تنبعث من قلوبهم. وقد دخلت يوماً على الإمام مجد الدين الخوارزمي فرأيتُه يبكي، قلت: خير، قال: ما أطيب قادة كانوا في هذه الأمة بمثابة الأنبياء (عليهم السلام) «فإن علماء أمتي كأنبياء بنى إسرائيل، ثم قال: أبكى لأنني قلت البارحة: يا إلهي، أن أمرك لا علة له فاجعلني من هؤلاء

القوم أو من المشمولين بالرعاية منهم، فإننى لا أطيق القسم الآخر وأبكى لأنه ربما يكون قد استجاب لى، وسبب آخر هو: أن ينظر فى أمر هذا العاجز نظرة شفاعة غداً، وألا يعيدوننى يائساً مثل كلب أصحاب الكهف وإن كانوا جميعاً يملكون العظم. يروى: أن جمال الموصلى (رحمة الله عليه) كان يبذل الدم زمناً ويضحى بالروح، وينفق المال والجاه، حتى دفن إلى جوار روضة سيد الأنبياء (عليه الصلاة والسلام)، وعندئذ أوصى (قائلاً) أكتبوا على شاهد قبرى «وكلبهم باسط ذراعيه بالوصيد، وأنا أيضاً أدعى محبة أحبائك، إلهى مع أننى لست أى شخص من المعنيين بهذا الكلام، لكننى محب لهم، فبحق أرواح الأنبياء والأولياء والعلماء الطاهرة لا تحجبنى أنا الغريب العاجز عن هؤلاء القوم، ولا تحرمنى من رعايتك لهم، واجعل هذا الكتاب سبب قرب لك لا بعد عنك، إنك ولى الإجابة.

الآن نذكر أسماء هؤلاء المشايخ المذكورين فى هذا الكتاب، وبعد ذلك نبدأ فى شرح مقاماتهم وكراماتهم وأحوالهم بعون الله تعالى.

فهرست الكتاب وذكر اولياء الله قدس الله ارواحهم

ذكر الحسن البصرى	ذكر أويس القرنى	ذكر الإمام جعفر الصادق
ذكر حبيب العجمى	ذكر محمد بن الواسع	ذكر مالك بن دينار
ذكر رابعة العدوية	ذكر عتبة بن الغلام	ذكر أبى حازم المكى
ذكر بشر العافى	ذكر إبراهيم دن أدهم	ذكر الفضيل بن عياض
ذكر عبد الله بن المبارك	ذكر أبى يزيد البسطامى	ذكر ذو النون المصرى
ذكر أبى حنيفة الكوفى	ذكر شقيق البلخى	ذكر سفیان الثورى
ذكر داود الطائى	ذكر أحمد بن حنبل	ذكر محمد بن إدريس لشافعى
ذكر محمد بن السماك	ذكر سليمان الدارائى	ذكر حارث المحاسبى
ذكر حاتم الأصم	ذكر أحمد بن حرب	ذكر محمد بن أسلم
ذكر سرى السقطى	ذكر معروف الكرخى	ذكر سهل بن عبد الله الصبرى
ذكر أحمد بن خصرويه	ذكر أحمد بن أبى الحوارى	ذكر فتح الموصلى
ذكر شاه شجاع الكرمانى	ذكر يحيى بن مازد الرازى	ذكر أبى تراب اللخشبى
ذكر حمدون القصار	ذكر أبى حفص الحداد	ذكر يوسف بن الحسين
ذكر عبد الله بن خبيق	ذكر أحمد بن عاصم الأنطاكى	ذكر منصور بن عمار
ذكر أبى سعيد الخراز	ذكر عمرو بن عثمان المكى	ذكر الجنيد البغدادى
ذكر عبد الله بن الجلا	ذكر أبى عثمان الحيرى	ذكر أبى الحسين النورى
ذكر إبراهيم الرقى	ذكر ابن عطاء	ذكر أبى محمد رويم
ذكر سملون المحب	ذكر أبى يعقوب النهرجورى	ذكر يوسف الأسباط

تذكر أبي الحسين البوشنجي	تذكر محمد بن فضل	تذكر أبي محمد المرتضى
تذكر عبد الله الروعدي	تذكر أبي الخير الأقطع	تذكر محمد علي بن الحكم النرمندي
تذكر علي بن سهل الإصفهاني	تذكر عبد الله بن المنازل	تذكر أبي بكر الوراق
تذكر أحمد بن مسروق	تذكر أبي حمزة الفراساني	تذكر خير النساج
تذكر أبي بكر الكتاني	تذكر أبي علي الجرجاني	تذكر عبد الله بن أحمد المنزلي
تذكر الحسين بن منصور الملاج	تذكر أبي محمد الجريزي	تذكر عبد الله بن محمد خفيف

قدس الله أرواحهم . بعد ذلك نبدأ بتوفيق الله تعالى بمقامات الإمام جعفر

الصادق عليه السلام .

ذكر ابن محمد جعفر الصادق (١) عليه السلام

هو سلطان الملة المصطفوية، وبرهان الحجة النبوية، هو العامل الصديق، وعالم التحقيق، هو منية قلب الأولياء، وقلدة كبد الأنبياء، هو ناقد علي (٢)، ووارث النبي، هو العارف العاشق جعفر الصادق عليه السلام.

كنا قد قلنا: إن نذكر الأنبياء والصحابة وأهل البيت، بلزما أن نعد كتابا مستقلا. (لكن) هذا الكتاب هو شرح للأولياء الذين قد خلفهم.

لكننا نبدأ بالصادق تبركا، ولأنه قد خلفهم أيضا.

ولما كان من أهل البيت، وقد كثرت الأقوال عن طريقته، والروايات عنه، نورد عدة كلمات له. ولأنهم جميعا متساوون، عندما يرد ذكره يكون ذكرا للجميع. ألا ترى أن القوم الذين يعتقدون مذهبه، (هم قوم) يعتقدون مذهب اثني عشر إماما. أي أن الواحد هو اثنا عشر والاثنا عشر واحد.

إن أصفه فقط، لا تستقيم (صفته) بلساني وعبارتي، لأنه كان كاملا في جملة العلوم والإشارات والعبارات بلا مبالغة. وكان قدوة لجملة المشايخ، واعتمدوا جميعا عليه، فكان المقتدى المطلق (لهم). وكان أيضا شيخا للربانيين، وإماما للمحمديين، وهاديا لأهل الذوق ومرشدا لأهل العشق، ومقدما لدى العباد، ومكرما لدى الزهاد وكان أيضا مصنفًا للحقائق، وفريدا في لطائف

التفسير وأسرار التنزيل . وقد نقل أقوالاً كثيرة عن باقر عليه السلام . وأعجب من أولئك القوم الذين يظنون أن لأهل السنة والجماعة اختلافاً عن أهل البيت إلا أنه حقيقة يجب أن يقال لأهل السنة والجماعة أهل البيت .

وأنا لا أعتقد أن شخصاً وقد سيطر عليه الخيال الباطل، ما اعتقده، أن كل من يؤمن بمحمد ولا يؤمن بأبنائه فهو لا يؤمن بمحمد .

حتى إن الشافعي قد أحب أهل البيت لدرجة أنه نسب إلى الرفضة (٢) وحبس . وقد قال شعراً في هذا المعنى وهذا بيت (منه) :

لو كان رفضاً حب آل محمد فليشهد للقلان أني رافض

ولو أن معرفة آل الرسول وأصحابه ليست من أصول الإيمان فإن كثرة الفضول الذي لا يفيد لا بأس به - كما تعلم - إن علمته أيضاً بل إن الإنصاف هو طالما أنك تعلم أن محمداً هو ملك الدنيا والآخرة، فيجب أن تعلم أن لوزرائه مكانته ولأصحابه ولأبنائه أيضاً . فبذلك تكون سلياً طاهراً ولا يكون لك شأن بأى فرد من خاصة الملك (أتباع رسولك) .

مثلما سئل أبو حنيفة (٤) عليه السلام عن خاصة النبي صلى الله عليه وآله، أيهم أفضل؟ قال: الصديق والفاروق من الشيوخ، وعثمان وعلى من الشباب، وعائشة من النساء، وفاطمة من الفتيات (رضى الله عنهم أجمعين) .

يسروى: أن الخليفة المنصور (٥) قال للوزير ذات ليلة: اذهب، واحضر الصادق، كي أقتله، قال الوزير: إنه قد جلس في زاوية، واعتزل، وانشغل بالعبادة، وقصر يده عن الملك . وليس هناك ضرر منه على أمير المؤمنين فما هي الفائدة من قتله؟ ومهما تحدث لم يجد قوله، فذهب الوزير في طلب الصادق، وقال المنصور للغلمان: عندما يدخل الصادق، وأرفع العمامة عن

رأسي، اقتلوه. أحضر الوزير الصادق، فهب المنصور في الحال، وتقدم مسرعاً نحو الصادق وأجلسه في الصدارة وجلس أمامه راکعاً. فتعجب الغلمان. ثم قال المنصور: ماذا تريد؟ قال الصادق: ألا تستدعيني أمامك، وتركني في طاعة الله، فأصدر أمراً (بذلك). وأرسله في إعزاز تام. في الحال، اعترت المنصور رعشة فسحب الملاءة على رأسه، وفقد وعيه. يقال: مرت عليه ثلاث صلوات، وعندما عاد إلى رشده، سأله الوزير: أي حال تلك؟ قال: عندما دخل الصادق من الباب، رأيت ثعباناً كان معه، وضع إحدى شفتيه تحت الصفة والأخرى فوقها، وقال لي بلسان حاله: إن تؤذه، أبتلك وهذه الصفة، فلم أعرف ما أقول خوفاً من ذلك الثعبان، فطلبت المعذرة منه، وهكذا فقدت وعيي^(٦).

يروى: أن داود الطائي^(٧) مثل ذات مرة أمام الصادق، وقال: يا ابن رسول الله: عظمي، فقد أظلم قلبي، قال يا أبا سليمان، أنت زاهد الزمان، فأى حاجة لك بموعظتي؟ قال: يا ابن الرسول، لك الفضل على كل الخلائق، وعظة الجميع واجبة عليك. قال يا أبا سليمان، أخاف أن يطرق جدى بابي في القيامة (قائلاً) لماذا لم تؤد حق متابعتي؟ إن هذا الأمر لا يكون صحيحاً بالنسب وقريباً به، هذا الأمر يكون بالمعاملة اللائقة بحضرة الحق. فبكى داود، وقال يا إلهي، ذلك الذي معجون طينته من ماء النبوة، وتركيب طبيعته من أصل البرهان، وحبته جده الرسول، وأمه البتول، وهو في هذه الحيرة! فأنى لداود أن يزهو بحاله.

يسروى: أنه كان قد جلس ذات يوم مع مواليه، وقال لهم: تعالوا، حتى نتبايع، ونتعاهد، بأن كل من ينجو منا يوم القيامة، يشفع للجميع، فقالوا: يا ابن رسول الله، أى حاجة لك بشفاعتنا؟ إن جدك شفع جملة الخلائق، فقال الصادق: أخطئ أن أنظر في وجه جدى يوم القيامة بأفعالي هذه.

يروى: أن جعفر الصادق اختلى مدة، ولم يخرج، فدخل سفيان الثوري^(٨) داره، وقال: الناس محرومون من فوائد أنفاسك. فلماذا اعتزلت؟ أجاب الصادق، الحال السائد الآن، فسد الزمان وتغير الإخوان، وأنشد هذين البيتين:

ذهب الوفاء ذهب أمس الذاهب والناس بين مخايل ومآرب
يفشون بينهم المودة والوفاء وقلوبهم محشوة بعقارب

يروى: أنهم رأوا الصادق، وكان قد ارتدى خزا ثمينا، فقالوا: يا ابن رسول الله، ليس هذا من زي أهل بيتك، فأخذ بيد رجل منهم وأدخلها في كفه، فكان قد ارتدى مرقعة خشنة، أخذ يوخز بها يد الرجل، وقال: «هذا للحق وهذا للخلق».

يروى: أنهم قالوا للصادق: تتحلى بكل الفضائل: الزهد، وكرم الباطن، وقرّة العين، والإنتساب إلى أسرة شريفة، ولكنك متكبر جدا، قال: إنني لست متكبرا لكن الكبر كبرياء، إنني عندما أطحت بالكبر عن رأسي، ساد كبرياؤه هو، وحل محل كبري. فلا يجوز لي أن أتكبر بكبري، لكن بكبريائه هو.

يروى: أن الصادق سأل أبا حنيفة، من العاقل؟ فقال: من يميز بين الخير والشر، فقال الصادق: تستطيع البهائم أيضا أن تميز بين من يضر بها، ومن يمنحها العلف، فقال أبو حنيفة (إذن): من العاقل في رأيك؟ قال: من يميز بين خيرين وشرين، حتى يختار من الخيرين خيرا والخيرين، ومن الشرين خيرا الشرين.

يروى: أن كيس ذهب كان قد سرق من أحد الرجال، فتعلق ذلك الرجل بالصادق (قائلا) أنت الذي سرقته، ولم يكن يعرفه، فقال الصادق: كم كان مقداره؟ قال: ألف دينار، فحمّله إلى الدار، ومنحه ألف دينار، وبعد ذلك عشر

الرجل على ذمبه. فحمل الذهب إلى الصادق، وقال: كنت قد أخطأت، قال الصادق: لا نسترد ما منحناه، بعد ذلك سأل الرجل شخصاً من يكون (هذا الرجل)؟ فقيل له: جعفر الصادق، فخلج الرجل، ومضى.

يروى: أن الصادق كان يسير ذات يوم في طريق بمفرده، وهو يقول: الله الله، وكان عارف يتبعه، ويردد معه: الله الله. فقال الصادق: يا إلهي، ليست لدى جبة، يا إلهي، لا أملك رداء، وفي الحال، ظهرت مجموعة ملابس جميلة، ارتداها جعفر، فتقدم ذلك العارف، وقال: أيها السيد: شاركتك في قول الله، فامنحنى (خرقتك) البالية فسر الصادق، ومنحه تلك الخرقه البالية.

ويروى: أن رجلاً مثل أمام الصادق، وقال: أظهر الله لى، فقال: ألم تسمع بعد، أنه قال لموسى: «لن ترانى»، قال: بلى، لكن هذه هى ملة محمد الذى يهتف مرة، «رأى قلبى ربي». ويصيح أخرى، «لم أعبد ربا لم أره»^(٩). فقال الصادق: فيدوره، والقوه فى دجلة، فقيدوره، والقوه فى دجلة، فابتلعه الماء، وقذف به ثانية، فقال: يا ابن رسول الله، الغوث الغوث، فقال الصادق: أيها الماء، ابتلعه، فابتلعه ثم لفظ به، وقال: يا ابن رسول الله، الغوث، الغوث، قال: ابتلعه، وعلى هذا النحو مضى يقول للماء عدة مرات: ابتلعه، فكان يبتلعه، وعندما كان يعيده، كان يقول: يا ابن رسول الله، الغوث، الغوث، وعندما يس من الجميع، وغرق جسده كله، ويس من الخلائق، عندما رفعته المياه هذه المرة قال: يا إلهي، الغوث، الغوث، فقال الصادق: أخرجوه، فأخرجوه، وتركوه برهة، حتى قر قراره ثانية. ثم قال الصادق رأيت الحق؟ قال: منذ طرقت باب الغير حجبت (عنه)، عندما لجأت إليه كلية، وصرت مضطراً، فتحت طاقة داخل قلبى، نظرت منها، فرأيت كل ما كنت أبحث عنه، ولولا الاضطرار، لما كان ذلك.

«أمن يجيب المضطر إذا دعاه»^(١٠)، قال الصادق: عندما كنت تنادى
الصادق كنت كاذباً والآن احفظ تلك الطاقة، لأن العالم الإلهي قابح فيها.

وقال: كل من يقول الله على شيء، أو فى شيء، أو من شيء، كان كافراً.

وقال: كل معصية كان أولها خوف وآخرها عذر تقرب العبد إلى الحق.

وقال: كل طاعة كان أولها أمن وآخرها عجب تبعد العبد عن الله. لأنه بهذا
يصير العبد المطيع بعجب عاصياً بالنسبة للحق، والعاصى بعذر مطيعاً بالنسبة له.

سئل، أيهما أفضل فقير صابر أم غنى شاكراً؟ فقال: الفقير الصابر، لأن قلب
الغنى يتطلع إلى الحافظة، والفقير قلبه مع الله.

وقال: لا تستقيم العبادة إلا بالتوبة، لأن الحق تعالى قدم التوبة على
العبادة، كما قال الله تعالى: «التائبون العابدون»^(١١)، وقال: إن ذكر التوبة
عند ذكر الله غفلة عن الذكر، وذكر الله فى الحقيقة هو: أن ينسى الإنسان كل
شئ إلى جانب الله، لأن الله يعرضه عن كل شئ، وقد قال (سبحانه) فى
هذا المعنى آية «يختص برحمته من يشاء»^(١٢). وقد محا الوسطة والعلل
والأسباب حتى يعلمون أن العطاء محض.

وقال: المؤمن من ثبت مع نفسه، والعارف من ثبت مع ربه.

وقال: كل من يجاهد بالنفس، من أجل نفسه، يدرك الكرامات، وكل من
يجاهد بالنفس من أجل ربه، يصل إلى الله.

وقال: الإلهام من أوصاف المقبولين، والدليل أن عدم الإلهام من علامات
المطرودين.

وقال: أليس الله أكثر خفية فى العبد من سير النملة على حجر أسود فى
ليلة مظلمة.

وقال: العشق جنون إلهي لا مذموم، ولا محمود.

وقال: ذلك الوقت الذي انكشف لي فيه سر المشاهدة، خلعوا على صفة الجنون.

وقال: إن من حسن طالع الرجل أن يكون خصمه عاقلاً.

وقال: احذر مصاحبة خمسة رجال:

أولاً: الكاذب الذي تكون دائماً منه على غرور.

ثانياً: الأحمق الذي يضرك في الوقت الذي يريد فيه أن ينفكك دون أن يدري.

ثالثاً: البخيل الذي يقطع منك أفضل وقت.

رابعاً: الحقود الذي يتركك ضائعاً عند الشدة.

خامساً: الفاسق الذي يبيعك بلقمة، ويأقل منها، قالوا: وما أقل منها؟ قال: الطمع فيها.

وقال: للحق (تعالى) في الدنيا جنة وجحيم: الجنة هي العافية، والجحيم هو البلاء، العافية: هي أن تدع أمرك لله، والجحيم: أن تترك أمر الله عليك.

وقال: «من لم يكن له سر فهو مضر، لو كانت صحبة الأعداء ضارة بالأولياء للحق الضرر بأسيا بسبب فرعون، ولو كانت صحبة الأولياء نافعة للأعداء للحقت المنفعة بامرأتى نوح ولوط. ولم يكن ذلك سوى القبض والبيط.

وأقواله كثيرة، وقد ذكرنا عدة كلمات كأساس، وختمناها.

ذكر أوبس القرنى (١٣) رضي الله عنه

هو قبلة التابعين، وقدوة الأربعين^(١٤)، هو الشمس المحتجبة، هو نفس الرحمن، السهيل اليمنى أوبس القرنى رضي الله عنه.

قال النبي ﷺ: «أوبس خير التابعين بإحسان وعطف».

كيف يتأتى للسانى مدح شخص كان مادحه هو رحمة للعالمين، ونفسه نفس رب العالمين أحياناً كان سيد الأنبياء (عليهم السلام) يلتفت ناحية اليمن، ويقول: «إني لأجد نفس الرحمن من قبل اليمن»^(١٥). وقال سيد الأنبياء (عليهم السلام) أيضاً: يخلق الحق (تعالى) سبعين ألف ملاك يوم القيامة على شاكلة أوبس، كى يحمل أوبس بينهم إلى الحضرة، ويذهب إلى الجنة، فلا يعرف شخص قط إلا ما شاء الله أيهم أوبس؟ لأنه كما كان يعبد الحق فى الدنيا تحت قبة التوارى، وكان يعزل نفسه عن الخلق، يبقى فى الآخرة أيضاً محفوظاً عن أعين الأغيار وفقاً للقول: «أولياى تحت قبابى لا يعرفهم غيرى»^(١٦).

وقد ورد فى الأخبار الغربية: أن سيد الأنبياء (عليهم السلام) يخرج غداً (يوم القيامة) من حجرته فى الجنة، بحيث يطلب (الناس) فرداً، فرداً، فيأتى خطاب: من تريد؟ يقول: أوبس، فيأتى نداء: لا تحزن فإنك كما لم تره فى

الدنيا، لن تراه هنا أيضا. فيقول: يا إلهي، أين هو؟ فيصل الأمر الإلهي: في مقعد^(١٧) صدق. يقول: ألا يراني؟ فيصل الأمر الإلهي: لماذا يراك شخص يرانا؟

وقال سيد الأنبياء (عليهم السلام) أيضا: في أمتي رجل سيشفع لعدد يساوي عدد شمر أغنام^(١٨) ربيعة ومضر في يوم القيامة^(١٩)، وكما يقال: لم يكن لأى قبيلة في العرب مثل عدد الأغنام التي كانت لهاتين القبيلتين. فقال الصحابة: من يكون هذا؟ قال: عبد من عبيد الله. فقالوا: كلنا عبيد ما اسمه؟ قال: أويس، قالوا: أين يكون؟ قال: بقرن، قالوا: أهر قد رأك؟ قال: لم يرني بالعين الظاهرة بعد، فقالوا: يا للعجب، (أيكون) عاشقا لك هكذا، ولم يسرع إلى خدمتك بعد؟ قال: لسببين: أولهما: غلبة الحال، والآخر: تعظيم شريعتي، فإن أمه عاجزة، مؤمنة، ضريرة، مقعدة^(٢٠). وفي النهار يعمل أويس بالرعي، وينفق أجره على حوائجه وعلى أمه، قالوا: أترأه؟ فقال للصديق: لن تراه في عهدك، لكنه قال للفاروق والمرتضى (رضى الله عنهما) أنتما سوف تريانه. وهو رجل غزير الشعر، وعلى جانبه الأيسر وكف يده بياض بحجم درهم، وهو ليس بياض برص. وعندما تلقياه، أبلغاه سلامي، وقولا له: أدع لأمتي.

وقال سيد الأنبياء (عليهم السلام) أيضا: «أحب العباد إلى الله الأتقياء الأخفياء»^(٢١). فقال البعض: يا رسول الله، لانجد هذا بيننا. فقال السيد عليه السلام: إنه راع في اليمن يقال له أويس، اتبعوه.

يروى: أن سيد الأنبياء (عليهم السلام) عندما قارب الوفاة، قالوا: يا رسول الله، لمن تمنح مرقعتك؟ قال: لأويس القرني، وعندما قدم الفاروق والمرتضى إلى الكوفة بعد وفاة النبي، قال الفاروق ضمن الخطبة: يا أهل نجد، قوموا، فقاموا. فقال: أبينكم شخص من قرن؟ قالوا: بلى، وأرسلوا إليه قوما، سألهم

الفاروق رضي الله عنه عن أخبار أويس، فقالوا: لا ندرى قال عمر: قد أخبرني صاحب الشرع عنه، وهو لا يتحدث عبثاً. لعلمكم لا تعرفونه، فقال أحدهم: هو أحقر شأننا من أن يطلبه أمير المؤمنين، فهو مجنون أحمق، ومعتزل عن الخلق، فقال: إنني أريده، أين هو؟ فقالوا: في وادي عزنه^(٢٢)، يرعى الإبل في ذلك الوادي، فنعطيه أجره ليلاً وهو هائم، لا يأتي إلى المناطق العامرة، ولا يتحدث مع أحد، لا يأكل ما يأكله الناس، ولا يعرف الحزن والفرح، يبكي عندما يضحك الناس، ويضحك حين يبكون. قال: أريده.

ثم اتجه الفاروق والمرتضى (رضى الله عنهما) إلى ذلك المكان، فرأياه قائماً يصلي، وكان الحق (تعالى) قد خصه بملك يرعى إبله. وحين سمع صوت حركة آدمية، قصر الصلاة، وعندما سلم، نهض الفاروق وسلم عليه، فرد عليه السلام قال الفاروق: ما اسمك؟ قال: عبد الله، قال عمر: كلنا عباد الله، ما هو الاسم الخاص بك؟ قال: أويس، قال: أرني يدك اليمنى، فأظهرها له، فرأى البياض الذي كان الرسول ﷺ قد أشار إليه، فقبل يده، وقال له: قد أبلغك الرسول ﷺ السلام، وقال: ادع لأمتي، فقال: أنت أولى بالدعاء لجميع المؤمنين، فليس هناك شخص أعز منك على وجه الأرض. فقال للفاروق: إنني أفعل هذا الأمر، فنفذ أنت وصية الرسول ﷺ. قال: يا عمر لعله غيري، فقال: قد أشار النبي إليك: فقال أويس: امنحنى مرقعة النبي، كي أدعو، فملحاه المرقعة، ثم قال: ارتديها وادع، فقال: أصبر حتى أدعو بشيء، ولم يرتديها، ومضى بعيداً عنهم، وألقى ب تلك المرقعة، وسجد على الأرض، وهو يقول: يا إلهي، لا أرئدي هذه المرقعة، ما لم تهينى أمة محمد كلها، فقد حولها نبيك إلى هنا، وهو رسول الفاروق والمرتضى. يا إلهي إنهما أديا ما عليهما، الآن الأمر لك. جاءه خطاب: منحك كثيراً، أرئت المرقعة، فكان يقول: لا، أريد الجميع. فجاءه خطاب ثانية: أمنحك عدة آلاف أخرى، فارتد المرقعة، فكان يقول: أريد

الجميع . وهكذا كان يقول فى المناجاة ويسمع حتى نفذ صبر الصحابة؛ فذهب إليه ليعرفا ماذا يفعل، ووصلا إليه، ولما رأهما أويس قال: آه، لماذا جئتما؟ لو لم يكن مجيبتكما هذا، لما كنت ارتديت المرقعة، لأننى لم أكن أريد أمة محمد كلها، (لكن) يجب أن أصبر.

رآه الفاروق، مشتتلاً بمرقعته، عارى الرأس والقدم، فرأى ثراء ثمانية عشر ألف عالم تحت تلك المرقعة، فضاق بنفسه وبخلاقته، وقال: من يتتاع هذه الخلافة منى برغيف؟ قال أويس: شخص لا يعقل، فائق بما يتبعه حتى يحمل كل شخص ما يلزمه. أى جدوى للبيع والشراء فى ذلك! فصاح الصحابة: الأمر الذى قبلته من الصديق أمر يخص آلاف مؤلفة من المسلمين ولا يمكن التفريط فيه، ويوم عدل لك يسمو على ألف عام عبادة. فارتدى أويس المرقعة، وقال: منح من أمة محمد ﷺ ما يعادل شعر إبل ربيعة ومضر وأبقارها وأغنامها من بركات هذه المرقعة(٢٣).

وبما يمكن لشخص أن يظن أن أويس كان مقدماً على الفاروق. وليس الأمر هكذا، ولكن التجريد كان خاصية أويس، وحظى الفاروق بذلك كله، وكان يريد التجريد أيضاً. كما كان سيد الأنبياء ﷺ يطرق أبواب العجائز (قائلاً): تذكرن محمداً بالدعاء. فجلس المرتضى صامتاً، فقال الفاروق: لماذا لم تأت يا أويس كى ترى الأعظم؟ قال: أرأيتما أنتما إذن، قالوا: بلى، قال: لعلما رأيتما جبتة لو أنكما رأيتما إياها فقولا: هل كان حاجباه معقودين أم منبسطين؟ ويا للعجب كانا قد شاهداها عدة مرات لكنهما لم يستطعا أن يحددا شكلاً لها بسبب الهيبة التى كانت له. قال: أنتما صاحبا محمد؟ قالوا: بلى، قال: لو أخلصتما فى محبته، فلماذا لم تكسرا أسنانكما فى ذلك اليوم الذى انكسرت فيه أسنانه المباركة بحكم الموافقة، لأن شرط المحبة الموافقة، ثم أظهر أسنانه فإذا به ليس

لديه سنة واحدة في فمه، وقال: وافقته بصورة خفية، لأن الموافقة من الدين. فذاب الإثنان رقة، وعلمنا أن الموافقة مقام، والأدب مقام آخر. فهو لم يكن قد رأى الرسول (ولكن) يذبغى على الفاروق أن يتعلم منه. ثم قال الفاروق: ادع لى يا أويس، فقال: لا أهواه فى الإيمان، قد دعوت، وأتشهد فى كل صلاة قائلاً: اللهم أغفر للمؤمنين والمؤمنات، إن ذهبت إلى القبر بإيمانك كاملاً، تجد الدعاء، وإلا فأنتى لا أضيع الدعاء. فقال الفاروق: عظلى، قال: أتعرف الله يا عمر؟ قال: أعرفه، قال: لو أنك لا تعرف سوى الله، أفضل لك. قال عمر: زدنى، فقال: أيعرفك الله يا عمر؟ قال: يعرفنى. قال: لو ما عرفك سوى الله، أفضل لك، فقال الفاروق: انتظر حتى أحضر شيئاً لك يا أويس ووضع يده فى جيبه، وأخرج درهمين، وقال قد اكتسبتهما من الرعى، (فقال أويس): لو تضمن لى أن أعيش طويلاً حتى أكل بها، عندئذ آخذها. مضت فترة، ثم قال: تعبتما، ارجعا، فإن القيامة قريبة، وعندئذ لنا لقاء حيث لا مجال للعودة، وإننى مشغول الآن بإعداد زاد طريق القيامة.

عندما عاد أهل قرن من الكوفة، ظهرت لأويس بيدهم حرمة وجاء، ولم يكن يطيق هذا، ففر من هناك، وذهب إلى الكوفة، ولم يره شخص بعد ذلك إلا هرم بن حيان^(٢٤) رضي الله عنه (٢٥). قال هرم: عندما سمعت ذلك الحديث، وإلى أى حد كانت درجة شفاعة أويس، غلبتلى رغبة فى رؤيته، فذهبت إلى الكوفة وبحثت عنه، حتى وجدته على شاطئ الفرات كان يتوضأ، ويغسل ثيابه، فعرفته لأننى كنت قد سمعت بأوصافه سلمت فأجاب السلام، ونظر إلى، فأردت أن أصفحه، فلم يصفحنى، قلت: رحمك الله يا أويس، وغفر لك، كيف حالك؟ وغلبنى البكاء بسبب محبته وشفتى عليه لضعفه، فبكى أويس أيضاً، وقال: حياك الله يا هرم بن حيان، كيف أنت يا أخى؟ ومن ذلك على العريق؟ فقلت كيف عرفت اسمى واسم أبى؟ وبما عرفتنى؟ ولم ترنى قط!

قال: نبأني العليم الخبير الذي لا يبعد شيء عن علمه وخبره، وعرفت روحى روحك، فإن أرواح المؤمنين تتألف مع بعضها البعض، وإن لم تكن قد رأيت بعضها البعض. فقلت: قص لى شيئاً عن الرسول ﷺ، فقال: إننى لم أدركه، وقد سمعت أخباره من الآخرين، ولا أريد أن أفتح سبيل الحديث على نفسى وأكون مفتياً، ومنكرًا، إننى مشغول، لا أقوم بهذا. فقلت: اتل على آية (من القرآن)، أسمعها منك، فأمسك بيدي وقال: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، وبكى منتحبًا، ثم قال: هكذا يقول الله جل جلاله: «وما خلقت الإنس والجن إلا ليعبدون، وما خلقنا السماء والأرض وما بينهما لا عيين ما خلقناها إلا بالحق ولكن أكثرهم لا يعلمون، وحتى إنه هو العزيز الرحيم». عندئذ صاح صيحة، فظننته فقد صوابه، ثم قال: يا ابن حيان ما أتى بك إلى هنا؟ فقلت: حتى أتت بك، وأستكين إليك. قال: لم أعرف شخصاً قط عرف الله، ويستطيع أن يأنس بأى شيء آخر (دونه). قال هرم: عظمى فقال أوهيس: صنع الموت تحت الوسادة حين تنام، وأمام العين حين تستيقظ، ولا تستصغر الذنوب، أنظر إلى ضخامتها، لأنك تصير عاصياً بها، فإنك إن استصغرت ذنباً فإنك تستهين بالله، وإن استعظمتها، فإنك تعظم الله. قال هرم: أين تأمر أن أقيم؟ قال: فى الشام، فقال: وكيف تكون المعيشة هناك؟ فقال أوهيس: أف لهذه القلوب قد خالطها الشك ولا تنفعها الموعظة.

قلت: عظمى عظة أخرى، فقال يا ابن حيان، مات أبوك، ومات آدم وحواء، مات نوح وإبراهيم الخليل، ومات موسى بن عمران، ومات داود خليفة الله، ومات محمد (رسول الله)، ومات خليفته أبو بكر، ومات أخى عمر، ومات حبيبي. وإعمره، وإعمره. فقلت: رحمك الله، لم يمض عمر بعد. فقال: نعاه الحق تعالى لى، ثم قال: أنا وأنت من جملة الموتى، وأدى الصلاة، ودعا ما تيسر من الدعاء، وقال: وصيتى هى: أن تعمل بكتاب الله، وتسلط طريق أهل

الصلاح، ولا تغفل لحظة عن ذكر الموت، وعندما تصل إلى قومك انصحهم، ولا تمنع النصيحة عن خلق الله، ولا تعد خطوة عن موافقة الجماعة، لأنك حينئذ تصير بلا دين، وأنت لا تعلم، وتقع في الجحيم. ودعا عدة أدعية. وقال: أنت ذاهب يا هرم بن حيان أيضاً ولن ترانى، ولن أراك، وتذكرنى بالدعاء، كى أتذكرك أنا أيضاً، وأذهب أنت من هذه الناحية، وأنا من تلك. قال: أردت أن أمشى معه برهة، فأبى ومضى، وكان يبكى، فحملنى على البكاء، وكنت أتابعه بنظرى، حتى نزل بحى، ولم أعرف عنه شيئاً بعد ذلك، وقال: أغلب الكلام الذى قاله لى كان عن الأميرين الفاروق والمرتنى (رضى الله عنهما) (٢٦).

ويقول الربيع بن خثيم (٢٧): ذهبت لأرى أويس، وكان يصلى الفجر، وعندما فرغ، قلت: أصبر حتى ينتهى من التسبيح، فأبطأت، فلم يهض من مكانه حتى أدى صلاة الظهر والعصر، والخلاصة أنه لم يفرغ من الصلاة ثلاثة أيام بلياليها، ولم يأكل أو ينام قط (خلالها) وفى الليلة الرابعة كنت أنصت إليه، (وحدث أن) غلبه النوم فناجى الحق فى الحال، وقال: يا إلهى، أعوذ بك من عين كثيرة النوم ووطن نومة. فقلت: يكفىلى هذا ولم أزعه وعدت.

يسروى: عن أويس أنه لم ينام الليل أبداً طوال عمره، فكان يقول فى ليلة: هذه ليلة القيام، ويقول فى ليلة أخرى: هذه ليلة الركوع، وفى ليلة تالية: هذه ليلة السجود. فكان يمضى ليلة فى القيام، وليلة فى الركوع، وليلة فى السجود (٢٨). قالوا: يا أويس، كيف تستطيع (أن تمضى) ليلة بهذا الطول على حال واحد. فقال: إننا لم نكد نقل سبحان ربى الأعلى مرة واحدة فى السجود حتى ينبدلج النهار، والتسبيح ثلاث مرات سنة. إننى أفعل هذا لأننى أريد أن أتعبد مثل أهل السماء.

سئل: ما هو الخشوع في الصلاة؟ فأجاب: من إذا ضرب بحرية على جانبه وهو في الصلاة لا يعلم خبرها. قالوا: كيف حاله؟ قال: كشخص يستيقظ في الصباح ولا يعرف هل سيعيش إلى المساء أم لا. قالوا: وكيف يتحقق هذا الأمر؟ قال: واقلة زادي واطول طريقاه.

وقال: إن تعبد الله (تعالى) عبادة قدرها السموات والأرض، لا يقبلها (منك) ما لم تصدقه (فيها). قالوا: وكيف نصدقه؟ قال: بألا تأمن بما كتبه لك، ولا ترى نفسك فارغاً طالما لا تنشغل بشيء آخر في عبادته.

وقال: كل من يحب ثلاثة أشياء كانت جهنم أقرب إليه من جبل الوريد: تناول الطعام الطيب، وارتداء اللباس الحسن، والجلوس مع الأغنياء: قالوا لأويس عليه السلام: على مقربة منك رجل منذ ثلاثين عاماً، حفر قبراً، وعلق كفناً، وجلس أمامه، وهو يبكي، ولا يهدأ ليلاً ولا نهاراً. قال أويس: إحملوني إلى هناك، لأراه، فاصطحبوه إليه، فرآه ذابلاً، نحيفاً، غائر العينين بسبب البكاء. فقال له: يا فلان شغلك القبر عن الله. أيها الرجل، شغلك القبر والكفن عن الله ثلاثين عاماً، وانشغلت بهما، فأصبحتنا وطريقك، فأدرك الرجل تلك الآفة في نفسه على هدى أويس، وانكشف الحال له، فصاح صيحة، وسقط في ذلك القبر، وأسلم الروح. ولو أن القبر والكفن سوف يكونان حجابين فانظر ما هي حجب الآخرين وكم يبلغ عددها؟!

يروى: أن أويس ذات مرة لم يكن قد أكل قط طيلة ثلاثة أيام بلياليها، وفي صباح اليوم الرابع، خرج، كان دينار من الذهب ملقى في الطريق، فقال: ربما يكون قد وقع من شخص، والتفت، ليقتطف عشباً من الأرض ويأكله، فرأى كبشاً قادماً يمسك بفرجه رغيفاً ساخناً، وضعه أمامه فقال: ربما كان قد اختطفه من شخص ما، وأشاح بوجهه. فتحدث الكبش قائلاً: أنا عبد من أنت عبده،

فخذ رزق الله من عبد الله . قال (أويس) : مددت يدي لأخذ الرغيف، فرأيت الرغيف في يدي، واختفى الخروف .

إن محامده كثيرة، وفضائله وفيرة، في البداية، قد ذكره الشيخ أبو القاسم الجرجاني^(٢٩)، حين كان يقول: أويس، أويس، أويس، هم يعلمون قدره .

ومن أقواله أنه قال : من عرف الله لا يخفى عليه شيء، ومعنى آخر هو من عرف من هو، هو العارف . ومعنى آخر هو: كل من عرف الأصل، كانت معرفة الفروع سهلة عليه، لأنه ينظر إلى الفروع بعين الأصل . ومعنى آخر هو: يمكن معرفة الله بالله لأن عرفت ربي برى، فكل من يعرف الله بالله، يعرف كل شيء .

وقوله : السلامة في الوحدة، والوحدة هي أن يكون الفرد في وحدة، والوحدة لا تتسع للغير، حتى تتحقق السلامة، ولا يصح أن تتخذ الوحدة سوريا لأن : الشيطان أبعد من الاثنين،^(٣٠) حديث .

وقوله : عليك بقلبك، أي عليك أن تستحضر قلبك دائماً، كي لا يجد الغير سبيلاً إليه .

وقوله : طلبت الرفعة فوجدتها في التواضع، وطلبت الرياسة فوجدتها في نصيحة الخلق، وطلبت المروءة فوجدتها في الصدق، وطلبت الفخر فوجدته في الفقر وطلبت النسبة فوجدتها في التقوى، وطلبت الشرف فوجدته في القناعة، وطلبت الراحة فوجدتها في الزهد، ومعاني هذا الكلام معروفة ومشهورة .

يسرور : أن جيرانه قالوا، إننا كنا نعهده من المجانين، وفي نهاية الأمر، عرضنا عليه أن نبني له داراً بجانب ديارنا، فكان يقيم فيه عاماً أو عامين، ولم يكن يظهر له وجه، كان طعامه في الإفطار أنه كان يقطف سبلة من التمر،

كان يبيعها ليلاً، وينفقها على قوته، ليفطر به، وإن وجد التمر يابساً، كان يحتفظ به، حتى يفطر به، وإن وجد التمر اليابس كثيراً، كان يبيعه، ويتصدق بثمنه. وكان رداؤه خرقة بالية، كان يلتقطها من سلال المهملات، وينظفها، ويوصلها (يحيكها مع بعضها البعض) ويرتديها. يا للعجب، يرتفع النفس الرباني من بين مكان كهذا.

كان يخرج عند صلاة الصبح، ويعود بعد صلاة العشاء. وفي كل ناحية كان ينزل بها، كان الأطفال يضربونه بالحجارة، فكان يقول: إن قدمي هزيلة، احملا حجارة أصغر، حتى لا تنكسر قدمي، وتنزف الدماء، وحتى لا أعجز عن الصلاة، فغابتني هي الصلاة لا القدم.

هكذا قالوا: أن بياضاً ظهر عليه في آخر عمره، وكان في ذلك الوقت يحارب مع أمير المؤمنين علي عليه السلام في صفين، حتى قتل. عاش وحيداً ومات شهيداً عليه السلام.

اعلم أن هناك قوماً يسمون أويسيين، ولا حاجة لهم بشيخ، لأن النبوة تربيهم في حجرها دون واسطة الغير، كما منحها لأويس، بالرغم من أنه لم ير سيد الأنبياء في الظاهر، لكنه كان يتلقى التربية منه، فكانت نرعاه النبوة. وفي الحقيقة كان ملازماً لها، وهذا هو المقام العظيم العالی. فمن يرسل إلى هناك؟ ولمن تؤول هذه العظمة؟! ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم (٣١).

ذكر الحسن البصرى (٣١) رحمة الله عليه

هو ربيب النبوة، ومعتاد الفتوة، هو كعبة العمل والعلم، وخالصة الورع والحلم، هو السابق إلى صاحب الصدارة، صدر السنة الحسن البصرى رضي الله عنه.

مناقبه كثيرة، ومحامده وفيرة، كان صاحب علم ومعاملة، وكان الحزن والخوف من الحق قد شمله بصفة دائمة، وكانت أمه من موالى أم سلمة، وعندما كانت تشغل بأمر، كان الحسن يبكي، فكانت أم سلمة (رضى الله عنها) ترضعه ثديها، فيمتصه، فنظهر عدة قطرات من اللبن، وآلاف البركات التي أظهرها الحق عليه - كلها من أثر لبن أم سلمة (٣٣) (٣٤).

يروى: أن الحسن عندما كان طفلاً، شرب ماء ذات يوم من قدح الرسول ﷺ في دار أم سلمة، فقال النبي ﷺ من شرب هذا الماء؟ قالوا: الحسن قال: إن علمي يسرى إليه بقدر ما شرب من هذا الماء.

يروى: أن الرسول ﷺ دخل دار أم سلمة ذات يوم، فوضعوا الحسن في طرفه، فدعا له الرسول ﷺ وكل ما أدركه، أدركه ببركات دعائه.

يروى: أن الحسن عندما ولد، أحضروه أمام عمر، فقال: «سموه حسناً فإنه حسن الوجه، قبلت أم سلمة (رضى الله عنها) تربيته والتمهد به، ويحكم الشفقة

التي أشفقتها عليه - ظهر لبناها، وكانت دائماً تقول: اللهم اجعله إماماً يقتدى به.

وكان قد أدرك مائة وثلاثين رجلاً من الصحابة، وعمر سبعين بداراً. وقد كانت إرادته على (رضى الله عنهما)، ورجع إليه في العلوم. وأخذ الطريقة منه.

كانت بداية تربيته، أنه عندما كان بائع جواهر، وكان يسمى الحسن اللؤلؤي، ويتاجر في بلاد الروم، ويتعامل مع أمراء القيصر ووزرائه توجه ذات مرة إلى الروم، وذهب إلى الوزير، وتحدث (معه) فترة، فقال الوزير، إننا سوف نمضى إلى مكان ما فهل ترافقنا؟ قال: كما تريد، أرافقكم فأمر فأحضروا جواداً للحمن، ركبه مع الوزير ومضى، وعندما وصلا إلى الصحراء، رأى الحسن خيمة منصوبة من الحرير الرومي، مثبتة في الأرض بالحبال الحيرية والأوتاد الذهبية. وقف الحسن في ناحية، عندئذ خرجت عدة فرق جرارة من الجنود مرتدية جميعها معدات الحرب، والتفت حول تلك الخيمة، وقالت شيئاً، وانصرفت. عندئذ وصل ما يقرب من أربعمئة من الفلاسفة والكتّاب، والتفوا حول تلك الخيمة، وقالوا شيئاً، وانصرفوا. بعد ذلك اتجه ثلاثمئة من المشايخ النوارنيين ذوى اللحى البيضاء إلى الخيمة، والتفوا حولها، وقالوا شيئاً، وانصرفوا. بعد ذلك التفت أكثر من مائتين من الجوارى الجميلات وقد حملت كل منهن وعاء من الذهب والفضة والجواهر حول الخيمة، وقلن شيئاً، وانصرفن. عندئذ دخل كل من القيصر وكبير وزرائه الخيمة، وخرجوا، وانصرفوا. قال الحسن: ظلت حائراً متعجباً وقلت لنفسى أى حال هذه؟ ولما نزلنا، سألته، فقال: كان لقيصر الروم ولد، يستحيل (أن يكون هناك) آدمى فى جماله، كامل فى أنواع العلوم، فريد فى ميدان البطولة.

عشقَه والده بشغاف قلبه وحدث أن مرض فجأة، وعجز جملة الأطباء الماهرين عن علاجه، وفي النهاية توفي، فدفنوه في تلك الخيمة، وفي كل عام يخرجون مرة لزيارته، أولاً: يطوف جيش جرار حول الخيمة، وهم يقولون: يا ابن الملك، لو كانت هذه الحال - التي اعترتك - تنجلي بالحرب، لكننا ضحينا بأرواحنا جميعاً كي نستردك، لكن هذه الحال التي اعترتك بيد شخص لا نستطيع أن نحاربه بأي وجه ولا يمكننا مبارزته، يقولون هذا، ويعودون وعندئذ يتقدم الفلاسفة والكتاب، ويقولون: هذه الحال قد فعلها شخص لا يمكن مواجهته قط بالعلم والفلسفة والمعرفة والبحث فجميع حكماء العالم عاجزون أمامه، وكل العلماء جاهلون إلى جانب علمه. وإلا كنا تدبرنا وتناقشنا، فالكافة كانوا يعجزون أمام قدرته، يقولون هذا، ويعودون. عندئذ يتقدم الشيوخ في حرمة عظيمة، ويقولون: يا ابن الملك، لو كانت هذه الحال - التي اعترتك - تنجلي بشفاعة الشيوخ، لكننا تشفعنا لك جميعاً وتضرعنا، ولما تركناك هذا، لكن هذه الحال قد أصابك من شخص لا تجدى معه شفاعة أي عبد. يقولون هذا، وينصرفون. عندئذ تتقدم تلك الجوارى الجميلات بأوعية الذهب والجواهر، وتلتف حول الخيمة، وتقلن، يا ابن القيصر، لو كانت هذه الحال - التي اعترتك - تستقيم بالمال والجمال، لكننا ضحينا بأنفسنا جميعاً، ولكننا منحنا المال الوفير، ولما تركناك، لكن هذه الحال كتبت عليك من شخص لا تأثير للمال والجمال عليه، يقلن هذا، ويعدن. ثم يدخل القيصر مع كبير وزرائه الخيمة، ويقول: لتعلم يا عين الأب وسراجه، ويا منية قلبه، ويا فلذة كبده، ماذا بيد أبيك؟ أحضر لك جيشاً جراراً، وجلب لك فلاسفة وشيوخاً وشفعاء ومستشارين، وجاء لك بالחסنات والأموال وألوان النعم، وجاء بنفسه، (لعل) الأمر يتحقق بكل هذه الأشياء، ويوفر لك أبوك بذلك كل ما يمكن عمله لكن هذه الحال قد تسبب فيها شخص يعجز الأب أمامه بكل هذا الشأن والجدد والحشم والنعمة والمال

والكنوز، السلام عليك حتى العام التالي، يقول هذا، ويعود، أثر هذا الكلام في الحسن بحيث ذاب قلبه؛ فدبر للعودة في الحال، واتجه إلى البصرة، وأقسم أيضاً ألا يضحك طوال حياته طالما أن عاقبة أمره غير معلومة. كما ألقى بنفسه في أنواع المجاهدة والعبادة، لدرجة إنه لم يأت لأحد في عهده رياضة تفوق تلك الرياضة، حتى أن رياضته وصلت إلى درجة أنهم قالوا: ظل سبعين عاماً لا تفسد طهارته سوى عند قضاء الحاجة، كما أنه اعتزل إلى حد أنه قطع الأمل عن جملة الخلق، لا جرم أنه فاق الجميع. وحدث أن نهض رجل ذات يوم في جماعة وقال: لماذا الحسن أعظمنا وأفضلنا؟ فقال شيخ كان حاضراً: لأن جملة الخلق في حاجة إلى علمه اليوم، وهو ليس محتاجاً إلى الخلق مثقال ذرة، الجميع محتاج له في الدين، وهو في غنى عن الجميع في الدنيا، والسمو والفضل يتمثلان في هذا. كان (الحسن) يتحدث مرة في الأسبوع في مجلس الوعظ، وكل مرة كان يعتلى فيها المنبر، ولا يرى رابعة^(٣٥)، كان يترك المجلس، ويهبط. فيقولون له: أيها السيد: قدم إليك كل هذا الحشد من العظماء والسادة والمشايخ، فماذا يهم لو لم تأت العجوز؟ فكان يقول: بلى، إننا لا نستطيع صب الحماء - التي تكون قد أعددناها من أجل حوصلة الأفيال - في صدور النمل، وكلما تزداد الإثارة في المجلس، كان يتجه إلى رابعة (قائلاً): يامن ارتديت الصوف، هذا من جمرات قلبك يا سيدة.

سألوه: نعلم أنك تسعد بهذا الجمع الذي يحتشد تحت منبرك، فقال: إنني لا أسعد بكثرة الجمع، ولكن إن حضر فقير واحد يسعد قلبي.

وسئل أيضاً: ما هو الإسلام؟ ومن هو المسلم؟ قال: الإسلام في الكتب والمسلمون تحت التراب.

وسئل: ما أصل الدين؟ قال: الورع، فقالوا: وما الشيء الذي يفسد الورع؟ قال الطمع.

وسئل: ما هي جنات عدن؟ قال: قصر من الذهب لا يدخله إلا رسول، أو صديق، أو شهيد، أو سلطان عادل.

وسئل: الطبيب المريض، كيف يعالج الآخرين؟ قال: عالج نفسك أولاً، وعندئذ عالج الآخرين. وقال: استمعوا إلى كلامي، فإن علمي يفيدكم، ولا يضركم عملي.

وسئل: يا شيخ، لقد نامت قلوبنا، فلا يؤثر قولك فيها، فماذا نفعل؟ قال: ليتها كانت قد نامت، فعندما تحرك النائم يستيقظ، ولقد ماتت قلوبكم، ومهما تحركها لن تستيقظ.

سئل: أيجدر بقوم أن يخيفونا بأقوالهم لدرجة أن قلوبنا تتمزق من الخوف؟ قال: إن تحدثوا مع قوم يخيفونكم اليوم فتأمنوا غداً، أفضل من أن تتحدثوا مع قوم يطمئنونكم (اليوم) فتواجهوا الخوف غداً.

قالوا: يأتي قوم إلى مجلسك، ويذكرون أقوالك، ليعترضوا عليها، وينقصون عيوبها. قال: لقد رأيت نفسي، تطمع في الفردوس الأعلى ومجاورة الحق تعالى، ولا تطمع في السلامة من الناس أبداً، لأن خالقهم لا يسلم من لسانهم.

قالوا: يقول رجل: لا تدع الخلق، ما لم تتطهر أمام نفسك، قال: إن الشيطان لا يمتنى شيئاً قط قدر أن يزين هذه الكلمة في قلوبنا، ليطلق باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

قالوا: أيحسد المؤمن؟ قال: أنسيتم إخوة يوسف عليه السلام، ولكن طالما لا تطهرون صدوركم من الحقد فلا بأس. كان للحسن مريد، كلما سمع آية من القرآن، يضرب نفسه على الأرض. فقال له ذات مرة: أيها الرجل: إن كنت تستطيع ألا تفعل ما تفعله فأنت لست نارا أشعلتها في عمرك كله، وإن كنت

لا تستطيع التوقف لابتعدت عنا عشرة منازل، ثم قال: الصعقة من الشيطان، كل من يصدر عنه صوت ما هو إلا من الشيطان، وهنا قد رجح الحكم، فلا يكون الأمر كذلك، وشرح بنفسه هذا، أي أن من يستطيع أن يبطل ذلك، وتصدر عنه تلك الصعقة، فهي من الشيطان.

ذات يوم: كان يعقد مجلساً، فدخل الحجاج^(٢٦) مع جند غفير، شاهرى السيف، وكان أحد الشيوخ حاضراً، فقال: لأختبر الحسن اليوم، فهذا وقت الاختبار. جلس الحجاج، والحسن غير عابىء به متقال ذرة، وركز اهتمامه فى حديثه الذى كان يقوله، حتى انفض المجلس. فقال ذلك الشيخ: الحسن حسن، فى النهاية توجه الحجاج حيث (جلس) الحسن، وأمسك بساعده، وقال: انظروا إلى الرجل، إن أردتم أن تتروا رجلاً، انظروا إلى الحسن.

شوهده الحجاج فى المنام واقفاً فى عرصات القيامة، وقالوا: ماذا تطلب؟ قال: اطلب ما يطلبه الموحدون، وهذا لأنه كان قد قال وهو فى حالة النزاع: يا إلهى، اظهر لحفنة العجولين هؤلاء أنك معى الغفار وأكرم الأكرمين فالجميع (يقرون) بقلوبهم وألسنتهم أنك سوف تعذبنى فنجنى بحقدهم، واظهر لهم أنك معى ففعال لما تريد. أخبروا الحسن بهذا القول، فقال: سوف يفوز هذا الخبيث بالآخرة أيضاً بالنصب.

يروى: أن المرتضى عليه السلام دخل البصرة، عاقداً زمام ناقة على وسطه، ولم يستغرق أكثر من ثلاثة أيام، أمر فيها، فحطموا جملة المناير، ومنعوا الرعاظ وقدم إلى مجلس الحسن، وكان الحسن يتحدث، فسأله: أنت عالم أم متعلم؟ قال: إننى أقص أى قول وصلنى عن الرسول ﷺ فلم يمنع المرتضى (رضوان الله عليه)، وقال: هذا شاب أهل للكلام، ثم مضى، فعرف الحسن بفراسته من هو، فهبط من فوق المنبر، وأسرع فى إثره، حتى لحق به، وأمسك بطرفه،

وقال: من أجل الله علمنى الوضوء، أحضروا الطست من مكان يسمونه باب الطست، فعلم الحسن الوضوء، ومضى.

ذات مرة: حدث فى أحد الأعوام قحط بأبصرة، فذهب مائتا ألف من الخلق، وأقاموا منبراً، ورفعوا الحسن فوق المنبركى يدعو، فقال الحسن: أتريدون أن ينزل الغيث قالوا: بلى، لقد جئنا لهذا، قال: اخرجوا الحسن من البصرة. وكان الخوف قد غلب الحسن إلى درجة أنه - كما روى - عندما كان يجلس كأنه قد جلس أمام جلد، ولم يره أحد مبتسماً أبداً، (كأنما) قد اعتراه ألم عظيم.

يروى: أن (الحسن) رأى رجلاً ذات يوم، كان يبكى، فقال له: لماذا تبكى؟

قال الرجل: كنت فى مجلس محمد بن كعب^(٢٧) القرظى. فقال: أياكون الرجل من المؤمنين، ويظل عدة أعوام فى الجحيم بشؤم الذنوب، فقال (الحسن): لبيت الحسن كان منهم، لكان يخرج من الجحيم بعد عدة أعوام.

يروى: أنه كان يقرأ هذا الحديث ذات يوم: آخر من يخرج من النار رجل يقال له هناد،^(٢٨). فقال الحسن: ليتنى كنت ذلك الرجل.

قال أحد الرفاق: كان الحسن ينوح فى دارى ذات ليلة، فقلت (له) لم نواحك هذا؟ مع مثل ذلك الزمن الذى أتاح لك التمتع بهذه العظمة، فقال: أتوح وأبكى خشية صدور عمل ناشئ عن غفلة وسوء قصد، أو تكون القدم قد خطت خطوة أو جرى كلام على لسانى مما لا يرضاه الحق تعالى. فيقول للحسن: اذهب، لم يعد لك الآن قدر فى حضرتنا. ولن نقبل أى شئ منك منذ الآن.

يسروى: أن شخصاً كان قد جلس بجانب باب صومعة الحسن ذات يوم، وكان الحسن يصلى فوق سطح الصومعة، فبكى فى سجدة لدرجة أن الماء أخذ

يقطر من ماسورة السطح، وسقط على رداء الرجل، فطرق الرجل الباب، وقال: هذا ماء طاهر أم لا؟ كى أغتسل، قال الحسن: اغتسل، لأنه لا يجوز الصلاة به فهو دمع عصاة.

يسروى: أن الحسن ذهب ذات مرة إلى جنازة، عندما وضعوا الميت في القبر، وواروه التراب، جلس الحسن فوق القبر، وبكى عليه إلى حد أن تحول التراب إلى طين ثم قال: أيها الناس، اللحد هو الأول والآخر والقبر هو نهاية الدنيا، وأول الآخرة، ألا ترى أنه القبر، فالقبر أول منزل من منازل الآخرة، فلم تزهرن بعالم آخره هذا (أى القبر)؟! وكيف لا تخافون من عالم أوله هذا (أى القبر)؟! طالما أن هذا هو بدايتكم ونهايتكم، فأعدوا أمرهما، يا أهل الغفلة، فيكى الحاضرون لدرجة أنهم صاروا جميعاً على شاكلة واحدة.

يسروى: أنه كان يمر ذات يوم بالمقابر مع جماعة من الفقراء، وقال لهم: في هذه القبور رجال لم تصل همتهم إلى الجنة، لكن حسرتهم البالغة معيبة في التراب بحيث إن عرضت ذرة من تلك الحسرة على أهل الأرض والسماء، لخرّ الجميع صرعى من الخوف.

يسروى: أن معصية كانت قد صدرت من الحسن في الطفولة، وكلما كان يحكي قميصاً جديداً كان يكتب تلك المعصية على تلابيبه، ثم يبكي طويلاً حتى يفقد وعيه.

ذات مرة: كتب عمر بن عبد العزيز (٣٩) رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ رسالة إلى الحسن، وقال في تلك الرسالة: عظنى عظة قصيرة، بحيث أتذكرها، وأجعلها هادية لى، فكتب الحسن على ظهر الرسالة: يا أمير المؤمنين، عندما يكون الله معك، ممن تخاف؟ وإن لم يكن الله معك ففيم تأمل؟

مرة أخرى، كتب له الحسن رسالة (فحواها): عش يومك لأن نهاية الشخص أن يموت كما كتب له وقد كتب عليه الموت، والسلام. فأجابه تمسك بيومك، لأن الدنيا والآخرة لا يجتمعان أبداً.

ذات مرة: كتب ثابت البناني^(٤٠) (رحمة الله عليه) رسالة إلى الحسن (فحواها): أسمع أنك سوف تذهب إلى الحج، وأريد أن أكون في صحبتك، فأجابه: دعك (من هذا)، كى نعيش فى ستر الله، فإن وجودنا معا يظهر عيوبنا معاً، (ويجعلنا) ننادى بعضنا البعض.

بروى: أن سعيداً بن جبيرة^(٤١) قال فى وعظ (له): لا تفعل ثلاثة أفعال: أولاً: لا تخط على بساط السلاطين ولو أخلصوا الشفقة على الخلق.

ثانياً: لا تجلس فى خلوة مع امرأة، ولو كانت رابعة، وكنت تعلمها كتاب الله.

ثالثاً: لا تعير أذنك لأمير قط، وإن كنت من أشجع الشجعان، لأنه لا يخلو من آفة، وفى نهاية الأمر يصيب جرحك.

قال مالك بن دينار^(٤٢): سألت الحسن: ما هى عقوبة العالم؟ قال: موت القلب. قلت: وما هو موت القلب؟ قال: حب الدنيا.

قال شيخ: ذهبت إلى مسجد الحسن وقت السحر للصلاة، وكان باب المسجد مغلقاً والحسن يدعو داخله والقوم يقولون: آمين، فانتظرت، حتى صارت (الدنيا) أكثر إشراقاً، ووضعت يدي على الباب، ففتح، فدخلت، ورأيت الحسن بمفرده! فتمعجبت، وعندما أدينا الصلاة، حكيت القصة له، وقلت: لله أخبرنى بهذا الأمر! قال: ولا تقل لأحد، كل ليلة جمعة، يأتى الملائكة إلى، أحدثهم فى العلم، وأدعو فيقولون آمين.

يروى: أن الحسن عندما كان يدعو، كان حبيب العجمي^(٤٣) يرفع ذيل ثوبه، ويقول: أرى الإجابة.

يسروى: أن شيخاً قال: كنت أمضى مع الحسن وجماعة إلى الحج، وفي البادية، فانتابنا العطش، ووصلنا إلى حافة بئر، ولم أر دلوًا ولا حبلًا، فقال الحسن: عندما أشرع فى الصلاة، اشربوا الماء، وما أن بدأ الصلاة، حتى أدركنا الماء الذى كان قد ارتفع حتى حافة البئر، فشرينا، ورفع أحد الرفاق ركوة ماء، فانخفض الماء داخل البئر، وعندما فرغ الحسن من الصلاة، قال: لم تستقيموا لله، فانخفض الماء فى البئر، ثم رحلنا عن ذلك المكان. وفى الطريق وجد الحسن تمرًا، فمنحه لنا، فأكلناه، وكان له نوى ذهبى! حملناه إلى المدينة وابتعنا به طعامًا، تصدقنا به.

يروى: أن أبا عمرو (إمام القراء)^(٤٤) عندما كان يعلم القرآن، جاءه فجأة، طفل جميل ليتعلم القرآن؟ فنظر إليه أبو عمرو نظرة خائنة، فنسى القرآن كله من ألف الحمد، إلى سين، من الجنة والناس، وتأججت النار داخله، فذهب إلى الحسن البصرى وقص عليه الأمر وبكى منتحبًا، وقال: أيها السيد، هكذا وقع الأمر، فنسيت القرآن كله، فحزن الحسن لذلك الأمر! وقال: الآن، وقت الحج، فاذهب وأد حج، وعندما تفرغ، اذهب إلى مسجد خيف^(٤٥)، حيث ترى شيخاً جالساً فى المحراب لا تقطع عليه خلوته، ودعه، حتى ينتهى، ثم قل له أن يدعو لك. هكذا فعل أبو عمرو، جلس فى زاوية المسجد، فرأى شيخاً مهيباً، تخلق الخلق حوله، وبعد فترة، دخل رجل برداء أبيض طاهر، تزامم الخلق أمامه، وسلموا عليه، وتحدثوا مع بعضهم البعض، عندما انقضى وقت الصلاة، ذهب ذلك الرجل، وذهب الخلق معه. وبقي ذلك الشيخ وحيداً. قال أبو عمرو: تقدمت إليه، وسلمت، وقلت: الله الله، اغثنى! وقصصت عليه الأمر،

فحزن الشيخ، ونظر إلى السماء بطرف عينه، ولم يكن قد أنزل رأسه بعد، حتى استرجعت القرآن، وقال أبو عمرو: ركعت أمامه من السرور، ثم قال: من أُرشدك عنى؟ قلت: الحسن البصرى، قال: من يكون له إمام كالحسن، أى حاجة له بشخص آخر؟!، ثم قال: فضحنا الحسن، فلنفضحه نحن أيضاً، مزق حجابنا، فلنمزق حجابيه أيضاً، ثم قال: ذلك الشيخ ذو الرداء الأبيض - الذى رأيتُه، والذي جاء بعد صلاة الظهر، ومضى قبل الجميع، وجلله الجميع - كان الحسن، وهو كل يوم يؤدى فى البصرة صلاة الظهر، ويأتى إلى هنا، ويتحدث معنا، ثم يؤدى صلاة العصر فى البصرة. وعندئذ قال: كل من له إمام مثل الحسن، لماذا يطلب الدعاء منا؟

يسروى: أنه فى عهد الحسن، أصيب جواد أحد الرجال بعجز فأسقط فى يد الرجل وقص حاله على الحسن، فابتاع الحسن ذلك الجواد منه بأربعمائة درهم من أجل الجهاد، ومنحه الدراهم الفضية، وفى الليل رأى ذلك الرجل فى المنام مرحاً فى الجنة، وبها جواد وأربعمائة من الجياد الصغار يمرحون معاً، فسأل: ملك من هذه الجياد؟ فقالوا كانت ملكك، الآن، سجلت باسم الحسن، وعندما استيقظ، مثل أمام الحسن، وقال: أيها الإمام، الغ البيع، فإننى نادم، قال الحسن: اذهب، فذلك المنام الذى رأيتُه، رأيتُه أنا قبلك، فعاد الرجل حزينا. وفى الليلة التالية، رأى الحسن قصوراً ورياضاً (جميلة) فى المنام، سأل: ملك من هذه؟ فقيل له: إنها ملك الشخص الذى يلغى البيع فطلب الحسن ذلك الرجل فى الصباح، وألغى البيع.

يسروى: أن (الحسن) كان له جار يعبد النار، (يدعى) شمعون، حدث أن مرض وانتهى به الأمر إلى النزع الأخير، فقالوا للحسن: أدرك جارك، اقترب الحسن من فراشه فرآه وقد اسود من النار والدخان، فقال: اخش الله، فقد

أضيت العمر كله بين النار والدخان، أسلم، كى يرحمك الله، قال شمعون:
تمنعنى عن الإسلام ثلاثة أشياء:

أولاً: أنكم تذمون الدنيا، وتطلبونها ليلا ونهاراً!

ثانياً: أنكم تقولون: إن الموت حق، ولا تعدون العدة له قط.

ثالثاً: أنكم تقولون: إن لقاء الحق يجدر الفوز به، والآن تفعلون كل ما هو
مخالف لرضائه. فقال الحسن: هذه علامة العارفين، أن يفعل المؤمنون مثل
ذلك، ماذا تقول أنت؟ فهم مَقْرُون بوجدانيته، (بينما) أفنيت عمرك فى عبادة
النار، فعبدت النار سبعين عاماً، وأنا الذى لم أعبدها، كلانا سيدخل الجحيم،
فتحرقك وتحرقنى، ولا تحفظ لك حقاً، لكن إن يرد ربي لا تجرؤ النار على أن
تحرق شعرة فوق جسدى، لأن النار مخلوق لله، والمخلوق مأمور، والآن وقد
عبدتها أنت سبعين عاماً، تعال نضع كلانا أيدينا فوق النار، كى تشاهد ضعف
النار وقدره الله (تعالى)، قال هذا ووضع يده داخل النار، واستمر (لفترة) ولم
يتأثر بها قط ولم يحترق، وعندما رأى شمعون ذلك تحير وأشرق داخله صبح
المعرفة، فقال للحسن: قد عبدت النار طيلة سبعين عاماً، الآن وقد بقيت لى
عدة أنفاس، ماذا أفعل؟ قال: أن تسلم فقال شمعون: إن منحنى مكتوباً، حتى
لا يعاقبنى الحق تعالى، أو من، ولكن إن لم تمنحلى مكتوباً، لا أو من، فكتب
الحسن رسالة، فقال شمعون: مر بأن يشهد عليها عدول البصرة، فسجلوا
شهادتهم عليها، فبكى شمعون كثيراً، وأسلم، وأوصى الحسن (قائلاً): عندما
أموت مر بتغسيلى وضعى بيدك فى التراب، وضع هذا المكتوب فى يدي،
لأنه سوف يكون حجتى، أوصى بهذه الوصية، ونطق الشهادة، وتوفى فخلوه،
وصلوا (عليه)، ودفنوه، ووضعوا ذلك المكتوب فى يده. فى تلك الليلة، غلبه
النوم وهو يهذى، ما هذا الذى فعلته؟ أنا نفسى غريق، فكيف آخذ بيد غريق

آخر؟ لا سيطرة لى على ملكى، فلماذا تطاولت على ملك الله؟، واستغرق فى النوم بين هذه الأفكار، فرأى شمعون كالشمع المضيئ، فوق رأسه تاج، ويرتدى حلة، مبتسماً مختالاً فى رياض الجنة فقال الحسن: يا شمعون، كيف أنت؟ قال: لم تسأل؟ كما ترى أن الحق تعالى أنزلنى بفضلته إلى جواره، وتجلى (لى) بكرمه وما أمر به بلطفه لى، لا يتأتى وصفه والتعبير عنه. أنت الآن برئ، تحللت من ضمانك، خذ مكتوبك هذا، فلم تعد لى حاجة به بعد الآن. عندما استيقظ الحسن، رأى تلك الورقة فى يده، فقال: يا لى، الواضح أن أمرك لا علة له، سوى الفضل المحض. من يضر على بابك؟ هديت المجوسى البالغ من العمر سبعين عاماً السبيل إلى قريك بكلمة واحدة، فكيف تحرم المؤمن البالغ سبعين عاماً؟

يروى: أنه كان متواضعاً لدرجة أنه كان يعد كل شيء - ينظر إليه - أفضل منه، ذات يوم، كان يمر على شاطيء دجلة، فرأى عبداً معه ركوة وأمامه سيدة جالسة، تشرب من تلك الركوة، فجال فى خاطر الحسن أن هذا الرجل وهو أفضل منى، حاد عن الشرع فهو إذن ليس أفضل منى؛ فقد جلس مع امرأة محرمة عليه، كانت تشرب من القرية، وبينما كان مستغرقاً فى هذه الأفكار، وصلت فجأة سفينة مثقلة بالأحمال، وعليها سبعة رجال، وفجأة جنحت. وغرقت فأسرع ذلك العبد، وأنقذ ستة أفراد ثم اتجه إلى الحسن. وقال: إنهض، إن كنت أفضل منى، فأنا أنقذت ستة أشخاص فأنقذت أنت الشخص (الباقى). يا إمام المسلمين فى تلك (القرية) ماء وتلك المرأة أمى. وأردت أن أختبرك، هل ترى بعين الظاهر أم بعين الباطن؟ الآن صار معلوماً أنك رأيت بعين الظاهر، انحنى الحسن أمامه وطلب المذرة، وعلم أنه من رجال الحق ثم قال: أيها العبد: أنقذتني من بحار الشك، كما أنقذتهم من البحر، فقال العبد: لتقر عينك، لاشك أنه بعد ما حدث لم تعد نفسك أفضل من أى شخص آخر. حتى

حدث أن رأى كلباً، وقال: إلهي، إرفعني إلى درجة هذا الكلب فسألوه: أنت أفضل أم الكلب؟ قال: إن نجوت من عذاب الله، أكون أفضل منه، وإلا فبعزة الله وجلاله هو أفضل من مائة مثلي.

يسروى: أن الحسن قال: عجبت من قول أربعة أشخاص: طفل، وثل، ومخنث، وامرأة! قالوا: كيف؟ قال: ذات يوم، كشفت ستر مخنث كنت أمر عليه، فقال: أيها السيد، لم يتضح حالنا بعد، فلا تكشف ستري، لأن الله يعلم كيف تصير الأمور في الآخرة! ورأيت ثملاً، كان يسير في الوحل مترنحاً، فقلت له: ثبت قدمك يا مسكين حتى لا تنزل. قال: ثبت أنت قدمك مع كل هذه الدعاوى؟ إن زللت وأنا ثمل، وأنهض ملوثاً بالطين، واغتسل، فهذا سهل، لكنني أخشى وقوعك أنت، ترك هذا الكلام في قلبي أثراً عظيماً. ذات مرة، كان طفل يحمل مصباحاً، فقلت (له): من أين أحضرت هذا الضوء؟ فاهترزت ريح داخل المصباح، فقال: قل لي أين ذهب هذا الضوء؟ كي أقول لك من أين أحضرته! وكانت امرأة - مكشوفة الوجه، منبسطة اليدين، عيناها يتسمان بجمال عظيم - تشكو لي من زوجها، قلت (لها): استري وجهك أولاً، قالت: لقد زال عقلي على بسبب محبة مخلوق، وإن لم تكن تخبرني، فإنني سأذهب إلى السوق هكذا. وماذا لو لم تر عورة وجهي مع كل هذه الدعاوى في محبته. فتعجبت منها أيضاً.

يسروى: أنه عندما كان يهبط المنبر كان يمسك بيد عدة أفراد من هذه الطائفة ويقول: هاتوا بنشر النور، أي تعالوا ننشر النور، ذات يوم، رافقهم رجل ليس من أهل هذا الحديث، فقال له الحسن: لتعد.

يسروى: أنه قال لأصحابه ذات يوم: قد شابهتم أصحاب الرسول ﷺ، فسروا، فقال الحسن: في الوجه والذقن، لا في شيء آخر، لو كانت عيونكم وقعت على أولئك القوم، لكان الجميع يبدون مجانين في أعينكم، وإن هم

اطلعوا على سرائركم، لما اعتبروا أحدكم مسلماً، لأنهم كانوا طلائعاً تقدموا فوق جبال منطلقة مثل الطيور المحلقة، والريح العاصفة، وقد بقينا نحن فوق حمير ظهورها مجروحة.

يروى: أن إعرابياً مثل أمام الحسن، وسأله عن الصبر، قال: الصبر نوعان: أحدهما: الصبر على البلاء والمصائب، والثانى: الصبر على الأشياء التى نهانا الحق تعالى عنها وهكذا بين الصبر الحق للإعرابى. قال الإعرابى: «ما رأيت أزهى منك، وما سمعت عن من هو أكثر صبراً منك، قال الحسن: أيها الأعرابى، إن زهدى - كله - ميل، وصبرى جزع، فقال الإعرابى: أشرح كلامك لأنك شوشت خاطرى، فقال: إن صبرى فى البلاء أو فى الطاعة ناطق بخوفى من نار جهنم، وهذا هو عين الجزع. وزهدى فى الدنيا رغبة فى الآخرة، وهذا هو عين الطلب. ثم قال: إن صبر الشخص يكون قوياً عندما يستغنى عن نصيبه، كى يكون صبره للحق، لا لإنقاذ جسده من الجحيم، ويكون زهده للحق، لا لوصوله للجنة، وهذه هى علامة الإخلاص.

وقال: يلزم للرجل: علم نافع، وعمل كامل، وإخلاص فيه، وقناعة تامة وصبر معها. إذا ما تحققت هذه الثلاثة لا أعلم بعد ذلك ماذا تفعل به طالما تحققت له؟

وقال: إن الأغنام أكثر علماً من الإنسان، لأن صوت الراعى يسمعها عن الرعى، ولا يمنع كلام الله الإنسان عن رغبته.

وقال: إن مجالسة الأشرار تسمى ظن الناس بالأخيار.

وقال: إن دعانى شخص لشرب الخمر أجب إلى من أن يدعونى لطلب الدنيا.

وقال: المعرفة هى ألا تجد فى نفسك ذرة خصومة واحدة.

وقال: إن جنة الخلود ليست بهذا العمل اليومي الضئيل، إنها بالنية الحسنة.
 وقال: في البداية عندما ينظر أهل الجنة إلى الجنة، يفنون عن أنفسهم
 سبعمئة ألف عام، لأن الحق تعالى يتجلى لهم، فإن نظروا إلى جلاله، يتملون
 بالهيبة، وإن نظروا إلى جماله. يغرقون في الوحدة.

وقال: الفكرة مرآة تظهر لك حسناتك وسيئاتك.

وقال: كل من لا يتصف كلامه بالحكمة، فهو عين الآفة. وكل من لا يبيع
 صمته من الفكر، فهو مملوء بالشهوة والغفلة، وكل نظرة لا تتأني من العبرة،
 كلها لهو وذلة.

وقال: في التوراة: كل من قنع، استغنى، وطالما اعتزل الخلق، أدرك
 السلامة. وطالما سحق الشهوة، تحرر. وطالما تخلص عن الحسد، ظهرت المودة.
 وطالما صبر عدة أيام على الحرمان، أدرك الخلود.

وقال: يعناد العارفون الصمت دائماً، حتى تنطق قلوبهم، ثم تسرى على
 ألسنتهم.

وقال: في الورع ثلاثة مقامات:

أولاً: ألا يتحدث العبد إلا بالحق، سواء في الغضب أو الرضا.

ثانياً: أن يحفظ أعضائه عن كل ما يغضب الله.

ثالثاً: أن يقصد شيئاً، يرضى الله تعالى عنه.

وقال: متقال ذرة من ورع أفضل من ألف متقال من الصلاة والصيام.

وقال: أفضل الأعمال كلها الفكر والورع.

وقال: لو أعلم أنني لست منافقاً، لكان ذلك أحب إلي من أي شيء على وجه الأرض.

وقال: إن اختلاف الظاهر والباطن والقلب واللسان من جملة النفاق.

وقال: لم يوجد هناك مؤمن قط من السابقين، ولن يكون من اللاحقين، إلا ويخاف على نفسه، (مردداً) لا ينبغي لنا أن نكون منافقين.

وقال: كل من يقول أنا مؤمن حقاً، ليس مؤمناً بدليل: «ولا تزكوا أنفسكم هو أعلم بمن اتقى» (٤٦).

وقال: المؤمن من يتأني، ولا يكون كحاطب الليل، أي لا يكون كشخص يفعل كل ما يستطيع أن يفعله، ويقول كل ما يرد على لسانه.

وقال: لا غيبة لثلاثة أشخاص: صاحب هوى، وفاسق، وإمام ظالم.

وقال: الاستغفار محمود في كفارة الغيبة، لو أنك لا تريد حلاً آخر.

وقال: مسكين ابن آدم، راض بالدار التي حلالها حساب وحرامها عذاب.

وقال: لاتفارق روح ابن آدم الدنيا، إلا بثلاث حسرات:

الأولى: أنها لم تشبع مما جمعه.

الثانية: أنها لم تدرك ما كانت قد تمنته.

الثالثة: أنها لم تعد زاداً طيباً لمثل ذلك الطريق الذي ينتظرها.

قال شخص: إن فلاناً يسلم الروح، قال: لا تقل هذا، إنه أمضى سبعين عاماً حتى يسلم الروح، والآن سوف يتحرر من تسليم الروح، فإلى أين سيصل؟

وقال: نجا المخفرون وهلك المثقلون.

وقال: ليغفر الله عز وجل نكوم كانت الدنيا وديعة لهم، فردوا الوديعة
ومضوا فارغى الهال.

وقال: العاقل أو العالم فى رأى هو: من يخرّب الدنيا، ويؤسس الآخرة
بخرابها، ولا يخرّب الآخرة، ويؤسس الدنيا بخرابها.

وقال: كل من عرف الله، يحبه. وكل من عرف الدنيا يناصبها العداة
وليس فى الدنيا أى دابة أولى بلجام قوى من نفسك.

وقال: إن أردت أن ترى كيف ستكون الدنيا بعدك؛ فانظر كيف هى بعد
رحيل الآخرين!

وقال: بالله، إنهم لم يعبدوا الأصنام، إلا محبة فى الدنيا.

وقال: إن الرجال الذين سبقكم، قد عرفوا قدر تلك الرسالة، التى وصلتهم
من الحق فكانوا يتأملونها ليلاً، ويعملون بها نهاراً، وأنتم تعلمتموها ولم تعملوا
بها، أعددتكم الإعراب ووضعتم الكلمات لتعدوا بها رسالة الدنيا.

وقال: بالله، لا يعز شخص قط الذهب والفضة، إلا ويحقره الله.

وقال: كل أحمق يرى قوماً يتبعونه، لا يفت قلبه بأى حال.

وقال: كل شىء سوف تأمر به شخصاً، عليك أن تنفذه أولاً.

وقال: كل من يردد كلام الناس أمامك، يردد كلامك أمام الآخرين، فلا
يكون جديراً بالصحة.

وقال: الإخوة الأعزاء لدينا هم أصحاب الدين، والأهل والأبناء هم رفاق
الدنيا وخصوم الدين.

وقال: كل ما يفتقه العبد على نفسه ووالديه، يحاسب عليه، سوى الطعام الذي يقدمه للرفاق والصيوف.

وقال: كل صلاة لا يكون القلب حاضرًا فيها، تكون أقرب إلى العقاب.

وقالوا: ما الخضوع؟ فقال: هو الخوف الذي كان قد ثبت في القلب، ولازمه القلب.

فقالوا: هناك رجل، لم يأت إلى صلاة الجماعة، منذ عشرين عامًا ولم يختلط بأحد، وقد اعكف في زاوية. فذهب الحسن إليه وقال: لماذا لا تأتي إلى صلاة الجماعة، ولا تختلط بالناس؟ فقال: اعذرني، فإنني مشغول، قال: مشغول بأى شيء؟ قال لا يصعد مني نفس قط، إلا ومعها نعمة من الحق إلى، أو معصية مني إليه، فأشغل بشكر تلك النعمة، وبالاستغفار عن تلك المعصية. فقال الحسن: ابق هكذا.

سأله: ألم تقض وقتًا طيبًا قط؟ فقال: ذات يوم كنت فوق السطح عندما كانت جارتى تقول لزوجها: ظللت في دارك ما يقرب من خمسين عامًا، وصبرت في السراء والضراء، وفي البرد والحر، ولم أطلب المزيد، وحفظت اسمك وعرضك، ولم أشك منك لأحد. لكنني لا أقبل هذا الأمر وهو أن تفضل على امرأة أخرى، تحملت كل هذا، كي تراني كل شيء، لا كي ترى أخرى. واليوم، أنت تلتفت إلى أخرى، وأنا أتشبه بطرف إمام المسلمين بسبب التشنيع. فقال الحسن: طاب وقتي، وسال الدمع من عيني، وأردت أن أجد لها دليلاً في القرآن، فوجدت هذه الآية: إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء، (٤٧).

اعفو عنك ذنوبك كلها ولكن إن خطر لك أن تميل إلى أخرى وأن تشرك بالله لا أسامحك أبدًا.

يروى: أن شخصاً سأله: كيف حالك؟ قال: كيف يكون حال قوم يوجدون في البحر، وتتحطم سفينتهم، ويتعلق كل منهم بلوح؟ قال: يكون الأمر صعباً، قال: إن حالي على هذا النحو.

يروى: أنه مرَّ على جماعة يوم العيد كانوا يضحكون ويلعبون، فقال: أعجب من أناس يضحكون، وهم يجهلون حقيقة حالهم!

يروى: أنه رأى رجلاً كان يتناول الخبز في المقابر، فقال: إنه منافق فقالوا: لماذا؟ قال: إن الرجل الذي تتحرك له شهوة أمام هؤلاء الموتى، كأنه لا يؤمن بالآخرة والموت، وهذه هي علامة المنافق.

يسروى: أنه كان يقول في المناجاة: إلهي، منحتني النعمة، ولم أشكر. وأوقعت بي البلاء، فلم أصبر، ولم تسترد مني نعمة ما لم أشكرك عليها! ولم تدم عليّ بلاء ما لم أصبر عليه! إلهي ماذا ينأتى منك سوى الكرم!؟

وعندما حانت منيته، ضحك، ولم يكن أحد قد رآه ضاحكاً قط، وأسلم الروح وهو يقول: أي ذنب؟ أي ذنب؟

رآه شيخ في المنام، فقال له: إنك لم تضحك وأنت على قيد الحياة أبداً، فأى حال اعترتك في النزع؟ فقال: سمعت صوتاً (ينادي): يا ملك الموت، اقبضه بشدة، فما زال له ذنب واحد. فغلبني الضحك من السرور، وقلت: أي ذنب؟ وأسلمت الروح.

وفي تلك الليلة التي توفي فيها رأى شيخ في المنام: أن أبواب السماء مفتوحة، وأن منادياً ينادي: بأن الحسن البصري وصل إلى الله والله راض عنه، روح الله روحه.

ذكر مالك بن دينار (٤٨) رحمة الله عليه

هو المتمكن من الهداية، ومتوكل الولاية، هو الهادي الصادق، ومقتدى طريق الدين هو السالك الطيار، مالك بن دينار (رحمة الله عليه).
كان صاحب الحسن البصرى، وكان من مشايخ هذه الطائفة، له كرامات مشهورة، ورياضات مذكورة.

كان اسم والده (دينار)، وولد فى ظل عبودية والده، ومع أنه كان ابن عبد، (إلا أنه) كان متحرراً من الكونين.

ويقول البعض: إن مالكاً بن دينار كان قد جلس فى سفينة، وعندما وصلت إلى وسط البحر، قال أهل السفينة: هات أجرة السفينة. قال: ليس لى، فضربوه طويلاً حتى فقد وعيه! وعندما تاب إلى رشده ثانية، قالوا له: هات أجرة السفينة، فقال: لا أملك. قالوا: فلنمسك بقدميه، ونقلى به فى البحر، فظهر كل ما كان من سمك فى الماء، وقد أمسكت كل واحدة دينارين من الذهب بفيها، فمد مالك يده وأخذ دينارين من سمكة، وأعطاهما لهم. وعندما رأى ملاحوا السفينة ذلك، خروا أمام قدميه. ثم مضى على وجه الماء، حتى اختفى. ولهذا السبب سمي مالك بن دينار.

وكان سبب توبته، أنه كان شديد الجمال، ومحباً للذنيا، ولديه مال وفير.
كان يقيم في دمشق، وكان معاوية قد بنى مسجد دمشق الجامع، وأوقف
عليه أوقافاً طائلة فطمع مالك في أن يعهد إليه بأمر ذلك المسجد. فذهب،
وطرح سجادة في زاوية المسجد، وظل يتعبد بصفة مستمرة لمدة عام، على
أمل أن يكلم من يراه، بجده يصلى. وكان يقول لنفسه: أنت منافق، حتى
انقضى عام على هذا الأمر. فأخذ يخرج من هناك ليلاً، ويتجول.

و ذات ليلة انشغل بالطرب، وعندما نام رفاقه، انبعث صوت من ذلك العود
الذى كان يعزف عليه (قائلاً): يا مالك مالك أن لا تتوب، وعندما سمع ذلك،
كف عن العزف ثم ذهب إلى المسجد حائراً، وهو يفكر، وقال: ألم يكن من
الأفضل أن أعبد الله بإخلاص من أن أعبده بنفاق، وأن أخجل مما أفعله؟ وإن
عهد لى بتولى أمر هذا المسجد، لن أقبل، وعقد العزم على هذا، وأخلص النية
لله، وأخذ يتعبد تلك الليلة بقلب صادق. وفي اليوم التالي، تجمع الناس أمام
باب المسجد، وقالوا: نرى خلافاً في هذا المسجد كان يجب أن يتعهده أحد، ثم
اتفقوا على مالك، فليس هناك من هو أجدر منه (بذلك): وتقدموا إليه، وكان
يصلى، فصبروا حتى فرغ، وقالوا: لقد جئنا متشفعين كي تقبل هذه الولاية.
فقال مالك: اللهم، لم ينظر إلى شخص قط طيلة عام عبدتك (فيه) برياء.
والآن عندما أسلمت لك القلب، وصححت اليقين بزهدى فيه، أرسلت لى
عشرين شخصاً، ليقولوا بهذا الأمر على عاتقى، فبعرنك أننا لا أريده. عندئذ
خرج من المسجد، واتجه إلى العبادة، وسلك طريق المجاهدة والرياضة حتى
علا شأنه وعظم أمره.

وكان في البصرة رجل ثرى، مات، وترك مالاً وفيراً. كانت له ابنة
جميلة. جاءت إلى ثابت البناني، وقالت له: أيها السيد، أريد أن أتزوج مالكاً

كى يعارننى فى أمر الطاعة . فأخبر ثابت مالكا (بذلك) فأجاب مالك: قد طلقت الدنيا ثلاث طلاقات، وهذه المرأة من جملة الدنيا، ولا يمكن أن تنكح المطلقة لثلاث مرات .

يروى: أن مالكاً كان قد نام فى ظل شجرة، فإذا بثعبان قد أتى وأمسك بفيه غصن نرجس، وأخذ يجلب به الهواء له .

يسروى: أنه قال: رغبت فى الغزو عدة أعوام وقد حدث أن ذهبت إلى الروم، وفى اليوم الذى وجب فيه القتال أصابتنى الحمى بحيث إننى عجزت، فدخلت الخيمة، ونمت حزينا، وكنت أقول لنفسى آنذاك: أيها الجسد، إن كانت لك منزلة لدى الحق تعالى، لما كانت أصابتك هذه الحمى اليوم . ثم استغرقت فى النوم فهتف لى هاتف: لو كنت حاربت اليوم لأسرت، وطالما أسرت، يقدم إليك لحم الخنزير، فإن أكلت كفرت فهذه الحمى كانت هدية عظيمة لك . قال مالك: استيقظت من النوم، وشكرت الله .

يروى: أن مناظرة وقعت بين مالك ودهرى، وطال بهما الجدل، وكان كل منهما يقول: أنا على حق، فاتفق الناس على أن يقيدوا يدى مالك والدهرى مع بعضهم البعض، ويضعوها على النار، واليد التى تحترق يكون صاحبها على باطل، ووضعوها على النار، فلم تحترق أى منهما، وخمدت النار . فقالوا: كلاهما على حق . فعاد مالك مهموماً إلى الدار، وسجد على الأرض، وناجى (الله) (قائلاً): سلكت طريق الإيمان سبعين عاماً كى أتساوى مع الدهرى . فسمع صوتاً: أما علمت أن يدك حمت يد الدهرى لو كانت يده فقط وضعت فى النار لكنت رأيت .

يروى: أن مالكاً قال: مرضت ذات مرة، واشتد على المرض بحيث فقدت الأمل وبعد أن تحسنت قليلاً، احتجت إلى شىء، فاتجهت إلى السوق بصعوبة

بالغة، لأنه لم يكن معي أحد ووصل أمير المدينة، فنادى على الحرس (قائلين): ابتعد، ولم تكن لدى قدرة على ذلك فكننت أسير ببطء، فتقدم أحدهم، وضرب كتفي بسوط، فقلت: «قطع الله يدك». وفي اليوم التالي، رأيت الرجل مقطوع اليد، وملقى على مفترق الطريق.

يروى: أن شاباً فاسداً جداً وفاسقاً كان يجاور مالك، وكان مالك يتأذى منه دائماً بسبب فساده، لكنه كان يصبر، حتى يشكو شخص آخر (منه). الخلاصة ضج الآخرون بالشكوى فنهض مالك، واتجه إليه، ليأمره بالمعروف، وكان الشاب جباراً للغاية ومتسلطاً جداً فقال لمالك: أنا من رجال السلطان، لا يجزؤ أحد قط على أن يردعني، أو يمنعني عن هذا، فقال مالك (نعرض الأمر على) السلطان، فقال الشاب: لا يحيد السلطان عن إرضائي أبداً، فهو يرضى بكل ما أفعله. فقال مالك: إن لم يستطع السلطان، أشكو إلى الرحمن، وأشار إلى السماء. فقال الشاب: هو أكرم من أن يعاقبني، فعجز مالك، وخرج.

وانقضت عدة أيام، جاوز (فيها) الفساد حده، فضج الناس بالشكوى ثانية، فنهض مالك، كي يودبه، وفي الطريق الذي كان يسير فيه، سمع صوتاً: ارفع يدك عن حبيبنا، فتعجب مالك، ودخل إلى الشاب، فقال الشاب عندما رآه، ماذا حدث؟ فجلت ثانية! قال: لم أجد هذه المرة كي أزجرك، لقد جلت حتى أخبرك بالصوت الذي سمعته، يخبرني عنك، وما أن سمع الشاب ذلك حتى قال: الآن والأمر هكذا، وهبت قصرى في سبيله وضنقت ذرعاً بكل ما أملك، قال هذا، وأطاح بكل شيء، واتجه إلى الطريق. قال مالك: رأيت بعد فترة مقيماً في مكة، وقد صار مثل الخلال. وكان يقول في النزاع الأخير: لقد قال: إنه حبيبنا، فذهبت إلى الحبيب، قال هذا وأسلم الروح.

يسروى: أن مالكا كان قد استأجر داراً ذات مرة، وكان لليهودى دار أمام داره، وكان محراب منزل مالك ملاصقاً لباب اليهودى، وعرف اليهودى

(ذلك)، فأراد أن يؤذيه متعمداً، فحفر حفرة، وأعد منفذاً لها قرب المحراب، وكان يقضى حاجته فيها ويتركها عارية حتى امتلأت الحفرة. ذات يوم ضاق ذلك اليهودي؛ لأن مالكا لم يكن يتحدث قط، فخرج، وقال: أيها الشاب ألا تصل النجاسة إلى دارك من خلال حائط المحراب؟! قال: بلى، ولكنى قد أعددت جاروفاً ومكنسة، وعندما يصل شيء إلى هذا الجانب، أرفعه وأغسله. قال: ألسنت غاضباً قال غاضب، ولكنى أكظم (الغيظ) لقوله تعالى: «والكاظمين الغيظ»، فأسلم اليهودي في الحال.

يروى: أن أعماماً كانت تمر، دون أن يتناول مالك فيها مرأ أو حلواً قط. كل ليلة كان يذهب إلى دكان طباخ، ويشترى رغيفين، ينهى بهما صيامه، وأحياناً كان يحدث أن يسخن خبزاً، ويتصبر به، لأن الخبز كان طعامة. حدث أن مرض، ورغب في اللحم، فصبر عشرة أيام ولما فاض به، ذهب إلى دكان قصاب، واشترى اثنتين أو ثلاثة من الكراع، ووضعها في ثوبه، ومضى. كان للقصاب غلام أرسله في إثره، وقال: راقبه وبعد فترة، عاد الغلام باكياً، وقال: اتجه من هنا إلى مكان خال، وأخرج تلك الكراع من ثوبه، واشتم رائحتها مرتين أو ثلاث، ثم قال: أيتها النفس، لا يحق لك أكثر من هذا، ثم منح ذلك الخبز وتلك الكراع إلى فقير، وقال: أيها الجسد الواهن لا تظن إننى أحملك كل هذه الآلام بسبب العداء، أصبر عدة أيام كي لا تحترق يوم القيامة بنار جهنم، ربما تنجلي هذه المحنة، وتنعم النعمة التى لازوال لها. قال (الغلام): لا أعرف ماذا يعنى قوله؟ فمن لا يأكل لحمًا طيلة أربعين يوماً، ينقص عقله، وهو الذى لم يأكلها بعد طيلة عشرين عاماً، عقله فى ازدياد كل يوم.

يروى: أنه أقام فى البصرة أربعين عاماً، ولم يكن قد أكل (خلالها) رطباً، وعندما كان التمر ينضج، كان يقول: يا أهل البصرة، ها هى بطنى لم تنقص

بسببها بعد، ولم تزد بطونكم - وأنتم تتناولونها كل يوم - قط، وعندما انقضت أربعون سنة، بدى عليه الاضطراب رغبة في الرطب، ومهما حاول، لم يستطع أن يصبر، وعندما انقضت عدة أيام وكانت تلك الرغبة تزداد كل يوم، وكان يمنع نفسه، صار عاجزاً بسببها، فقال: لاشك أنني لن أكل الرطب، فاقنيتني أو افنيتني. حتى هتف هاتف ذات ليلة: يجب تناول الرطب، خلص نفسك من القيد، ولما أجيب هذا الجواب، ووجدت نفسه الفرصة أخذ في الصباح فقال مالك: إن أردت رطباً، تصم أسبوعاً، بحيث لا تفتح قط، وتقضى الليل في الصلاة حتى النهار، كي أمنحك الرطب. رضت النفس بذلك، وأتم أسبوعاً في قيام الليل وصيام النهار. بعد ذلك ذهب إلى السوق، واشترى رطباً، وذهب إلى المسجد ليأكلها. فصاح طفل من فوق سطح. يا ابن اليهودي، لقد اشترى الرطب، ويدخل المسجد ليأكله فقال مالك: أى شأن لليهودي بالمسجد؟ وفى الحال قدم والد الطفل، (ليرى) أى يهودى ذلك؟ فرأى مالكا، فجأ أمام قدميه، قال مالك: أى كلام هذا الذى قاله الطفل؟ قال الرجل: اعذره أيها السيد، إنه طفل لا يعلم، ويوجد فى محلتنا يهود، وعندما نصوم يرى أطفالنا دائماً لليهود يأكلون شيئاً أثناء النهار، فيظنون أن كل من يأكل شيئاً أثناء النهار يهودياً، وهذا بسبب الجهل. وقال: أعف عنه. وما أن سمع مالك ذلك، حتى اضطربت النار داخله، وعرف أن ذلك الطفل ما هو إلا لسان الغيب. فقال: يا إلهي، وأنا لم أكل الرطب بعد سميتنى يهودياً دون جرم، فإن أكلت ترمينى بالكفر. بعزتك لن أكل التمر أبداً.

يسرى: أن حريقاً وقع بالبصرة ذات مرة، فحمل مالك عصاه ونعليه، واعتلى مرتفعاً، وأخذ يتطلع إلى الناس وقد سقطوا أسرى للمتاع والأسباب، فكانت مجموعة تحترق، ومجموعة تقفز، ومجموعة تجر المتاع. فكان مالك يقول: «نجا المخفون وهلك المثلون». وسوف يكون الأمر هكذا يوم القيامة (٥٠).

يسروى: أن مالكا ذهب ذات يوم لعيادة مريض. قال: نظرت إليه، وكان أجله قد اقترب. عرضت عليه (النطق) بالشهادة. فلم ينطق، مهما حارلت أن أقول له انطق، كان يقول: عشرة إحدى عشرة، عشرة إحدى عشرة. عندئذ قال: أيها الشيخ، أمامي جبل نارى، كلما أهم بالشهادة، تنفزع النار صوتى. فسألت عن حرفته، فقيل كان يقرض المال (بالربا)، ويقش المكيال.

قال جعفر بن سليمان^(٥١): كنت مع مالك فى مكة، عندما أخذ فى قول لبيك اللهم لبيك، سقط، وفقد وعيه، ولما تاب إلى رشده. قلت له: ما سبب وقوعك؟ فقال: عندما قلت لبيك خفت، لأنه ربما يكون الجواب. لا لبيك الله لا لبيك.

يسروى: أن مالكا عندما كان يقول: إياك نعبد وإياك نستعين، كان يبكى منتحبا، ثم كان يقول: لو لم تكن هذه الآية من كتاب الله، ولو لم يأمر بها، لما قرأتها. لأننى أقول: إياك نعبد وأنا أعبد نفسى، وأقول: إياك نستعين، وأذهب إلى باب السلطان، وأشكر كل شخص وأشكر له.

يسروى: أن مالكا كان يستيقظ طوال الليل، وكانت له ابنة، قالت له ذات ليلة: يا أبى، فلتنم لحظة، قال: يا روح أبىك، أخاف غارة القهر، أو أخاف لأنه لا يجوز أن تتجه السعادة لى، وتجندنى نائما.

وقيل (له): كيف حالك؟ فقال: أكل خبز الله، وأطيع أمر الشيطان.

وإن يناد شخص فى المسجد (قائلا) ليخرج أسوأكم، فلا يتقدمنى شخص منكم قط سوى بالقهر. سمع ابن المبارك^(٥٢) هذا، فقال: من هنا تتأتى عظمة مالك، وصدق كلامه.

يقال: إن امرأة قالت لمالك: أيها المرأى، فأجابها: لم ينادنى شخص قط باسمى طيلة عشرين عاما إلا أنت، فقد عرفت جيدا من أنا، فقالت طالما

عرفت الخلق، فلا أخاف قط من شخص يمدحني، أو يذمني، لأنني لم أر ولم أعرف مادحاً إلا مفرطاً، ولا ذاماً إلا مفرطاً. أي أن كلاهما يبالغ. خذ كل ما تريد بغير مبالغة لأن «خير الأمور أوسطها».

وقال: كل أخ وصاحب وجليس لا تستفيد منه فائدة دينية، تخل عن صحبته.

وقال: وجدت صحبة أهل هذا الزمان مثل طعام السوق، رائحته طيبة، ومذاقه سقيم.

وقال: تعفف عن هذه السخارة (أي الدنيا) التي قد سخرت قلوب العلماء لها.

وقال: كل من لا تكون مناجاته مع الله (عز وجل) أحب إليه من حديثه مع الخلق، علمه قليل، وقلبه ضير، وعمره ضائع.

وقال: أحب الأعمال إلى الإخلاص فيها (في الأعمال).

وقال: أوحى الله (عز وجل) إلى موسى عليه السلام: أن اصنع نعلين وعصا من الحديد. وسر على وجه الأرض دائماً، واطلب الآثار والعبر، وأنظر حكمتنا ونعمتنا، حتى يبلى النعلان وتتحطم العصا، ومعنى هذا القول: إنه ينبغي له أن يكون صبوراً، إن هذا الدين متين فأوغل فيه بالرفق.

وقال: قد قرأت في التوراة، أن الحق تعالى يقول: «شوقاكم فلم تشتاقوا زمرياكم فلم ترقصوا».

وقال: قد قرأت في بعض الكتب المنزلة أن الحق تعالى قد وهب أمة محمد شيتين لم يهبهما لجبريل ولا ميكائيل عليهما السلام أولهما: «فأذكروني أذكركم» (٥٣). والآخر: «ادعوني أستجب لكم» (٥٤).

وقال: قد قرأت في التوراة أن الحق تعالى يقول: أيها الصديقون، انعموا في الدنيا بذكرى في الدنيا نعمة عظيمة، وجزاء جزيل في الآخرة.

وقال: يقول الحق تعالى في بعض الكتب المنزلة: أقل شيء أفضله مع العالم الذي يحب الدنيا، هو أن أنزع حلوة ذكرى من قلبه.

وقال: كل من يتغلب على شهوات الدنيا، يفرغ الشيطان من طلبه.

وطلب شخص وصية منه وهو في النزح، فقال: كن راضياً في كل الأوقات، تتوافق الأمور معك، فتحرر.

عندما توفي، رآه أحد المشايخ في المنام، فقال: ماذا فعل الله بك؟ قال: لقيت الله (جل جلاله) (مثقلاً) بذنوبي الكثيرة. لكن بسبب حسن ظني به غفرها كلها.

ورأى شيخ آخر القيامة في المنام، حيث كان يتردد نداءً قائلاً: انزل يا مالك بن دينار أنت ومحمد بن واسع في الجنة. قال: نظرت أيهما يسبق الآخر إلى الجنة. فتقدم مالك. قلت: يا للمعجب! إن محمداً بن واسع أفضل وأكثر علماً. فقيل: بلى لكن كان لمحمد بن واسع قميصان في الدنيا، ولمالك واحد. من هنا كان هذا الاختلاف، فهنا لن يستوى رداء مع رداًين قط. أي اصبر حتى تفرغ من حساب قميص زائد. رحمة الله عليه.

ذكر محمد بن واسع^(٥٥) رحمة الله عليه

هو المقدم لدى الزهاد، والمعظم لدى العباد، هو العامل العالم، والعارف الكامل، هو الغنى القانع محمد بن واسع (رحمة الله عليه رحمة واسعة).

كان فريد زمانه فى طريقته، وكان قد التحق بخدمة الكثير من التابعين، وأدرك الشيوخ المتقدمين، وكان ذا حظ وافر فى الطريقة والشريعة، ووصل فى الرياضة إلى حد أنه كان يبل الخبز اليابس بالماء. ويأكله، وكان يقول: من يقنع بهذا، يستغنى عن كل الخلق.

وكان يقول فى المناجاة: إلهى، تملكنى عارياً وجائعاً، فيماذا أدرك هذا المقام مثل أحبائك ويصير حالى كحالهم!؟

وأحياناً كان يحل مع أصحابه بمنزل الحسن البصرى من شدة الجوع، وما يجده كان يأكله، وعندما كان الحسن يأتى، كان يسر بهذا.

ومن أقواله إنه كان يقول: السعيد ذلك الشخص الذى يستيقظ جائعاً فى الصباح، وينام جائعاً فى الليل، ويرضى من الله بهذا الحال.

وطلب شخص عظة منه فقال: أوصيك بأن تكون ملكاً فى الدنيا والآخرة، قال الرجل: كيف هذا؟ فقال: بأن تزهد فى الدنيا. أى^(٥٦) أنك حين تزهد فى

الدينيا، فإنك لاتطمع فى شخص قط، وترى جميع الخلق محتاجين، ولا جرم لأنك غنى ومك، وهكذا يكون (حال) ملك الدنيا وملك الآخرة.

وقال لمالك بن دينار ذات يوم: حفظ اللسان أصعب على الخلق من حفظ الدرهم والدينار.

ودخل على قتيبة بن مسلم (٥٧) ذات يوم برداء من الصوف، فقال له: لماذا لبست الصوف؟ فسكت، قال (قتيبة): لماذا لاتجيب؟ قال: لا أريد أن أقول من الزهد فأزكى نفسى أو من الفقر فأشكر الحق (تعالى) (٥٨).

ذات يوم رأى ابناً له كان يختال، فنادى عليه وقال: ألا تدرى من أنت؟ اشتريت أمك بمائتين درهم، وكذلك ليس هناك شخص بين المسلمين أحقر من أبك، فلم عجبك هذا (٥٩)؟

وسأله شخص: كيف أنت؟ قال (كيف يكون) شخص يقل عمره وتزداد ذنوبه وهكذا كان قوله فى المعرفة: «ما رأيت شيئاً إلا ورأيت الله فيه» (٦٠).

وسئل أتعرف الله؟ فخيم الصمت عليه برهة، وأطرق، ثم قال: من عرفه قل كلامه ودام تحيره (٦١).

وقال: جدير بالشخص الذى أعزه الله بمعرفته ألا يرجع عن مشاهدته قط لمشاهدة غيره، ولا يفضل عليه شخصاً قط.

وقال: لا يكن الصادق صادقاً ما لم يكن لديه أمل، وما لم يخف قط، أى ينبغى أن يستوى لديه الخوف والرجاء، حتى يكون صادقاً حقيقياً ومؤمناً صرفاً واعلم أن «خير الأمور أوسطها» (رحمة الله عليه).

ذكر حبيب العجمي رحمة الله عليه

هو ولي قبة الغيرة، وصفي حجاب الوحدة، هو صاحب اليقين بلا شك، والمعتكف بلا أثر، هو الفقير المعدم حبيب العجمي (رحمة الله عليه).
كان صاحب صدق وهمة، وكان ذا كرامات ورياضات كاملة.

كان في بداية أمره ثرياً، وكان يقرض بالريا، ويقيم بالبصرة، ويطلب عملائه كل يوم (بالدين)، وإن لم يكن يجد للفضة، كان يطلب الريا، وكان ينفق منه يومياً وكان قد ذهب ذات يوم في طلب مدين، ولم يكن ذلك المدين في داره، وعندما لم يره طلب الريا، فقالت زوجة المدين إن زوجي ليس هنا. ولا أملك شيئاً أعطيه لك، وكنا قد نحرنا شاة لم يبق منها إلا العنق، أعطيها لك إن أردت، فقال لا بأس وأخذ منها عنق الشاة، وحملها إلى الدار، وقال لزوجته: هذا ينفع، فلتضعه في قدر، فقالت الزوجة: لا يوجد خبز ولا حطب، قال لها: حسناً، سأذهب لآخذ الريا حطباً وخبزاً، ذهب، وأخذها جميعاً، وأحضرها، ووضعت المرأة القدر، وعندما نضج، أرادت الزوجة أن تفرغه في أواني، فحل سائل وطلب شيئاً، فصاح حبيب عليها (قائلاً): إن أعطيت ما نملك، لن نصبح أغنياء ونصير فقراء، فيلس السائل وأرادت الزوجة أن تفرغه في أواني، فأمسكت بحافة القدر، فإذا به قد صار دماء سوداء عادت المرأة شاحبة الوجه،

وأمسكت بيد حبيب، وأخذته للقدر، وقالت: أنظر ما حل بنا بشؤم الريا والصيحة التي صحت بها على الفقير، فإذا كان هذا ما حل بك في الدنيا فما بالك بالآخرة. رأى حبيب ذلك، فاشتعلت في قلبه نار لم ينطفئ أوارها، وقال: أيدها المرأة تبت عما مضى. وفي اليوم التالي خرج في طلب عملائه، وكان اليوم يوم جمعة، وكان الأطفال يلعبون، وعندما رأوا حبيباً صاحوا: جاء حبيب أكل الريا ابتعدوا، حتى لا يهب غباره علينا، فنصيح تعساء مثله. ضاق حبيب بهذا الكلام فاتجه إلى مجلس، وجرى شيء على لسان الحسن البصري، اقتلع قلب حبيب دفعة واحدة، وفقد وعيه، ثم تاب، وأدرك الحسن البصري، وتشبت بتلابيبه. ولما عاد من ذلك المجلس، رآه مدين، فأراد أن يهرب منه، قال حبيب: لا تهرب، كان يمكنك الفرار مني حتى هذه اللحظة (لكن الآن) على أن أهرب منك، وعاد من هناك. كان الأطفال يلعبون، ولما رأوا حبيباً قالوا: ابتعدوا كي يمر حبيب التائب، ولا يهب غبارنا عليه لأننا نعصى الله. قال حبيب: إلهي وسيدي، في هذا اليوم الذي تصالحت معك فيه جعلت القلوب ترق لي، وطيبت اسمي. ثم نادى منادٍ من له شيء عند حبيب فليأت ويأخذه، فتجمع الخلق، وأعطاهم أمواله كلها حتى أفلس. وجاء شخص آخر (يطلب ماله) ولم يكن قد بقي لديه شيء فأعطاه عبادة زوجته. وطلب آخر ماله فأعطاه قميصه، وبقي عارياً، واعتكف في صومعة على شاطئ الفرات، وانشغل فيها بعبادة الله ليل نهار.

وكان يتعلم من الحسن ولم يكن يستطيع قراءة القرآن، ولهذا سمي بالعجمي.

وقيل: إنه لما انقضى زمن، صار معدماً فقيراً، وكانت زوجته تطلب منه النفقات والحوائج فخرج حبيب، وقصد الصومعة، وتعبد فيها، وعندما حل

الليل، عاد إلى زوجته فسألته: أين كنت تعمل حتى إنك لم تحضر شيئاً؟ فقال حبيب: الشخص الذي أعمل لديه كريم جداً، وأخجل أن أطلب منه شيئاً بسبب كرمه، فهو يعطيني حين يحين الوقت وهو يقول: إنني أعطى الأجر كل عشرة أيام، من ثم كان يذهب إلى تلك الصومعة كل يوم، ويتعبد حتى انقضت عشرة أيام، وفي اليوم العاشر عندما حلت صلاة الظهر فكر في نفسه (وقال): ماذا أحمل إلى الدار هذه الليلة؟ وما أقول لزوجتي؟ واستغرق في ذلك التفكير. وفي الحال أرسل الله (تعالى) حمالاً إلى داره بحمل من الدقيق، وآخر بلحم مسلوخ، وآخر بسمن وعسل، وتوابل وحوائح حملها الحمالون، وجاء معهم شاب جميل (معه) سرّة بها ثلاثمائة درهم من الفضة، وطرق الباب، فخرجت زوجته وقالت: ما الأمر؟ قال ذلك الشاب الجميل: قد أرسل السيد هذا كله، فقولي لحبيب أكثر من العمل حتى نكثّر من الأجر، قال هذا، ومضى. حل الليل، واتجه حبيب إلى الدار خجلاً حزيناً، وعندما وصل إلى باب الدار، كانت رائحة الخبز والطعام تنبعث منه، وتقدمت إليه زوجته، ونظفت وجهه، ولاطفته كما لم تفعل من قبل - وقالت: أيها الرجل، لأنك كنت تعمل أرسل ذلك الشخص العظيم جداً الرؤوف الكريم هذا وهذا على يد شاب ذي مروءة جميل الوجه وقال: قولي لحبيب حين يأتي أكثر من العمل حتى نكثّر من الأجر. دهش حبيب وقال: عجباً عملت عشرة أيام فأحسن إلي هذا الإحسان! أتدرى ما يفعل لي إن أكثرت من العمل؟ ثم انصرف عن الدنيا كلية. وكان يتعبد حتى صار من كبار مستجابي الدعوة، كما أن الجميع جرب دعاءه، بل إن عجوزاً جاءت ذات يوم، وتوسلت إليه، وبكت كثيراً (قائلة) لي ابن غائب عنى منذ زمن بعيد، ولم تبق لي قدرة على فراقه، فبالله ادع له حتى يعيده الحق (تعالى) إلى ببركة دعائك، فقال: ألدبك فضة؟ قالت: لدى درهما، قال: هاتيهما، واعطيتهما للفقراء، ودعا دعاء وقال: اذهبي، فقد وصل إليك. ولم تكذ المرأة

تصل إلى باب الدار حتى رأت ابنها، فصاحت وقالت: ها هو ابني، وحملته إلى حبيب، فقال له: كيف الحال؟ قال: كنت في كرمان، وكان أستاذي قد أرسلني لشراء اللحم، أخذت اللحم، وفي طريقي إلى الدار، اختلطتني ريح، وسمعت صوتاً: أينها الريح، أعيديه إلى داره ببركة دعاء حبيب وببركة درهمي الصدقة. إن قال شخص: كيف حملته الريح؟ أقول: كما كانت تحمل (المغفور له) سليمان عليه السلام أربعين فرسخاً، وكما كانت تحمل عرش بلقيس في الهواء.

يروى: أن حبيباً شوهد في البصرة يوم التروية، وفي عرفات يوم عرفة^(٦٢).

حل قحط بالبصرة ذات مرة، فاشترى حبيب كثيراً من الطعام بالأجل، وتصدق به، وخيط حافظته، ووضعها تحت فراشه، وعندما كان (التجار) يطلبون حقوقهم، كان يخرج الحافظة، فكانت تمتلئ بالدراهم^(٦٣). فسدد الدين. وكان له منزل في البصرة على مفترق طرق، وكان لديه فراء كان يلبسه صيفاً وشتاء، وذات مرة رغب في التطهر، فنهض، وترك الفراء. فوصل الحسن البصري إلى البوابة فرأى الفراء ملقى في الطريق، قال: ألا يعرف هذا العجمي إلى هذا الحد أنه لا ينبغي له أن يترك هذا الفراء هنا فيضيع! ووقف وكان ينظر حتى وصل حبيب، فسلم ثم قال: يا إمام المسلمين، لماذا وقفت؟ قال: ألا تعرف أنه لا ينبغي عليك أن تترك هذا الفراء هنا فيضيع! ثم قل لي تركته معتمداً على من؟ قال: على أن يختار الله لحافظ عليه.

يروى: أن الحسن جاء لزيارة حبيب ذات يوم، فوضع حبيب أمامه رغيفين وقطعة ملح، أخذ الحسن في تناولها ثم دخل سائل، فأعطاه حبيب الرغيفين والملح، وهكذا بقي الحسن (بلا خبز أو ملح)، فقال: يا حبيب، أنت رجل كفاء فإن كان لديك قدر من علم لكنت أفضل حالاً من أن تأخذ الخبز من أمام

الضيف وتعطيه كله للسائل! فيجوز لك أن تعطى قطعة للسائل، وقطعة للضيف، فلم يقل حبيب شيئاً. ومرت برهة، فجاء غلام وكان قد حمل فوق رأسه خواناً، ووضع أمام حبيب حملاً مشوياً وحلوى وخبزاً نظيفاً وخمسمانة درهم من الفضة، فأعطى حبيب الفضة للفقراء، ووضع الخوان أمام الحسن، وعندما تناول الحسن قطعة شواء، قال حبيب: أيها الأستاذ، إنك رجل طيب وإن كان لك قدر من اليقين لكنك أفضل حالاً، ويلزمك علم اليقين.

مرَّ الحسن على باب صومعته وقت صلاة العشاء، وكان قد قام للصلاة، ووقف، فدخل الحسن، وكان حبيب يقرأ الحمد والهمد، فقال الحسن: إن الصلاة خلفه ليمنت صحيحة، ولم يفتد به، وكبر للصلاة بنفسه. ولما حل الليل، نام، فرأى الحق تبارك وتعالى في المنام، فقال: يا إلهي، فيم (يكون) رضاؤك؟ قال: كنت قد أدركت رضاءنا يا حسن فلم تعرف قدره، قال: يا إلهي، وما هو؟ لو أنك صليت خلف حبيب لكنك قد نلت رضاءنا^(٦٤). وسوف تكون هذه الصلاة أفضل من صلوات عمرك كلها، لكن منعك سقم العبادة عن صحة الدية، وفرق كبير بين استقامة اللسان واستقامة القلب.

ذات يوم كان رجال الحجاج يبحثون عن الحسن، فاختمى في صومعة حبيب، قالوا لحبيب: أرايت الحسن اليوم؟ قال: نعم، قالوا: وأين ذهب؟ قال: إلى هذه الصومعة فدخلوا الصومعة، ومهما بحثوا عنه لم يجده، وقد قال الحسن: وضعوا أيديهم على سبع مرات، ولم يروني. خرج الحسن من الصومعة وقال: يا حبيب، لم تحفظ حق الأستاذ وأرشدت علي، قال حبيب: أيها الأستاذ، نجوت بسبب صدقي، ولو كنت أكذب لكنا أسرنا معاً^(٦٥). قال الحسن: وما قرأت حتى أنهم لم يروني؟ قال: قرأت آية الكرسي عشر مرات وآمن الرسول عشر مرات، وقل هو الله أحد عشر مرات، وقلت: إلهي، استودعتك الحسن فاحفظه.

يروى: أن الحسن أراد الذهاب إلى مكان ما، فجاها إلى شاطئ دجلة، وكان يفكر في شيء في نفسه، عندما وصل حبيب وقال: لم وقفت يا إمام؟ قال: سأذهب إلى مكان ما والسفينة تتأخر، قال حبيب: يا أستاذ، ماذا حدث لك؟ إنني تعلمت من علمك، فأخرج الحسد من قلبك، أفرغ قلبك من الدنيا، واعتبر البلاء غنيمة، وانظر الأفعال من الله، وعندئذ ضع قدمك على الماء، وامض، ووضع حبيب قدمه على الماء ومضى، ففقد الحسن وعيه، ولما عاد إلى رشده قالوا: ما دهالك يا إمام المسلمين؟ قال: لا منى حبيب تلميذى هذه اللحظة، ووضع قدمه على الماء ومضى، وقد بقيت أنا. إن نودي غداً سيروا على الصراط الناري، فما أستطيع أن أفعل إن بقيت هكذا؟ ثم قال الحسن: يا حبيب، بما نلت هذا؟ قال: بأننى أجعل قلبى صفحة بيضاء وأنت تجعله صفحة سوداء، فقال الحسن: علمى نفع غيرى ولم ينفعنى علم.

من هنا قد يظن شخص أن مقام حبيب يفوق مقام الحسن ولكن الأمر ليس كذلك، فليس هناك مقام فى طريق الله أسمى من العلم، ولهذا لا يتصف أى أمر بالزيادة إلا العلم، وكما (ورد) فى كلام المشايخ أن الكرامات هى الدرجة الرابعة عشرة للطريقة، والأسرار والعلم فى الدرجة الثامنة، لأن الكرامات تكثر بالعبادة، وتزداد الأسرار بالتفكير، ومثل هذا حال سليمان الذى فاز بأمر لم يفز به شخص فى العالم، فسخرت له الشياطين والملائكة والوحوش والطيور، وكان الماء والنار طوعاً له، وأرسل له فى الهواء بساط طوله أربعين فرسخاً، وبكل تلك العظمة فهم السنة الطيور ولغة النمل. وكانت كل الكتب التى هى عن عالم الأسرار لموسى عليه السلام ولا جرم أن كل الأمور كانت تابعة له.

يروى: أن أحمد بن حنبل^(٦١) والشافعى رضى الله عنهما كانا قد جلسا، فخرج حبيب من زاوية، فقال أحمد: سأسأله سؤالاً، فقال الشافعى: لا يجوز لنا

أن نسألهم، فهم قوم عجبون، قال أحمد: لا مفر، ولما اقترب حبيب، قال أحمد: ما تقول فى شخص تفوته صلاة من الصلوات الخمس ولا يدرى أيهم هي؟ وما ينبغي عليه أن يفعل؟ قال حبيب: «هذا قلب غفل عن الله فليؤدب، وينبغي عليه أن يؤدي الصلوات الخمس قضاء، فدهش أحمد من جوابه، فقال الشافى: ألم أقل لا يمكن لنا أن نسألهم؟!

يروى: أن داراً مظلمة كانت لحبيب، وكانت فى يده إبرة، وقعت وضاعت، فأضىء الدار فى الحال، ووضع حبيب يده على عيبيه، وقال: لا لا، لا أعرف أين هي سوى بالسراج.

يسروى: أن حبيباً كانت له جارية طيلة ثلاثين عاماً، ولم يكن قد رأى وجهها قط، وذات يوم قال لجاريتته: يا مستورة، ناد جاريتنا، فقالت: ألسنت جاريتك؟ قال: لم يجرؤ حبيب على النظر إلى أى شيء سواه طيلة ثلاثين عاماً، فكيف كنت أستطيع النظر إليك؟

يسروى: أن حبيباً كان يختلى فى زاوية، وكان يقول: لتكف عين الشخص الذى يرى سواك، ولا أنس بشيء قط كل من لا يأنس بك.

وكان يعتكف فى زاوية، وينفض يده من التجارة، ويقول: الثقة بالله.

سأله شخص: فيم (يكون) الرضاء؟ قال: فى قلب ليس فيه غبار النفاق (٦٧).

يسروى: أن القرآن كلما كان يقرأ أمامه كان يبكى منتحباً بشدة، فقالوا له: أنت أعجمى والقرآن عربى، ولا تعرف ما يقوله فلم هذا البكاء؟ قال: إن لسانى أعجمى لكن قلبى عربى.

قال فقير: رأيت حبيباً فى مرتبة عظيمة، فقلت: إنه أعجمى فما كل هذا القدر؟ فسمعت صوتاً: مع إنه أعجمى إلا أنه حبيب.

يسروى: أنهم قتلوا سفاكاً، فرأوه في تلك الليلة في المنام وهو يطوف في رياض الجنة مرتدياً حلة خضراء فقالوا: يا فلان، إنك رجل قاتل، فيما أدركت هذا؟ قال: مرَّ حبيب في تلك اللحظة التي شنقوني فيها، فنظر إلى بطرف عينه، وكل هذا من بركات تلك النظرة (رحمة الله عليه).

ذكر أبي حازم المكي^(٦٨) رحمة الله عليه

هو المخلص المنقى، المقتدى المهندى، هو شمع السابقين وصبح الصادقين، هو الفقير الغنى أبو حازم المكي (رحمة الله عليه).

كان فريداً في المجاهدة والمشاهدة، وكان مرشداً لكثير من المشايخ، وكان قد عمر طويلاً، ويبالغ أبو عمرو بن عثمان المكي^(٦٩) في أمره بمبالغة تامة، وكلامه مقبول في كل القلوب، ومفتاح لكل المشكلات، وكلامه كثير في الكتب ومن يرد الزيادة يسع إليها، لكننا نذكر له عدة أقوال على سبيل التبرك، ونسلك طريق الاختصار. لأننا إن استرسلنا في شرح حاله لطلال الكلام، وكفاك أن تعرف أنه كان من كبار التابعين، وأنه قد أدرك كثيراً من الصحابة مثل: أنس بن مالك وأبي هريرة (رضى الله عنهما).

سأل هشام بن عبد الملك أبا حازم عن الشيء الذي نجد النجاة به في هذا الأمر فقال: كل درهم تكسبه اكسبه حلالاً، وانفقه في موضعه الحق، فقال: ومن يستطيع أن يفعل هذا؟ قال: من يفر من الجحيم ويطلب الجنة ويرجو رضاء الرحمن.

ومن أقواله: عليكم بالاحتراز من الدنيا، فقد ثبت لى أن العبد الذي كان قد عظم الدنيا يركل يوم القيامة أمام الجميع، ثم ينادى انظروا، هذا هو العبد

الذي أعز ما حقره الحق (تعالى) وأحب ما عداه الله وقد أحبه وأعزه، وهو الذي تمسك بما نهى الله عنه وتشبث به.

وقال: لا شيء في الدنيا تسر به إلا وفيه شيء تحزن عليه لأن الله لم يخلق سعادة محضة.

وقال: يشغلك قليل الدنيا عن كثير الآخرة.

وقال: وجدت كل أمر في شيئين: واحد لي وآخر ليس لي، مالي إن فررت منه كثيراً يأتي إلي، وما ليس لي إن سعيت إليه كثيراً لن أدركه في الدنيا قط بسعيي.

وقال: إن حرمت من الدعاء لكان هذا أشد قسوة على من أن أحرم الإجابة.

وقال: عشت في زمان رضى فيه بالقول عن الفعل، وبالعلم عن العمل ومن ثم فقد بقيت بين أسوأ ناس وأسوأ زمن.

سأله شخص ما هو مالك؟ قال: مالي هو رضاء الله والاستغناء عن الخلق (٧٠) فمن يرض بالحق يستغن عن الخلق لا محالة.

وفرغ عن الخلق إلى حد أنه مرَّ على قصاب لديه لحم سمين، فقال له: خذ من هذا اللحم قال: لا أملك الفضة فقال القصاب: أمهك، فقال: أمهل أنا نفسي أفضل من أن تمهلي أنت، وأخلصها، قال القصاب: لا جرم قد ظهرت عظام جانبك وهذا يكفي دود القبر.

وقد قال شيخ من المشايخ: دخلت على أبي حازم فوجدته نائماً، فانتظرت حتى استيقظ، فقال: رأيت النبي ﷺ في المنام هذه اللحظة، وحملني رسالة إليك. وقال: إن رعاية حق الأم أفضل لك كثيراً من الحج، فعد، وأطلب رضاءها فرجعت من هناك، ولم أذهب إلى مكة (٧١). (رحمة الله عليه).

ذكر عتبة الغلام (٧٢) رحمة الله عليه

هو فتان الجمال، وفقيد الوصال، هو بحر الوفاء، ومنجم الصفاء، هو سيد الأيام عتبة الغلام (رحمة الله عليه).

كان مقبولاً لدى العارفين، وكان ذا طريقة عجيبة، كان ممدوحاً بكل الألسنة، وكان تلميذاً للحسن البصرى.

ذات مرة كان الحسن البصرى يمضى على شاطئ البحر، فسار عتبة على صفحة الماء، تعجب الحسن على الساحل وقال مندهشاً: أيا (عتبة) بما نلت هذه الدرجة؟ فصاح إنك تفعل ما يأمر به منذ ثلاثين عاماً، وأنا أفعل ما يريد منذ ثلاثين عاماً. وهذه إشارة إلى التسليم والرضا

وكان سبب توبته: أنه نظر إلى شخص من الظاهر فى بداية أمره، فضاق صدره. وأخبروا ذلك الرجل، فأرسل شخص متسانلاً: ما رأيت منا؟ قال: العين، فاقطع الرجل عيديه، ووضعها على طبق، وأرسلها إليه وقال: انظر ما رأيت، فاستيقظ عتبة وتاب، والتحق بخدمة الحسن، حتى إنه كان يزرع التوت والشعير بيده، وكان يطحن ذلك الشعير، ويعجنه بالماء، ويضعه فى الشمس حتى يجف، فكان يأكل منه مرة فى الأسبوع، وكان ينشغل بالعبادة، ولم يكن

يأكل أكثر من ذلك. وكان يقول أخجل من كرام الكاتبين لأنه ينبغي لى الذهاب لقضاء حاجتى مرة فى الأسبوع.

يروى: أن عتبة شهود وهو يقف فى مكان ويتصبب منه العرق، قالوا: ما الحال؟ قال: فى البداية جاءتنى جماعة للضيافة، فانتزعت لهم قالب آجر من حائط الجار كى يغسلوا أيديهم. كلما أصل هناك، يتصبب منى كل هذا العرق - مهما حاولت التغلب على ذلك - بسبب الخجل والندم (٧٣).

قالوا لعبد الواحد بن زيد (٧٤): أتعرف أحداً انشغل بحاله عن الخلق؟ قال: أعرف واحداً سيخل هذه اللحظة، فدخل عتبة الغلام، فقال من رأيت فى الطريق؟ قال: لم أر شخصاً قط، وكان فى طريقه إلى السوق (٧٥).

يروى: أن عتبة لم يكن يتناول طعاماً أو شرباً طيباً قط، فقالت له أمه: ترفق بنفسك قال: أريد الرفق بها، فهى ستتعب عدة أيام، وستخذل فى راحة ورفق.

يروى: أن عتبة لم يتم ليلة حتى الصباح. وكان يقول: إن تعذبنى فإنى أحبك وإن ترحمنى فإنى أحبك (٧٦).

وقال عتبة: رأيت حورية فى المنام ذات ليلة، قالت: يا عتبة انظر فإنى عاشقة لك، فلا تفعل شيئاً يفرق بينى وبينك، فقال عتبة: طلقت الدنيا طلاقاً لا أرجع فيه قط حتى أراك.

يروى: أن واحداً جاءه ذات يوم، وكان فى سرداب، فقال: يا عتبة، يسألنى الناس عن حالك، فاطهر لى شيئاً أراه، قال: اطلب ما تريد، قال الرجل: تلمزنى رطب وكان الوقت شتاءً قال: خذ، وأعطاه زنبقاً مملوفاً بالرطب (٧٧).

يروى: أن محمداً بن السماك وذا اللون كانا عند رابعة، فدخل عتبة، وكان يرتدى قميصاً جديداً ويختال، فقال له محمد بن السماك: ما هذه المشية؟ قال:

كيف لا أختال واسمى غلام الجبار، قال هذا القول، وسقط. نظروا فكان قد أسلم الروح.

وبعد وفاته شوهد في المنام، وكان نصف وجهه قد أسود، فقالوا: ماذا حدث؟ قال ذات مرة كنت أذهب إلى الأستاذ، فرأيت رجلاً أمرد، نظرت إليه وقد أمر الله أن يحملوني إلى الجنة، وكانت جهنم في الطريق، فألقت حية منها بنفسها عليّ، ولدغت نصف وجهي وقالت: لدغة لنظرتك وإن كنت أطلت النظر لكثرت اللدغات. رحمة الله عليه.

ذكر رابعة (٧٨) رحمة الله عليها

هي المخدرة بالخدر الخاص، والمستورة بستر الإخلاص، هي متقدة العشق والاشتياق، ومفتونة القرب والاحتراق. هي فقيدة الوصال، والمقبولة عند الرجال، التالية لمريم الصفية، رابعة العدوية رحمة الله عليها.

إذا قال شخص: لماذا ذكرتها بين الرجال؟ أقول: إن سيد الأنبياء (عليهم السلام) يقول: «إن الله لا ينظر إلى صوركم» (٧٩).

أى أن الأمر ليس بالصورة إنما بالنية. كما قال عليه السلام: «يحشر الناس على نياتهم، فلو جاز الإمام بقلبي الدين من عائشة الصديقة (رضى الله عنها) لجازت الاستفادة الدينية من أمة من إمائها. وطالما كانت المرأة رجلاً فى طريق الله، فلا يمكن أن تسمى امرأة. وكما قالت عباسة الطوسية: عندما ينادون غداً فى ساحات القيامة: يا رجال. فإن أول شخص يخطو فى صف الرجال هي مريم (عليها السلام).

إنها الشخص الذى لو لم يكن حاضراً فى مجلس الحسن البصرى، كان الحسن يترك المجلس، (لذلك) يمكن ذكرها بين الرجال. بل إن المعنى الحقيقى هو: أليس هؤلاء القوم جميعاً موحدين، فكيف يبقى وجودى ووجودك فى التوحيد؟ وما يصير رجل أو امرأة؟!

وكما يقول أبو علي الفارمدي (٨٠) رحمته الله: النبوة عين العزة والرفعة، ليس فيها عظمة وذلة، وكذلك الولاية. خاصة رابعة التي لا مثيل لها في المعاملة والمعرفة. وكانت موضع ثقة مشايخ عصرها جميعاً، وحجة قاطعة على أهل الزمان.

يروى: أنه في تلك الليلة التي ولدت فيها رابعة، لم يكن هناك شيء قط في دار والدها، إذ كان والدها فقيراً جداً، ولا يملك قطرة زيت يدهن بها موضع خلاصها ولم يكن هناك قنديل، ولا خرفقة يلقها بها. وكان له ثلاث بنات، جاءت رابعة رابعتهن ولهذا سميت رابعة. ومن ثم نادته زوجه (قائلة): اذهب إلى الجار فلان، وأطلب قطرة زيت، كي أشعل القنديل - وكان قد أخذ على عاتقه ألا يطلب شيئاً قط من أي مخلوق - فخرج ووضع يده على باب الجار، وعاد، وقال: إنه لا يفتح الباب، فيكت تلك المرأة كثيراً، وأطرق الرجل على ركبته وهو حزين، واستغرق في النوم، فرأى النبي ﷺ في المنام، قال له: لا تحزن، إن هذه البنت التي ولدت هي سيدة سوف يرجو سبعون ألفاً من أمتى شفاعتها.

ثم قال: اذهب غداً إلى عيسى بن زاذان أمير البصرة، واكتب على ورقة: بدليل أنك تصلى علي (النبي) كل ليلة مائة مرة، وأرعمائة ليلة الجمعة، ونسيتني ليلة الجمعة التي مضت، فادفع كفارتها أربعمائة دينار حلالاً إلى هذا الرجل. عندما استيقظ والد رابعة بكى ونهض، وكتب تلك الرسالة: وأرسلها إلى الأمير علي يد حاجب، فقال الأمير عندما رأى تلك الرسالة: اعطوا الفقراء ألفين دينار هبة لهم لأن النبي ﷺ ذكرني، وأعطوا أربعمائة دينار لذلك الشيخ، وقولوا له: إنني أريد أن تأتي إلي كي أراك، لكنني لا أجزئ أن يأتي إلى شخص مثلك، سأجىء أنا، وأمسخ ذقني على عبتك. لكن بالله عليك، تعرض

على كل حاجة تحتاج إليها. فأخذ الرجل الذهب، واشترى كل ما يلزمه. وعندما شبت رابعة، ومات والداها، حل قحط بالبصرة، وتفرقت الأخوات، فخرجت رابعة، ورآها ظالم، فسباها، وباعها بستة دراهم، وكان مشتريها يأمرها بالأعمال الشاقة. وذات يوم كانت تمضي، فاعترضها رجل غريب، ففرت رابعة، وسقطت في الطريق، وعجزت عن النهوض فوضعت وجهها في التراب، وقالت: يا إلهي، أنا غريبة، يتيمة بلا أم وأب. وأسيرة، وعبدة، وعاجزة، ولا أبغى من هذا الكرب إلا رضائك، وينبغي لي أن أعرف هل أنت راض أم لا؟ فسمعت صوتاً: ألا تحزني إن غداً ستكون منزلتك هي أن يزهر بك المقربون إلى السماء. ثم عادت رابعة إلى دار سيدها، وكانت تصوم النهار دائماً، وتقوم بالخدمة، وكانت تقف على قدمها في خدمة الله حتى النهار.

ذات ليلة استيقظ سيدها من النوم، ونظر في طاقة المنزل، فرأى رابعة، كانت قد سجدت، وكانت تقول: إلهي، أنت تعلم أن هوى قلبي في اتباع أمرك، ونور عيني في خدمتك، لو أن الأمر بيدي، لما توانيت عن خدمتك لحظة، ولكنت جعلتني تابعة لمخلوق (بينما) كانت تناجي هذه المناجاة، رأيت قديلاً متدلياً فوق رأسها ومعلقاً دون زنجير وأسنء الدار كله من أشعته. عندما رأى السيد ذلك، خاف فنهض وعاد إلى مكانه، وجلس يفكر، حتى طلع النهار، وعندئذ، دعا رابعة، ورق لحالها وأطلق صراحها. قالت رابعة: اسمح لي أن أنصرف، فسمح لها، وخرجت من هناك، ومضت إلى خرابة. ثم انصرفت عنها، وأخذت صومعة وتمببت فيها فترة. بعد ذلك قصدت الحج، فاتجهت إلى البادية، وكان لديها حمار، وضعت عليه متاعها، (وحدث أن) نفق الحمار وسط البادية، فقال الناس: نحمل متاعك، قالت: اذهبوا أنتم، فلم أجد متوكلة عليكم، فمضى الناس، وبقيت رابعة وحدها. فرفعت رأسها وقالت: إلهي، أيفعل

الملك هكذا بامرأة غريبة عاجزة، دعوتنى إلى بيتك، ثم أنفقت حمارى فى الطريق، وتركتنى وحيدة فى البيداء، ولم تكذ تم هذه المناجاة، حتى تحرك الحمار، ونهض، فوضعت رابعة المتاع عليه، ومضت. قال راوى هذه الحكاية: بعد ذلك بفترة رأيت الحمير، يباع فى السوق .

ثم نزلت بالبادية بعد عدة أيام، وقالت: إلهى، سلبتلى القلب أين أذهب، أنا لبنة وذلك البيت حجر، إننى أبغيك أنت هنا. فأوحى الحق تعالى إلى قلبها دون واسطة: يا رابعة إنك تغتسلين بدماء ثمانية عشرة^(٨١) ألف عالم، ألم تر أن موسى أراد رؤيتنا فألقينا بعدة ذرات من التجلى على الجبل، فانشطرت إلى أربعة أقسام فأقنعى باسمى هنا.

يروى: أنها كانت تمضى إلى مكة فى حين آخر، وفى الطريق رأت الكعبة، جاءت لاستقبالها، فقالت رابعة: أبغى رب البيت، ماذا افعل بالبيت؟ أبغى استقبال، من تقرب إلى شبرا^(٨٢) تقربت إليه ذراعاً، ماذا يلزمنى من رؤية الكعبة. وليست لى طاقة بها، فأى سرور أبديه بجمالها؟!

يروى: أن إبراهيم بن أدهم رحمته الله، أتم أربعة عشر عاماً فى السير حتى حل بالكعبة، لأنه كان يودى ركعتين فى كل مصلى حتى وصل إلى هناك فى نهاية الأمر فلم ير البيت، قال: أه! أى حادثة، ربما قد أصاب عيني خلل. فهتف هاتف: ليس هناك أى خلل فى عينيك، لكن الكعبة قد خرجت لاستقبال ضعيفة تتجه إليها. أثار الغيرة إبراهيم، فقال: من هذه؟ وجرى، فرأى رابعة كانت تأتي، وعادت الكعبة إلى مكانها. عندما رأى إبراهيم ذلك، قال: يا رابعة أى ضجة وشأن وحيثية (لك) فى الدنيا؟ فقالت: إننى لم أحدث ضجة فى العالم، أنت الذى قد أحدثتها، لأنك تأخرت أربعة عشر عاماً، حتى وصلت إلى البيت. قال بلى، قد قطعت البادية فى أربعة عشر عاماً بسبب الصلاة. فقالت:

قد قطعناها فى الصلاة، وقطعتها أنا فى طلب حاجة. ثم مضت، وأدت الحج، وركت منتحبة وقالت: إلهى، وعدت بالجزاء الحسن على الحج وعلى المصائب أيضاً، الآن لو أنك قبلت الحج، فما هو ثواب حجى؟ ولو لم تقبله، فهذه هى مصيبة كبرى، وما هو ثواب مصيبتى؟ ثم عادت، ورجعت إلى البصرة، وانشغلت بالعبادة حتى العام التالى ثم قالت: إن (كانت) الكعبة استقبلنى فى العام الماضى أستقبلها أنا هذا العام، طالما حان الوقت.

يسروى الشيخ أبو على الفارمدى: أن رابعة اتجهت إلى البادية: وكانت قد كابدت العناء سبعة أعوام، حتى بلغت عرفات، ولما وصلت هناك، نادى هاتف: أيتها المدعية، أى طلب سعيت إليه، إن تريدنا أن نتجلى لحظة، تغلين فى الحال. قالت: يا رب العزة لا طاقة لرابعة بهذه الدرجة، لكن أريد ذرة فقر. فانبعث نداء: يا رابعة إن فقر سنين القحط هو قهرنا الذى قد وضعناه فى طريق الرجال، وعندما لا يكون قد بقى سوى قيد الشعرة ويصلون إلى حضرة وصالنا، يتبدل الأمر، ويصير الوصال فراغاً. وأنت لا تزالين قابعة تحت سبعين حجاباً من زمانك، طالما لا تخرجين من تحت هذه الحجب، وتسلكين طريقنا، وتجتازين سبعين مقاماً، لا يمكن التحدث إليك بحديث الفقر. ولكن انظري، نظرت رابعة، فرأت بحراً من الدماء، معلقاً فى الهواء. وهتف هاتف: إن كل هذه (الدماء) هى دموع عشاقنا الذين جاءوا طالبين وصالنا، سقطوا جميعاً فى المقام الأول، فلم يبدو اسم لهم ولا أثر فى مقام قط فى العالمين.

قالت رابعة: يارب العزة، اظهر لى شيئاً من سعادتهم، وفى الحال أناها الحियض وهتف هاتف: إن مقامهم الأول أن يكابدوا العناء سبعة أعوام فى سبيلنا كى يزوروا حجراً (الكعبة)، وعندما يقتريون من ذلك الحجر، يتغلق الطريق عليهم كلية بسبب علة فيهم. أسرعت رابعة وقالت: يا إلهى، لا تدعنى فى

بيتك، ولا تتركنى فى بيتى، إما أن تتركنى فى بيتى، أو تدعونى إلى بيتك فى مكة، لم استكن فى البيت، أننى أريدك أنت. وأنا الآن لست جديرة ببيتك، قالت هذا، وعادت.

يسروى: أن رابعة كانت تصلى ذات ليلة فى الصومعة، وقد أثر فيها التعب، فاستغرقت فى النوم، وانكسر عود فى عينها من كثرة الاستغراق، وسال الدم، ولم تكن تدرى، دخل لص، وكانت لديها عباءة، أخذها، وأراد أن يخرج، فلم يجد مخرجاً فوضعها ومضى، ثم رأى مخرجاً، فذهب، وأخذها ثانية، وجاء فلم يجد مخرجاً، فوضعها ثانية، وهكذا عدة مرات وفى المرة السابعة، صدر صوت من زاوية بالصومعة أيها الرجل، لا تتعب نفسك، فقد أسلمنا نفسها منذ عدة سنين، فلا جرأة لإبليس أن يحوم حولها، فكيف يجرؤ لص على الدوران حول عبائتها. أيها اللص، لو أن حبيباً قد نام، فهناك حبيب يقظ يحافظ عليه.

يسروى: أن شيخين دخلا لزيارتها، وقد كان كلاهما جوعان، فقال كل منهما للآخر، لنأكل ما تقدم لنا من طعام، فإن طعامها من مصدر حلال، ولما جلسا كان هناك إزار، وضعت عليه رغيفين من الخبز، فسرا. ودخل سائل، فأعطته رابعة الرغيفين. فتحير الاثنان. ولم يقولا شيئاً. ومرّ وقت، ودخلت جارية، وأحضرت عدداً من الخبز الطازج، وقالت: قد أرسلته هذه السيدة، عدته رابعة فكان ثمانية عشر رغيفاً، قالت: ربما لم ترسله لى، ومهما تحدثت الجارية، لم يكن هناك جدوى. فأخذته الجارية، وحملته، إلا رغيفين كانت قد أخذتهما لنفسها، سألت السيدة (أن تعطيهما بدلا منهما)، ووضعتهما عليهم، وأعادتهما ثانية. عدته رابعة فكان عشرين رغيفاً، فأخذته، وقالت: قد أرسلت هذا لى، ووضعه أمامهما، فكانا يأكلان ويتعجبان، ثم قالا لها: أى سر هذا؟

إننا رغبتنا في خبزك فأخذتني من أمامنا، وأعطيتني لدرويش، وفي ذات الوقت قلت: إن تلك الثمانية عشر رغيفاً ليست لي، وعندما أصبحت عشريناً، أخذتني! فقالت: عندما دخلتما، عرفت أنكما جوعانان، فقلت: كيف أضع رغيفين أمام شيخين؟ ولما دخل سائل، أعطيتهما له، وقلت للحق تعالى: إلهي، إنك قلت: أجزى الحسنه بعشرة أمثالها، وأنا على يقين من هذا. الآن تصدقت بالرغيفين من أجل رضائك، كي تجزني بهما عشرين من أجلهما، وعندما أحضرت الثمانية عشر رغيفاً، عرفت، أنها ليست خالية من التلاعب أو أنها ليست لي.

يروى: أن خادمة رابعة كانت تعد بصلاً ذات مرة، لأنها لم تكن قد أعدت طعاماً طوال أيام مضت. احتاجت الخادمة إلى البصل، فقالت: أطلبه من الجار، فقالت رابعة: منذ أربعين عاماً وأنا على عهد مع الحق تعالى، ألا أطلب من غيره قط، فتوقفت عن طهي البصل. وفي الحال حط طير من الهواء، مقشراً بصل، ألقي به في المقلاة، فقالت: إنني لست آمنة المكر، وتركت البصل المطهى، وأكلت الخبز خالصاً.

يروى: أن رابعة كانت قد ذهبت إلى جبل ذات يوم، وكان قد التف حولها كثير من الغزلان والماعز الجبلى والثيروس وحمر الوحش وكانوا ينظرون إليها ويقتربون منها. وفجأة ظهر الحسن البصرى، ولما رأى رابعة، اتجه إليها فانصرفت تلك الحيوانات - عندما رأت الحسن - جميعها مرة واحدة. وبقيت رابعة بمفردها، فغضب الحسن - الذى شاهد ذلك - ونظر إلى رابعة، وقال: لماذا فروا منى وأنسوا بك؟ قال رابعة: ماذا أكلت اليوم؟ قال: أكلت قليلاً من السمن بالبصل. فقالت: إنك تأكل شحمهم، فكيف لا يفرون منك؟!

يروى: أن رابعة مرت على دار الحسن ذات مرة، وكان الحسن قد أطل من النافذة، وهو يبكي. فسقطت دموعه على رداء رابعة، فظلتها الأمطار، ولما

علمت أنها دموح الحسن، انجبت إليه في الحال وقالت: أيها الأستاذ، هذا البكاء من رعونات النفس إحفظ دموعك، حتى تصير بحرًا بداخلك، وكلما تبحث عن القلب في ذلك البحر، لاتجده، إلا عند ملك مقدر، (٨٣). ضاق الحسن بهذا الكلام، لكنه أذن عن. إلى أن رأى رابعة ذات يوم، وكانت بالقرب من الماء، فطرح الحسن سجادة على الماء، وقال: يا رابعة تعالي، كي نصلى ركعتين هنا. فقالت رابعة: يا حسن، يجب أن تعرض نفسك في سوق الدنيا من أجل الآخرة، بحيث يجب أن يعجز أبناء جنسك عن ذلك. ثم طرحت رابعة السجادة في الهواء، وطارت عليها: وقالت: يا حسن، تعال هنا، كي يرانا الناس، ولم يحظ الحسن بهذا المقام، فلم يقل شيئاً. أرادت رابعة أن تستحضر قلبه، فقالت: يا حسن، ما فعلته، تفعل مثله سمكة، وما فعلته أنا، تفعله ذبابة. والأمر خارج عن كليهما. ويجب الانشغال بالعمل.

يروى: أن الحسن البصرى قال: بقيت يوماً بليلة عند رابعة، وتحدثت عن الطريقة والحقيقة، ولم يجلب بخاطري أنني رجل، ولم يجلب بخاطرها أنها امرأة، وعندما نهضت في آخر الأمر، نظرت، فرأيت نفسي مقلماً، ورابعة مقلصة.

يروى: أن الحسن واثنين أو ثلاثة من أصحابه ذهبوا إلى رابعة ذات ليلة، ولم يكن لديها سراج، وأرادت لهم نور القلب، فنفتخت رابعة في (طرف) إصبعها، فكان إصبعها يضيء كالمصباح في تلك الليلة وحتى النهار، وجلسوا في ذلك النور حتى الصباح. إن يقل شخص: كيف يكون هذا؟ أقول: مثل يد موسى عليه السلام. إن يقل: هو نبي، أقول: كل من يتبع نبي، يمكن أن تكون له نرة من النبوة، كما يقول النبي صلى الله عليه وسلم: «من رد دانقاً من الحرام فقد نال درجة من النبوة، وقال: الرؤيا الصحيحة جزء من أربعين جزء من النبوة.

يروى: أن رابعة أرسلت إلى الحسن ثلاثة أشياء: قطعة من الشمع، وإبرة، وشعرة. ثم قالت: كن كالشمعة، احترق لنذر العالم، وكن كالإبرة، اعمل مجرداً على الدوام وطالما أنجزت كلا العملين، فإن كل شعرة من عمالك هي بمثابة آلاف الأعمام من العمل..

يروى: أن الحسن قال لرابعة: أترغبين في أن نتزوج ونعقد العقد. فقالت: يعقد عقد النكاح على موجود، وهنا قد انعدم الوجود، لأننى فليت عن نفسى، وبقيت به، وأنا كلنى ملكه، وتحت أمره، فيجب أن تخطبنى منه، لا منى، فقال: يا رابعة، بماذا نلت هذه المكانة؟ قالت: بأن فقدت كل المنال منه، قال الحسن: كيف تعرفينه؟ قالت: كما تعرفه أنت يا حسن، أعرفه بلا شىء.

يروى: أن الحسن ذهب إلى صومعة رابعة ذات يوم، وقال لها: حدثينى عن تلك العلوم التى كانت قد وهبت لك دون تعليم، فقالت رابعة: كنت قد غزلت الخيط كى أبيعته وأقتات منه، بعته، وأخذت قطعتين من الفضة، ووضعت واحدة فى هذه اليد والثانية فى اليد الأخرى، وخفت أن يتزاجا إذا وضعتهما فى يد واحدة، وبضلا الطريق وكان ظفرى اليوم سبب هذا.

قالوا: يقول الحسن: لو أحرم لحظة من رؤية الحق فى الجنة، أتوح، وأبكى إلى حد أن يشفق على جميع أهلها (الجنة). قالت رابعة: حسناً، لكن إن يغفل عن الحق لحظة فى الدنيا، ويبدو عليه نفس الحزن والعويل والنواح كذلك، فهذا دليل على أنه سيكون فى الآخرة كما قال، وإلا فإنه ليس كذلك.

قالوا (لرابعة): لماذا لا تتزوجين؟ فقالت: أسألكم عن ثلاثة أشياء تجيبوننى عليها كى أليكم: أولاً: هل سأنعم بسلامة الإيمان عند الموت أم لا؟ قالوا: لا نعرف، ثانياً: عندما تسلم الصحف للعباد، ستسلم لى فى اليد اليمنى أم لا؟ ثالثاً: فى تلك الساعة التى سيحمل فيها جماعة إلى الناحية اليمنى وجماعة

إلى الناحية اليسرى فإلى أى ناحية سيحملوننى؟ قالوا: لا نعرف. قالت: الآن، كيف يكون لشخص مثلى ينتظره هذا المأتم قدرة على الزواج.

قالوا لها: من أين جئت؟ قالت: من تلك الدنيا. قالوا: وإلى أين ستذهبين؟ قالت: إلى تلك الدنيا. قالوا: ماذا تفعلين فى هذه الدنيا؟ قالت: أنتحرر قالوا: كيف؟ قالت: أكل خبز هذه الدنيا، وأعد أمر تلك الدنيا، قالوا: يجدر إخفاء طلاوة اللسان. قالت: أنا نفسى أخفيه، كل شىء بداخلى لا أخرجه، وكل شىء خارجى لا أدخله. إن يدخل شخص أو يخرج، فلا شأن له بى، إننى أحفظ القلب لا الطين.

فقالوا: أنحبين حضرة العزة؟ قالت: بلى. قالوا: أنكرهين الشيطان؟ قالت: لا، قالوا: لماذا؟ قالت: لا أخاف عداة الشيطان بسبب محبة الرحمن. وإننى رأيت الرسول ﷺ فى المنام، قال لى: أنحبيلنى يا رابعة؟ قلت: من لا يحبك يا رسول الله؟! ولكن محبة الحق قد استغرقتنى إلى حد أنها لم تترك مكاناً لمحبة الغير أو كراهيته. قالوا: وما المحبة؟ قالت: قد جاءت المحبة من الأزل ومرت على الأبد، ولا يدركها شخص فى ثمانية عشر ألف عالم، فمن يتجرع شربة منها، اتجه إلى الآخر والحق. ومنها وردت هذه العبارة 'يحبهم ويحبونه' (٨٤).

قالوا: أنترين من تعبيدنه؟ قالت: لو لم أكن أراه، لما كنت عبدته.

يروى: أن رابعة كانت دائمة البكاء. قالوا: لم تبكين كل هذا البكاء؟ قالت: أخشى القطيعة لأننى قد اعتدت عليه، فلا ينبغي أن ينبعث نداء عند الموت. إنك لست جديدة بنا.

قالوا: متى يكون العبد راضياً؟ قالت: عندما يسر بالمحنة كما يسر بالنعمة.

قالوا: إن يئب شخص كثير الذنوب، يغفر له؟ قالت: كيف يتوب ما لم يتفضل الله عليه بالتوبة ويعف عنه؟!

ومن أقوالها: يا بنى آدم، لا مقام لكم مع الحق بالعين، ولا سبيل إليه باللسان والسمع هو الوسيلة الأساسية لعناء القائلين، واليد والقدم هما حيرة الساكدين. وقع الأمر في القلوب، اجتهدوا أن توقظوا القلوب، فطالما استيقظ القلب، فلا حاجة له برفيق. أى أن القلب اليقظ هو الذى قد فنى فى الحق، ومن فنى، ما يفعل له الرفيق؟ فالفناء فى الله هناك.

وقالت: الاستغفار باللسان هو دأب النساء الكاذب.

وقالت: إن ننب بأنفسنا نحتاج إلى توبة أخرى.

وقالت: إن صبرت صبر الرجال، لكنت كريماً.

وقالت: ثمرة المعرفة الاتجاه إلى الله.

وقالت: العارف من يرجو قلباً من الله، عندما يهبه الله قلباً، يرده إليه فى الحال، حتى يحفظ فى قبضته، ويحجب فى ستره عن الخلق، وكثيراً ما كان صالح المرى يقول^(٨٥): من يطرق باباً سرعان ما يفتح له. وكانت رابعة حاضرة ذات مرة فقالت: مع أنك تقول: إن هذا الباب مغلق، وسيفتح، فمتى أغلق قط حتى يفتح قال صالح: عجبا، رجل جاهل، وامرأة ضعيفة عالمة!

يسرى: أن رابعة رأت رجلاً ذات مرة، كان يقول: واحزنائه: قالت: هكذا قل: وا دون حزنائه، لأنك لو كنت حزينا لما جرؤت أن تتلفس.

يسرى: أن رابعة رأت شخصاً كان قد عصب على رأسه عصابة. فقالت: لماذا عقدت عصابة؟ قال: لأن رأسى تؤلمنى. قالت رابعة: كم تبلغ من العمر؟ قال: ثلاثين عاماً. قالت: هل أمضيت أغلب العمر فى الداء والألم؟ قال: لا. قالت: حظيت بجسد سليم طيلة ثلاثين عاماً، ولم تعقد عصابة الشكر قط، وفى ليلة آلمتك رأسك، تعصب عصابة الشكوى.

يسرورى: أنها أعطت أربعة دراهم من الفضة إلى شخص (قائلة): اشترى لى مرقعة لأننى عارية. فانصرف ذلك الرجل وعاد. وقال: يا سيدة، أى لون أشتريها؟ فقالت رابعة: طالما تدخل اللون، أعطنى الدراهم، وأخذتها، وألقت بها فى نهر دجلة. أى أن التفرقة ظهرت لها وهى لم ترتد المرقعة بعد.

يسرورى: أنها دخلت ذات مرة الدار فى فصل الربيع، واعتكفت. قالت الخادمة: اخرجى يا سيدة كى ترين الصنع. قالت رابعة: أدخلى أنت مرة حتى ترين الصانع فقد شغلتنى مشاهدة الصانع عن مطالعة المصنوع.

يسرورى: أن جماعة ذهبت إليها، وكانت تقطع قليلاً من اللحم بأسانها. قالوا: ألا تملكين سكيناً تقطعين به اللحم؟ قالت: إننى لم أملك سكيناً فى الدار قط ولن أملك خشية القطيعة.

يسرورى: أنها صامت ذات مرة سبع أيام بلياليها ولم تكن قد أكلت خلالها قط، ولم تكن قد نامت الليل خلالها مطلقاً، فقد شغلت طوال الليل بالصلاة. (ولما) تجاوز الجوع الحد، دخل شخص المنزل: وأحضر قَدْحاً يستحق الشراب، أخذته رابعة، وذهبت حتى تحضر السراج، ولما عادت، كانت القطة قد سكبت ذلك القدح. قالت: أذهب وأحضر القدح، وأفطر. عندما أحضرت القدح، كان السراج قد انطفأ. فعزمت أن تشرب الماء فى الظلام، فوقع القدح من يدها، وانكسر. ناحت رابعة، وتأوهت لأنها خافت أن يحترق نصف الدار، وقالت: إلهى، ما هذا الذى تفعله بى أنا المسكينة؟ فسمعت صوتاً: ويحك، أتريدين أن أجعل نعمة الدنيا وفقاً عليك؟! لكنى أرفع حزنك عن قلبك، فإن نعمة الدنيا ونعمتها لا يجتمعان فى قلب واحد. يا رابعة إن لكى مراد ولنا مراد، ولا نجتمع نحن ومرادك فى قلب واحد. قالت: عندما سمعت هذا الخطاب، قطعت القلب عن الدنيا وقصرت الأمل إلى حد أننى صليت ثلاثين عاماً كل صلاة أديتها

ظننت أنها ستكون آخر صلاة لى، وكذلك انقطعت عن الخلق خشية يوم لا ينبغي لشخص فيه أن يشغلنى عنه، وقلت: يا إلهى، إشغلتى بك كى لا يشغلونى عنك.

يروى: أن رابعة كانت تلوح، قالوا: يا عزيزة العالم، لا نرى (لك) علة ظاهرة قط ودائماً تتألمين وتلوحين. قالت: بلى لدى علة داخل صدرى، جميع أطباء العالم عاجزون عن معالجتها، فمرهم الجراح هو وصال المحبوب، وتتعلم بالغد الذى نصل فيه إلى المقصود، وطالما أننا لسنا الأطباء، إعرض نفسك على أطباء لا ينبغي لهم أن يكونوا أقل من ذلك.

يروى: أن جماعة من المشايخ ذهبوا إلى رابعة، سألت رابعة أحدهم: لماذا تعبد الله؟ قال: إن لطبقات جهنم السبع عظمة، وللجميع عليها مرور، فينبغى أن نعمل مضطرين خشية ذعرها. وقال آخر: إن لدرجات الجنة منزلة كبيرة، والراحة فيها أمر موعود. قالت رابعة: إن العبد السيء من يعبد ربه خشية وخوفاً منه أو طمعاً فى جزائه. فقالوا: ولماذا تعبدينه أنت إذن؟ أليس طمعاً فى الجنة، قالت: الجار ثم الدار، وقالت: ألا يكفيك أنه أمرنا أن نعبده فلو لم تكن هناك جنة ونار، ألا تجوز الطاعة له، ألا يستحقها، لأنه يُعبد بلا واسطة.

يروى: أن شيخاً ذهب إلى رابعة، فرأى رداءها بالياً جداً، فقال: لو تأمرين يهتم كثير من الناس بأمرك. قالت رابعة: أخجل أن أطلب الدنيا ممن ملك الدنيا بأسرها، فكيف أستطيع طلبها من شخص هى عارية فى يده. قال الرجل: انظر هذه الهمة العالية للمعجز، وكيف سمت بها هذا السموإنها تضمن أن تشغل وقتها بالسؤال عنها.

يروى: أن جماعة دخلت على رابعة لامتحانها، وأرادوا امتحانها فقالوا: قد ندرت جميع الفضائل على رؤوس الرجال، ووضع تاج النبوة على رؤوس

الرجال، وعقد حزام الكرامة على صدورهم، ولم تبعث أى امرأة للنبوة قط. قالت رابعة: كل هذا صحيح ولكن ادعاء الألوهية «وأنا ريكم الأعلى» (٨٦) لم تصدر عن امرأة قط، ولم تكن هناك امرأة مخنثة قط، وقد بدا هذا فى الرجال.

يروى: أن رابعة مرضت ذات مرة، واشتد عليها المرض، سألوها: ما سبب هذا؟ قالت: «نظرت إلى الجنة فأدبني ربي، وهذا الداء بسبب عتاب الحبيب» (٨٧).

ثم جاء الحسن البصرى لميادتها، قال: رأيت سيداً من سادة البصرة كان يضع كيساً من الذهب على باب صومعتها، وهو يبكي، فقلت: أيها السيد، لماذا تبكى؟ قال: من أجل زاهدة الزمان هذه، التى لو خلت بركاتها من بين الخلق، لهلك الخلق، وقال: قد أحضرت شيئاً للعهد معها، وأخشى ألا تقبله. اشفع لى أنت كى تقبله، فدخل الحسن، وقص لها الأمر، فنظرت إليه رابعة بطرف عينها وقالت: «هو يرزق من يسهه فلا يرزق من يحبه». منذ عرفته، انقطعت عن الخلق، وكيف آخذ مال شخص لا أعرف هل هو حلال أم لا؟ إننى حكمت القميص الذى أبليتة - على ضوء السراج السلطانى - فضاق قلبى زماناً، حتى تذكرت، فمزقت ما كنت قد حكته، فسر قلبى. اعتذر لذلك السيد حتى لا يضيّق قلبى.

يقول عبد الواحد بن عامر: دخلت أنا وسفيان الثورى لميادة رابعة، ولم أستطع أن أبدأ الحديث بسبب هيبتها، فقلت لسفيان: قل شيئاً قال: إن دعوت الله يخفف هذه الآلام عليك. فالتفتت إليه وقالت: يا سفيان، ألا تعرف من أراد هذا الألم لى، ألم يرده الله؟ قال: بلى. قالت طالما أنك تعرف (فكيف) تأمرنى أن أطلب منه ما يخالف إرادته! فلا تجوز مخالفة الحبيب. ثم قال سفيان: يا

رابعة أى شيء ترغبينه قالت: يا سفيان، لماذا تقول مثل هذا الكلام وأنت رجل من أهل العلم؟ فأى رغبة يرغبها هو لى؟ فيعزة الله إننى أشتهى الرطب منذ اثنتى عشر عاماً، وأنت تعلم أن التمر متوفر فى البصرة ولم آكله حتى الآن، فأنا عبدة وأى شأن للعبد بالرغبة، لو أننى أريد وربى لا يريد لكان هذا كفراً، فيجب إرادة ما يريد حتى تكون عبداً له حقيقة، لو يمنحك هو بنفسه، لكان هذا أمراً آخر. قال سفيان: سكتت، ولم أحدث قط. طالما لا يمكن التحدث فى أمرك تحدث أنت فى أمرى. قالت: إنك رجل حسن لو أنك لا تحب الدنيا. وقالت: أحب رواية الحديث؟ أى أن هذا هو الجاه فقال سفيان: ريق حالى، وقلت: ارض عنى يا إلهى قالت رابعة: ألا تخجل أن ترجو رضاء شخص لست راضياً عنه.

يروى: أن مالكا بن دينار قال: ذهبت إلى رابعة، ورأيتها ومعها قدح مكسور، كانت تشرب منه، وتتوضأ منه، وحصير بالية وخشدة كانت ترقد عليها زماً، وقال: تألم قلبى وقلت: لى رفاق أغنياء، لو تريدن أن أخذ لى شيئاً منهم. قالت: أخطأت خطأ عظيماً يا مالك، أليس من يرزقنى وإياهم واحد؟ قلت: بلى. قالت: قد نسيت رازق الفقراء بسبب الفقر وتذكر الأغنياء بسبب الغنى؟ قلت: لا، فقالت: طالما هو يعلم الحال فبما أذكره إنه يريد ونحن كذلك نريد ما يريد.

يروى: أن الحسن البصرى ومالكا بن دينار وشقيق البلخى دخلوا على رابعة ذات يوم، وكانت مريضة، قال الحسن: ليس بصادق فى دعواه من لم يصبر على ضرب مولاة، قالت رابعة: تفوح رائحة الغرور من هذا الكلام. وقال شقيق: ليس بصادق فى دعواه من لم يشكر على ضرب مولاة. قالت رابعة: ينبغى الأفضل من هذا. قال مالك: ليس بصادق فى دعواه من لم يتلذذ

بضرب مولاه، قالت رابعة: ينبغي الأفضل من هذا. فقالوا: إذن قولى أنت. فقالت: «ليس بصادق فى دعواه من لم ينس الضرب فى مشاهدة مولاه». ولا عجب فى ألا يشعر نساء المحلة بألم الضرب فى مشاهدة المخلوق. إن يتصف شخص بهذه الصفة فى مشاهدة الخالق لا يكون بديعاً.

يسروى: أن أحد مشايخ البصرة دخل (عليها)، وجلس على فراشها، وكان يذم الدنيا بشدة. قالت رابعة: إنك تحب الدنيا جداً، ولو أنك لا تحبها لما ذكرتها بهذه الدرجة فإن مفسد البضاعة شاربها، لو فرغت من الدنيا لما ذكرتها بالخير أو الشر، لكنتك تذكرها لأن، من أحب شيئاً أكثر من ذكره.

قال الحسن: ذهبت إلى رابعة ذات يوم فى صلاة العصر، وأرادت أن تطهر شيئاً، وكانت قد ألفت اللحم فى القدر، ووضعت الماء، ولما استرسلت معى فى الحديث، قالت: إن هذا الكلام أشهى عندى من طعام القدر وهكذا كانت تتحدث حتى أدينا صلاة العشاء، فأحضرت قطعة خبز يابسة وقدم ماء حتى نغفر، وذهبت كى ترفع القدر، فاحترقت يداها ونظرنا، فكان الطعام قد نضج، وكان يغلى بقدره الحق تعالى، أحضرته وأكلنا ذلك اللحم، وكان لذيذاً لدرجة أننا لم نكن قد أكلنا طعاماً قط بهذه اللذة، قالت رابعة: ذهب الداء هكذا يفعل القدر.

قال سفيان: اقتربت من رابعة، وكانت فى المحراب، وكانت تصلى حتى النهار، وكنت أصلى فى زاوية أخرى حتى السحر، ثم قلت: بما نشكر من وفقنا أن نصلى له طوال الليل؟ قالت: بأن نصوم غداً، وقالت: يا إلهى، لو أنك سترسلنى يوم القيامة إلى جهنم، أصرح بأنها ستفر منى ألف عام. وكانت تقول: يا إلهى، كل شىء قدرته لنا من الدنيا هبة لأعدائك، وكل ما قدرته لنا من الآخرة هبة لأحبائك فيكفيلنى أنت.

وكانت تقول: لو أننى أعبدك خشية جهنم، احرقنى فى جهنم، ولو أعبدك أملاً فى الجنة حرمتها على، ولو أعبدك من أجلك فلا تضن على بالجمال الباقي.

وكانت تقول فى المناجاة: يا إلهى: لو ألقيت بى غداً فى جهنم، أصرخ (قائلة): إننى أحبه، أيفعل هذا مع الحبيب؟ فنادى هاتف: يا رابعة، لا تظنى بنا ظن السوء سننزلك إلى جوار أحبائنا حتى تتحدثين معنا بحديثنا.

وكانت تقول فى المناجاة: يا إلهى، إن شغلى فى الدنيا بأسرها ورغبتى فيها هو ذكرك، وشغلى فى الآخرة بجملتها ورغبتى فيها لقاءك، إن هذا الذى قلته منى، وأفعل كل ما تريده.

وكانت تقول فى المناجاة ذات ليلة: يارب، استحضر لى قلبى وإلا فاقبل الصلاة بدون قلبى.

ولما حضرته الوفاة، خرج الناس، واعتلوا مرتفعاً، فسمعوا صوتاً: «يا أيتها النفس المطمئنة ارجعى إلى ربك راضية»^(٨٨). مرَّ وقت ولم ينبعث أى صوت، ففتحوا الباب، وكانت قد أسلمت الروح.

وهكذا قال المشايخ: دخلت رابعة الدنيا، ومضت إلى الآخرة، ولم تتجرأ على الحق قط، ولم ترجوه شيئاً ولم تقل هبنى شيئاً أو أفعلى لى شيئاً، حتى تطلب شيئاً من الخلق.

رأوا رابعة فى المنام بعد موتها، فقالوا: اشرحى حالك، وكيف نجوت من منكر ونكير؟ قالت: دخلا المكان وقالوا: من ربك؟ فقلت عوداً وقولاً لله: إنك لم تكن تنسى عجزاً ضعيفة بين آلاف مولفة من الخلق، وأنا الذى عرفتك فى الدنيا بأسرها لا أنساك قط، حتى ترسل شخصاً (يسألنى) من ربك؟!؟

جاء محمد بن أسلم^(٨٩) ونعمى الطرطوسى اللذين سقيا ثلاثين ألف رجل فى البادية إلى قبر رابعة، وقالوا: إنك (كنت) تدعين إنك لا تحنين رأسك فى العالمين، فإلى أين وصل بك الحال؟ فانبعث صوت: وصلت إلى ما رأيته. رحمة الله عليها.

ذكر الفضيل بن عياض (١٠) رحمة الله عليه

هو المقدم لدى النائبين، والمعظم لدى النائبين، هو شمس الكرم والإحسان ويحضر الورع والعرفان، هو المعرض عن الكونين، شيخ الزمان الفضيل بن عياض (رحمة الله عليه).

كان من كبار المشايخ، وكان عيار الطريقة، وكان ممدوح الأقران، ومرجع القوم. وله في الرياضات والكرامات شأن رفيع، وكان فريداً في الورع والمعرفة.

كانت بداية أمره أنه كان قد ضرب خيمة وسط صحراء «مرو وبارود»، وارتندى المرقعة، ووضع على رأسه عمامة من الصوف، وعلق مسبحة في رقبته. وكان له أصحاب كثيرين، كانوا جميعاً لصوصاً وقطاع طرُق. وكانوا يقطعون الطرق ليلاً ونهاراً، ويحضرون البضائع إلى الفضيل لأنه كان زعيمهم، فكان يقسمها بينهم، وكان يستولى على ما يريد لنفسه ويسجله، ولم يكن يبعد أبداً عن الجماعة. وكل غلام لم يكن يأت إلى الجماعة، كان يبعده.

ذات يوم كانت قافلة عظيمة تقدم، وكان أصحابه يتجسسون عليها، كان هناك رجل في القافلة، قد سمع صوت اللصوص، وشاهدهم. وكان معه كيس

ذهب، كان يحاول أن يخفيه، فقال لنفسه: أذهب، واخبيء هذا الكيس، فإن هاجموا القافلة اجعلوا بضاعتني، ولما انتحى جانباً من الطريق، رأى حيمة فضيل، ورآه على مقربة منها على هيئة الزاهدين ولباسهم، فسر، وعهد إليه بذلك الكيس على سبيل الأمانة. قال الفضيل: اذهب، وضعه في ركن من الخيمة هذه. ففعل الرجل ذلك، وعاد إلى القافلة وعندما وصل إليها، كانوا قد سطوا عليها، وسرقوا كل البضائع، وقيدوا أهلها وألقوا بهم. فخلصهم جميعاً، وجمعوا ما كان قد بقي، ومضوا. وجاء ذلك الرجل إلى الفضيل كي يأخذ الكيس، فرآه جالساً مع اللصوص، وهم يقتسمون البضائع، عندما رأى الرجل ذلك، قال: أعطيت ذهبي للصوص. رآه الفضيل من بعيد فنادى عليه، ولما تقدم الرجل، قال: أين الوديعة؟ قال: هناك حيث وضعتها، خذها وانذهب، دخل الرجل الخيمة، وحمل الكيس، ومضى. فقال له الأصحاب: إننا لم نجد درهماً واحداً نقداً في القافلة بأسرها، وتعيد له عشرة آلاف درهم!

قال الفضيل: لقد ظن بي هذا الرجل ظناً حسناً، وأنا أيضاً قد ظننت بالله ظناً حسناً بأن يتوب علي، فحققت ظنه حتى يحقق الحق ظني.

بعد ذلك، هاجموا قافلة ذات يوم، و«رَقُوا البضائع، وجلسوا، وكانوا يتناولون الطعام. فسأل واحد من أهل القافلة: من كبيركم؟ قالوا: ليس معنا، إنه يصلي هناك عند شجرة على حافة الماء. قال: ليس الوقت وقت صلاة. قالوا: إنه يصلي متطوعاً. فقال: ألا يأكل معكم؟ قال: إنه صائم، قال الرجل: ليس الشهر رمضان. قالوا: يصوم متطوعاً. تعجب هذا الرجل واقترب منه، فكان يصلي في خشوع، فانتظر حتى فرغ، وقال: «الضدان لا يجتمعان، فكيف يجتمع الصوم والسرقة؟! وأي علاقة بين الصلاة وقتل المسلمين؟! قال الفضيل: أتعرف القرآن؟ قال: بلى، قال: ألم يقل الحق تعالى: «وآخرون اعترفوا بذنوبهم خلطوا عملاً صالحاً وآخر سيئاً». فلم يقل الرجل شيئاً، وعجب لأمره.

يروى: أن المروءة والهمة كانت من طباعه دائماً، بحيث إنه لو كانت فى القافلة امرأة فلم يكن يسرق متاعها، ولم يكن يستولى على مال الفقير، أو يأخذه، وكان يترك لكل شخص على قدر ماله وكان يميل إلى الصلاح دائماً.

وفى البداية، عشق امرأة، كان يمنحها كل ما يحصل عليه من قطع الطرق، وكان يعتلى الجدران دائماً افتناناً بعشقها، ويبكى. ذات ليلة، كانت قافلة نمر، بها شخص يتلو القرآن، فترامت إلى مسامعه هذه الآية الكريمة: «ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله»،^(٩١). وهكذا خرجت الآية لمبارزة فضيل فكانت بمثابة سهم انقض على روحه، وقال: يا فضيل، إلام تقطع الطريق، فقد حان الوقت أن تقطع نحن طريقك أيضاً. فسقط فضيل من فوق الحائط، وقال: حان الوقت، ومضى من الوقت أيضاً. واتجه مضطرباً وحيراناً وخجلاً وهائماً إلى الخرابات حيث كانت جماعة من أهل القوافل، وكانوا يقولون: لنمضى، فقال أحدهم: لا يمكننا الذهاب لأن الفضيل فى الطريق. فقال الفضيل: بشراكم، إنه تاب^(٩٢). وكان يتجول طوال اليوم ويبكى، وكان يعادى المرء.

كان فى باورد يهودى، وكان يريد الحل منه، فلم يحله. فقال ذلك اليهودى لأصحابه: اليوم هو اليوم الذى نهزأ فيه بأتباع محمد. ثم قال: لو تريد أن أحلك فهناك تل من الحصى - يصعب على الإنسان حمله سوى فى دهر - وقال: ارفعه. فكان الفضيل يلقي به حصوة، بعبء العجز، وكيف ينجز الأمر بذلك الأسلوب؟ ولما يبس، هبت ريح فى السحر، وأخفته. لما رأى اليهودى ذلك، اندهش، وقال: أقسم ألا أحلك ما لم تعطنى مالاً. ضع يدك الآن تحت هذا الغصن، وخذ قبضة ذهب من هناك، واعطها لى، فيصح قسمى وأحلك. فجاء الفضيل إلى دار اليهودى وكان اليهودى قد وضع تراباً تحت غصن - فغرس

يده تحت الغصن، ورفع حفنة من الدنانير، ومنحها له. قال اليهودى، اشرح لى الإسلام، فشرحه له، فأسلم اليهودى ثم قال: أتعلم لماذا أسلمت؟ لأنى لا أعرف حتى اليوم أى دين هو الحق؟ واليوم اتضح لى أن الإسلام هو الدين الحق، لأننى قد قرأت فى التوراة: أن من يتب توبة نصوحة، عندما يضع يده فى التراب يصير ذهباً، وكنت قد وضعت تراباً تحت الغصن لاختبارك، ولما وضعت يدك فى التراب صار ذهباً، فعرفت أن توبتك حقيقية ودينك هو الحق. الخلاصة، قال الفضيل لشخص: بالله، قيد يدي وقدمي، واحملى إلى السلطان، فإن على حدك كبيراً، وينبنى عليه أن يقيم الحد على. ففعل الرجل ذلك. ولما رآه السلطان، ورأى فيه سمة أهل الصلاح، قال: لا يمكننى هذا، وأمر فصحبوه إلى داره معززاً. لما وصل الفضيل إلى باب الدار، نادى أهل الدار، فقالوا: إن صوته قد تغير كما لو أنه جرح. قال الفضيل: بلى، لقد جرحت جرحاً عظيماً قالوا: أين؟ قال: فى الروح. ثم دخل، وقال لزوجته: أيتها المرأة، إننى سأقصد بيت الله: إن تريدى أطلقك. قالت المرأة: لا أنفصل عنك قط، وكل مكان تحل فيه أهل فيه. ثم مضيا حتى وصلا إلى مكة. ويسر الحق (تعالى) الطريق عليهما. وجاور (الفضيل) المكان، وأدرك بعض الأولياء، وصاحب الإمام أبى حنيفة فترة. وكانت له روايات عظيمة، ورياضات عميقة، وذاع صيته فى مكة، وكان أهل مكة يجتمعون حوله، وكان يتحدث إلى الجميع، ووصل أمره إلى حد أن نهض أهله وأقاربه من بارود، وجاءوا لرويته، وقرعوا الباب، فلم يفتح ولم يعودوا، صعد الفضيل سطح المنزل، وقال: يالكم من رجال عاطلين ليهبكم الله عملاً، وقال كثيراً من هذا القبيل، فبكى الجميع، وأغشى عليهم، وفى النهاية، عاد الجميع ياتسين من صحبته، وظل هو على السطح، ولم يفتح الباب.

يروى: أن هارون الرشيد قال للفضل البرمكي - الذي كان أحد المقربين إليه - ذات ليلة: خذني هذه الليلة إلى رجل يشرح لي حالي، فقد ضاق قلبي بسبب الرعدة والفرقة فأخذة الفضل إلى دار سفيان بن عيينة^(٩٣)، فرعا الباب، قال: من؟ قال: أمير المؤمنين قال: لماذا تكبد المشقة؟ كان يجب أن يخبرني حتى كنت أجيء إليه بنفسى. فقال هارون للفضل: ليس هذا هو الرجل الذي أنشده، أنه مثل من يدعون لي بطول العمر. علم سفيان بتلك الواقعة فقال: فضيل بن العياض هو ما تنشدهانه ينبغي عليكما الذهاب إليه فذهبا إلى هناك وكان يتلو هذه الآية، أم حسب الذين اجترحوا السيئات أن يجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات،^(٩٤) قال هارون: لو أنني أطلب النصيحة، فهذا كاف. ثم فرعا الباب، قال الفضيل: من؟ قال: أمير المؤمنين. قال: أي شأن له بي؟ وأي شأن لي به؟ قال: إن طاعة أولى الأمر واجبة. قال: لاتزعجني. قال: أدخل بالإذن أم بالأمر؟ قال: إن دخلتما بالإكراه، فلا إذن إذن، وأنتما تعلمان. دخل هارون، ولما اقترب من الفضيل أطفأ الفضيل السراج، حيث لا ينبغي له أن يرى وجهه، مد هارون يده، فأعادها الفضيل له، وقال: «ما ألين هذا الكف لو نجا من النار». قال هذا، ونهض، ووقف للصلاة. فتغير حال هارون وغلبه البكاء، وقال فلتتحدث. سلم الفضيل وقال: كان والدك عم المصطفى (عليه الصلاة والسلام) فدعا: أن اجعلني أميراً على قومي. فقال: يا عم، أمرناك على نفسك لحظة، أي لأن تكن في طاعة الله لحظة خير من طاعة الخلق لك ألف عام. إن الإمارة يوم القيامة الندامة، قال هارون: زدني. قال لما ولى عمر ابن العزيز الخلافة. دعا سالمًا بن عبد الله^(٩٥) ورجاء بن حياة^(٩٦) ومحمداً بن كعب وقال لهم: إنني ابتليت بهذا البلاء، فما تديبري؟ إنني اعتبرها بلاء مع أن الناس يعتبرونها نعمة. فقال أحدهم: إن أردت النجاة من عذاب الله تعالى غداة القيامة، اعتبر شيوخ المسلمين كأبيك، وشبابهم كأخوتك، واحفظ أطفالهم

مثل أبنائك وعاملهم كما يامل الأيب والأخ والولد^(٩٧). قال زدني: فقال: إن ديار الإسلام مثل ديارك. وأهلها عيانك. وزر أباك، وأكرم أخاك، وأحسن إلى ولدك.

ثم قال: أخشى أن يبئلى وجهك المميل بنار الجحيم، فأخش الله (تعالى) وأطعمه وكن يقظاً عاقلاً، لأن الحق (تعالى) سيسألك عن المسلمين وادداً واحداً يوم القيامة ويطلبك بحق كل واحد منهم، فلو أن عجوزاً كانت قد نامت فى دارها دون زاد، فإنها تتشبث بطرفك. وتعاديك. فبكى هارون كثيراً إلى حد أن فقد وعيه، فقال الوزير فضل: كفى إنك قتلت أمير المؤمنين، قال: اصمت، يا هامان، فإنك تهلكه أنت وقومك، ثم تقول لى قتلته أنت. وهذا هو القتل. فزاد بكاء هارون لهذا الكلام، وعندئذ التفت إلى الفضل وقال: قال لك هامان لأنه قد وضعنى فى مكانة فرعون. ثم قال هارون: أعليك دين؟ قال: بلى، دين الله على بالطاعة، فإن حاسبنى عليها فالويل لى، قال يا فضيل، أتحدث عن دين الخلق، قال: الحمد لله (عز وجل) إن نعمه على كثيرة، وليس لدى أى شكوى منه كى أشكوه إلى عباده. فوضع هارون أمامه ألف دينار (قائلاً): هذه النقود حلال، من ميراث أمة. قال الفضيل: لم تفدك نصانحى هذه قط يا أمير المؤمنين والآن أيضاً بدأت الظلم، وسلكت مسلك الظالم. قال: أى ظلم، قال: إننى أدعوك إلى النجاة، وتلقى بى أنت فى البلاء، وهذا ظلم وأقول لك رد ما تملكه إلى أصحابه، فتعطيه إلى آخر لا يستحقه فلا فائدة لكلامى، قال هذا، ونهض من أمامه، وألقى بالذهب خارج الباب. فخرج هارون الرشيد وقال: «أواه أى رجل هو، إن الملك فى الحقيقة هو الفضيل، وإن جاهه عظيم وحقارة الدنيا زائدة فى نظره.

يسرورى: أنه احتضن طفله ذى الأربعة أعوام ذات يوم، وقبلة كعادة الآباء، فقال ذلك الطفل: أتحبنى يا والدى، قال: نعم، قال: أتحب الله؟ قال: نعم، قال

وكم قلب لديك؟ قال: واحد، قال: أيمن محبة حبيبين بقلب واحد، فعرف في الحال، أن الطفل لا يقول ذلك، بل إن ذلك هو تعريف بالحقيقة بسبب غيره الحق فأخذ في الندب، وتاب، وقطع قلبه عن الطفل، ووهبه للحق^(٩٨).

يروى: أن الفضيل كان قد وقف بعرفات ذات يوم، وكان كل الخلق يبكون في تضرع ونحيب وبكاء ورجاء، قال: يا سبحان الله، ما بالك لو أن كل هؤلاء الناس يذهبون إلى رجل مرة واحدة، ويطلبون منه دانقاً من الفضة فماذا تظن هل يخيب رجاءهم جميعاً؟ فقال ذلك الرجل: لا، فقال: إن العفو عنهم جميعاً أسهل على الله تعالى من أن يعطيهم ذلك الرجل دانقاً من الفضة لأنه، أكرم الأكرمين، الرجاء أن يغفر لهم جميعاً.

وسألوه في عرفات ليلاً: كيف ترى حال هؤلاء الناس؟ قال: قد غفر للجميع، وإن كنت لست بينهم، قالوا: كيف؟ ولا تراك خائفاً قط! قال: لو أنك كنت خائفاً لم يكن الخائفون في خفية عنك فإنه لا يرى الخائف إلا الخائف، ويستطيع الحزين أن يرى المحزونين^(٩٩).

قالوا: متى يبلغ الرجل غايته في حب الله (تعالى)؟ فقال: عندما يتساوى لديه المنع والعتاء، فقد بلغ غاية محبته.

قالوا: ما تقول في شخص يريد أن يقول لبيك ولا يطيق قولها خشية أن يقال له: لا لبيك. قال أمل أن من يرى نفسه في ذلك الموقف، لا تتردد وراءه كلمة لبيك.

قالوا: ما أصل الدين؟ قال: العقل، قالوا: ما أصل العقل؟ قال: الحلم. قالوا: ما أصل الحلم؟ قال: الصبر.

قال أحمد بن حنبل رضي الله عنه: سمعت من الفضيل: أن كل من طلب الرياضة
ذل.

وقال: قلت للفضيل: عظمى، فقال: كن في المؤخرة ولا تكن في المقدمة فهذا أفضل لك .

قال بشر الحافي رضي الله عنه سألته: الزهد أفضل أم الرضا؟ فقال: الرضا أفضل لأن الراضى لا يرجو أى مقام أسمى من مقامه .

قال سفيان الثوري رضي الله عنه: ذهبت إليه ذات ليلة، وظللت أتلو الآيات وأقص الأخبار والآثار طوال الليل، ولما نهضت. قلت: يا لها من ليلة مباركة ليلة أمس، وباليها من جلسة محمودة جلسة أمس، فإن هذه الجلسة أفضل من الوحدة. فقال الفضيل: بالها من ليلة مشلومة ليلة أمس، وباليها من جلسة مذمومة جلسة أمس. قلت لمانا تقول مثل هذا الكلام؟ قال: لقد كنت في أسرها طوال الليل كى تقول كلاماً حسناً يعجبني، وكنت أنا أسيراً لها على أمل أن أجيب جواباً حسناً يعجبك، وكنا قد شغلنا بعضنا البعض بكلام بعضنا البعض عن الله، فاعلم أن الوحدة والمناجاة مع الله أفضل (١٠٠).

ذات يوم رأى عبد الله بن المبارك وكان قد اتجه إليه، فقال: عد من المكان الذى بلغته والا عدت أنا، أتأتى كى تقص على بعض الكلام وأقص عليك بعض الكلام!

يسروى: أن شخصاً قصده ذات يوم، فقال له: لما جئت؟ قال للاستكانة والراحة برويتك قال: بالله، إن هذا أقرب إلى الوحشة، ولم تأت إلا كى تخدعنى بالكذب وأخدعك بالكذب فارجع من هنا.

وكان يقول: أريد أن أصاب بمرض، يقعدنى عن صلاة الجماعة حيث لا ينبغي لى رؤية الخلق.

وقال: إن استطعت أن تسكنوا فى مكان لا يعرفكم فيه أحد، ولا تعرفون فيه أحداً، لكان هذا الأمر عظيماً وحسناً، فافعلوا ذلك (١٠١).

وقال: أمتن منة عظيمة من شخص يمر على ولا يسلم وعندما يصيبني مرض، لا يأتي لعيادتي.

وقال: أسر عندما يحل الليل لأنه خلوة لي مع الحق بلا فرقة، وعندما يطلع الصباح أحزن كراهية لروية الخلق الذين لا ينبغي لهم الدخول على وإزعاجي في الخلوة.

وقال: من يستوحش الوحدة، ويستأنس بالخلق، فهو بعيد عن السلامة.

وقال: من عدّ القول من العمل قلّ كلامه إلا عند الضرورة.

وقال: من يخف الله، يصم لسانه.

وقال: عندما يحب الحق تعالى عبداً، يكثر همه، وإذا بغضه وسع عليه دنياه.

وقال: إن بكى حزين في أمتي، لسعت كل الأمة في أمره.

وقال: لكل شيء زكاة، وزكاة العقل الحزن الطويل، ومن العجيب كذلك أن يكون هناك شخص في الجنة ويبكى. ولهذا كان رسول الله ﷺ متواصل الأحران.

وقال: الأعجب من ذلك حال شخص يضحك في الدنيا ولا يعلم كيف ستكون عاقبة أمره.

وقال: خمسة أشياء من علامات سوء الطالع: قسوة القلب، وجمود العين، وقلة الحياء، والرغبة في الدنيا وطول الأمل.

وقال: عندما يسكن الخوف قلب شخص لا يجرى شيء لا قيمة له على لسانه ويتغلب على الشهوات وحب الدنيا ويبعد عن قلبه الرغبة فيها.

وقال: من يخشى الله، تخشاه كل الأشياء، ومن لا يخشى الله، يخشى كل شئىء.

وقال: خشية الله والخوف منه تكون على قدر علم العبد، وزهد العبد فى الدنيا يكون على قدر رغبته فى الآخرة.

وقال: لم أر آدمياً قط فى هذه الأمة أكثر رجاءً فى الله وأكثر خوفاً منه إلا ابن سيرين (رضى الله عنهما).

وقال: لو أن الدنيا بأسرها منحت لى حلالاً دون حساب أتقذرها كما تتقذرون الجيفة (١٠٢).

وقال: قد جمعت المساوىء كلها فى دار واحدة مفتاحها محبة الدنيا، وجمعت جملة المحاسن فى دار واحدة مفتاحها عداوة الدنيا (١٠٣).

وقال: القدوم إلى الدنيا سهل، لكن الخروج منها والخلص منها صعب.

وقال: الدنيا مستشفى والخلق فيها كالمجانين، وللمجانين فى المستشفى أغلال وقبود.

وقال: بالله إن كانت الآخرة من الحقارة الباقية، والدنيا من الذهب الفانى لكان جديراً أن يرغب الخلق فى الحقارة الخالدة، لأن الدنيا ليست إلا سفالة فانية والآخرة ذهب باقى.

وقال: لم يمنح شخص شيئاً قط من الدنيا، ما لم ينفذ عنه مئات الأشياء فى الآخرة لأنه سيكون لك عند الله بما كسبت، وما فعلت، فافعل الآن سواء أكان كثيراً أم قليلاً.

وقال: لا تتلذذوا بالثياب الناعمة والطعام اللذيذ، فإن التمتع بتلك الثياب وذلك الطعام لن يبقى غداً.

وقال: الناس الذين انقطعوا عن بعضهم البعض بالتكلف، يستطيعون أن يبروا وقاحة بعضهم البعض عندما يرفع التكلف.

وقال: أوحى الله (عز وجل) للجبال: إني مكرم نبياً على واحد منكم، فتكبرت الجبال جميعها إلا طور سيناء، فكلم عليه موسى ﷺ لتواضعه.

وقال عن التواضع: هو الخضوع لله والطاعة له والانقياد لما يأمر به.

وقال: من يعتبر أن لنفسه قيمة، فلا نصيب له في التواضع.

وقال: لا تبحثوا عن ثلاثة أشياء لأنكم لن تجدوها: لا تبحثوا عن عالم يزن علمه بميزان العمل لأنكم لن تجدوه وتبقوا جاهلين، ولا تبحثوا عن عامل لا يصاحب إخلاصه عمله لأنكم لن تجدوه وتبقوا عاطلين، ولا تطلبوا إخوة بلا عيب لأنكم لن تجدوها، وتبقوا بلا أخ.

وقال: من يظهر المحبة لأخيه باللسان، ويكن له العداة في القلب يلعنه الله، ويجعله أعمى القلب وأصم.

وقال: عندما كانوا يفعلون ذلك كانوا يراءون والآن لا يفعلون هذا يراءون.

وقال: ترك العمل من أجل الخلق رياء، والعمل من أجلهم شرك، والإخلاص: أن يحفظ الحق (تعالى) العبد من هاتين الخصلتين.

وقال: إن أقسمت أنى مرأ أحب إلى من أن أقسم أننى لست بمراء (١٠٤).

وقال: أصل الزهد الرضاء من الحق تعالى بكل ما يفعله وأجدر الخلق برضاء الله (تعالى) أهل المعرفة.

وقال: كل من يعرف الله حق المعرفة، يعبد بكل طاقته.

وقال: الفتوة ترك الأخوة.

وقال: حقيقة التوكل ألا يأمل (المرء) فيما سوى الله، وألا يخشى غيره.

وقال: المتوكل من يثق في الله عز وجل، وألا يتهم الله في أي شيء يفعله، وألا يشكو منه، أي يستوى لديه الظاهر والباطن في التسليم.

وقال: عندما يقال لك، هل تحب الله؟ اصمت، فإن قلت لا، تكون كافراً وإن قلت نعم، لا يكون مسلكك مثل مسلك الأحمية.

وقال: خجلت من الله، من كثرة ذهابي إلى المبرز، وكان كل ثلاثة أيام يقضى حاجته مرة، وقال: كثيراً ما يذهب الرجل إلى المبرز ويخرج نظيفاً وكثيراً ما يذهب رجل إلى الكعبة ويخرج ملوثاً.

وقال: الحرب مع العقلاء أيسر من تناول الحلوى مع الجهلاء.

وقال: من يضحك هانئاً في وجه فاسق، يسعى في تخريب الإسلام.

وقال: من يلعن حيواناً، يقول له الحيوان: آمين مني ومنك.

وقال: اللعنة على كل من هو أكثر عصياناً لله.

وقال: لو أعلم قوله: الدعاء مستجاب لك، فاطلب كل ما تريده، أَدْعُو للسلطان، لأنني إن دعيت بصلاحي لكان الصلاح لي فقط، وفي صلاح السلطان صلاح كل الخلق (١٠٥).

وقال: خصلتان يفسدان القلب: كثرة النوم وكثرة الأكل.

وقال: فيكم خصلتان من الجهل إحداهما: أنكم تضحكون ولا تتعجبون، والأخرى: أنكم تنصحون ولا تستيقظون الليل.

وقال يقول الله (عز وجل): يا بن آدم، إن ذكرتني، ذكرتك، وإن نسيني نسيتك، والبرهة التي لن تذكرني فيها هي عليك لا منك، فانظر الآن ما تفعل.

وقال: قال الله لأحد الأنبياء: بشر المذنبين بقولي إن تبتم أقبل توبتكم، وأنذر الصديقين بإنى إن عدلت معهم، لعاقبتهم جميعاً.

ذات يوم دخل عليه شخص، وقال له: عظني، فقال: «أرباب متفرون خير أم الله الواحد القهار».

ذات يوم رأى ابنه كان يعد ديناراً من الذهب كي يعطيه لشخص، وكان ينظف تلك القذارة التي كانت في نقش الذهب، فقال: يا بني، إن هذا أفضل لك من عشر حجات وعشر عمرات.

وذات مرة، احتسب بول ابنه، فرفع الفضيل يده وقال: يارب، بحق محبتي لك، خلصه من هذا الألم، ولم يكن قد نهض بعد حتى كان قد شفى^(١٠٦).

ورود أنه كان يقول في المناجاة: يا إلهي، ارحمني، فإنك عالم بنويتي، ولا تعذبني فإنك قادر على. وكان يقول: يا إلهي، تملك أمرى جائعاً وعيالي، وملك أمرى عارياً، وعيالي، ولا تمنحني السراج في الليل، وتفعل هذا مع أوليائك، فبأى منزلة حاز الفضيل هذه السعادة منك؟!

يسروى: أن شخصاً لم يكن قد رآه باسماً قط طيلة ثلاثين عاماً. إلا اليوم الذي مات فيه ولده ابتسم، قالوا له: أيها السيد، أي وقت هذا؟ فقال: علمت أن الله راض بموته، وابتسم موافقة لرضائه^(١٠٧).

وكان يقول في آخر الأمر: لا غيرة لي من الأنبياء فسينتظروهم لحد وصراط وقيامه وسوف يقولون جميعاً نفسى نفسى بقلة حيلة. ولا غيرة لي من الملائكة، لأن خوفهم أكبر من خوف بنى آدم، وليس لهم داء بنى آدم، ومن ليس له هذا الداء لا أريده. لكننى غيور من الشخص الذى لم يولد، ولن يولد.

يسروى: أن مقرئاً حسن القراءة قدم إليه، وتلى عليه آية، قال: خذوه إلى ابني كي يقرأ، وقال: حذار ألا تقرأ آية بها صفة جهنم والقيامة. فليست له طاقتها وحدث أن قرأ المقرئ سورة القارعة فصاح في الحال وأسلم الروح.

عندما اقترب أجله، كانت لديه ابنتان، فأوصى زوجته (قائلاً): عندما أموت، خذي هاتين البنيتين، وارثقي جبل أبي قبيس، واتجهي إلى السماء، وقولي: يا إلهي أوصاني الفضيل، وقال: طالما كنت على قيد الحياة، كنت أحافظ على هاتين البنيتين بكل طاقتي، وطالما دفنت في القبر فإنني أعيدهما لك. لما دفن فضيل، نفذت زوجته ما قاله، فارتقت الجبل وأخذت البنيتين معها هناك؟ وناجيت (الله)، وبكت كثيراً وبدأت النواح، وفي نفس الوقت مرّ أمير اليمن مع ولديه في ذلك المكان، فرآهم في بكاء ونحيب، فقال: من أين أنتم؟ فقصت تلك المرأة الحال: قال الأمير: زوجت هاتين البنيتين إلى ولدي هذين، ومنحت لكل واحدة عشرة آلاف دينار مهراً. أرضيت بهذا؟ قالت: نعم، وفي الحال أعد الهودج والغرائس والحريز، وأخذهم إلى اليمن، ومن كان لله كان الله له.

وقال عبد الله بن المبارك: لما مات الفضيل ارتفع الحزن^(١٠٨).

ذكر إبراهيم بن أدهم (١٠٩) (رحمة الله عليه)

هو سلطان الدنيا والدين وعناء قاف اليقين، هو كنز عالم العزلة، وخزينة قصر الثروة، هو ملك الإقليم الأعظم، وريبب اللطف والكرم، شيخ الزمان إبراهيم بن أدهم (رحمة الله عليه).

كان متقى زمانه، وكان ريبب الإقبال، وكان حجة الزمان وبرهانه وله فى مختلف معاملات الملة وأصناف الحقائق حظ كامل، وكان مقبولاً لدى الجميع. وكان قد رأى كثيراً من المشايخ، وصاحب الإمام أبا حنيفة.

قال الجنيد (رضى الله عنه): «مفاتيح علوم هذه الطريقة إبراهيم» (١١٠).

دخل إبراهيم بن أدهم على أبى حنيفة (رضى الله عنه) ذات يوم، فنظر إليه أصحاب أبى حنيفة بعين الاحتقار، فقال أبو حنيفة: جاء سيدنا إبراهيم. فقال له أصحابه: وبما وجد هذه السيادة؟ قال: بالمدارمة على الخدمة، فقد انشغل بخدمة الله، وانشغلنا بخدمة أنفسنا (١١١).

وكان ابتداء أمره أنه كان ملك بلخ، أخضع عالماً لهيئته، وكانوا يحملون أربعين سيفاً ذهبياً وأربعين حرية ذهبية من أمامه ومن خلفه.

كان قد نام على السرير ذات ليلة، فتحرك سقف القصر في منتصف الليل كما لو أن شخصاً يسير عليه، فصاح: من؟ قال: عارف، فقدت ناقة أبحت عنها على هذا السطح، فقال: يا جاهل! أتبحث عن ناقة على السطح؟ قال: يا غافل! أتطلب الله وأنت نائم في ثوب حريري على سرير ذهبي؟ فوقعت هيبة في قلبه لهذا الكلام، واشتعلت النار في قلبه، ولم يستطع النوم حتى النهار ولما طلع النهار، عاد إلى الصفة، وجلس على العرش مفكراً وحائزاً وحزيناً، بينما وقف أركان الدولة كل واحد في مكانه، واصطف الغلمان، وعقدوا مجلس البلاط العام، وفجأة دخل رجل مهيب من الباب بحيث إن أحداً من الحشم والخدم لم يجروا أن يقول له من أنت؟ وانعقدت ألسنتهم جميعاً، وهكذا أخذ الرجل يتقدم إلى العرش، فقال إبراهيم: ما تريد؟ قال: أن أنزل في هذا الرباط، قال: ليس هذا رباطاً، إنه قصرى، أنت مجنون قال: لمن كان هذا القصر قبل ذلك؟ قال: ملك والدى، قال: وقبله؟ قال كان ملكاً لجدى، قال: وقبل ذلك؟ قال: ملك فلان، قال: وقبل ذلك؟ قال: والد فلان: قالوا: وأين صاروا جميعاً؟ قال: مضوا وماتوا، قال: ألم يكن هذا القصر رباطاً واحد يأتي إليه، وآخر يمر عليه قال هذا واختفى. وكان الخضر (عليه السلام). فتأججت حرقة روح إبراهيم ونارها، وتضاعفت آلامه فأى حال هذه، وأصبحت تلك الحال مائة حال، حيث اجتمعت رؤية النهار بسماع الليل، ولم يعرف ممن سمع؟ ولم يعرف ماذا رأى اليوم؟.

قال: اسرجوا الحصان، إننى ذاهب للصيد، فقد حدث لى اليوم شىء لا أعرف كنهه إلهى! إلام سيصل هذا الحال؟ أسرجوا الحصان، واتجه إلى الصيد، كان يتجول حائزاً في الصحراء بحيث لم يكن يعلم ماذا يفعل؟ وانفصل عن الجند فى تلك الحيرة، وفى الطريق سمع صوتاً: «انتهبه، فلم يهتم ومضى، فسمع

نفس الصوت للمرة الثانية ولم يهتم، وسمع نفس الصوت للمرة الثالثة فابتعد عنه، وفي المرة الرابعة سمع صوتاً: «انتبه قبل أن تنبه، هنا فقد صوابه مرة واحدة»^(١١٢).

فجأة ظهر غزال، فشغل نفسه به، فحدثه الغزال قائلاً: أرسلت لصيدك لكناك لا تستطيع صيدى «ألهاذا خلقت أو بهذا أمرت» فقال إبراهيم: ما هذا الحال؟ وولى عن الغزال، فهتف قريوس سرجه بنفس الكلام الذي كان قد سمعه من الغزال، فبدأ عليه الخوف والفرع، وازداد الكشف^(١١٣). وعندما أراد الحق (تعالى) أن يتم هذا الأمر، هتفت تلايبيه بنفس الكلام ثلاث مرات، هنا تم الكشف، وانفتح الملكوت عليه فسقط، وحدث اليقين، وابتلّت ثيابه جميعها وجواده بدموعه، وتاب توبة نصوحة.

واتجه إلى ناحية فرأى راعياً، ارتدى اللباد ووضع على رأسه عمامة من اللباد، والأغنام أمامه، نظر الغلام، وكان إبراهيم يرتدى قباء مذهباً، فمنحه عمامة مبتلة بالعرق ووهبه الأغنام، وأخذ منه إبراهيم اللباد ولبسه، ووضع على رأسه عمامة اللباد، ووقف الملكوت بأسره لمشاهدته، فما أحسنها سلطنة تلك التي آلت إلى ابن أدهم فقد أطاح بثوب الدنيا النجس، ولبس خلعة الفقر، ومن ثم أخذ يطوف مترجلاً في الجبال والقفار وهائماً، وكان ينوح على ذنوبه، حتى وصل إلى نهر «مرو». كان هناك جسر، ورأى رجلاً وقع من فوق ذلك الجسر، وإن جرفه الماء هلك في الحال، فصاح من بعيد «اللهم احفظه، فظل الرجل معلقاً في الهواء حتى وصلوا وحملوه، ويقوا في حيرة من إبراهيم فأى رجل هذا.

ثم رحل من هناك حتى وصل نيسابور، وكان يبحث عن زاوية خالية؛ لينشغل بالطاعة، حتى وصل إلى ذلك الغار المشهور، وسكنه تسعة أعوام، (وقضى) في كل منزل منه ثلاثة أعوام.

ومن يعرف فى أى أمر انشغل هناك طوال الليالى والأيام؟ يجب أن يكون الشخص رجلاً عظيماً وكثيراً دقيماً حتى يمكنه أن يتواجد هناك بمفرده ليلاً، كان يوم الخميس يصعد أعلى الغار ويجمع حزمة من الحطب، وكان يتجه فى الصباح إلى نيسابور ويبيعها، ويؤدى صلاة الجمعة، ثم كان يشتري بثمنها خبزاً كان يعطى نصفه لل دراويش، ويقتات بالنصف الآخر، ويفطر به ويستعمله حتى الأسبوع التالى.

يسروى: أن إبراهيم قضى ليلة من الشتاء فى ذلك المنزل، وكانت ليلة شديدة البرودة، وكان قد كسر الجليد، واغتسل به، لما كان الليل بطوله بارداً، وانشغل هو فى الصلاة حتى السحر، وفى السحر خاف أن يهلك من البرد، فهفت نفسه إلى النار، فرأى فراء قد سقط خلفه، واستغرق فى النوم، عندما استيقظ، كان النهار قد طلع، وشعر بالدفء فنظر فإذا بالفراء كان حية ولها عينان مثل صحنين عظيمين من الدماء فتملكه الخوف، وقال: إلهى! أرسلتها لى فى صورة اللطف، وأراها الآن فى صورة القهر ولا أطيقها، فمضت الحية فى الحال، ومسحت بوجهها الأرض أمامه عدة مرات واختفت.

يسروى: أنه عندما علم الناس بأمره، فرّ من الغار، واتجه إلى مكة، وفى الوقت الذى كان الشيخ أبو سعيد (رحمة الله عليه) قد ذهب فيه لزيارة الغار، قال: سبحان الله إن كان هذا الغار مفعماً بالمسك لما فاحت منه مثل تلك الرائحة، فقد قضى رجل ذو مروءة بصدق عدة أيام هنا، وترك كل هذه الروح والراحة.

ثم اتجه إبراهيم إلى البادية خشية الشهرة، فأدركه فيها واحد من العارفين، علمه اسم الله الأعظم^(١١٤)، ومضى، وبدأ يدعو الله بذلك الاسم الأعظم. وفى الحال رأى الخضر (عليه السلام). قال: يا إبراهيم! إنما علمك أخى داود اسم

الله الأعظم^(١١٥). ثم دار بينه وبين الخضر حديثاً طويلاً، وكان شيخه الخضر (عليه السلام) الذي كان قد هداه في بداية أمره بإذن الله تعالى.

وكان يمضى في البادية، وقال: وصلت إلى ذات العرق، فرأيت سبعين شخصاً يرتدون المرقعات كانوا قد أسلموا الروح، وسالت الدماء من أنوفهم وأذانهم، فطفت حول أولئك القوم، وكان الرمق مازال في أدهم، فسألته: ما هذه الحال أيها الفتى؟ قال: عليك بالماء والمحراب^(١١٦). يا ابن أدهم لا تذهب بعيداً حتى لا تهجر ولا تقترب جداً، حتى لا تؤذى، فليس هناك شخص يتجرأ على بساط السلاطين، احش الحبيب الذي يقتل الحجاج مثل كفرة الروم ويفزو مع الحبيج، واعلم أننا كنا قوماً متصوفة، سرنا في البادية متوكلين، وعزماً ألا نتكلم وألا نفكر إلا في الله، ونتحرك ونسكن من أجله، ولا نلتفت إلى غيره، وعندما تركنا البادية، ووصلنا إلى الأرض الحرام، أدركننا الخضر (عليه السلام)، فسلمنا، وأجاب السلام، سررنا وقلنا الحمد لله، أن وفق السفر والتحق الطالب بالمطلوب، لأن مثل ذلك الشخص جاء لاستقبالنا. فنودى على أرواحنا في الحال: نسيتم قولكم وعهدكم معنا أيها الكذابون المدعون وانشغلتم بغيرنا اذهبوا، فإنني لن أرضى عنكم مالم أسلبكم أرواحكم جزاء لكم وأريق دماءكم بسيف الغيرة. هؤلاء الفقهاء الذين تراهم كلهم احترقوا بسبب هذا الحساب، هلا تحفظ هذا السر يا إبراهيم؟ فأقدم والا فابتعد، صار إبراهيم حائراً مضطرباً لهذا الكلام، وقال: قلت: ولماذا حرروك أنت؟ قال: قيل: هم ناضجون وأنت مازلت صغيراً، إحصيا ساعة حتى تنضج أيضاً، وحين تنضج تأتي في أثرهم. قال هذا وأسلم الروح أيضاً.

دام سفك الناء في أرضنا ودام احتراق الروح في مجمرنا

احفظ سرنا والا فابتعد عن صدورنا فنحن نحب وأنت لا تحفظ سرنا

يروى: أنه أمضى أربعة عشر عاماً في قطع البادية، وكان يصلى ويتضرع طوال الطريق حتى اقترب من مكة. علم مشايخ الحرم (بمجيئه)، فخرجوا لاستقباله، وقد تقدم القافلة كي لا يعرفه أحد، تقدم الخدم فرأوا إبراهيم كان يتقدم القافلة، ولم يكونوا قد رأوه من قبل، فلما وصلوا إليه قالوا: هل اقترب إبراهيم بن أدهم، فقد خرج مشايخ الحرم لاستقباله. قال إبراهيم: ما تريدون من ذلك الزنديق؟ فصفعوه في الحال وقالوا: يخرج مشايخ مكة لاستقباله وتدعوه أنت زنديقاً! قال: وأنا أقول إنه زنديق. وعندما تجاوزوه، التفت إبراهيم إلى نفسه وقال: انتبهى كنت تريد أن يأتي المشايخ لاستقبالك، فصفعت وإبلاً من الصفعات، الحمد لله أننى رأيتك محققة لرغبتك ثم سكن مكة، فظهر أصحابه، وكان يأكل من كسب يده، وكان يعمل بالنجارة.

يروى: أن إبراهيم بن أدهم كان له طفل رضيع حين رحل عن بلخ، ولما كبر سأل أمه عن أبيه، فشرحت أمه الحال (قائلة): ضل أبوك. نادى مناد في بلخ: ليأت من له رغبة في الحج، فجاء أربعة آلاف شخص فمنحهم جميعاً نفقات الحج ونفاقته، وصحبهم إلى الحج أملاً في أن يحقق الله له لقاء أبيه ذات يوم. عندما دخلوا مكة، كان أصحاب المرفعات على باب المسجد الحرام، فسألهم: أتعرفون إبراهيم بن أدهم؟ قالوا: إنه صاحبنا قد استضافنا وذهب في طلب الطعام، فطلب أوصافه، ومضى في أثره، وخرجوا إلى بطحاء مكة، فرأى أباه كان يأتي بحزمة حطب عارى القدم والرأس، فغلبه البكاء ونظر إليه، ثم تعقبه، فجاء إلى السوق وكان يصيح: «من يشتري الطيب بالطيب، فناداه خباز وأخذ الحطب وأعطاه الخبز، فحمل الخبز إلى أصحابه، ووضع أمامهم. خاف الابن (وقال): إن قلت له من أنا يفز منى، فذهب ليتدبر مع أمه وسيلة العثور عليه، فأمرته أمه بالصبر وقالت: اصبر حتى تؤدى الحج. عندما مضى الابن

كان إبراهيم قد جلس مع أصحابه وأوصاهم قائلاً يوجد اليوم في الحج نساء وأولاد فغضوا البصر، فقبلوا جميعاً، عندما دخل الحجيج مكة، وطافوا حول البيت، كان إبراهيم مع أصحابه في الطواف، فتقدم إليه غلام جميل تأمله إبراهيم بعينه. رأى الأصحاب ذلك، فتعجبوا منه، ولما فرغوا من الطواف قالوا: رحمك الله، أمرتنا ألا ننظر إلى أى امرأة أو طفل ونظرت أنت إلى غلام حسن الوجه. قال: رأيتم، قالوا: بلى قال: لما جلست من بلخ تركت طفلاً رضيعاً، وأنا أعلم أن هذا الغلام هو ذلك الطفل فى اليوم التالى خرج أحد أصحاب إبراهيم، وسأل عن قافلة بلخ، ودخل فيها، فرأى خيمة من الحرير فى وسطها، وبها كرسى، وكان ذلك الغلام يجلس على ذلك الكرسى ويقرأ القرآن ويبكى، فطلبه صاحب إبراهيم وقال له: من أين أنت؟ قال من بلخ، قال: وابن من؟ فوضع الغلام يده على وجهه، وغلبه البكاء، ووضع المصحف من يده، وقال: إننى لم أرا أبى سوى بالأمس، ولا أعرف هو أم لا، وأخشى إن قلت له أن يهرب لأنه هارب منا. والذى هو إبراهيم بن آدم ملك بلخ، فأخذ ذلك الرجل لإبراهيم ورافقته أمه إلى إبراهيم. وكان إبراهيم قد جلس مع أصحابه أمام الركن اليمانى، ونظر من بعيد، فرأى صاحبه ومعه الطفل وأمّه. عندما رآته تلك المرأة صرخت ونفذ صبرها، وقالت: ها هو أبوك، فاندلعت ثورة لا يمكن وصفها، وانخرط الخلق والأصحاب جميعاً فى البكاء مرة واحدة. عندما تاب الطفل إلى رشده، سلم على أبيه فأجاب إبراهيم السلام، واحتضنه، وقال: على أى دين أنت؟ قال: على دين الإسلام، قال: الحمد لله، سأله ثانية: أتعرف القرآن؟ قال: بلى، قال: الحمد لله، سأله مرة ثالثة: هل حصلت العلم؟ قال: بلى، قال: الحمد لله. ثم أراد إبراهيم أن ينصرف فلم يترك الطفل بالطبع يده قط، وكانت أمه قد توقفت عن الصياح، فاتجه إبراهيم إلى السماء وقال: إلهى أغثنى، فأسلم الابن الروح بجانبه وقال الأصحاب: ما حدث يا إبراهيم؟ قال:

عندما احتضنته، تحرك حبه في قلبي، فنودي يا إبراهيم: «تدعى محبتنا وتحب معنا غيرنا، وتنشغل بغيرنا، وتجعله شريكاً في محبتنا وتوصي الأصحاب ألا ينظروا إلى أي امرأة أو طفل، وعلقت قلبك بتلك المرأة والطفل، عندما سمعت هذا النداء، دعوت «يا رب العزة، أغثنى لو أن محبته سوف تشغلي عن محبتك، إما أن تزهر روحه أو روحي، فأجاب دعوتي في حق ابني. إن تعجب شخص من هذه الحال أقول إن إبراهيم ضحى بابنه ولا عجب.

يسرى: أن إبراهيم قال: كنت أبحث عن فرصة طوال الليالي حتى أجد الكعبة خالية من الطائفين لأطلب حاجة، لكنني لم أكن أجد الفرصة، حتى كانت الأمطار تهطل بشدة ذات ليلة، فذهبت واغتنمت الفرصة، وقد خلت الكعبة، وطفئت، تشبثت بالحلقة وطلبت العصمة من الذنوب، فسمعت نداء أنطلب العصمة من الذنوب وجميع الخلق يطلبون نفس الشيء، إن أعطيت العصمة للجميع فأين تسرى بحورى الغفار والغفور والرحمن والرحيم، فقلت: اللهم اغفر لي ذنوبي، فسمعت نداء: تتحدث معنا عن الدنيا كلها وتحدثك عن نفسك أفضل من أن يتحدث عنك الآخرين.

وقد قال في المناجاة: إلهي! إنك تعلم أن الثمان جنان قليلة إلى جانب الكرم الذي أكرمته لي، وإلى جانب محبتك والآنس بذكرك، والفراغ الذي هبته لي عند التفكير في عظمتك.

وهذه مناجاة أخرى له: يارب ارفعني من ذل المعصية إلى عز الطاعة. وكان يقول «إلهي آه من عرفك لم يعرفك فكيف حال من لم يعرفك».

يسرى أنه قال: كابدت العناء والمشقة خمسة عشر عاماً، حتى سمعت نداء: «كن عبداً فاسترحت «أى، فاستقم كما أمرت، (١١٧).

يروى أنه سئل: ما حل بك حتى تركت الملك؟ قال: كنت قد جلست على العرش يوماً، فوضعت أمامي امرأة نظرت فيها، فرأيت قصرى قبراً لا مؤنس فيه، ورأيت السفر طويلاً أمامي ولا زاد لي، ورأيت قاضياً عادلاً ولا حجة لي، ففتر الملك على قلبي.

قالوا: ولماذا فررت من خراسان؟ قال: كثيراً ما سمعت هناك كيف يكون الحبيب.

قالوا: لماذا لا تتزوج؟ قال: أهنك امرأة تنزوج من زوج يجعلها جائعة وعارية؟ قالوا: لا قال لذلك لا أتزوج لأن كل امرأة أتزوجها سوف تبقى جائعة وعارية، ولو أننى استطعت طلاق واحدة فكيف أكره أخرى على الاقتران بى. ثم سأل فقيراً كان حاضراً هل أنت متزوج؟ قال لا، قال: أديك أولاد؟ قال: لا، قال حسن حسن، قال الفقير: كيف؟ قال: الفقير الذى تزوج كأنه جلس فى سفينة، وطالما رزق بابن غرق^(١١٨).

يسرى: أنه رأى فقيراً ذات يوم كان ينوح، قال: أظن أنك اشتريت الفقير دون مقابل. قال: أيشترى الفقير؟ قال: اشتريته مرة بملك بلخ. ومازال هو الأفضل.

يروى: أن شخصاً أحضر لإبراهيم ألف دينار وقال: خذها، قال: أنا لا آخذ من الفقراء. قال: أنا غنى، قال: أترغب فى الزيادة، قال: بلى، قال: خذ إنك أفقر الفقراء، إن هذا ليس فقراً إنه العدم.

ومن أقواله التى قالها: أشد حال تعتربنى أن أحل بمكان أعرف فيه فإن الخلق كانوا يدخلون على ويعرفوننى ويشغلوننى، وحينئذ ينبغى على الفرار من هناك، ولا أعلم أيهما أصعب: الذل عند الجهل أم الفرار من العز عند المعرفة.

وقال: إننا بحثنا عن الفقر فتحقق لنا الغنى، وأناس آخرون بحثوا عن الغنى فنحقق لهم الفقر.

وحمل رجل إليه عشرة آلاف درهم فلم يقبلها، وقال: أتريد أن تمحو اسمي من بين الفقراء بهذا القدر من الفضة.

يسروى: أنه عندما كان يهبط عليه وارد من الغيب كان يقول: أين ملوك الدنيا حتى يروا أى أمر هذا وأى حمل حتى يخلجوا من ملكهم.

وقال: ليس صادقاً من طلب الشهرة.

وقال: الإخلاص صدق النية مع الله (تعالى).

وقال: من لا يستحضر قلبه فى ثلاثة مواضع فذلك دليل على أن الباب قد أغلق أمامه: أولاً: عند قراءة القرآن، ثانياً: عند الذكر، ثالثاً: عند الصلاة.

وقال: علامة العارف هى: أن تكون أكثر خواطره فى التفكير والعبادة، وأكثر كلامه فى الثناء على الحق ومدحه، وأغلب أعماله فى الطاعة، وأغلب نظراته إلى لطائف الصنع والقدرة.

وقال: رأيت حجراً ملقى فى الطريق، وقد كتب عليه: «اقلب واقرأ، فقلبته وقرأت، فكان قد كتب على ذلك الحجر طالما إنك لا تعمل بما تعلم فكيف تطلب ما لا تعلم؟» (١١٩)

وقال: ليس هناك شىء قط فى هذا الطريق أشد على من مفارقة الكتاب حيث أمرت لا تطالعها.

وقال: إن أثقل الأعمال التى ستكون فى الميزان غداً أثقلها عليك اليوم.

وقال: هناك ثلاثة حجب يجب أن تنقش من أمام قلب السالك، حتى يفتح

له باب السعادة، أولاً: ألا يسعد وإن أعطوه ملك العالمين عطاءً أديباً لأنه بذلك يسر بالموجود فيكون بهذا لا يزال رجلاً حريصاً. «والعريص محروم». والثاني: إن تحقق له ملك العالمين ثم فقدهما لا يحزن بسبب الإفلاس لأن هذا يكون دليل السخط «والساخط معذب». الثالث: ألا ينخدع بأى مدح وإعزاز لأن من يمدح يخدع ويسبط همته وحقير المهمة محبوب، ويجب أن يكون على المهمة.

يروى: أنه قال لرجل: أتريد أن تكون ولياً من الأولياء؟ قال: نعم، قال: لا ترغب فى شئ من الدنيا والآخرة، واتجه إلى الله كلية وفرغ نفسك عما سوى الله (١٢٠)، وكل من حلال ولا حرج عليك ألا تقوم الليل أو تصوم النهار.

وقال: لم يدرك أحد قط درجة الرجال بالصلاة والصوم والغزو والحج إلا حين يعلم ما يدخل فى حلقه، قالوا: هناك شاب صاحب وجد وحال ويرتاض رياضة عنيفة. قال إبراهيم: احملونى إليه، كى أراه، فحملوه، قال الشاب: كن ضيفى، فىبقى هناك ثلاثة أيام، وراقب حال ذلك الشاب، فكانت أكثر مما قيل عنه حيث كان يقظاً مضطرباً طوال الليل، ولم يكن يهدأ لحظة أو ينام. غار إبراهيم وقال: هكذا نحن مقصرون وهو يقظ مضطرب طوال الليل، وقال لنفسه: تعالى لنبحث أحواله وهل نسال أى شيطان إلى هذه الأحوال أم أنها خالصة كما ينبغى، ثم قال لنفسه: يجب البحث عن حقيقة الأمر، وأساسه ومصدر اللقمة، فبحث فلم تكن حلالاً، قال: الله أكبر إنه الشيطان، ثم قال للشاب: كنت ضيفك لثلاثة أيام، فتعال، وكن ضيفى لأربعين يوماً، قال سأنفذ ذلك. كان إبراهيم يأكل لقمته من العمل، أحضر للشاب منها، وكان يعطيه لقمته، فزالت حالة الشاب وذهب شوقه، وخبا عشقه، وزالت حرقة واضطرابه وولى سهده ويكاؤه، فقال لإبراهيم: ما فعلت معى؟ قال: بلى، لم تكن لقمتك حلالاً، وكان الشيطان يتردد معها بداخلك وعندما نزلت لقمة حلال إلى بطنك

زال كل ما كان يعتريك من مظاهر شيطانية، باللقمة الحلال التي هي أصل الأمر، لتعرف أن اللقمة الحلال هي أساس هذا الحديث.

يروى: أنه قال لسفيان: من عرف ما يطلب يحقر في عينيه ما يجب أن يفعله بقلبه، وقال لسفيان: إنك محتاج لقليل من اليقين مع أنك غزير العلم.

يروى: أن إبراهيم وشقيق كانا معاً ذات يوم، فقال له شقيق: لماذا تهرب من الخلق؟ قال: قد احتضنت ديني وأفسر من هذه المدينة إلى تلك المدينة ومن قلة الجبل هذه إلى قلة الجبل تلك، ومن يرانى يظن أننى محموم أو موسوس لعلى أحفظ الدين من يد إبليس وأخرج بسلامة الإيمان من بوابة الموت.

يسروى: أنه كان يحصد الزرع فى النهار فى رمضان، وما يأخذه كان يعطيه للفقراء وكان يصلى طوال الليل، ولم يكن ينم^(١٢١) قط. قالوا: لماذا لا يعرف النوم عينيك؟ قال: لأننى لا أكف عن البكاء لحظة، وطالما أكون على هذه الحال، كيف يتأتى النوم.

عندما كان يؤدى الصلاة كان يضع يديه على وجهه ويقول: أخشى أن يصفع وجهى.

يروى: أنه لم يجد شيئاً ذات يوم، فقال: إلهى! لو أنك لا تهبنى شيئاً قط، أزيد الصلاة أربعمائة ركعة شكراً لك، فلم يجد شيئاً لثلاثة أيام أخرى فصلى أربعمائة ركعة كذلك، حتى بدا عليه الضعف فى الليلة السابعة، فقال: إلهى! إن أعطيتنى فهذا يليق بك. وفى الحال قدم شاب وقال له: أحتاج إلى طعام؟ قال: بلى، فحمله إلى داره، ولما نظر إلى وجهه، صاح صيحة. قالوا: ما حدث؟ قال: أنا غلامك، وكل ما أملكه ملك لك، فقال: حررتك وكل شئ فى يدك منحتك لك، فأذن لى أن أنصرف، قال بعد هذا: عزمت يا إلهى ألا أرجو غيرك قط، فقد طلبت خبزاً من شخص فأحضرت الدنيا أمامى.

يروى: أن ثلاثة أشخاص رافقوا إبراهيم بن أدهم، وكانوا يتعبدون ذات ليلة في مسجد خرب، ولما ناموا وقف هو على الباب حتى الصباح، فقالوا له: لماذا فعلت هكذا؟ قال: كان الهواء جد بارداً والريح باردة فسددت الباب بجسدى حتى أدفع الأذى عنكم.

يروى: أن عطاء السلمى قد حكى بإسناد عبدالله بن المبارك أن إبراهيم كان في سفر، وفرغ زاده فصبر أربعين يوماً، وأكل الطين ولم يقل لأحد حتى لا يصل ألمه إلى إخوانه. (١٢٢)

يروى: أن سهلاً بن إبراهيم كان يقول: سافرت مع إبراهيم بن أدهم فمرضت، فباع ما كان يملكه وأنفق على فطبت طلباً، وكان لديه حمار فباعه وأنفق على ثمه، فلما تماثلت للشفاء قلت: أين الحمار؟ قال: بعته، قلت: على ماذا أركب؟ قال: على كفتى يا أختى، ووضعنى على عنقه ثلاثة منازل وحملنى (١٢٣).

يروى: أن عطاء السلمى قال: لم يجد إبراهيم ما ينفقه مرة، فأكل الحصى خمسة عشر يوماً وقال: لم أكل من فاكهة مكة طيلة أربعين عاماً، إلا عندما كنت في حال النزاع، ولم أعلم. ولم يأكل لأن الجنود كانوا قد اشتروا بعض أراضى مكة.

يروى: أنه حج عدة مرات مترجلاً، ولم يشرب من ماء زمزم، وقال: لقد تم شراء دلوها وحبلها من مال السلطان.

يروى: أنه كان يذهب كل يوم للعمل، وكان يعمل حتى الليل، وما كان يأخذه كان ينفقه على أصحابه، لكنه كان يعمل حتى صلاة المغرب ويشترى شيئاً، ويأتى لأصحابه في الليل متعباً. قال أصحابه ذات ليلة: إنه يتأخر، تعالوا لتأكل الخبز، وننام، حتى يأتى مبكراً بعد هذا، ولا يفيدنا، وهكذا فعلوا، عندما

جاء إبراهيم فوجدهم نائمين فظنهم لم يأكلوا وناموا جائعين، فأشعل النار في الحال، وكان قد أحضر مقداراً من الدقيق، عجنه ليعدهم شيئاً يأكلونه حين يستيقظون فيستطيعون الصيام نهاراً. استيقظ أصحابه من النوم، فرأوه كان قد وضع محاسنه على التراب، وكان ينفخ في النار، وكان الدمع يسيل من عينيه، والدخان يلتف حوله، فقالوا: ما تفعل؟ قال: رأيتم نائمين فقلت: ربما لم تجدوا شيئاً ونتمم جائعين لذا فإنني أعد لكم شيئاً تتناولوه حين تستيقظون فقالوا: انظروا مدى ظنه بنا وما كان ظننا به!

يروى: أن كل من كان يريد صحبته كان يشترط عليه ويقول: أقوم أنا بالخدمة، وأؤذن للصلاة وكل فتح تفتحه الدنيا علينا (نقسه)، عندما قال رجل: لا أطيق هذا، قال إبراهيم إنني أعجب لصدقك.

يروى: أن رجلاً صاحب إبراهيم مدة وأراد المفارقة، فقال: أيها السيد: أخبرني بالعيب الذي رأيته في، قال: لم أريك عيباً قط لأنني قد نظرت إليك بعين المحبة فلا جرم أن كل شئ رأيته منك قد طابني.

يروى: أنه كان صاحب عيال، وكان يذهب وقت صلاة المغرب، ولم يكن لديه شئ من الطعام وكان جائعاً مهموماً (وقال): ما أقول للأطفال والعيال لأنني أذهب فارغ اليد؟ بينما كان يسير وهو في غاية الألم، رأى إبراهيم جالساً في صمت فقال: يا إبراهيم إنني أغار منك، فقد جلست ساكناً فارغاً وأنا حائر عاجز، فقال إبراهيم: كل ما فعلناه من حج وعبادات مقبولة وخيرات مبرورة منحناها لك جميعها، وامنحنا أنت لحظة من حزنك.

يروى: أن المعتصم (١٢٤) سأل إبراهيم: أي حرفة تحترفها؟ قال: تركت الدنيا لطالبيها والعقبي لراغبيها، واخترت ذكر الله في الدنيا، ولقاءه في العقبي.

سأله آخر: ما حرفتك؟ قال: ألا تعلم أن عمال الله لا حاجة لهم بالحرفة.
يسرّو: أن شخصاً قال لإبراهيم: يا بخيل! فقال: إننى تركت ولاية بلخ
وتركت الملك، وأكون بخيلاً!

وكان المزين يصلح له شعره يوماً، فمر عليه مريد من مريديه فقال له:
ألدك شيء؟ وضع المريد كيساً من الذهب، أعطاه إبراهيم إلى المزين، فسأل
سائل المزين، وطلب منه شيئاً، فقال المزين: خذ، قال إبراهيم: فى الكيس
ذهب، قال: أعرف أيها البخيل الغنى غنى القلب لا غنى المال، قال: إنه
ذهب، قال: أيها البطال! أعطه لمن يعرف ما هو. قال إبراهيم: لن أستطيع أن
أصف هذا الخجل بشئ قط، ورأيت النفس وقد حققت مرادها فى ذلك.

قيل له: أبلغت مرادك فى هذا الطريق؟ قال: عدة مرات: مرة كنت فى
سفينة، ولم يكن الريان يعرفنى، وكنت ألبس خلقاً، وقد طال شعرى، وكنت
على حال غفل بسببه أهل السفينة عنى، وكانوا يسخرون منى ويهزأون بى،
وكان فى السفينة مهرج، كان يأتى إلى كل لحظة ويشد شعر رأسى وينتزع
منى، ويصفعنى على عنقى، وكنت أجد نفسى على مرادى، وأفرح بذل
نفسى^(١٢٥). فجأة ارتفعت موجة عظيمة، وساد الخوف من الهلاك، فقال
الملاح: يجب أن نلقى واحداً من هؤلاء فى البحر كى تخف السفينة، فأخذونى
ليلقوا بى فى البحر، فهدأ الموج وسكنت السفينة، فى ذلك الوقت الذى كانوا قد
أمسكوا فيه بأذنى ليلقوا بى فى الماء، رأيت نفسى على مرادى وسررت.

ومرة أخرى ذهبت إلى مسجد لأنام، فلم (يترونى) وكنت من الضعف
والعجز بحيث أننى لم أكن أستطيع النهوض، فأمسكوا بقدمى وكانوا يسحبونها،
وكانت للمسجد ثلاث درجات، كانت رأسى تنهشم على كل درجة كانت تنزلها
وكان الدم يسيل فرأيت نفسى على مرادها وحين كانوا يلقون بى على هذه

الدرجات الثلاث، كان ينكشف لي على كل درجة إقليم، فقلت: ليت درجات المسجد كانت أكثر حتى كانت أسباب السعادة تزيد.

ومرة أخرى استبد بي حال فقبول المهرج على وهذا سررت أيضاً.

ومرة أخرى ارتديت فراء كانت قد حلت به حشرات كثيرة وكانت تلدغني، فجأة تذكرت تلك الثياب التي كنت قد وضعتها في الخزانة، فصرخت النفس (قائلة): ما آخر هذا العقاب؟ وهذا رأيت نفسي على مرادها.

يروى: أنه قال: قضيت في البادية عدة أيام متوكلاً، ولم أجد شيئاً، كان لي صديق، قلت: إن ذهبت إليه يبطل توكلتي، فدخلت المسجد وأنا أردد على لساني: «توكلت على الحي الذي لا يموت لا إله إلا هو» (١٢٦) فهتف مانف: سبحان الله الذي طهر الأرض من المتوكلين، قلت: لماذا؟ قال: كيف يكون متوكلاً من يسلك طريقاً طويلاً من أجل لقمة يمنحها له صديق مجازي وعندئذ يقول: «توكلت على الحي الذي لا يموت» سميت الكذب متوكلاً.

وقال: رأيت زاهداً متوكلاً ذات مرة، فسألته: من أين تأكل؟ قال: لا علم لي بهذا، سل الرزاق، أي شأن لي بهذا.

وقال: اشتريت غلاماً ذات مرة، وقلت: ما اسمك؟ قال: ما تسميني به، قلت: ما تأكل؟ قال: ما تعطيني، قلت: وما تلبس؟ قال: ما تلبسني إياه، قلت: ما تفعل؟ قال: ما تأمرني به، قلت: ما تطلب؟ قال: وأى شأن للعبد بالطلب. فقلت لنفسي: يا مسكين هكذا كنت عبداً لله طوال العمر، فتعلم العبودية، ويكيت إلى حد أن زال العقل عني. ولم يره أحد قط جلس مربعاً، فسألوه: لماذا لا تجلس مربعاً قط؟ قال: جلست هكذا ذات يوم فسمعت صوتاً من الهواء: يا ابن أدهم! أجلس العبيد هكذا أمام السادة؟ فاستقممت في جلستي، وتبت (١٢٧).

يسروى: أنه سئل ذات مرة! عبد من أنت؟ فارتعد ووقع وأخذ يتمرغ في التراب، وعندئذ نهض وهو يقرأ هذه الآية «إن كل من فى السموات والأرض إلا أتى الرحمن عبدا» (١٢٨) قالوا له: لماذا لم تجب منذ البداية؟ قال: خفت أن أقول أنا عبده فيطلب منى حق العبودية، ويقول: كيف أدبت حق عبوديتنا، وإن قلت لا فلا يمكننى قول هذا أبداً لشخص آخر.

يسروى أنه سئل: كيف تقضى وقتك؟ قال: أملك أربعة مراكب مفيدة، عندما (تظهر) النعمة أركب مركب الشكر وأتقدم به إليه، وحين تبدو المعصية أستقل مركب التوبة، وأعود بها إليه. وعندما تنزل المحنة أركب مركب الصبر وأذهب به إليه، وعندما تبدو الطاعة أركب مركب الإخلاص وأعود به إليه.

وقال: لا تجعل زوجك كالأرامل وأبناءك كالأيتام، ولا تنم الليل فى مزيلة الكلاب، ولا تطمع فى أن يمنحك سيلاً إلى صف الرجال، وصدق ذلك السيد فى هذا القول الذى قاله لأنه ترك الملك حتى وصل إلى هذه المكانة.

يسروى: أن جماعة من المشايخ كانوا قد جلسوا ذات يوم، فقصد إبراهيم صحبتهم، فقالوا: اذهب فإن رائحة الملك مازالت تفوح منك يقولون له هذا مع كل ماله من أعمال فماذا يقولون عن الآخرين؟

يروى أنهم سألوه: لماذا حجبت قلبنا عن الحق؟ قال: لأنها أحببت ما كرهه الحق، وشغلت بمحبة هذا الموقد الفانى الذى هو دار اللعب واللهو، وتركت دار جنات النعيم المقيم حيث الملك والحياة واللذة التى لا نقصان فيها ولا إنقطاع.

يروى: أن شخصاً قال: «أوصنى»، قال: اذكر الله ودع الخلق (١٢٩). وأوصى آخر قاتلاً: افتح المغلق وأغلق المفتوح، فقال: لا أفهم هذا قال: افتح الحافظة المغلقة، وقيد اللسان السليط.

وقال أحمد بن خضرويه (١٣٠): قال إبراهيم لرجل أثناء الطواف: لا تنال درجة الصالحين ما لم تجتز ست عقبات: تغلق باب النعمة وتفتح باب الشدة، وتغلق باب العز وتفتح باب الذل، وتغلق باب النوم وتفتح باب السهر، وتغلق باب الغنى وتفتح باب الفقر، وتغلق باب الأمل وتفتح باب الأجل والتزين والاستعداد للموت (١٣١).

يروى: أن إبراهيم كان قد جلس، فاقترب رجل منه، وقال: يا شيخ: لقد ظلمت نفسي كثيراً، فحدثني حتى أجعل (كلامك) إمامي، قال إبراهيم: إن قبّلت أن تحفظ عني ست خصال فلا ضرر فيما تفعله بعد ذلك، وهي:

أولاً: عندما تريد أن ترتكب معصية لا تأكل من رزقه، فقال: كل شيء في العالم هو رزقه فمن أين آكل؟ قال إبراهيم: أطيع أن تأكل رزقه وتعصاه!

ثانياً: عندما تريد أن ترتكب معصية أسكن مكاناً لا يكون ملكاً له، فقال: هذا الكلام أكثر صعوبة فإنها بلاد الله من المشرق إلى المغرب فأين أذهب؟ قال: أيليق أن تسكن ملكه وتعصاه!

ثالثاً: عندما تريد أن ترتكب معصية أسكن مكاناً لا يراك فيه، فقال: كيف يمكن أن يكون هذا؟ فهو عالم الأسرار والمطلع على الضمائر، قال إبراهيم: أطيع أن تأكل من رزقه، وتسكن بلاده، وترتكب المعصية تحت نظره وفي مكان يراك فيه؟!

رابعاً: عندما يقترب منك ملك الموت قل له: امهلني حتى أتوب، فقال: إنه لا يقبل مني هذا الكلام، قال إبراهيم: إنك لست بقادر على أن تدفع ملك الموت عن نفسك، وكان ممكناً أن تتوب قبل أن يأتي إليك، فأدرك تلك اللحظة وتب. خامساً: عندما يأتي إليك منكر وتكبر، ادفعهما عن نفسك، قال: لا أستطيع، قال: فاستعد إذن للجواب عليهما.

سادساً: يؤمر يوم القيامة بأن خذوا المذنبين إلى جهنم، فقل أنت: لن أذهب، فقال: هذا كاف وتاب في الحال، ومضت على تويته ستة أعوام ثم رحل عن الدنيا.

يروى: أنهم سألوا إبراهيم: ما سبب أننا ندعو الله فلا يستجيب؟ قال: لأنكم تعرفون الله ولا تطيعونه، وتعرفون الرسول ولا تطيعونه، ولا تتبعون سنته وتقرأون القرآن ولا تعملون به، وتأكلون نعمة الله ولا تشكروها، وتعلمون أن الجنة مزينة للمطيعين ولا تطبونها، وتعرفون أن جهنم معدة بالأغلال النارية للعاصين ولا تفرون منها، وتعرفون أن هناك موتاً ولا تستعدون له، وتوارون الأم والأب والأبناء والتراب ولا تأخذون العبرة من ذلك، وتعلمون أن الشيطان عدو ولا تعادونه بل وافقتموه، ولا تقلعون عن العيب وتنشغلون بعيوب الآخرين، وأناس على هذا النحو كيف يستجاب لهم دعاء (١٣٢).

يسروى: أنه سئل: ما يفعل الرجل حين يجوع وهو لا يملك شيئاً؟ قال: يصبر يوماً ويومين وثلاثة، قالوا: صبر عشرة أيام فما يفعل؟ قال: يصبر شهراً، قالوا: ألا يطلب شيئاً آخر؟ قال: يصبر قالوا: إلى متى؟ قال: حتى يموت لأن الدية على القاتل!

يروى: أنهم قالوا له: اللحم غال، قال: نرخصه، قالوا: كيف؟ قال: لا نشتره ولا نأكله (١٣٣).

يسروى: أنه كان قد دعى ذات يوم إلى دعوة، إلا أنهم كانوا في انتظار شخص كان متأخراً فقال واحد من الجمع: إنه رجل فظ، فقال: أيتها البطن! ماذا ينبغي لي أن أراه منك؟ ثم قال: بالقرب منا لحم يأكلونه بعد الطعام، فكلوه أنتم اللحم أولاً، ونهض في الحال لأن الغيبة هي أكل لحم الناس.

يروى: أنه قصد حماماً وليس ثياباً خلقاً، فلم يرشده إلى الطريق فاعتزته حال وقال: لا يرشدوننى إلى بيت الشيطان ويدي خالية، فكيف يرشدوننى إلى بيت الرحمن بلا طاعة.

يروى: أنه قال: كنت أسير في البادية متوكلاً لثلاثة أيام، ولم أجد شيئاً، فجاء إبليس وقال: تركت الملك وتلك النعم الكثيرة الوفيرة؛ لتذهب إلى الحج جائعاً، وكان يمكنك الذهاب إليه متجماً فلا تصيبك مثل هذه الآلام، قال: عندما سمعت هذا الكلام منه، اعتظيت مرتفعاً وقلت: إلهي أسلط العدو على الحبيب، وتجعله يحرقني، أغثنى فإننى أستطيع أن أقطع هذه البادية بمددك، فجاء هاتف: يا إبراهيم! إلق بما تملكه في جيبك لنظهر لك ما في الغيب، فوضع يده في جيبه وكانت فيه أربع قطع من الفضة كان قد نساها، وقال: عندما ألقيتهم، فر منى إبليس واعتزنتى قوة من الغيب (١٣٤).

يروى: أنه قال: كنت قد جعت عدة أيام ذات مرة، فذهبت لقطف العنب، وكل مرة ملأت فيها طرفي بالعناقيد كانوا يضربونني يأخذونها مني، وهكذا فعلوا أربعين مرة، وفعلت ذلك أيضاً، في المرة الحادية والأربعين، لم يقولوا شيئاً. فسمعت صوتاً: إن الأربعين مرة هذه في مقابل الأربعين درعاً ذهبياً تلك التي كانوا يحملونها أمامك (١٣٥).

يروى: أنه قال: منحت حديقة ذات مرة لرعايتها، فجاء صاحبها وقال لى: أتنى رماناً حلواً، أحضرته له فكان حامضاً، فقال: أتنى رماناً حلواً، فأحضرت طبقاً آخر فكان حامضاً أيضاً، فقال: سبحان الله، أنظف في الحديقة زمناً طويلاً، ولا تعرف الرمان الحلو، قال: إننى أحفظ بستانك، ولا أعرف طعم الرمان لأننى لم أذوقه، فقال الرجل: أظن أنك إبراهيم بن أدهم بزهدك هذا، وعندما سمعت هذا رحلت من هناك (١٣٦).

يروى أنه قال: رأيت جبريل في المنام هبط من السماء إلى الأرض، وفي يده صحيفة، فسألته: ماذا تفعل؟ قال: أسجل أسماء أحبباء الحق، فقلت: اكتب اسمي، قال: إنك لست منهم، قلت: أنا حبيب أحبباء الحق، ففكر لحظة ثم قال: أمرت أن أسجل اسم إبراهيم أولاً، فالأمل في هذا الطريق يبزغ من اليأس.

يروى: أنه قال: خبأت نفسي في حصيرة في مسجد بيت القدس ذات ليلة لأن الخدم لا يسمحون لأحد بأن يظل في المسجد، ولما مضى جزء من الليل، فتح باب المسجد، ودخل شيخ يرتدى قميصاً خشناً وخلفه أربعين شخصاً ارتدى كل منهم قميصاً خشناً اتجه الشيخ للمحراب ليصلى ركعتين، واستند إلى المحراب فقال أدهم: في هذا المسجد الليلة شخص ليس منا فابتسم ذلك الشيخ وقال: إنه ابن أدهم، لم يجد حلاوة العبادة مدة أربعين يوماً. عندما سمعت هذا، خرجت وقلت: كيف عرفت ذلك؟ بالله عليك قل لأي سبب كان هذا؟ قال: اشتريت تمرًا من البصرة في اليوم الفلاني، وكانت تمرة قد وقعت وظننت أنها ملك لك ورفعتها ووضعتها على تمرك عندما سمعت هذا ذهبت إلى بائع التمر وطابت الحل منه، فأحلني وقال: طالما أن الأمر بهذه الدقة أترك بيع التمر، وتاب عن ذلك العمل، وأطاح بدكانه، وصار من جملة الأبدال.

يروى أن إبراهيم كان يمضي في الصحراء ذات يوم، فتقدم إليه جدي، وقال: من أنت؟ قال: عبد، قال: أين العمار؟ فأشار إلى القبور، فقال ذلك الرجل: أنتخف بي، وضربه عدة مقارع على رأسه، وهشم رأسه، وسال الدم، وربط حبلًا في رقبته، وأخذ يمضي. فقدم أهل المدينة، وعندما رأوا الأمر هكذا قالوا: أيها الجاهل! إنه إبراهيم بن أدهم ولي الله فجثا ذلك الرجل على قدميه وطلب منه المعذرة، وكان يريد منه الحل وقال: قلت لي أنا عبد، قال: ومن ليس بعبد قال: إنني هشمت رأسك وأنت دعوت لي، قال: برغم معاملتك لي

كنت أدعوك بالخير فكان نصيبي من معاملتك الحسنة، ولم أرد أن يكون نصيبك الجحيم، قال: لماذا أشرت إلى القبور، وأنا أردت العمار؟ قال: لأنها تكون أكثر عمارة كل يوم وتكون المدينة أكثر خراباً. قال أحد أولياء الحق: رأيت أهل الجنة في المنام وقد حمل كل منهم طرفه، فقلت: ما تلك الحال؟ قالوا: هشم جاهل رأس إبراهيم بن أدهم، وحين يحضرونه إلى الجنة يصدر الأمر بأن تنشر الجواهر على رأسه وهذه الأطراف والتلابيب مرفوعة لهذا.

يروى: أنه مرَّ على ثعل ذات مرة وكان فمه ملوثاً، فأحضر ماء وغسل فم ذلك الثعل، وكان يقول: من يترك فماً يجرى عليه ذكر الحق ملوثاً يكون بلا حرمة، عندما استقيظ هذا الرجل قالوا له غسل زاهد خراسان فمك، فقال ذلك الرجل، وأنا تبت أيضاً، ثم رأى إبراهيم في المنام بعد ذلك أنهم قالوا له: غسلت فماً من أجلنا فغسلنا قلبك.

يروى أن الصنوبري^(١٣٧) يقول: كنت مع إبراهيم في بيت المقدس، فجلسنا تحت شجرة رمان عند القيلولة وأدينا عدة ركعات فسمعت صوتاً من تلك الشجرة: يا أبا اسحق! أكرمنا وكل شيئاً من هذا الرمان، فأومأ إبراهيم برأسه، فكانت الشجرة تقول الكلام ذاته ثلاث مرات ثم قالت الشجرة: يا أبا محمد اشفع لى ليأكل من رماننا، فقلت: أسمع يا أبا اسحق، قال: بلى، وسأفعل ثم نهض وجمع رمانتين، أكل واحدة، وأعطاني الأخرى فكانت حامضة، كانت تلك الشجرة قصيرة، عندما عدت، ووصلت ثانية إلى شجرة الرمان تلك، فرأيت الشجرة قد كبرت، وطاب رمانها فكانت تنمر مرتين في العام، وأطلق الناس على تلك الشجرة «رمان العابدين، ببركة إبراهيم والعابدين الذين كانوا يجلسون في ظلها.

يروى: أنه كان قد جلس مع شيخ على قلة جبل، وكان يتحدث، فسأله ذلك الشيخ: ما علامة الرجل الذي وصل إلى الكمال؟ قال إبراهيم: إن قال

للجبل تحرك يتحرك، وفي الحال تحرك الجبل، فقال إبراهيم: أيها الجبل، إننى لا أقول لك سر ولكنى أمثل بك.

يروى: أن الرجاء (١٣٨) يقول: كنت مع إبراهيم فى سفينة، فهبت الريح وأظلمت الدنيا قلت: أه غرقت السفينة، فجاء صوت من الهواء: لا تخافوا غرق السفينة فإن إبراهيم بن آدم معكم، وفى التوسكت الريح وأضاءت الدنيا المظلمة.

يسروى: أن إبراهيم كان قد جلس فى سفينة ذات مرة، فهبت ريح عاتية إلى حد أنها كادت تغرق السفينة، نظر إبراهيم (١٣٩) فرأى كراسه معلقة، رفعها، وألقاها فى الهواء وقال: إلهى! تجعلنا نغرق وكتابك بيننا، فهذأت الريح فى الحال، وجاء صوت: لا أفعل.

يسروى: أنه أراد الركوب فى سفينة ولم يكن لديه فضة، وقيل: على كل شخص أن يدفع ديناراً، فأدى ركعتين وقال: إلهى! إنهم يريدون منى شيئاً لا أملكه، فامتلاً البحر بالذهب فى الحال، فأخذ قبضة وأعطاهما لهم (١٤٠).

يسروى: أنه جلس على شاطئ دجلة يوماً، وكان يرقع خرقته البالية، فوقعت إبرته فى البحر، سأله شخص (قائلاً): هكذا فقدت الملك فما نلت؟ فأشار إلى البحر (قائلاً): أعيديوا إبرتى، فخرجت ألف سمكة من البحر، وقد أمسكت كل واحدة منها إبرة ذهبية بقمها، قال إبراهيم: أريد إبرتى، فخرجت سمكة ضعيفة وضعت بإبرته فى قمها، فقال إن أقل شئ حصلت عليه أفضل من بقاء ملك بلخ، وها هى أشياء أخرى لا تعرفها. (١٤١).

يروى: أنه ذهب إلى حافة بئر ذات يوم، وألقى دلوًا مملوءًا بالذهب، ألقاه ثانية، فخرج مملوءًا باللؤلؤ، فقلبه وطاب وقته، وقال: إلهى! تعرض لى

خزانتك وأنا أعلم أنك قادر وأنت تعلم أنني لا أغتر بهذا، فامنحنى الماء كي أتطهر.

يروى: أنه كان يذهب للحج ذات مرة وكان معه آخرون، قالوا: لا يملك أى واحد منا الزاد ولا الرحلة، فقال إبراهيم: أتؤمنون بالله فى الرزق. عندئذ قال: انظروا إلى الشجرة إن طعمتم فى الذهب تصير ذهباً، كانت كل الأشجار قد صارت ذهباً بقدره الله (تعالى).

يروى: أن جماعة كانت تسير معه يوماً، فوصلوا إلى حصن، كان أمامه حطب كثير، قالوا: نبقى هنا الليلة فإن الحطب كثير لنحرقه، وأشعلوا النار وجلسوا على ضوئها، وكل منهم كان يأكل الخبز خالصاً، ووقف إبراهيم للصلاة، فقال أحدهم: ليتنى أحصل على لحم حلال لكننى أشويه على هذه النار. ختم إبراهيم الصلاة وقال: الله قادر أن يمنحك لحمًا حلالاً، قال: هذا ووقف للصلاة. فصدر زئير أسد فى الحال، ورأوا أسداً جاء ممسكاً بحمار وحشى أخذه، وكانوا يشوونه، ويأكلون منه، وكان الأسد قد جلس هناك يشاهدهم.

يروى: أنه اختفى فى نهاية عمره، كما أن أرضه لم تكن معلومة على وجه التحديد، يقول البعض فى بغداد ويقول البعض فى الشام، ويقول البعض هناك حيث أرض لوط النبى (صلى الله عليه وسلم) الذى كان قد هبط تحت الأرض مع كثير من الخلق، فقد هرب هو إلى هناك من الخلق وتوفى هناك أيضاً.

يروى: أنه حين توفى هتف هاتف ألا أن أمان الأرض قد مات، اعلموا أن أمان الأرض قد مات فاحتار كل الخلق فى ماذا يمكن أن يكون هذا؟ حتى جاء الخبر أن إبراهيم بن آدم (قدس الله روحه العزيز) قد مات.

ذكر بشر الحافي (رحمة الله عليه) ^(١٤٢)

هو مبارز ميدان المجاهدة، ومجاهز إيوان المشاهدة، هو عامل معمل الهداية، وكامل حضرة العناية، هو الصوفي الصافي بشر الحافي (رحمة الله عليه).

كانت له مجاهرة عظيمة، وشأن رفيع، وكان موضع اهتمام القوم، كان قد أدرك الفضيل بن عياض، وكان مريداً لخاله علي بن حشرم، وكان عالماً في علم الأصول والفروع.

ولد في مرو، وكان يقيم في بغداد.

وكانت بداية توبته، أنه اضطرب زمناً، وكان يسير ثملاً ذات يوم، فوجد ورقة مكتوب عليها «بسم الله الرحمن الرحيم»، فاشتري عطراً، وعطرها، ووضعها بإجلال في الدار. رأى شيخ في تلك الليلة في المنام هاتفاً قال له: قل لبشر. «طيبت اسمنا فطيبناك وبعثت اسمنا فبعثناك وطهرت اسمنا فطهرناك، فبعزتي لأطيين اسمك في الدنيا والآخرة ^(١٤٣). فقال الشيخ: إنه رجل فاسق، ربما أخطأت الرؤية فتطهر، وأدى الصلاة، واستغرق في النوم، فرأى نفس المنام، وهكذا حتى المرة الثالثة. نهض في الفجر، وطلبه، قالوا: إنه في مجلس

الخرم، فذهب إلى الحانة التي كان بها، وقال: أبشر هنا؟ قالوا: بلى. ولكنه ثمل وغافل، قال: قولوا له: إنني أحمل له رسالة. قال (بشر): قولوا له رسالة من التي تحملها؟ قال: رسالة الله، فبكى وقال: أه، يعاتب أم يعاقب؟! قال: انتظر حتى أقول للأصحاب، وقال: أيها الأصحاب، إنني دعيت، فذهبت، وألقيت عليكم السلام، والأكثر من هذا إنكم لن تروني في هذا الأمر مطلقاً، وهكذا لم يعد أى شخص يسمع اسمه إلا وكانت السكينة تصل إلى قلبه (١٤٤)، وسلك طريق الزهد، ومن شدة غلبة مشاهدة الحق تعالى لم ينتعل نعلًا في قدمه قط، ولهذا سمي بالحافي، وقالوا له: لماذا لا تنتعل نعلًا؟ قال: في ذلك اليوم الذى تم فيه الصلح، كانت قدماي عارية، لئلا اخجل أن أنتعل نعلًا، ويقول الحق تعالى أيضًا: جعلت الأرض بساطًا لكم، (١٤٥). وليس من الأدب السير بالنعال على بساط الملوك. ووصل الأمر بمجموعة من أصحاب الخلوة إلى أنهم لم يستطيعوا الاستلقاء بالأجر، ولم يستطيعوا البصق على الأرض، لأنهم جميعاً يرون نور الله فيها، وحدث هذا أيضًا لبشر بل أن نور الله يسرى في عينه، فلا يبصر سوى الله، فمن أبصرت عينه الله، لا يستطيع أن يرى سوى الله. كذلك كان سيد الأنبياء (عليهم السلام) يسير خلف جنازة ثعلبة (١٤٦) على أطراف أصابعه، وقال: أخاف أن أضع قدمي على رءوس الملائكة، وما هي تلك الملائكة؟ هي نور الله، والمؤمن ينظر بنور الله.

يسرى: أن أحمد بن حنبل كان يذهب إليه كثيرًا، وكان مريدًا له إرادة تامة، إلى حد أن تلاميذه قالوا: أنت عالم الآن في الأحاديث والفقه والاجتهاد، ولا نظير لك في أنواع العلوم، وتسير دائمًا في إثر مجذوب؟، أليق هذا بك؟ قال أحمد: بلى، أعلم أنني أفضل منه في كل هذه العلوم التي عددتوها. لكنه يعرف الله أفضل مني، ومن ثم كان يذهب إليه، وكان يقول: وحدثنى عن ربي.

يروى: أن بشراً أراد أن يدخل الدار ذات ليلة، فترك قدماً خارجها، وظل هكذا حتى الصباح، حائراً مضطرباً، ويقال أيضاً: إنه وقع في قلب أخته أيضاً: أن بشراً سيكون ضيفك هذه الليلة فكنست الدار، ونشرت المياه، وانتظرت مجيئه فجأة جاء بشراً كالمجذوب، وقال: يا أخته، وارتقى السطح، ووضع قدمه، وصعد عدة درجات، وكان قد وقف على هذا الحال حتى النهار، ولما طلع النهار، نزل وذهب لصلاة الجماعة، وعاد في الصباح قالت له أخته: ما كان سبب وقوفك؟ فقال: ورد بخاطري: أن في بغداد عدة أشخاص يلقبون ببشر: واحد يهودي، وآخر مسيحي، وثالث زردشتي، وأنا اسمي بشر، وحظيت بمثل هذه السعادة، وأسلمت، فما فعلوا هم حتى طردوا؟ وما فعلت أنا حتى حظيت بمثل هذه السعادة، وكنت قد بقيت حائراً لهذا (١٤٧).

يروى: أن بلالاً الخواص قال: كنت أمضى في تيه بني إسرائيل، وكان رجل يمضى معي فألهمني قلبى أنه الخضر، قلت: بحق الحق قل، ما اسمك؟ قال: أخوك الخضر، قلت: ما تقول في الشافعي؟ قال: من الأوتاد. قلت: ما تقول في أحمد بن حنبل؟ قال: من الصديقين. قلت: ما تقول في بشر. قال: لن يوجد بعده مثله. (١٤٨)

يروى: أن أبا عبد الله الجلا يقول: رأيت ذا النون، وكانت له العبادة ورأيت سهلاً وكانت له الإشارة، ورأيت بشراً وكان له الورع، قالوا: وأنت إلى أيهم أميل؟ قلت: لبشر بن الحارث، إنه أستاذنا.

يروى: أن بشراً ملك سبع قماطر من كتب الحديث، دفنها تحت التراب، ولم يروها، قال: إننى لا أرويه لأننى أرى شهوة في نفسى، فإذا رأيت شهوة القلب ساكنة، أرويهها.

يروى: أنه قيل لبشر: قد اختلط الأمر فى بغداد، بل عمها الحرام، فما تأكل؟ قال: أكل مما تأكلون، وأشرب مما تشربون. قالوا: إذن بما نلت هذه المنزلة، قال: بلقمة أقل من اللقمة، ويد أقصر من اليد، ولا مستوى شخص يأكل ويبيكى بشخص يأكل ويضحك.

ثم قال: لا يقبل الحلال الإسراف^(١٤٩). سأله شخص: بأى شىء أكل خبزي؟ فقال: كل الخبز بالعافية^(١٥٠).

يروى: أن بشراً كان يشتهى الشواء طيلة أربعين سنة، ولم يكن يمتلك ثمنه^(١٥١).

ويقال: إنه كان يشتهى الباقلاء أعواماً، ولم يكن قد أكلها^(١٥٢).

يروى: أن بشراً لم يكن يشرب قط من الآبار التى كان قد حفرها السلاطين. قال أحد المشايخ: كنت عند بشر، وكان البرد شديداً، ورأيت عارياً، وكان يرتعد، قلت: يا أبا نصر إنهم يثقلون الثياب فى مثل هذا الوقت، وأنت تخلعها! قال: تذكرت الدراويش، وليس لدى مال كى أواسيهم، فأردت مشاركتهم بالجسد.

سألوه: بما نلت هذه المنزلة؟ قال: بأن أخفيت حالى عما سوى الله طوال عمرى. قالوا: ولم لا تعظ السلاطين فهم يظلموننا؟ فقال: اعلم أن الله أعظم من أن أذكره أمام شخص لا يعرفه^(١٥٣).

قال أحمد بن إبراهيم المتطيب: قال لى بشر: خبّر معروف إننى أت إليه عندما أصلى، فبلغت الرسالة، وكنا ننتظر أدينا صلاة الظهر ولم يأت، وأدينا صلاة العصر ولم يأت، وأدينا صلاة العشاء، قلت لنفسى: سبحان الله، عندما يخلف رجل مثل بشر (الميعاد) فهذا أمر غريب، وكنت أترقب، وكنا على باب

المسجد، عندما جاء بشر، وأمسك بسجاده ومضى فى طريقه ولما وصل إلى (نهر) دجلة، مضى على الماء، وجاء، وتحدثوا حتى عاد وقت السحر ومضى على الماء كذلك أقيمت بنفسى من السطح، وجلت، وقبلت يديه وقدميه، وقلت: ادع لى، فدعا وقال: لا تفصح (بهذا الأمر) طالما كان بشر على قيد الحياة.

يروى: أن جماعة كانت عنده، وكان يتحدث عن الرضا، فقال أحدهم: يا أبا نصر، إنك لا تقبل أى شئ من الخلق ابتغاء الجاه، فلو أنك متحقق بالزهد، ومنصرف عن الدنيا خذ شيئاً من الخلق لينمحي جاهك فى نظرهم، وامنح ما تأخذه منهم إلى الدراويش خفية، وتوكل، وخذ قوتك من الغيب (١٥٤)، ضاق الأصحاب بهذا الكلام ضيقاً شديداً. قال بشر: اسمعوا الجواب، وعندئذ قال: الفقراء ثلاثة أقسام: القسم الأول: هم الذين لا يسألون قط، وإن يعطوهم لا يأخذون أيضاً، وهؤلاء القوم هم الروحانيون الذين عندما يسألون الله، يهبهم كل ما يطلبون، وإن أقموا بالله، تبرحاجتهم فى الحال. والقسم الثانى: هم الذين لا يسألون، وإن يعطون يقبلون، وهؤلاء القوم من الأواسط ويستكينون بالتوكل على الله تعالى، وهؤلاء هم القوم الذين يجلسون على مائدة الخلد. والقسم الثالث: هم الذين يصبرون، ويحفظون الوقت كلما استطاعوا، ويرفعون الدواعى. عندما سمع ذلك الصوفى الجواب، قال: رضيت بهذا الكلام، فليرضى الله عنك.

وقال بشر: وصلت إلى على الجرجانى، وكان بجانب ينبوع ماء، ولما رأنى، قال: هل افتقرت أى ذنب اليوم كى أرى آدمياً؟ قال: أسرعرت خلفه، وقلت: عطنى، فقال: تمسك بالفقر، واحيا بالصبر، وتجنب الأهواء، وخالف الشهوات، واجعل دارك اليوم أكثر خلوداً من اللحد، وكلما كان دارك كذلك، يمكنك أن تتحقق بالله مرفهاً وهانئاً فى ذلك اليوم الذى يضعونك فيه فى اللحد.

يروى: أن جماعة جاءت إلى بشر (قائلة): قد قدمنا من الشام في طريقنا إلى الحج، أترغب في صحبتنا، قال: بثلاثة شروط: أولاً: ألا نأخذ شيئاً قط، وألا نطلب شيئاً قط، وإن منحنا شيئاً لا نقبله. قالوا: نستطيع الاستغناء عن الطلب والأخذ، لكن إن تيسر فتح، لا نستطيع ألا نأخذ. فقال: قد توكلتم على زاد الحجيج، وهذا هو شرح ذلك القول الذي ورد في جواب ذلك الصوفي: لو كنت قد اعتزمت في القلب إنني لن أقبل شيئاً من الخلق، لكنك بهذا متوكلاً على الله.

يروى: أن بشراً قال: دخلت الدار ذات يوم، فرأيت رجلاً، قلت: من أنت حتى تدخل بلا استئذان؟ قال: أخوك الخضر، وقال: ادع لي، فقال: لييسر الله لك طاعته، ويخفي طاعتك عنك.

يروى: أن شخصاً شاور البشر (قائلاً): أملك ألفي دينار حلالاً، وأريد التوجه إلى الحج فقال: إنك ذاهب للفرجة، ولو أنك تبغى مرضاة الله، اذهب، وسدد دين شخص، أو إعط يتيماً أو رجلاً فقيراً، فإن الراحة التي تحل بقلوب المسلمين في الإسلام أفضل من مائة حجة. قال: أرغب في الحج أكثر، قال: لقد حصلت على هذا المال دون وجه حق لأنك لا تنفقه في موضعه.

يروى: أن بشراً مرَّ على القبور، وقال: رأيت أهل القبور كلهم كانوا يعتلون قلة جبل، ويتشاجرون، ويتنازعون مع بعضهم البعض كما لو أن شخصاً يقسم شيئاً. قلت: يا إلهي أطلعني على هذا الحال! فقيل لي: اذهب هناك، واسأل، فذهبت وسألت، قالوا: منذ أسبوع مرَّ علينا رجل من رجال الدين، وقرأ «قل هو الله أحد، ثلاث مرات، وملحنا الثواب، ونحن نتقاسم ثوابه منذ أسبوع، ولم ننته حتى الآن.

يروى: أن بشراً قال: رأيت المصطفى (صلى الله عليه وسلم) في المنام، قال لي: يا بشر، ألا تدري لماذا اختارك الله من بين أقرانك، ورفع منزلتك؟ قلت: لا يارسول الله. قال: لأنك اتبعت سنتي، وحفظت حرمة الصالحين،

ونصحت الإخوان، وأحببت أصحابي وأهل بيتي، لذا رفعك الله (تعالى) إلى مقام الأبرار (١٥٥).

يروى: أن بشراً قال: رأيت المرتضى في المنام ذات ليلة، فقلت: عظني، قال: ما أطيب شفقة الأغنياء على الفقراء ابتغاء ثواب الرحمن، والأطيب منها تكبر الفقراء على الأغنياء اعتماداً على كرم خالق الدنيا.

يروى: أن بشراً قال لأصحابه: سيروا فعندما يجرى الماء يصير طيباً، وحين يسكن يتغير ويتكدر.

وقال: قل لمن يريد أن يكون عزيزاً في الدنيا وشريفاً في الآخرة، اجتنب ثلاثاً: ألا تطلب حاجة من مخلوق، وألا تسيء إلى شخص، وألا تذهب إلى ضيافة شخص (١٥٦).

وقال: لا يدرك حلاوة الآخرة من يحب أن يعرفه الناس (١٥٧) وقال: لو أن لا فائدة للقناعة قط سوى الحياة بالعزة فهذا كاف.

وقال: إذا أحببت أن يعرفك الخلق، لكنت هذه المحبة هي سر محبة الدنيا.

وقال: لا تدرك حلاوة العبادة قط طالما لا تحيل بينك وبين شهواتك بحائط حديدي (١٥٨).

وقال: أشد الأمور ثلاثة: السخاوة عند الضيق، والورع في الخلوة، والحديث أمام شخص تخشاه.

وقال: الورع أن تتطهر من الشبهات، وتحاسب النفس في كل طرفة عين.

وقال: الزهد ملك لا يستقر إلا في قلب خال.

وقال: الحزن ملك طالما استقر في مكان لا يرضى أن يشاركه فيه أي شيء آخر.

وقال: أفضل شيء حصل عليه عبد: المعرفة، والصبر في الفقر.

وقال: لو أن هناك خاصة لله فهم العارفون.

وقال: الصوفي من يصفى قلبه بالله

وقال: العارفون هم قوم لا يعرفون سوى الله، ولا يعززون شيئاً سوى لله.

وقال: قل لمن يريد أن يتذوق طعم الحرية: طهر سريرتك.

وقال: من يعامل الله بصدق، تعتربه وحشة عظيمة مع خلقه.

وقال: سلموا على أبناء الدنيا بمسالمتهم.

وقال: النظر إلى البخيل يقسى القلب (١٥٩).

وقال: التأدب بين الإخوان هو الأدب.

وقال: لم أجلس مع شخص قط، ولم يجالسنى شخص قط، لأننا عندما نفترق عن بعضنا، لم يتيقن لي أنه لو أننا لم نجلس معاً لكان أفضل لنا نحن الاثنين.

وقال: أنا كاره للموت ولا يكره الموت سوى شخص في شك.

وقال: لا تكون كاملاً ما لم يأمن عدوك جانبك.

وقال: إن لم تطع الله فلا تعصاه (١٦٠).

قال شخص أمامه: توكلت على الله، فقال بشر: لا تكذب على الله، فلو أنك كنت قد توكلت عليه، لرضيت بما يفعله.

وقال: إن أعجبك شيئاً من الكلام أصمت، وإن أعجبك الصمت تكلم (١٦١).
وقال: إن شغلت في الدنيا بسجود الشكر طوال العمر، لا تغيبه بشكرك، لأنه
كان حديث الأحية منذ الأزل، فاجتهد أن تكون من الأحية.

لما حان أجله اضطرب اضطراباً عظيماً، وكان في حالة عجيبة. قالوا: لعلك
تحب الحياة؟ قال: لا، ولكن الحلول في حضرة ملك الملوك أمر عسير.

يروى: أنه مرض مرض الموت، فدخل شخص، وشكا من ضيق الزمان،
فأعطاه قميصه، واستعار قميصاً، واختال به إلى دار الآخرة.

يروى: أن بشراً طالما كان على قيد الحياة، لم تكن الدواب تلتقي بروثها في
الطريق حرمة له؛ لأنه كان يسير في الطريق حافياً. كان لرجل دابة، فرآها
تتبرز في الطريق ذات ليلة فصاح، مات بشر الحافي، نظرواً، فكان الأمر
كذلك. قالوا: بما عرفت؟ قال: لأنه طالما كان على قيد الحياة، لما تبرزت دابة
في الطريق في بغداد كلها، رأيت هذا على خلاف العادة فمرفت أن بشراً مات.

بعد وفاته، رأوه في المنام، فقالوا: ماذا فعل الله بك؟ قال: عاتبني، وقال:
لماذا خفت مني كل هذا الخوف في الدنيا، أما علمت أن الكرم صفتي.

ورآه آخر في النوم، فسأله: ماذا فعل الحق بك؟ قال: غفر لي وقال: كل يا
من لم يأكل وأشرب يا من لم يشرب لأجلى (١٦٢).

ورآه آخر في المنام، فقال: ما فعل الله بك؟ قال: غفر لي، وأباح لي نصف
الجنة وقال لي: يا بشر، لو سجدت لي على الجمر، ما أديت شكر ما وهبتك من
منزلة في قلوب عبادنا (١٦٣).

ورآه آخر في المنام فقال: ما فعل الله بك؟ قال: قال: مرحباً يا بشر، لم يكن
هناك أحب إليّ منك على وجه الأرض في تلك اللحظة التي أزهقوا فيها روحك.

يروى: أن امرأة ضعيفة جاءت إلى أحمد بن حنبل ذات يوم وقالت: إنني أغزل بالمغزل على السطح، والقنديل يضيئ، وعندما يمر الخليفة، أيجوز أن أغزل عدة قطع على ضوء ذلك القنديل أم لا؟ فقال أحمد من أنت؟ حتى أتعلق بطرفك هذا، فهذا أمر عجيب. قالت: أنا أخت بشر الحافي، فبكي أحمد منتحباً وقال: مثل هذه التقوى لا تخرج سوى من أسرة بشر الحافي، وقال: لا يجوز لك، احفظي العهد، حتى لا يتعكر الماء الصافي، واقتدي بتلك القدوة الطاهرة، حتى تصبحي كأخيك، فإن أردت الغزل تحت مشاعلم، لا تطاوعك يداك، وهكذا كان أخوك، كلما كان يمد يده إلى طعام كانت به شبهه، ما طاوعته يده. قالت: لى سلطان يسمونه القلب، يرغب فى التقوى، ولا أستطيع السفر دون إذنه.

ذكر ذى النون المصرى (١٦٤) (رحمة الله عليه)

هو إمام أهل الملامة، وشمع جمع القيامة، هو برهان المرتبة والتجريد. وسلطان المعرفة والتوحيد، هو حجة الفقر الفخرى^(١٦٥)، قطب الزمان ذو النون المصرى (رحمة الله عليه).

كان من ملوك الطريقة، وسالك طريق البلاء واللامة، وله آراء عظيمة ودقيقة فى الأسرار والتوحيد، وطريقة كاملة، ورياضات وكرامات وغيرة كان أغلب أهل مصر يسمونه الزنديق، وكان البعض يحتار فى أمره أيضاً، وطالما كان على قيد الحياة، كان الجميع ينكرونه، ولم يطلع شخص على حاله حتى مات. ومن ثم أخفى نفسه.

وكان سبب توبته أنهم أخبروه أن هناك زاهداً فى المكان الفلانى، قال: ذهبت لزيارته فرأيت أنه كان يعلق نفسه فى شجرة، وكان يقول أيها الجسد عاونى على الطاعة وإلا أمسكت عليك هكذا حتى تموت جوعاً. فغلبنى البكاء. سمع العابد صوت البكاء فقال من يرحم شخصاً خجله قليل وجرمه كبير؟ قال: افتريت منه وسلمت عليه، وقلت: أى حال هذه؟ قال: هذا الجسد لا يستقر لى فى طاعة الحق (تعالى)، ويريد الاختلاط بالخلق. قال ذو النون: ظننت أنه

سفك دماء المسلمين، أو ارتكب كبيرة. قال: أما علمت أنك طالما اختلطت فإن كل شيء يتأتى من جراء ذلك. قلت: يا للهول، إنك زاهد، قال: أتريد أن ترى أزهده منى قلت: بلى قال: إعتل هذا الجبل كي ترى. عندما اعتليته، رأيت شاباً يجلس فى صومعة، وقد قطع إحدى قدميه وألقى بها خارج الصومعة حيث كان الدود يأكلها. اقتريت منه، وسلمت، وسألت عن حاله، فقال: كنت قد جلست فى هذه الصومعة ذات يوم، فمرت عليها امرأة، مال قلبي إليها، وأراد جسدى أن اتبعها، أخرجت قدماً من الصومعة، فسمعت صوتاً: ألا تخجل أن تطيع الشيطان وتقصد الفاحشة الآن بعد ثلاثين عاماً عبدت الله فيها وأطعته! فقطعت هذه القدم التى كنت قد أخرجتها من الصومعة وجلست هنا فيها (أترقب) ما يحدث وما سيفعل بى. فلما جلست للمذنبين؟ إن أردت أن ترى رجلاً من رجال الله، إعتل قمة هذا الجبل، قال ذو النون: فلم أستطع لارتفاع ذلك الجبل، فسألت عن الخبر، قالوا: منذ زمن بعيد هناك رجل يتعبد فى تلك الصومعة، وكان رجل يتناظر معه ذات يوم (قائلاً): هل الرزق بسبب الكسب، فنذر ألا يأكل قط ما كان فيه سبب كسب المخلوقات. وانقضت عدة أيام، ولم يأكل فيها قط فأرسل الحق (تعالى) نحلاً كان يطير حوله، ويمنحه العسل. قال ذو النون: تألم قلبي ألماً عظيماً بسبب هذه الأمور والأقوال، وعلمت أن من يتوكل على الله يهين الله له أمره، ولا يضيع تعبته وعند عودتى رأيت طائراً أعمى جالساً على شجرة، سقط من فوقها، فقلت: من أين يتناول هذا المسكين الطعام والماء؟ فحفر الأرض بمنقاره فظهرت سكرجتان أحدهما ذهبية مملوءة بالسمسم، والأخرى فضية مملوءة بماء الورد، شبع ذلك الطير، وطار على الشجرة، واختفت السكرجتان^(١٦٦). هنا فقد ذو النون الوعى مرة واحدة واعتمد على التوكل، وتحققت توبته. ثم سلك عدة منازل، ولما حل الليل، دخل أرض خرية، فرأى فيها آنية من الذهب والجواهر، مكتوب عليها بسم الله، اقتسم

أصحابه الذهب والجواهر، وقال ذو النون: امحورنى هذه اللوحة المكتوب عليها اسم حبيبي، فأخذها، وأخذ يقبلها في ذلك اليوم حتى الليل، حتى وصل أمره ببركاتهما إلى حد أنه رأى في المنام ذات ليلة أن جاءه الهاتف قائلاً: يا ذا النون، رضوا جميعاً بالذهب والجواهر لأنها ثمينة، ورضيت أنت بما هو أسمى من ذلك وهو اسمنا، فلا جرم إننا سنفتح عليك باب العلم والحكمة.

ثم عاد إلى المدينة، وقال: كنت أمضى ذات يوم، فوصلت إلى شاطئ نهر، ورأيت قصرًا، فذهبت إلى حافة الماء، وتطهرت، ولما فرغت، وقعت عيني فجأة على سطح القصر، فرأيت جارية شديدة الجمال واقفة في شرفة القصر، أردت أن أختبرها فقلت: أترغيبين أيتها الجارية؟ قالت: يا ذا النون، لما ظهرت من بعيد ظننت أنك مجنون، وحينما اقتربت ظننت أنك عالم، وحينما اقتربت أكثر ظننت أنك عارف ثم نظرتك فلا أنت مجنون ولا عالم ولا عارف، قلت: من أكون إذن؟ قالت: إن كنت مجنوناً لما تطهرت، وإن كنت عالماً لما نظرت إلى غير محرم، وإن كنت عارفاً لما وقعت عينك على ما دون الحق. قالت هذا، واختفت، فعلمت أنها لم تكن آدمية، إنما كان هذا تحذيراً لي أشعل النار في روحي، وألقيت بنفسي في البحر، فرأيت جماعة كانوا يجلسون في سفينة، وجلست أنا أيضاً في السفينة، ولما انقضت عدة أيام، فقدت جوهرة لتاجر في السفينة، فكانوا يأخذون أهل السفينة واحداً واحداً ويفتشون عنها، واتفقوا (قائلين): إنها معك، ثم اذوني واستهزؤا بي كثيراً، وكنت صامتاً، ولما جاوز الأمر الحد، قلت: أيها الخالق، أنك تعلم (الأمر) فظهرت آلاف الأسماك من البحر في قم كل واحدة جوهرة. أخذ ذو النون واحدة وأعطائها إلى ذلك التاجر. ولما رأى أهل السفينة ذلك، انحلوا له، وطلبوا منه المعذرة. وهكذا ارتفع شأنه في عيون الناس، ولهذا السبب سُمي ذو النون (١٦٧).

ولم يكن لعبادته ورياضته حد . كانت له أخت في خدمته، كما أنها كانت قد أصبحت عارفة، وذات يوم كانت تقرأ هذه الآية: (وظلنا عليهم الغمام وأنزلنا عليهم المن والسلوى) (١٦٨).

فاتجهت إلى السماء وقالت: أرسلت المن والسلوى للإسرائيليين ولم ترسلها لأمة محمد، بعزتك لم أتحرك ما لم تمطر المن والسلوى وفي الحال أخذ المن والسلوى في الهطول من نافذة الدار، فخرجت مسرعة من الدار واتجهت إلى الفيافي واختفت، ولم يجدوها قط.

يسروى: أن ذا النون قال: كنت أطوف في الجبال ذات مرة فرأيت قوماً مبطلين كانوا قد تجمعوا، سألت ما حل بكم؟ قالوا: هنا عابد في الصومعة، يخرج مرة كل عام، ويتنفس نفساً في هواء القوم، فيشفى الجميع، ثم يدخل الصومعة ثانية، ولا يخرج حتى العام التالي صبرت حتى خرج، فرأيت رجلاً أصفر الوجه نحيفاً، غائر العينين، فارتعدت من هيبتته، ثم نظر إلى الخلق بعين الشفقة، وعددئذ نظر إلى السماء، وتنفس عدة أنفاس في هواء المرضى، فمشفوا جميعاً. ولما أراد أن يدخل الصومعة، أمسكت بطرفه وقلت: بالله، عالجت علة الظاهر فعالج علة الباطن، فنظر إلى وقال، اتركني يا ذا النون، فإن الحبيب ينظر من أوج العظمة والجلال، وعندما يراك تتشبث بشخص آخر سواء يتركك له، ويتركه لك، وتهلكان واحداً بالآخر، قال هذا ودخل الصومعة.

يروى: أن أصحاب ذي النون دخلوا ذات يوم فوجدوه كان يبكي، قالوا: ما سبب البكاء؟ قال: غفلت عيني في سجدة بالأمس، فرأيت الله، قال: يا أبا الفيض، خلقت الخلق على عشرة أقسام، وعرضت الدنيا عليهم، فاتجهت تسعة أقسام منها إلى الدنيا وبقي قسم. وانقسم هذا القسم بدوره إلى عشرة أقسام، عرضت الجنة عليها فاتجهت إليها تسعة أقسام وبقي قسم انقسم بدوره إلى

عشرة أقسام: عرضت عليهم جهنم، ففرت جميعاً، وتفرقت خوفاً منها، وبقي قسم لم يفتن بالدنيا، ولم يرغب فى الآخرة، ولم يخش الجحيم. فقلت لعبادى: أنتم الذين لم تنظروا إلى الدنيا، ولم ترغبوا فى الجنة، ولم تخشوا الجحيم، ما تطلبون؟ فرفعوا رؤوسهم جميعاً وقالوا: أنت تعلم ما نريد (١٦٩).

يروى: أن طفلاً دخل ذات يوم على ذى النون، وقال: لدى مائة ألف دينار، وأريد أن أنفقها فى خدمتك، وأعطى ذلك المال لدرراويشك، قال ذو النون: هل أنت بالغ؟ قال: لا، قال: لا يجوز لك الإنفاق فاصبر حتى تبلغ. ولما بلغ الطفل، جاء وتاب على يد الشيخ، وأعطى ذلك الذهب للدرراويش حتى أنفق المائة ألف دينار. ذات يوم وقع أمر ولم يبق شيء للدرراويش ينفقونه. فقال الطفل: وا أسفاه، أين (أجد) مائة ألف (دينار) أخرى حتى كنت أنفقها على هؤلاء الأسخياء، سمع ذو النون هذا الكلام، فمرف أنه لم يدرك حقيقة الأمر بعد، فالدنيا مهمة وأكثر خطراً عنده. دعا ذو النون ذلك الطفل وقال: إذهب إلى دكان فلان العطار، وبلغه على أن يمنحك الدواء القلانى بثلاثة دراهم، فذهب، وأحضره قال: دقه فى الهاون واسحقه، حينئذ صب عليه قليل من السمن حتى يصير عجينا، واصنع منه ثلاث حلقات، وانقب كل واحدة بالإنبرة، وأحضرها إلى فعل الطفل ما طلبه منه، وأحضره، مسحها ذو النون بيده وتنفس فيها فصارت ثلاث قطع من الياقوت لم يكن قد رأى مثلها قط من قبل. قال: احملها إلى السوق، وقدر ثمنها، ولكن لا تبعها، فحملها الطفل إلى السوق، وعرضها، فطلبوا الواحدة بألف دينار، عاد، وقال للشيخ، قال ذو النون ضمها فى الهاون، واسحقها، وألق بها فى الماء، ففعل كما قال، وألقى بها فى الماء. قال أيها الطفل هؤلاء الدرراويش ليسوا جوعى بسبب انعدام الخبز، لكن هذا هو اختيارهم، فتاب الطفل، وتنبه، ولم يبق لهذه الدنيا مكان فى قلبه.

يروى أن بشراً قال: دعوت الخلق ثلاثين عاماً، فقدم شخص واحد إلى حضرة الله كما ينبغي، وهو ابن ملك، مرَّ على مع كوكبة من أمام المسجد، وكنت أقول هذا القول: ليس هناك من هو أحق من ضعيف يشتك مع قوى، فدخل، وقال: أى قول هذا، قلت: أيشتك الأدمى الضعيف مع الله (تعالى) القوى! فتغير لون ذلك الشاب، ونهض، وانصرف. عاد فى اليوم التالى وقال: ما الطريق إلى الله؟ قلت: طريق صغير وطريق كبير، أيهما تريد، إن أردت الطريق الأصغر فاترك الدنيا والشهوات والذنوب، وإن أردت الطريق الكبير، فدع ما دون الحق، واجعل القلب فارغاً عن الجميع، قال: «والله لا أختار إلا الطريق الأكبر، وفى اليوم التالى ارتدى الصوف، وانخرط فى العمل، وصار من الأبرار.

قال أبو جعفر الأعور: كنت عند ذى النون، وكان معه جمع من الرفاق كانوا يحكون عن عبادة الجمادات وكان لوح قد وضع هناك فى ذلك المكان قال ذو النون: طاعة الجمادات للأولياء هى: أن أقول لهذا اللوح الآن لف حول هذا الدار، فيتحرك، ولما تحدث أخذ اللوح فى الدوران حول الدار فى الحال، وعاد إلى مكانه، كان شاب حاضراً هناك، رأى تلك الحال فغلبه البكاء حتى أسلم الروح، فغسلوه على نفس اللوح ودفنوه.

يروى: أن شيخاً قدم إليه، وقال: على دين، ولا أملك شيئاً قط كى أؤديه، فرفع حجراً من الأرض، وأعطاه له، فحمل الرجل الحجر إلى السوق، فكان قد صار زمرداً، باعه بأربعمائة درهم، وسدد الدين.

يروى: أنه كان هناك شاب ينكر التصوف دائماً، ذات يوم أعطاه ذو النون خاتمه، وقال: إحمله إلى السوق وارهنه بدينار فمضى الشاب، وحمل الخاتم إلى السوق، فلم يكونوا ليأخذوه بأكثر من درهم، وأخبره الشاب بالأمر، فقال له: احمله إلى باعة الجواهر وانظر ما يريدونه! (ما يدفعونه) فحملة فطلبوه بأنف

دينار فأخبره، فقال للشاب: إن علمك بحال الصوفية كعلم أولئك التجار بهذا الخاتم، فتاب الشاب وعدل عن أفكاره.

يروى: أن ذا النون كان يشتهي السكاج طيلة عشر سنوات، ولم يكن يفصح لنفسه عن تلك الرغبة، وكانت ليلة عيد، فقالت النفس: ما يحدث إن تمنحنا لقمة سكاج في العيد! قال أيتها النفس إن أردت أن أفعل ذلك فعارنيبي هذه الليلة على أن أقرأ القرآن كله في ركعتين، طاوعته النفس، فأعد السكاج في اليوم التالي، ووضعه أمامه، ونظف أصابعه، ووقف للصلاة قالوا: وما حدث؟ قال: قالت النفس لى فى هذه اللحظة حققت رغبة العشر سنوات أخيراً.. فقلت بالله لن تحققيها، وذلك الشخص الذى كان يحكى هذه الحكاية قال: بينما كان ذو النون فى ذلك القول حتى دخل رجل بقدر من السكاج، وضعه أمامه، وقال: أيها الشيخ! إننى لم أجدى (من تلقاء نفسى) فقد أرسلت إليك وإعلم أننى رجل جمال. ولدى أطفال يطلبون السكاج منذ مدة، وكنت أجمع القصة، وأعددت هذا السكاج أمس ليلة العيد، واليوم استغرقت فى النوم، فرأيت جمال زينة العالم الرسول (صلى الله عليه وعلى آله وسلم) قال: إن أردت أن ترانى غداً أحمل هذا إلى ذى النون وقل له: إن محمداً بن عبد الله بن عبدالمطلب يشفع، فصالح نفسك لحظة، وتناول عدة لقم، بكى ذو النون وقال: سأنفذ الأمر.

يروى: أنه عندما علا شأنه لم تكن عين لشخص تقع على أمره، وكان أهل مصر يرمونه بالزندقة، وانفق الجميع على هذا. واطلع الخليفة المتوكل^(١٧٠) على أحواله فأرسل شخصاً، وتم إحضاره إلى بغداد وقيدوا قدميه. ولما وصل إلى حضرة الخليفة. قال: تعلمت الإسلام الآن من عجوز والمرءة من سقاء قالوا: كيف؟ قال لما وصلت إلى حضرة الخليفة ورأيت تلك

الحضرة العظيمة والحجاب والخدم، أردت أن يبدو على قليل من التغيير، فتقدمت امرأةً بعصاة، ونظرت إليّ وقالت: أيها الجسد لا تخشى من يحملونك إليه فأنت وهو كلاكما عبدان لإله واحد جل جلاله ولا يستطيعون أن يفعلوا مع عبد شيئاً قط ما لم يرد الله، ثم رأيت سقاء في الطريق أعطاني ماءً طاهراً أشربت إلى الرجل الذي كان معي فأعطاه ديناراً لم يقبله وقال: إنك أسير وليس من المروءة أخذ شيء من أسير وغريب ومقيد مثلك. ثم صدر أمر، أحملوه إلى السجن، وأن يظل في الحبس أربعين يوماً بلياليها. كل يوم كانت أخت بشر الحافي تحمل إليه رغيفاً من صنعها، وفي ذلك اليوم الذي كان سيخرج فيه من السجن، كانت الأرغفة الأربعون موضوعة ولم يكن قد تناول أحدها. ولما سمعت ذلك أخت بشر، حزنت، وقالت: إنك تعلم أن تلك الأرغفة كانت حلالاً ولا منة، فلماذا لم تأكلها؟ قال: لأن وعاءها لم يكن طاهراً أي أنها كانت تمر على يد حارس السجن، ولما خرج من السجن وقع، وأصيب جبينه، ويروي: أنه نزف دماءً غزيرة لكن لم تسقط قطرة على وجهه أو شعره أو ثيابه، وما سقط على الأرض، اختفى كله بأمر الله (عز وجل). ثم حملوه إلى الخليفة، فطلب منه شرحاً لقوله، فشرح ذلك القول، فأخذ المتوكل في البكاء، وعجب كل أركان الدولة لفصاحته وبلاغته، وصار الخليفة مريده، وأعادته معززاً مكرماً.

يروى: أن أحمد السلمي^(١٧١) قال: توجهت إلى ذى النون، فرأيت طستاً ذهبياً أمامه، وحوله رائحة ذكية من المسك والعبير. قال لي: إنك تذهب إلى الملوك حيث البسط فخفت من ذلك وعدت، ثم أعطاني درهماً، كنت أنفق منه في بلخ.

يروى: أن مريداً كان لذي النون - حظى بأربعين أربعينية، ووقف أربعين موقفاً، وترك نوم الليل أربعين عاماً، ومكث أربعين أخرى في حراسة حجرة

القلب - قدم إلى ذى النون ذات يوم: وقال: فعلت كذا وكذا، ومع كل هذه المشقة لا يتحدث الحبيب معنا، ولا يلقي نظرة علينا، ولا يساوينا بشئ قط ولا يكشف لى شىء قط من عالم الغيب، وكل ما أقوله هذا لا أمدح به نفسى (لكننى) أشرح حالى، أدبت ما استطاعه عجزى، ولا أشكو من الحق، بل أشرح حالى، فقد وضعت روحى وقلبى فى خدمته، لكننى أقص هم شقائى، وأحكى حكاية سوء طالعى، ولا أقول هذا كى أقطع قلبى عن الطاعة، لكننى أخشى إن طال عمرى تكون البقية كذلك - وكنت أدق الحلقة طوال عمرى على أمل، فلم أسمع صوتاً قط، وعلى هذا يشق على الصبر، أنت الآن الطبيب الشافى، والمعالج العارف فتدبر لعجزى، فقال ذى النون: اذهب، واشيع اللية، ولا تصل صلاة العشاء. ونم طول الليل، فإذا لم يرق الحبيب، يعاتب، وإذا لم ينظر إليك بالرحمة، ينظر إليك بالعلم. ذهب الدرويش وشبع، ولم يطاوعه قلبه على ترك صلاة العشاء فأداها ونام، فرأى المصطفى عليه الصلاة والسلام فى المنام قال: يقرئك حبيبك السلام، ويقول من يأت إلى حضرتنا ويجهر بسره يكون مختئاً وجباناً لأن الاستقامة هى الأصل والأساس فى العمل، ويقول الحق تعالى: حققت مرادك أربعين عاماً، وجعلتك تدرك كل ما تمنى، ومع أننى أحقق مرادك، لكن بلغ سلامنا إلى ذلك العيار المدعى ذى النون وقل له: أيها المدعى الكاذب إذا لم أشهر الفضيحة، لما كنت ريك فلا تسلك سبيل المكر مع عاشقى الحضرة ومساكينها، ولا تنفرهم من حضرتنا فاستيقظ المريد، وغلبه البكاء. فذهب إلى ذى النون، وقص حاله، سمع ذى النون هذا الكلام: (وقال): قد بعث لى الله السلام، ووصفنى بالمدعى الكاذب، وكان يتقلب على جانبيه من السرور، وكان يبكى فى صخب. إن قال شخص: كيف؟ أيجوز أن يقول: لشخص لا تصل، ونم؟ أقول: هم أطباء، وأحياناً يعالج الطبيب بالسم، طالما كان يعلم أن انبلاج أمره فى هذا، أمره بذلك لأنه علم أنه محفوظ، ولا يمكن

ألا يصلى كما أمر الحق (تعالى) الخليل (عليه السلام) بأن اذبح ابنك وعلم أنه لن يفعل، (وهكذا) تحدثت أشياء في الطريقة لا تستقيم في الظاهر مع الشرع، مثلما أمر الخليل بالقتل، ولم يرد، وكما لم يأمر الخضر بقتل الغلام وأراد. ومن لم يدرك هذا المقام، ويضع قدمه هناك، كان زنديقاً وإباحياً وجديراً بالقتل. ولو أن كل شيء يفعله يكون موافقاً للشرع.

يروى: أن ذا النون قال: رأيت في الطواف أعرابياً نحيفاً وذابلاً وهزياً فقلت له: هل أنت محب؟ قال: بلى، قلت: أحبيبتك قريب إليك أم بعيد عنك؟ قال: قريب قلت: أوافقك أم لا؟ قال: بلى قلت: سبحان الله، محبوبيك قريب منك وأنت في هذا الألم واللون، قال الأعرابي: أيها البطال، أما علمت أن عذاب القرب والمواقفة أشد من عذاب البعد والمخالفة.

يروى: أن ذا النون قال: رأيت امرأة في بعض أسفاري، سألتها عن غاية المحبة، فقالت: أيها البطال، لا غاية للمحبة، قلت: لماذا؟ قالت: لأنه لا غاية للمحبيب.

يروى: أن أخواً من أولئك القوم الذين ذكروا بالمحبة ذهب إليه، فرآه مبتلياً ببلاء، قال: لا يحب الحق من يتألم من دائه، قال ذو النون: لكنى أقول: لا يحبه من يشهر نفسه بمحبته، فقال ذلك الرجل: أستغفر الله وأتوب إليه.

يروى: أن ذا النون مرض، فدخل رجل لعيادته، ثم قال: يطيب ألم الحبيب، فغضب ذو النون غضباً شديداً، وقال: إن كنت تعرفه، لما ذكرت اسمه بهذه السهولة.

يروى: أن ذا النون كتب رسالة إلى بعض الأصحاب (فحواها): ليسترني الحق (تعالى) ويسترك برداء الجهل، ويجلب تحت هذا الرداء ما يرضيه، فما أكثر المستورين تحت ستره، فإنه العدو الباقي.

يروى: أن ذا النون قال: كنت في سفر، وكانت الصحراء متلفة باللوج، ورأيت زردشياً متقياً بطرفه على رأسه، وكان يمضي في الصحراء الممتلئة باللوج وكان ينثر الحب، فقال ذو النون: أيها القروي، لما تنثر الحب، قال: لا تجد الطيور قوتها، أنثر الحب حتى تثمر هذه البذور، ويرحمني الله بها قلت: إنه لا يقبل من زردشتي الحبة الغريبة قال: إذا لم يقبلها، فهو ينظر إلى ما أفعله، قلت: بلى، قال: يكفيني هذا. ثم قال ذو النون: عندما ذهبت للحج، رأيت ذلك الزردشتي في الطواف كالعاشق، قال: رأيت يا أبا الفيض أنه رأى وقبل، وأثمرت تلك البذور، ووهبني المعرفة ومنحلي الدليل، ودعاني إلى بيته، فاضطرب ذو النون لذلك الكلام، وقال: يا إلهي، أتبيع الجنة رخيصة بحفنة حب للزردشتي ذي الأربعين عاماً! فنادى هاتف: من يدعوه الحق (تعالى) لا يدعوه بعله، ومن يطرده لا يطرده بعله، اصمت أنت يا ذا النون: إنه قال: «الفعال لما يريد، ولا يستقيم هذا بقياس عقلك».

يروى: أن ذا النون قال: كان لي رفيق فقير، مات، فرأيت في المنام، قلت: ما فعل الله بك؟ قال: غفر لي، وقال: غفرت لك لأنك لم تأخذ شيئاً قط من دماء الدنيا هؤلاء، مع احتياجك (١٧٢).

يروى: أن ذا النون قال: لم أشبع من خبز وماء قط، فلم أرتكب معصية لله أو قصدت المعصية.

يروى: أن ذا النون كلما أراد الوقوف للصلاة، كان يقول: يا إلهي، بأى قدم أجيء إلى حضرتك، وبأى عين أنظر إلى قبلك، وبأى لسان أتحدث بسرك؟ وبأى لغة أنطق اسمك، أغلقتي دون غنى فجئت إلى الحضرة، وطالما كانت هناك ضرورة، تمسكت بالحياة.

وعندما كان يقول هذا، كان يستمر في التكبير. وكثيراً ما كان يقول:
اليوم الذى يصيبنى فيه حزن، أشكو له، فإن ابتلانى هو بالحزن غداً، فلمن
أشكو؟

وكان يقول فى المناجاة: «اللهم لا تعذبني بذل الحجاب. وقال سبحانه الله
الذى حجب أهل المعرفة عن جملة خلق الدنيا بحجب الآخرة، وعن جملة خلق
الآخرة بحجب الدنيا.

وقال: أشد حجب النفس الرؤية.

وقال: لا تستقر الحكمة فى معدة امتلأت بالطعام.

وقال: الاستغفار دون الإقلاع عن الذنوب توبة الكاذبين.

وقال: المبارك من كان شعار قلبه الورع، وكان قلبه منزهاً عن الطمع،
ومحاسب لنفسه فيما صنع.

وقال: صحة البدن فى قلة الطعام، وصحة الروح فى قلة الذنوب.

وقال: لا عجب ممن يبئلى ببلاء ويصبر، بل العجب ممن يبئلى ببلاء
ويرضى.

وقال: الناس الخائفون سائرون فى الطريق، وطالما ذهب الخوف من
قلوبهم، ضلوا الطريق.

وقال: الخائف من الله، على الطريق القويم، وطالما ذهب الخوف، ضل
الطريق.

وقال: علامة غضب الله على العبد خوفه من الفقر.

وقال: يهسد الرجال بسنة أشياء:

أولاً: ضعف الاعتقاد فى الآخرة .

ثانياً: وحدتهم التى كانت قد جعلتهم رهناً للشهوات .

ثالثاً: طول الأمل الذى كان قد غلب عليهم مع قرب الأجل .

رابعاً: أنهم يفضلون رضاء المخلوق على رضاء الخالق .

خامساً: أنهم يتبعون الهوى .

سادساً: أنهم يجعلون زلة السلف حجة لهم، وأخفوا فنونهم جميعها حتى بدا

عليهم الفساد .

وقال : صاحب الهمة أقرب إلى السلامة ولو كان معوجاً، وصاحب الإرادة

مناقض وإن كان مستقيماً . أى أن لصاحب الهمة إرادة لا تجعله يخضع لشخص

قط، وليس له طلب، وصاحب الإرادة سرعان ما يرضى، ويستقر .

وقال : لا حياة إلا مع أناس ترغب قلوبهم فى التقوى ويتجدد نشاطهم

بذكر الله .

وقال : صاحب شخص لا يتغير بتغييرك .

وقال : إن أردت أن تكون من أهل الصحبة، فصاحب الأصحاب كما

صاحب الصديق نبي الله (عليه السلام)، فهو لم يخالفه قط فى الدين والدنيا،

لا جرم أن الحق (تعالى) سماه صاحبه .

وقال : علامة محبة الله هى متابعة حبيب الله (عليه السلام) فى الأخلاق

والأفعال والأوامر والسنة .

قال : لا تصاحب الله إلا بالموافقة، ولا تصاحب الخلق إلا بالمناسبة، ولا

تصاحب النفس إلا بالمخالفة، ولا تصاحب العدو إلا بالعداوة .

وقال: لم أر طبيبياً قط أجهل ممن يعالج الثمالي عند السكر، أى أنه لا جدوى للحديث مع شخص يكون ثملاً بالدنيا، ثم قال: لا دواء للثمل سوى أن يفيق، عندئذ يعالج بالتوبة.

وقال: لا يعز الله (عز وجل) عبداً بعز أعز من أن يدلّه على ذلّه نفسه، ولا يذل عبداً بذل أذلّ له من أن يحجبه فلا يرى ذل نفسه (١٧٣).

وقال: الرفيق الحسن هو المعرض عن الشهوات، الحافظ للعين والأذن.

وقال: إن أنست بالخلق، فلا تطمع أن تأنس بالله قط.

وقال: لم أر شيئاً قط أبلغ إلى الإخلاص من الخلوة، لأن من اختلى لا يرى سوى الله شيئاً قط، ومن يحب الخلوة، يتعلق بعمود الإخلاص (١٧٤)، ويتشبث بركن من أركان الصدق.

وقال: تجد كل ما تبحث عنه فى أول خطوة، أى إنك إذا لم تجد شيئاً فهو دليل على أنك لم تخط خطوة فى هذا الطريق بعد، فطالما بقيت ذرة من وجودك لا تحظى بذرة من الطريق.

وقال: ذنوب المقربين هى حسنات الأبرار.

وقال: حين ينبسط بساط محمد، تنمحي ذنوب الأولين والآخرين على أطرافه، وتزول.

وقال: طرحت أرواح الأنبياء فى ميدان المعرفة، فتقدمت روح نبينا (عليه السلام) كل الأرواح حتى وصلت إلى روضة الوصال.

وقال: لا يمنح المحب لله كأس المحبة إلا بعد أن يحرق الخوف قلبه، ويقطعه.

وقال: إعلم أن نار الخوف بالنسبة للفراق بمثابة قطرة ماء تصب في بحر أعظم، وأنا لا أعرف شيئاً أكثر أخذاً للقلب من خوف الفراق.

وقال: لكل شيء عقوبة، وعقوبة المحبة الغفلة عن ذكر الله.

وقال: الصوفي هو الذي عندما لا ينطق، يعبر نطقه عن حقائق حاله. أى أنه لا يقول شيئاً لا يكونه وحين يصمت تعبر معاملته عن حاله، وينطق حاله بقطع العلائق الدنيوية.

قالوا: من العارف؟ قال: رجل منهم منفصل عنهم.

وقال: العارف يكون أكثر خشوعاً كل لحظة، لأنه يكون أكثر قرباً في كل لحظة.

وقال: لا يلزم العارف حالة واحدة، لأنه في كل لحظة يعتره حال من عالم انخيب، لا جرم أنه صاحب حال.

وقال: ينبغى على العارف أن يكون عارفاً خائفاً لا عارفاً واصفاً، أى يصف نفسه بالمعرفة، لكنه لا يكون عارفاً فإن كان عارفاً لكان خائفاً. وإنما يخشى الله من عباده العلماء، (١٧٥).

وقال: يسمو أدب العارف على كل الآداب، لأنه عرف المؤدب.

وقال: المعرفة على ثلاثة وجوه:

الأول: معرفة التوحيد وهي لعامة المؤمنين.

الثاني: معرفة الحجة والبيان وهي للحكماء والبلغاء والعلماء.

الثالث: معرفة صفات الوجدانية وهي لأهل ولاية الله، تلك الجماعة المشاهدة للحق بقلوبها، حتى يتجلى الحق (تعالى) عليهم ذلك التجلى الذي لا يتجلاه على شخص قط من العالمين.

وقال: حقيقة المعرفة اطلاع الحق على الأسرار، لأن لطائف أنوار المعرفة لا ترتبط بها، لأنه يمكن أيضاً رؤية الشمس بنورها.

وقال: إياك أن تكون مدعياً للمعرفة، أى إن كنت مدعياً لكنت كاذباً، ومعنى آخر هو: طالما العارف والمعروف سواء فى الحقيقة فما شأنك بهما؟ ومعنى آخر هو: إن كنت مدعياً إما تصدق أو تكذب، إن صدقت فلا يمدح الصديقون أنفسهم، كما كان يقول الصديق (رضى الله عليه): «لست بخيركم، وقد قال ذو النون فى هذا المعنى: «أكبر ذنبى معرفتى إياه، وإن كذبت، فالعارف لا يكون كاذباً. ومعنى آخر هو: لا تقل: أنا عارف حتى يقول هو.

وقال: الأكثر معرفة بالله هو الأكثر تحيراً فيه، لأن من كان أقرب إلى الشمس، كان أكثر تحيراً فيها، حتى يصل إلى حد ألا يكون هو هو.

كما سئل عن صفة العارف فقال: العارف بصير بلا علم وبلا عين وبلا خبير وبلا مشاهدة وبلا وصف وبلا كشف وبلا حجاب، فهم لا يكونون هم، ولا يبقون بأنفسهم بل إنهم يكونون بأنفسهم (ثم) (يبقون) بالحق، وتكون حركتهم بحركته، وحديثهم حديث الحق وقد سرى على ألسنتهم، ونظرهم نظر الحق يسرى إلى أعينهم. ثم قال: تحدث النبى (عليه السلام) عن هذه الصفة، وحكى عن الحق تعالى أنه قال: طالما أحببت عبداً أناربه أكون أذنه فيسمع بى، وعينه فيبصر بى ولسانه فيتحدث بى، ويده فيأخذ بى (١٧٦).

وقال: الزهاد ملوك الآخرة، والعارفون ملوك الزهاد.

وقال: علامة محبة الحق هى أن يترك (العبد) كل ما يشغله عن الله، حتى ينشغل بالله فقط.

وقال: علامات القلب المريض أربع:

الأولى: أنه لا يجد حلاوة فى الطاعة .

الثانية: أنه لا يخشى الله .

الثالثة: أنه لا ينظر إلى الأشياء بعين العبرة .

الرابعة: أنه لا يفهم ما يسمعه من العلم .

وقال : علامة الرجل الذى وصل إلى مقام العبودية مخالفة الهوى وترك الشهوات .

وقال : العبودية هى أن تكون عبده فى كل الأحوال مثلما هو ربك فى كل الأحوال .

وقال : العلم موجود والعمل به مفقود، والعمل موجود والإخلاص فيه مفقود، والحب موجود والصدق فيه مفقود .

وقال : توبة العوام من الذنب، وتوبة الخواص من الغفلة (١٧٧) .

وقال : التوبة قسمان: توبة الإنابة وتوبة الاستجابة، وتوبة الإنابة هى: أن يتوب العبد خوفاً من عقوبة الله، وتوبة الاستجابة هى: أن يتوب خجلاً من كرم الله . وقال: على كل عضو توبة، فتوبة القلب العزم على ترك الحرام، وتوبة العين الغض عن المحارم، وتوبة اليد الإعراض عن المذاهى، وتوبة القدم ترك الذهاب إلى الملاهى، وتوبة الأذن حفظها عن سماع الأباطيل، وتوبة المعدة أكل الحلال، وتوبة الفرج البعد عن الفواحش .

وقال : الخوف رقيب العمل، والرجاء شفيع المحسن (١٧٨) .

وقال : ينبغى أن يكون الخوف أكثر قوة من الرجاء، فإن غلب الرجاء شوش القلب .

وقال : تسئل الحاجة بلسان الفقر لا بلسان الحكم .

وقال : إن دوام الفقر مع التخليط أحب إلى من دوام الصفاء مع العجب (١٧٩) .

وقال : ذكر الله غذاء روحى ، والثناء عليه شرابها ، والحياء منه لباسها .

وقال : الحياء هيبة فى القلب مع وحشة مما قد يجرى عليك مما لا يجب عمله .

وقال : تملك المحبة على الكلام ، ويجعلك النجل تصمت ، ويجعلك الخوف مضطرباً .

وقال : التقوى هى ألا يلوث (المرء) الظاهر بالمعاصى ، والباطن بالفضول ، ويكون وافقاً مع الله (عز وجل) فى مقام .

وقال : الصادق من ينطق لسانه بالصواب والحق .

وقال : الصدق سيف الله (عز وجل) لم يوضع على شىء قط إلا مزقه .

وقال : الصدق لسان المحزون ، وقول إلى الله (تعالى) موزون .

وقال : المراقبة أن تؤثر ما فضله الحق (تعالى) . أى ألا تؤثر الأفضل ، وتعظم ما عظمه الله . عندما تتأتى منك ذرة فى الوجود بالإيثار ، فلا تنظر إليها بطرف العين ، واعتبرها بفضل الله لا بفضلك ، ولا تلتفت إلى الدنيا وعلائقها ، وانفض يدك منها أيضاً ، ولا تر وجودك فى هذا الإعراض .

وقال : الوجد سر فى القلب .

وقال : السماع وارد الحق ، يزعج به القلوب ، وتحرص على طلبه ، فمن أصغى إليه بحق تحقق ، ومن أصغى إليه بنفس تزندق (١٨٠) .

وقال: التوكل هو الخروج عن طاعة آلهة متعددة والانشغال بطاعة إله واحد، والانقطاع عن الأسباب.

وقال: التوكل هو احتفاظ النفس بصفة العبودية، وخروجها عن صفة الربوبية.

وقال: التوكل هو احتفاظ اليد بالتدبير وخروجها عن قوتها وحيلتها.

وقال: الأنس يظهر على صاحبه الوحشة من الدنيا والخلق ماعدا أولياء الحق لأن الأنس بالأولياء أنس بالله. وقال: عندما أنس الأولياء بعيشهم كأنهم يتخاطبون في الجنة بلسان من نور، وعندما يشعرون بالهيبه في الحياة، فكأنهم يتخاطبون بلسان من نار في الجحيم.

وقال: أدنى منزلة للمأتلسين بالله، أنهم إن احترقوا في النار، لما غابت هممتهم مثقال ذرة، لأنهم يأنسون به (١٨١).

وقال: علامة الأنس أن يجعلك تمتوحش الخلق وتأنس بنفسك.

وقال: الفكر مفتاح العبادة، ودليل الوصول مخالفة النفس والهوى، ومخالفتها في ترك الشهوات، ومن يداوم على الفكر يرى عالم الغيب بالقلب والروح.

وقال: الرضا سرور القلب بمر القضاء (١٨٢).

وقال: الرضا ترك الاختيار قبل القضاء، وفقدان المرارة بعد القضاء، وهيجان المحبة في عين البلاء (١٨٣).

قالوا: من أعلم بنفسه؟ قال: من رضى بما قسم له.

وقال: لا يتم الإخلاص سوى بالصدق فيه والصبر عليه، ولا يتم الصدق سوى بالإخلاص فيه والمداومة عليه.

وقال: الإخلاص هو الاحتفاظ بطاعة العدو حتى لا يصنع.

وقال: علامات الإخلاص ثلاث: من يستوى لديه المدح والذم، وينسى رؤية الأعمال، ولا يهتم بالثواب قط في الآخرة على ذلك العمل.

وقال: لم أر شيئاً قط أفسى من الإخلاص في الخلوة.

وقال: كل شيء يرى بالعين ينسب إلى العلم، وكل شيء يدرك بالقلب ينسب إلى اليقين (١٨٤).

وقال: علامات اليقين ثلاث:

الأولى: النظر إلى الحق في كل شيء.

الثانية: الرجوع إليه في كل أمر.

الثالثة: طلب المدد منه في كل حال (١٨٥).

وقال: يدعو اليقين إلى قصر الأمل، وقصر الأمل إلى الزهد، والزهدي إلى الحكمة، والحكمة تؤدي إلى النظر في العواقب.

وقال: الصبر ثمرة اليقين.

وقال: القليل في اليقين كثير في الدنيا، لأن قلة اليقين تملأ القلب بحب الآخرة. وبها يطلع على جملة ملكوت الآخرة.

وقال: علامة اليقين أن يخالف (المرء) الخلق كثيراً في الحياة، ويترك مدحهم وإن أعطوه. ويفرغ من ذمهم وإن منعه.

وقال: من أنس بالخلق، استقر على بساط فرعون، ومن غاب عن الاستماع إلى النفس بعد عن الإخلاص، ومن أخرج نصيب الحق من كل الأشياء، لا يخاف قط، لو أن كل شيء فاته دون الحق طالما يحدث حضور الحق (١٨٦).

وقال: كل مدعى محبوب بدعواه عن مشاهدة الحق وعن حديثه، وإن حضر الحق لرجل، فلا حاجة له بالدعوى، لكن إن غاب عنه فتكون الدعوى هنا، لأن الدعوى علامة المحجوبين.

وقال: ليس مريداً من لا يكون أكثر إذعاناُ لأمر أسأذنه عن أمر الله.

وقال: من يراقب الله في خطرات قلبه، يعظمة الله في حركاته الظاهرة، ومن يخاف يلجأ إلى الله، ومن يلوذ بالله يجد النجاة.

وقال: من يقنع يجد الراحة من أهل زمانه، ويصير أعظم الجميع، ومن يتوكل، يستقم، ومن يتكلف فيما لا يفيد، يضيع ما يفيد.

وقال: من يخشى الله يذوب قلبه، وتتحكم محبة الله (فيه) ويكمل عقله.

وقال: من يطلب طلباً عظيماً فقد خاطر مخاطرة جسيمة، ومن يعرف قدر ما يطلب، يحقر في نظره ما يجب عليه أن يفعله بقلبه.

وقال: من قل أسفه للحق فهذا دليل على أن قدر الحق قليل بالنسبة له.

وقال: لا تجالس من لا يدلك ظاهره على باطنه.

وقال: لا تحزن على مفقود، واذكر المعبود الموجود.

وقال: من يذكر الله حقيقة ينس جملة أشياء إلى جانب ذكره، ومن ينس جملة أشياء إلى جانب ذكر الله يحفظ الله له جملة أشياء ويكون الله عوضاً له عن كل شيء (١٨٧).

وسئل: بما عرفت الله؟ قال: عرفت الله بالله، وعرفت الخلق بالرسول، أي الله ونور الله، فالله هو الخالق، ويمكن معرفة الخالق بالخالق، والخلق نور

الله، وأصل الخلق نور محمد (عليه السلام) ومن ثم يمكن معرفة الخلق
بمحمد (١٨٨).

وقالوا: ما تقول في الخلق؟ قال: كل الخلق في وحشة، وذكر الحق بين
أهل الوحشة غيبة.

وسئل: متى يكون العبد مفوضاً، قال: حين يبأس من نفسه وفعله، ويلجأ
إلى الله في جملة الأحوال، ولا تبقى له أى صلة سوى بالحق.

قالوا: من نصاب؟ قال: من لا يكون له ملك، ولا ينكر بأى حال، ولا
يتغير بتغيرك، مهما كان ذلك التغير عظيماً لأنك مهما ازدادت تغيراً، ازدادت
حاجة إلى الصديق.

قالوا: متى يتيسر للعبد طريق الخوف؟ قال: حين يعتبر نفسه مريضاً،
ويتعنف عن كل الأشياء خشية طول المرض.

قالوا: بأى شيء يستحق العبد المحبة؟ قال: بخمسة أشياء: الاستقامة التى
ليس فيها زرع ولا ثمر، والاجتهاد الذى لا يخالطه السهو، والمراقبة لله سرّاً
رجهراً، وانتظار الموت بإعداد زاد الطريق، وأن تحاسب نفسك قبل أن
تتاسب.

سئل: ما علامة الخوف؟ قال: من يؤمده الخوف عن كل المخاوف
الأخرى.

قالوا: من من الناس أكثر حرصاً قال: من هو أكثر حفاظاً على لسانه.

قالوا: ما علامة التوكل؟ قال: من يقطع الطمع عن جملة الخلائق.

من مرة أخرى عن علامة التوكل فقال: هو خلع الأرباب وقطع الأسباب.

قالوا: زدنا، قال: طرح انفس في العبودية وإخراجها من الربوبية (١٨٦).

سئل: متى تصح العزلة؟ قال: حين تعزل نفسك (١٩٠).

وقالوا: على من يغلب الحزن؟ قال: على أسوأ الناس خلقاً.

سئل: ما هي الدنيا؟ قال: كل ما يشغلك عن الحق.

قالوا: من السافل؟ قال: من لا يعرف الطريق إلى الله (١٩١).

سأله يوسف بن الحسين (١٩٢) من أصحاب؟ قال: من لا يبقى معه أنا

وأنت.

وقال يوسف بن الحسين: عظمي، فقال: صاحب الله في خصومة نفسك،

ولا تصاحب نفسك في خصومة الله، ولا تحقر شخصاً قط ولو كان مشركاً،

وانظر في عاقبته، لأنه يمكن أن تسبب المعرفة منك وتمنح له.

وطلب شخص عظة منه فقال: دع باطنك لله، واملح ظاهرك للخلق، وكن

عزيزاً بالله كي يفيدك.

طلب شخص آخر من الخلق العظة، فقال (له): لا تفضل الشك على اليقين،

ولا ترض عن نفسك ما لم تستكن، وإن حل بك بلاء تحمله في صبر، والزم

حضرة الله.

وأراد شخص آخر العظة فقال: لا تبعثر همتك هباء، قال: اشرح لي هذا

القول، فقال: لا تفكر فيما مضى وفيما لم يأت واحرص على الوقت.

سئل: من هم المتصوفة؟ قال: أناس يفضلون الله على كل شيء، ويفضلهم

الله على الجميع.

جاء شخص وقال: دلني على الحق! قال: إن أردت الأدلة عليه فهي أكثر من أن تحصى، وإن أردت القرب منه فهو في أول خطوة لك. وقد سبق شرح هذا.

قال له رجل: إنني أعزك، قال: إن عرفت الله، لكفاك هو، وإن كنت لا تعرفه، فأطلب شخص يعرفه ليدلك عليه.

سئل عن غاية المعرفة فقال: كل من وصل إلى غاية المعرفة تكون علامته كما كان أي أن يكون هناك كما كان في السابق.

سئل: ما أول درجة يرقاها العارف؟ قال: التحير ثم الافتقار، ثم الاتصال ثم الحيرة (١٩٣).

سئل عن عمل العارف فقال: مراقبة الحق في كل الأحوال.

سئل: عن كمال معرفة النفس، فقال: كمال معرفة النفس سوء الظن بها وعدم حسن الظن بها مطلقاً.

وقال: حقائق القلوب هي نسيان نصيب النفوس.

وقال: أبعد شخص عن الله أكثر إشارة إليه في الظاهر (١٩٤) (أي يخفى).

كما يروى عنه أنه قال: سلكت (سبيل) التوحيد والتفريد والتجريد والتأييد والتشديد طيلة سبعين عاماً، ولم أحظ من كل هذا سوى بؤهم في قبضتي.

يروي: أن ذا النون عندما مرض مرض الموت قالوا: أي رغبة ترغبها؟ قال: أريد أن أعرفه ولو لحظة واحدة قبل أن أموت، ثم أنشد هذا البيت:

الخوف أمرضني والشوق أحرقني والحب أصفدني والله أحيانى

ويعدها، غاب عن الوعي.

ذات يسوم قال يوسف بن الحسين: (قلت له) عند الوفاة عظمى، فقال: صاحب شخص نجد السلامة فى ظاهره، وتكون صحبته باعثاً لك على الخير وتذكرك رؤيته بالله.

قالوا لذى النون عند النزغ عظنا، فقال: لا تشغلونى، فأنا فى عجب من محاسنه، ثم توفى.

فى تلك الليلة التى فارق فيها الدنيا، رأى سبعون رجلاً الرسول فى المنام، وقالوا: قال: أراد حبيب الله المجرى، فخرجنا لاستقباله. ولما توفى، رأوا على جبينه كتابة بخط أخضر (مضمونها): «هذا حبيب الله مات فى حب الله هذا قتيل الله بسيف الله».

ولما حملوا نعشه، كانت الشمس شديدة اللهب، وهبطت طيور الهواء، وحطت على بابه، وظللت نعشه من المنزل وحتى حافة القبر، وكان مؤذن يؤذن فى الطريق الذى كانوا يحملونه فيه، ولما وصل إلى كلمة الشهادة، رفع ذى النون إصبعه من الكفن، فصاح الجميع: إنه على قيد الحياة، ووضعوا النعش، وكان الإصبع مرفوعاً، وهو ميت، ومهما حاولوا، لم يعد الإصبع إلى مكانه. فهاج أهل مصر الذين رأوا تلك الحال جميعاً وقالوا: ندمننا عما كنا قد ارتكبناه معه من جفاء، وفعلوا أفعالاً على قبره لا يمكن وصفها.

(رحمة الله عليه)

ذكر أبي يزيد البسطامي^(١٩٥) (رحمة الله عليه)

هو الخليفة الإلهي، والدعامة اللامتناهية، هو سلطان العارفين، ودرجة الخلائق أجمعين، هو خبير عالم المعاناة، أبو يزيد البسطامي (رحمة الله عليه)

كان أكبر المشايخ وأعظم الأولياء، وكان حجة الله، والخليفة الحق، وكان قطب العالم ومرجع الأوتاد، وله رياضات وكرامات وحالات وأقوال لا تحصى. وله آراء نافذة وبلغية جدا في الأسرار والحقائق، وكان في مقام القرب والهيبة غريق الأنس والمحبة حفظ جسده دائماً في المجاهدة، وقلبه في المشاهدة. وكانت رواياته في الأحاديث السامية ولم يستنبت أحد قبله معاني الطريقة بهذا الحد لدرجة أنهم قالوا (عنه): أنه كان أول من وضع العلم في صحراء هذه الطريقة، وكماله ليس خافياً إلى حد أن الجنيد قال: أبو يزيد منا بمنزلة جبريل بين الملائكة، وقال هو أيضاً: إن نهاية ميدان جملة السائرين المتجهين إلى التوحيد هو بداية ميدان هذا الخراساني، وجملة الرجال الذين يصلون إلى طرف قدمه يضطربون جميعاً ويهرون ويفنون، والدليل على هذا القول هو أن أبا يزيد يقول: إنه يمر على البستان طوال مائتي عام ليثمر وردة مثلنا. ويقول الشيخ أبو سعيد بن أبي الخير (رحمة الله عليه): أرى ثمانية عشر

ألف عالم امتلأت بأبي يزيد أى أن أبا يزيد كان فى الحق. وكان جده مجوسياً من سادة بسطام (١٩٦).

وقد حدثت له واقعة منذ كان جديناً وكما تقول أمه: كلما كنت أضع فى فمى لقمة فيها شبهة، كانت تتحرك فى بطنى، ولا تستقر حتى أتقيأها، ومصداق هذا القول: أنهم سألوا الشيخ «ما هو أفضل شىء للرجل فى هذا الطريق؟ قال: حسن الخلق، قالوا: إن لم يكن، قال: جسد قوى قالوا: وإن لم يكن، قال: أذن حادة السمع، قالوا: وإن لم يكن قال: قلب عارف، قالوا: وإن لم يكن، قال: عين بصيرة، قالوا: وإن لم يكن، قال: موت مفاجئ.

يروى أن أمه عندما أرسلته إلى الكتاب، ولما وصل إلى سورة لقمان وإلى هذه الآية. أن اشكر لى ولوالديك (١٩٧) وكان الأستاذ يشرح معنى هذه الآية. أثار هذا الكلام فى قلب أبى يزيد عندما سمعه، فوضع اللوح، وقال: اسمع لى أيها الأستاذ، أن أذهب إلى المنزل، وأتحدث مع والدتى فأذن له، قدم أبويزيد إلى الدار، قالت أمه: بما جئت يا طيفور؟ ربما أحضرت هدية، أو جئت لعذر، قال: لا، بل وصلت إلى آية يأمرنا الحق فيها بشكره وشكره، وأننى لا أستطيع العمل فى دارى سيديين وقد أثرت هذه الآية فى روحى، فاطلبى منى، إما أن أكون طوع أمرك كلية أو أعمل له كى أكون معه كلية. قالت الأم: يا بنى، تركتك لأمر الله، ومنحكك حتى فاذهب، وكن لله.

ومن ثم رحل أبو يزيد عن بسطام، وكان يطوف فى الشام وضواحيها طيلة ثلاثين عاماً، ويرتاض، وسلك مسلك اليقظة والجوع الدائمين، وخدم مائة وثلاثة عشر شيخاً واستفاد منهم جميعاً، وكان الصادق من تلك الجملة.

وكان قد جلس أمامه، وقال: يا أبا يزيد، خذ ذلك الكتاب من الطاقة، قال أبويزيد: أى طاقة، قال: تأتى إلى هنا منذ مدة طويلة، ولا ترى الطاقة، قال:

كلا، وأى شأن لى بها؟ إنما فقدت رأسى، ولم أجيء للمشاهدة. قال الصادق: طالما الأمر هكذا، فإذهب بوجهك إلى بسطام، فقد تم أمرك.

يروى: أنهم أخبروه أنه: فى المكان الفلانى شيخ كبير فذهب لرؤيته من بعيد عندما اقترب منه، رأى ذلك الشيخ، وقد بصق تجاه القبلة، فعاد الشيخ فى الحال، وقال: لو كان له قدر فى الطريقة، لما خالف الشريعة (١٩٨).

يروى أن (المسافة) من داره إلى المسجد كانت أربعين خطوة، ولم يكن يبصق فى الطريق قط حرمة للمسجد.

يروى: أن أبا يزيد وصل إلى الكعبة بعد اثنى عشر عاماً لأنه كان يطرح السجادة فى كل محسلى، ويؤدى ركعتين، ثم كان يمضى ويقول: ليس هذا طريق ملك الدنيا لأنه يمكن قطعه مرة واحدة، ثم ذهب إلى الكعبة، ولم يذهب إلى المدينة فى ذلك العام، وقال: ليس من الأدب، أن تتبع زيارته (أى الرسول عليه الصلاة والسلام) هذه الزيارة، (بل ينبغى) أن أحرم لها إحراماً مستقلاً، وعاد فى العام التالى، وأحرم من مشارف البادية إحراماً خاصاً، وفى الطريق توقف فى مدينة، فتبعة خلق غفير ولما خرج، تعقبه الناس، نظر الشيخ وقال: من هؤلاء؟ قالوا: إنهم سوف يصحبونك، قال: يا لى، أرجوك لا تحجب الخلق بك عنك، قلت: أحجبهم بى، ثم طلب أن يمحو محبته من قلوبهم، ويرفع مشقته عن طريقهم، وأدى صلاة الصبح ثم نظر إليهم وقال: «بنى أنا الله لا إله إلا أنا فاعبدونى» (١٩٩). قالوا: جن هذا الرجل، وتركوه، ومضوا وهنا كان الشيخ يتحدث بلسان الله، مثلما يقولون على المنبر «حكاية عن ربه، ثم كان يمضى فى الطريق، فوجد عمامة مكتوب عليها: «صم بكم عمى فهم لا يعقلون، فصاح صيحة، ورفعها، وقبلها، وقال: يبدو الصوفى وقد انمى فى الحق، وفنا فلا أذن له كى يسمع خطاب الخلود ولا عين له كى يرى الجمال

الأبدى ولا لسان له كى يثنى عليه ثناءً شريفاً، ولا عقل ولا علم له كى يعرفه
مقال ذرة. وهذه الآية متعلقة به.

وأرسل ذو النون مريداً إلى أبي يزيد، وقال: اذهب وقل له: يا أبا يزيد تنام
طوال الليل فى البادية، وتنشغل بالراحة ومصت القافلة، فجاء المريد، وقال
ذلك الكلام (للشيخ) فأجاب الشيخ: قل لذى النون، الرجل الكامل من بنام الليل
كله، وينهض فى الصباح، ويترك المنزل قبل نزول القافلة. ولما قص هذا
الكلام لذى النون، بكى، وقال: ليباركه الله، فلم تصل أحوالنا لهذه الدرجة بعد.
فهو يطلب الطريقة بهذه البادية، ويبتغى علم الباطن بهذا السلوك.

يروى: أن أبا يزيد كانت لديه ناقة، وكان قد وضع عليها متاعه فى
الطريق قال شخص: مسكينة تلك الناقة فالأحمال كثيرة عليها، وهذا ظلم تام،
عندما سمع أبو يزيد منه هذا القول عدة مرات، قال: أيها السخى، الناقة ليست
محملة، فنظر، هل الأحمال موجودة على ظهر الناقة؟ فرأى يداً رفعتها عن
ظهر الناقة، ولم تشعر الناقة بثقلها قط. فقال: سبحان الله، يا له من أمر
عجيب، قال أبو يزيد: إن أخفيت عنكم حقيقة حالى، تسلطون على ألسنة
الملامة، وإن كشفتها لكم، لا تطيقها حوصلتكم فماذا يجب أن أفعل معكم؟.

ومن ثم عندما ذهب، وزار المدينة، أمر بالعودة إلى والدته، فاتجه مع
جماعة إلى بسطام، وانتشر الخبر فى المدينة، فذهب أهل بسطام إلى الأطراف
لاستقباله وكانت مجاملتهم ستشغل أبا يزيد، وتبعده عن الحق، ولما اقتربوا منه
أخذ الشيخ رغيفاً من كمه وكان (الوقت) رمضان، ووقف يأكله، رأى الجميع
ذلك، فانفضوا عنه، قال الشيخ لأصحابه: ألم تروا أنى تركت مسألة من
الشرع، فرفضنى الخلق جميعاً (٢٠٠). ثم انتظر، حتى حل الليل، وفى منتصف
الليل ذهب إلى بسطام ودخل دار أمه، وأنصت، فسمع صوتاً بأن أمه كانت

تطهر، وتقول يا إلهي، أحسن إلى غريبى، وأجمل قلوب المشايخ راضية عنه، وأكرمه بالأحوال الطيبة، كان أبو يزيد يسمع ذلك فغلبه البكاء، ثم طرق الباب، قالت الأم: من؟ قال غريبك، قدمت أمه باكية، وفتحت الباب وكانت عينها قد أضيئت، وقالت: يا طيفور، أتعلم لم أضيئت عيني، لأننى كنت أبكى فراقك، وانحنى ظهرى لأننى كابنت الحزن عليك.

يروى: أن الشيخ قال: ذلك الأمر الذى كنت أعده آخر الأمور، كان أولها جميعاً وهو رضاء الوالدة. وقال ما كنت أبحث عنه فى جملة الرياضات والمجاهدات والغرية والخدمة، وجدته فيه (رضاء الوالدة). ذات ليلة عندما طلبت الوالدة منى ماء ذهبت لإحضاره، فلم يكن هناك ماء فى القدر، ذهبت إلى الوعاء، فلم يكن فيه ماء ذهبت إلى المجرى، وأحضرت الماء، ولما عدت، كانت قد نامت، وكانت الليلة باردة، وكنت أمسك القدر بيدي، وعندما استيقظت من النوم وتدهبت، علمت فشربت الماء، ودعت لى، لأنها رأته القدر كان قد تجمد فى يدي، وقالت لماذا لما لم تضعه عن يديك؟ قلت: خشيت أن تستيقظى ولا أكون حاضراً فقالت: وارب هذا الباب، فبقيت حتى منتصف النهار لأتحقق من أنه موارب أم لا، ولا أكون قد خالفتها، وكل ماكنت أبحث عنه وقت السحر، كان يتأتى من الباب عدة مرات.

يروى: أن أبا يزيد حين قدم من مكة، ووصل إلى همدان، كان قد اشترى حمصاً وتناول القليل منه، وربط الباقي فى الخرقه، ولما وصل إلى بسطام، تذكره، ففتح الخرقه، فخرج النمل منها، قال: لقد أبعدت النمل عن مكانه ونهض، وحمله إلى همدان، ووضعه هناك حيث كان مقره، فالشخص الذى لا يصل إلى الغاية فى التعظيم لأمر الله، لا يصل إلى درجة الشفقة على خلق الله.

وقال الشيخ: كنت حدادا لنفسي طيلة اثني عشر عاماً وكنت أضعها في موقد الرياضة، وكنت أشعلها بنار المجاهدة، وأضعها على سندان العذمة وأطرقها بمطرقة الملاحة، حتى جعلت من نفسي مرآة، وكنت أصقلها بأنواع العبادات والطاعة طيلة خمس سنوات، وبعد عام نظرت إلى نفسي نظرة متفحصة فرأيتني متمطفاً بزوار من الغرور والتهيه والكبر فاجتهدت خمس سنوات أخرى مكثفياً بطاعتى وعملى حتى انقطع ذلك الزوار وأسلمت من جديد ونظرت، فرأيت كل الخلائق موتى، فكبرت عليهم أربع تكبيرات وعدت من جنازاتهم جميعاً، ووصلت إلى الله بعون الله ودون عناء الخلق.

يسروى: أن الشيخ عندما كان يصل إلى باب مسجد، كان يقف برهة، ويبكى. سئل ما هذه الحال؟ فكان يقول أجد نفسي كامرأة محيضة، تخشى أن تدخل المسجد، فتلوثه.

يسروى: أن الشيخ عزم على السفر إلى الحجاز ذات مرة ولما خرج، عاد فقالوا: أنك لم تقعد عن عزمك قط! فلما عدت؟ قال: اتجهت إلى الطريق، فرأيت زنجياً، مشهراً سيفه (وقال لى) إن عدت أفضل لك، وإلا أفصل رأسك عن جسدك، ثم قال لى «تركت الله ببسطام وقصدت البيت الحرام.

يسروى: أنه قال: اعترضنى رجل فى الطريق، وقال: أين تذهب؟ قلت: إلى الحج، قال وما تملك؟ قلت مائتى درهم، قال: تعال وامنحها لى، فإننى صاحب عيال، وطففت حولى سبع مرات، فهذا هو حجك، قال (أبو يزيد): وهكذا فعلت وعدت. ولما علا شأنه، لم يستوعب أهل الظاهر كلامه الظاهر، والنتيجة طرده من بسطام سبع مرات. وكان الشيخ يقول: لماذا تطردونى؟ قالوا: نطردك لأنك رجل سئى، فكان الشيخ يقول: ما أطيب تلك المدينة التى أكون أنا أسوأ من فيها.

يروى: أن أبا يزيد اعتلى سطح رباط ذات ليلة كي يذكر الله، ووقف على ذلك الحائط حتى الصباح، ولم يذكر الله، نظروا، فكان قد نبول، وكان كل بوله دماً، قالوا: أى حال أصابتك؟ قال ظللت متوقفاً حتى الصباح لسببين الأول: أنه كان قد ورد قول على لساني في الطفولة، والآخر: أن العظمة كانت قد احتوتني إلى حد أن قلبي ظل حائراً، فإن كان قلبي حاضراً، شل لساني، وإن تحرك لساني شل قلبي، وظللت على هذا الحال طوال الليل وحتى الصباح.

ويقول شيخ الزمان: إنه عندما أراد الخلوة للتعبد أو التفكير كان يدخل الدار ويحكم كل اللواقيذ، وكان يقول: أخشى أن يزعجني صوت أو نداء، وهذا حجة في حد ذاته.

ويقول عيسى البسطامي: صحبت الشيخ ثلاثة عشر عاماً لم أسمع منه قولاً خلالها وكان من عادته: أنه كان يضع رأسه على ركبته، ولما كان يرفعها، كان يتأوه، ويعود لتلك الحال مرة ثانية.

يروى أن السهلي^(٢٠١) يقول: إنه كان في حال القبض وإلا لاستفاد كل شخص منه فائدة كبيرة وهو في حال البسط.

وكان في خلوة ذات مرة، فجرى على لسانه «سبحاني ما أعظم شأنى، وعندما أفاق قال له المريدون: [كيف] وردت على لسانك مثل هذه الكلمة؟ قال الشيخ: فليعادي إلهكم يا يزيد كم «إن قلت كلمة من هذا القبيل قطعوني إرباً إرباً، ثم أعطى كل واحد سكيناً (قائلاً): إن قلت مثل هذا الكلام اقتلوني بهذه السكاكين، وربما حدث ذلك عندما قال الكلام نفسه مرة ثانية، فعزم المريدون على قتله، وكانت الدار ممتلئة بأبي يزيد فانتزعوا لبنة من الحائط وأخذ كل منهم يضرب بسكين لتنفذ الضربات كرجل يضرب بسكين على الماء فلا تسبب أى جرح ولما مرت برهة، أخذت تلك الصورة تتضاءل، وظهر أبو يزيد جالساً في المحراب كصعوبة صغيرة، دخل الأصحاب، وشرحوا الحال، فقال

الشيخ: إن أبا يزيد هذا الذي ترونه وذلك لم يكن أبو يزيد. ثم قال: «الجبار نفسه على لسان عبده». إن قال شخص: كيف هذا؟ أقول: مثلما كان آدم عليه السلام في البداية يتطلع برأسه إلى الملك وأنزل جبريل (عليه السلام) ملاكاً على مفرقه، فعاد. (كان) آدم أقل قدراً منه، فكيف يجوز للكبير أن يكون صغيراً والعكس جائز. كالطفل في بطن أمه يزن ملين وعندما يصل إلى مرحلة الشباب يصيد مائتي من. وكما تجلى جبريل عليه السلام على مريم في صورة بشر، وربما يكون حال الشيخ على هذا النحو، لكن طالما لا يمر الشخص بالتجربة، لا يفيد الشرح.

يروى: أن أبا يزيد قطف تفاحة حمراء ذات مرة، ونظر إليها وقال: هذه التفاحة لطيفة، فناداه مناد: يا أبا يزيد، ألا تخجل أن تضع اسمنا على تفاحة، فقد أطاح الحق (تعالى) باسمك عن قلبه أربعين يوماً، قال الشيخ: أقسمت ألا أكل تفاح بسطام ما حبيت.

وقال: كنت قد جلست ذات يوم، ولم يجلب خاطرى، أننى اليوم شيخ زمانى وسيد عصرى، وعندما فكرت فى هذا، علمت: أن خطباً عظيماً حدث فذهضت، واتجهت إلى خراسان، وأقمت فى منزل، وأقسمت ألا أعادر المكان حتى يرسل الحق تعالى شخصاً لى، يكشفنى لى، وظللت هناك ثلاثة أيام بلياليها، وفى اليوم الرابع رأيت رجلاً أعوراً، كان يقدم على راحلة، ولما نظرت إليه، رأيت فيه أثراً للمعرفة، فأشرت إلى الناقة، ففى، وفى الحال اصطدمت قدما الناقة ببابسة على الأرض، ووقفت، فنظر إلى ذلك الرجل الأعور ثانية وقال: أهذا ما تستطيعه؟. إننى (أستطيع) أن أشفى العين العوراء، وأفتح الأبواب المغلقة، وأغرق بسطام وأهلها ومعهم أبا يزيد قال أبو يزيد: فقدت رعى وقلت: من أين أنت قادم؟ قال: قد طويت ثلاثة آلاف فرسخ منذ ذلك الوقت الذى أخذت فيه

على عاتقك العهد، وعندئذ قال: إحدري يا أبا يزيد، واحفظ قلبك. وأشاح بوجهه عني، ومضى.

يسرورى: أن الشيخ جاور المسجد أربعين عاماً، وكان لديه رداء خاص بالمسجد وآخر خاص بالدار، وثالث خاص بمكان الطهارة.

وقال: لم أسد ظهري على حائط قط لمدة أربعين عاماً، إلا حائط مسجد أو رباط.

وقال: سيمأل الله تعالى عن كل ذرة، ويكون هذا من ذرة سابقة.

وقال: لم أكل ما يأكله الآمميون طيلة أربعين عاماً، أى أن قوتي كان من مكان آخر.

وقال: راقبت القلب أربعين عاماً، وعندما نظرت، رأيتُه متمطفاً بزئار الشرك، وكان شركه لأنه كان يلتفت لغير الحق، فالقلب الذى زال شركه لا يميل قط سوى للحق، وطالما يسعى إلى شئٍ آخر، فالشرك باق.

وقال: كنت حارساً لقلبي طيلة أربعين عاماً، وعندما نظرت رأيت العبودية والألوهية من عند الله.

وقال: كنت أطلب الله طيلة ثلاثين عاماً، وعندما نظرت، كان هو الطالب وأنا المطلوب.

وقال: (ظللت) ثلاثين عاماً كلما أريد أن أذكر الحق أنمضمض ثلاث مرات إجلالاً له (٢٠٢).

وسأل أبو موسى (٢٠٣) أبا يزيد: ما هو أصعب أمر رأيتُه فى هذا الطريق؟ قال: منذ مدة كنت أحمل النفس إلى الحضرة، وكانت تبكى، وعندما حل مدد الحق كنت أحمل النفس، وكانت تصحك.

ويَسْئَلُ: ما أعجب أمر رأيته في هذا الطريق؟ قال: لا يحل فيه أحد قط، ويرى ناذية.

يروى: أن أبا يزيد في آخر أمره، كان قد وصل إلى حد أن كل شيء كان يجول بخاطرهم، كان يظهر أمامه في الحال، وعندما كان يذكر الحق (تعالى) كانت الدماء تجري منه مجرى البول.

ذات يوم دخلت جماعة على الشيخ، وكان الشيخ مطأطأ الرأس فرفعها، وقال: أطلب حبة فاسدة منذ الصباح، كي أمنحها لكم، فأنتم تطيقون غرسها، وأنا لأجدها.

يروى: أنه كان لأبي تراب النخشبى (٢٠٤) (رحمة الله عليه) مرید شديد الحزن وصاحب وجد، وكثيراً ما كان أبو تراب يقول له: هكذا ينبغي لك أن ترى أبا يزيد فقال المرید له ذات يوم: أيها السيد، الشخص الذي يرى رب أبي يزيد مائة مرة كل يوم، ما يفعل بأبي يزيد حتى يراه؟ قال أبو تراب: أيها الرجل، عندما ترى الله تراه عليه قدرك، وعندما تراه عند أبي يزيد، تراه على قدر أبي يزيد، وهذا اختلاف في الرواية. فإنه (الله) لن يتجلى للصديق (رضى الله عنه) مرة واحدة، ولا لجلسة الخلق. أثار ذلك القول في قلب المرید، وقال له: هيا بنا نذهب، وقدم الاثنان إلى بسطام، ولم يكن الشيخ في الدار، فذهب إلى الغابة، وكان الشيخ يخرج منها وفي يده قدح ماء، وعلى قده فراء بال، ولما وقعت عين مرید أبي تراب على أبي يزيد، ارتعد، وتيبس في الحال، ومات.

قال أبو تراب: أيها الشيخ، نظرة وموت، فقال الشيخ: هناك أمر في سليقة هذا الشاب، لم يحن وقت كشفه بعد، وعند مشاهدة أبي يزيد غلبه ذلك الأمر دفعة واحدة، فلم يطق وهوى. وحدث مثل ذلك الأمر لنساء مصر اللاتي لم يطقن جمال يوسف فقطعن أيديهن دفعة واحدة.

يسروى: أن يحيى بن معاذ^(٢٠٥) (رحمة الله عليه) كتب رسالة إلى أبي يزيد وقال: ما تقول في شخص شرب قديحاً من الشراب، وتُمل ثعالة الأزل والأبد، فأجاب أبو يزيد: لا أعرف ذلك، ما أعرفه: أن هذا رجل، يسيح في بحور الأزل والأبد ليلاً ونهاراً، ويصيح قائلاً: هل من مزيد.

فكتب يحيى رسالة (فحواها): لى مبعك سر، ولكن موعدنا الجنة، نتحدث في ظل طوبى وأرسل رغيماً مع تلك الرسالة، وقال يجب أن يتناول الشيخ هذا، فقد عجنته بماء زمزم.

أجاب أبو يزيد: وقد تذكر سره ثانية، وقال: هناك حيث يكون ذكره نعم بكنوز الجنة، وظلال طوبى، لكنى لن أتناول ذلك الرغيغ، لأنك كنت قد قلت بأى ماء عجنته ولم تقل بأى بذرة زرعته.

اشتاق يحيى بن معاذ كثيراً للشيخ، فنهض، وجاء لزيارته، وصل هناك عند صلاة العشاء، قال: لم أستطع إزعاج الشيخ، ولم أصبر حتى الصباح فذهبت إلى مكان فى الصحراء دلونى عليه، فرأيت الشيخ يؤدى صلاة العشاء، وكان قد وقف على أطراف أصابعه حتى الصباح. وقال: بقيت فى عجب، وكنت أنصت إليه، فقد انشغل طوال الليل بالعمل، وعندما تنفس الصبح ورد على لسان الشيخ: أعوذ بك أن أسألك هذا المقام، فتقدم يحيى فى وقته، وسلم، وسأل عن واقعة الليل، فقال الشيخ: أحصوا لنا نيفاً وعشرين مقاماً، فقلت: لا أريد منها شيئاً قط، فجميعها حجب، بدايتها يحيى، ونهايتها أبو يزيد.

قال يحيى: أيها الشيخ: لماذا لم تطلب المعرفة من الله؟ وهو ملك الملوك وقد قال: اطلب ما تريد، فصاح أبو يزيد قائلاً: اصمت يا يحيى، إتنى أغار عليك فأنا أعرفه هو ولا أريد قط أن يعرفه سواه أى شأن لى حيث كانت معرفته، فهو أراد ذلك يا يحيى. لا يعرفه سواه شخص آخر، ومن ثم قال يحيى: بحق عزة

الله، اجعل لى نصيباً من تلك الفتح التي حلت عليك بالأمس، فقال الشيخ، إن وهبت صفوة آدم، وقدس جبريل، وخلة إبراهيم، وشوق موسى، وطهارة عيسى ومحبة محمد (عليه السلام)، أقسم أنك لا ترضى بها، وتطلب ما وراء ذلك، فإن ما وراءها أمور فكن صاحب همة ولا تنزل قط، لأن كل شيء تتدنى له، تحجب به.

وأرسل أحمد بن حرب (٢٠٦) حصيماً للشيخ (قائلاً): صل عليه بالليل، فقال الشيخ: إنى جمعت عبادات أهل السماء وأهل الأرض، ووضعتها في وسادة وضعتها تحت رأسي (٢٠٧).

يروى: أن ذا النون المصري أرسل مصلى للشيخ، فأعادها إليه قائلاً: أى حاجة لنا بالمصلى؟ أرسل لنا مسنداً فنكئ عليه. أى أن الأمر تجاوز الحاجة ووصل إلى الغاية، فأرسل ذو النون مسنداً طيباً، فأعادها الشيخ أيضاً، لأنه كان قد فنى في هذا الوقت، ولم يكن قد بقى منه سوى الجلد والعظم. قال: من كان مسنده لطف الحق وكرمه لا يحتاج إلى مسند مخلوق قط.

يروى: أن أبا يزيد قال: كنت في الصحراء ذات ليلة، وقد توارت رأسه في الخرقه لعل اللعاس يظلبها، فجأة أصابته حال يجب عليه الاغتسال منها، أى الإحتمام، وكانت الليلة باردة جداً، يقول أبو يزيد: وعندما استيقظت، كانت نفسى تقعدنى عن الاغتسال بماء بارد، فكانت تقول: اصبر حتى تشرق الشمس، عندئذ اغتسل. قال: عندما رأيت كمل نفسى، وعلمت أنها ستؤدى الصلاة قضاءً، نهضت، وهكذا كسرت الثلج بالخرقة، واغتسلت وهكذا كنت أرتديها حتى سقطت وفقدت الوعي، ولما عدت إلى رشدى، كانت الخرقه قد جفت فجأة.

يسروى: أن الشيخ كثيراً ما كان يطوف في القبور، وذات ليلة كان قادماً منها، وكان شاب من أبناء سادة الولاية يضرب على عود فى يده، ولما وصل

إلى أبي يزيد، قال أبو يزيد: لا حول، فضربه الشاب بالعود على رأسه، فتحطم الاثنان: رأس أبي يزيد والعود، وكان الشاب ثملاً، فلم يعرف من هو؟ عاد أبو يزيد إلى زاويته، وجلس، وفي الصباح، استدعى أحد الأصحاب، وقال: بكم يبيعون العود؟ وعرف ثمنه، فريطه في خرقة ومعه قطعة حلوى، وأرسله إلى ذلك الشاب، وقال: قل لذلك الشاب: إن أبا يزيد يطلب المعذرة، ويقول: ضربنا بالأمس بذلك العود فانكسر فخذ هذا الذهب ثمناً له، واشتر عوصنا عنه، وهذه الحلوى كي تذهب غصة كسره عن قلبك، وعندما عرف الشاب (الأمر)، جاء، وطلب المعذرة من الشيخ، وتاب، وتابت معه مجموعة من الشبان (٢٠٨).

يسرّوي: أن أبا يزيد كان يمضي ذات يوم مع جماعة، فوقف في طريق ضيق، وكان كلب قادمًا، فعاد أبو يزيد، وأثر مرور الكلب، لكي لا يضطر الكلب أن يعود. ولعل مرید استنكر هذا الأمر، لأن الحق (تعالى) قد كرم بني آدم، ويفضل أبو يزيد (سلطان العارفين) مع كل هذا النفوذ وجماعة المريدين - مرور الكلب ويعود! كيف يكون ذلك؟ قال الشيخ: أيها السخى، إن هذا الكلب قال لأبي يزيد بلسان الحال: «السبق في السبق، أي تقصير ارتكبه في الوجود؟ وأي توقير بدا منك؟ فألبسوني جلد الكلب، وخلعوا عليك سلطان العارفين، فاعتملت هذه الفكرة في رأسي وأثرت مروءة.

يسرّوي: أن أبا يزيد كان يمضي ذات يوم، وكان كلب برفقته، فلملم الشيخ أطراف ثيابه (بعيدا) عنه، قال الكلب: لو أننى جاف فلا ضرر، ولو أننى مبتل فإن تطهرك منى سبع غسلات بالماء أو التراب، لكن إن ضربتني بطرفك، لا تطهر وإن اغتسلت في سبع بحور، قال أبو يزيد: أنت نجس الظاهر، وأنا نجس الباطن، تعالى كي نمتزج معاً ليظهر ما بيننا من طهر بالامتزاج. قال الكلب: لا يجدر بك أن ترافقتي وتزاملني، لأننى مرفوض من الخلق، وأنت مقبول منهم، ومن يصل إلى يضربني بحجر على جانبي، ومن يصل إليك يقول:

والسلام عليك يا سلطان العارفين، وأنا لم أدخر عظمة قط للغد، وأنت تدخر دن قمح. قال أبو يزيد: لست جديراً بصحبة الكلب، فكيف أكون جديراً برفقة م لم يزل ولا يزال،؟ سبحان الله الذي يرى أفضل الخلق بأقلهم! ثم قال الشيخ: ضقت، ويئست من الطاعة، فقلت: أذهب إلى السوق، واشترى زناراً، وأعقدته على وسطى، حتى ينتشر عارى بين الخلق، خرجت، وكنت أسأل عنه فرأيت دكاناً علق زناراً. قلت (لنفسى): أبيع هذا بدرهم؟ وقلت (للبنائى): بكم تباعه؟ قال: بألف دينار، دهشت، وهتف هاتف: ألا تعلم أن الزنار الذى يعقد على خصر مثل خصرك لا يقل عن ألف دينار. قال: سر قلبى، لأننى علمت أنها عناية الحق.

يروى: أنه كان هناك زاهد من جملة مشايخ بسطام صاحب طبع، وقبول، ولم يكن يغيب عن حلقة أبى يزيد قط، وكان يسمع كل كلامه ويجلس مع أصحابه، وقال لأبى يزيد ذات يوم: أيها السيد، منذ ثلاثين عاماً وأنا صائم الدهر، قائم الليل (للصلاة)، إلى حد أننى لم أتم قط (مع هذا) لا أجد فى نفسى أثراً من هذا العلم الذى تتحدث عنه، وأصدقته، والكلام الذى أحبه. قال أبو يزيد: إن صمت النهار وقمت الليل طيلة ثلاثمائة عام لن تدرك ذرة من هذا الحديث! قال الرجل: لماذا؟ قال: لأنك محجوب بنفسك، قال الرجل: وما علاج هذا؟ قال الشيخ: لن تقبل قط، قال: بل أقبل، قل لى كى أنفذ كل ما تقوله، قال الشيخ: اذهب الآن: وأطلق ذقنك ورأسك، وارقد سترة، واخلع هذه الثياب التى ترتديها، واعقد على خصرك إزاراً خشناً، وعلق فى رقبتك كيساً مملوئاً بالجوز، واخرج إلى السوق، واجمع الأسفالى، وقل لهم، من يصفعنى أعطيه جوزه، وهكذا طف فى المدينة، وكل مكان تعرف فيه اذهب إليه، فهذا هو علاجك سمع الرجل هذا، وقال: سبحان الله لا إله إلا الله، قال: إن نطق كافر بهذا القول يؤمن، وقد أشركت بنطقك هذا القول، قال الرجل: لماذا؟ قال الشيخ:

لأنك اعتبرت نفسك أكبر من أن يمكنك أن تفعل هذا، فلا جرم أنك أشركت، لأنك قلت هذا القول تعظيماً لنفسك لا تعظيماً لله . قال الرجل: لا أستطيع أن أفعل هذا، مرني بشئ آخر، فقال: العلاج ما قلته، قال الرجل: لا أستطيع فعله، قال الشيخ: ألم أقل لك إنك لن تفعل، ولن تطيع الأمر .

يسروى: أن تلميذاً لشقيق البلخي (رحمة الله عليه) قصد الحج، فقال له شقيق: أسلك طريق بسطام، حتى تزور ذلك الشيخ، فقدم ذلك التلميذ إلى بسطام، قال له أبو يزيد: من شيخك؟ قال: شقيق، قال الشيخ: وما يقول؟ قال: قال: قد فرغ شقيق من الخلق، وجلس متوكلاً، وهكذا يقول: إن صارت السماء نحاساً، والأرض حديداً، فلا تسقط من السماء أمطار قط، ولا تنمو من الأرض أعشاب، ويكون كل خلق العالم عيالي لا أحميد عن التوكل عليك . فقال أبو يزيد عندما سمع ذلك . : ياله من كافر فاجر . ياله من مشرك جاحد، لو كان أبو يزيد غريباً، لما كان يحلق في مدينة ذلك المشرك، عندما تعود، قل له: أنظر، ولا تختبر الله برغيفين من الخبز، عندما تجوع، أطلب رغيفين من النوع الخاص به، ودع برنامج التوكل جانباً، حتى لا تسوى تلك المدينة والولاية بالأرض من سوء معاملتك . فعاد ذلك المرید من هول هذا الكلام، ولم يذهب للحج وأنجه إلى بلخ لدى شقيق، فقال شقيق: سرعان ما عدت! قال: كلا، إنك كنت قد قلت: مرّ على أبي يزيد، فذهبت إليه، وهكذا سأل، وهكذا أجبته، فقال: كذا وكذا، فعدت من هول هذا الكلام، كي أخبرك . كان شقيق ذكياً، فأعاب عليه هذا الكلام، ويقال: إنه كان لديه أربعمائة حمل بعير من الكتب، وكان شيخاً فذاً، لكنه ظن أنه فاق المشايخ، قال شقيق للمرید: ألم تقل له لو أنه كان كذلك، فكيف تكون أنت؟ قال: لا، قال شقيق: اذهب إليه الآن، واسأله: لو كان هو كذلك فكيف تكون أنت؟ نهض المرید، وعاد إلى بسطام، قال أبو يزيد: عدت،

قال: أرسلني كي أسألك لو أنه كذلك فكيف تكون أنت؟ قال أبو يزيد: انظر جهله أيضاً، ثم قال: إن قلت، فأنت لا تعرف، قال (المريد): قد جئت من مكان بعيد أملاً في هذا، إن ترى الصالح، تأمر بكتابة رسالة، حتى لا يضيع التعب، قال أبو يزيد: أكتبوا بسم الله الرحمن الرحيم، هو أبو يزيد. وطوى الورقة وأعطاهها له. إن أبا يزيد ليس شيئاً ولأنه ليس موصوفاً، فكيف يمكن وصفه بما يدركه الواصلون، فكيف به وهو يتوكل أو يخلص وكل هذه صفات الخلق، ويجب عليهم أن يتخلقوا بأخلاق الله، ولا يتحلون بالتوكل. ذهب المريد، وكان شقيق قد مرض، واقترب أجله، وكل لحظة كان يرسل شخصاً إلى السطح، حتى يراقب الطريق، كي يسمع إجابة أبي يزيد قبل أن ينتهي أجله، وكانت قد بقيت عدة أنفاس حين وصل المريد، فقال: ما قال؟ قال المريد: قد كتب على ورقة، فقرأها شقيق، وقال: «أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله، ونزه الإسلام عن عيب أفكاره، ورجع عنها، وقاب، وأسلم الروح».

يروى أن أحمد بن خضرويه^(٢٠٩) ذهب إلى أبي يزيد ومعه ألف مريد، كانوا جميعهم يستلمعون السير على الماء، والطير في الهواء، وقال أحمد لهم كذلك: من ليست له القدرة على مشاهدة أبي يزيد منكم، يخرج لأننا سنذهب لزيارة الشيخ، فمضى الجميع، وكانت مع كل واحد منهم عصا، وضعها في دهليز دار الشيخ، حيث (بيت العصا) فامتأل الدار بالعصى، فترجع مريد، ولم يذهب إلى أبي يزيد، وقال: لا أرى في نفسي لياقة الذهاب إلى الشيخ، فلأحرس العصا. ولما دخل الجميع على أبي يزيد قال أبو يزيد: هل أحضرتكم أنفسكم والأصل فيكم؟ أحضروه، فذهبوا وأحضره، فقال أبو يزيد لخضرويه: إلام السباحة والعلوف حول العالم؟ قال خضرويه: عندما (يركد) الماء في

مكان واحد، يتكدر، قال الشيخ: «كن بحراً لا يتغير، ثم استرسل الشيخ أبي يزيد في الكلام، فقال أحمد: مهلاً أيها الشيخ، فلتتمهل إنى لا أفهم كلامك فتمهل، ثم قال له مرة أخرى: تمهل فتمهل وهكذا أخذ يقول (تمهل) سبع مرات عندئذ فهم كلام أبي يزيد، وصمت أبو يزيد، فقال أحمد: يا شيخ، رأيت ابليس على قارعة حيك معلقاً على مشقة، قال أبو يزيد: بلى، كان قد تعاهد معنا ألا يحرم حول بسطام، والآن وسوس لفرد فارتكب جريمة القتل، وجزاء اللصوص أن يشنقوا في بلاط الملوك، وسأل رجل الشيخ: نرى عندك جماعة مثل الرجال والنساء، من هم؟ قال: إنهم الملائكة، يأتون، ويسألوننى عن العلوم، وأجيبهم.

يروى: أن أبا يزيد كان يرى في المنام ذات ليلة، أن ملائكة السماء الأولى يهبطون عليه فانتلين: انهض، كى نذكر الله، قال: لا أمك لساناً للذكر، فجاء ملائكة السماء الثانية وقالوا الكلام نفسه، فأجاب نفس الإجابة، وهكذا حتى قدم ملائكة السماء السابعة، وكان يجيب نفس الإجابة، قالوا: ومتى ستملك لسان الذكر إذن؟ قال: عندما يستقر أهل الجحيم في الجحيم وأهل الجنة في الجنة، وتمر القيامة، ثم يطوف أبو يزيد حول العرش ويقول الله الله.

وقال: أضى الدار ذات ليلة، فقلت، لو أنه الشيطان فأنا أكثر عزة منه، وأوفر همة إنه طمع في، وإن كان من لذلك فدعه حتى أصل من دار الخدمة إلى دار الكرامة.

يروى: أن أبا يزيد لم يتذوق طعم العبادة ذات ليلة، فقال: انظروا هل هناك شيء في الدار، نظروا، فرأوا نصف عنقود عنب، قال: احملوه وأعطوه لشخص فدارنا ليست تكان بقال، حتى طاب وقته.

يروى: أن مجوسياً جاوره، وكان له طفل، كان هذا الطفل يبكى، لأنهم لا يملكون قنديلاً، فحمل أبو يزيد قنديلاً بيده إلى دارهم، فسكت طفلهم، قالوا:

طالما حل نور أبي يزيد، فما يدعو للأسف، أن نعيش في ظلامنا، وأسلموا في الحال.

يروى: أن مجوسياً عاصر الشيخ، قالوا له: أسلم، فقال: لو أن الإسلام ما يفعله أبو يزيد فلا طاقة لي به، ولو أنه ما تفعلونه، فلا أرغبه.

يسروى: أن أبا يزيد كان قد جلس في مسجد ذات يوم، فقال للمريدين: انهضوا كي نستقبل حبيباً من أحبب جبار العالم، فذهبوا، ولما وصلوا إلى البوابة كان إبراهيم الهروي^(٢١٠) يقدم جالساً فوق حمار. قال أبو يزيد: جاء نداء من الحق إلى قلبي أن: انهض واستقبله وتشفع لنا. قال (إبراهيم): إن منحوك شفاعة الأولين والآخرين، فلا تزال قبضة تراب. تعجب أبو يزيد من قوله، ولما حان وقت الطعام، فكر إبراهيم في نفسه (قائلاً): لعله طعام طيب، لأن الشيخ يأكل مثل هذه الأطعمة الطيبة، أدرك الشيخ هذا المعنى ولما فرغوا، أخذ بيد إبراهيم، وحملها إلى طرفه، وضرب بها على الحائط، فشقت بحيرة، وظهر بحر لا نهاية له، قال: الآن، تعال، كي نسيح في هذا البحر، فخاف إبراهيم، وقال: لا أحظى بهذا المقام، فقال الشيخ: ذلك الشعير قد جمعه من الصحراء، وخبزته، ووضعته في الجراب، وقد كان الشعير الذي أكلته الدواب، وتبرزته، وقد كان نجساً، وهكذا كان ما كان الشيخ قد قاله، فتاب إبراهيم.

وقال رجل لأبي يزيد ذات يوم: رأيتك في طبرستان مع الخضر (عليه السلام) في جنازة شخص كان قد مات، وقد وضع يده على عنقك، ووضعت يدك على كتفه، ولما عاد الخلق من الجنازة، رأيتك كنت تطير في الهواء، قال الشيخ: الأمر كما تقول.

يسروى: أن جماعة جاءت إليه ذات يوم (قائلة): يا شيخ، نخاف القحط، والأمطار لا تسقط، فطأطأ الشيخ رأسه وقال: هيا أصلحوا القنوات، فقد هطل

المطر، وفي الحال بدأت الأمطار (في السقوط) إلى حد أنها لم تنقطع طيلة عدة أيام بلياليها.

يسرّوي: أن الشيخ مد قدمه ذات يوم، فمدّ مريد قدمه معه، فرفع أبو يزيد قدمه، وقال لذلك الرجل: ارفع قدمك، فلم يستطع ذلك الرجل رفعها، وبقي كذلك حتى آخر عمره، وذلك لأنه ظن أن تدلية قدم العارفين، تكون مقياساً لسائر الخلق.

يسرّوي: أن الشيخ كان قد مد قدمه ذات مرة، فهمّ عالم، ووضع قدمه (العالم) فوق قدمه (الشيخ)، قالوا: أيها الجاهل، لماذا فعلت ذلك؟ أيسبب التفكير! قال: ما تقولون؟ وقد لحقت به طامات. بعد ذلك أصيبت تلك القدم بالجزام، وكما يقال: سرت هذه العلة في عدة أبناء له. سئل أحد المشايخ: كيف يرتكب شخص ذنباً فتسرى عقوبته في الآخرين؟ وما معنى هذا؟ قال: طالما كان الرجل ماهراً، يصيب سهمه أبعد مسافة.

يسرّوي: أن منكرًا تقدم لامتحان الشيخ، وقال: اشرح لي المسألة الفلانية، رأى الشيخ تلك الأفكار فيه، فقال: هناك غار في الجبل الفلاني، وفيه واحد من أحببنا، سله، كي يشرحها لك فلهض، وذهب إلى الغار، فرأى أفعى عظيمة مهيبية، عندما رأى ذلك، فقد الوعى، وتبول في رداءه، وألقى بنفسه - وهو فاقد الوعى. خارج المكان، وترك مداسه هناك، وهكذا عاد إلى خدمة الشيخ، وسجا على قدمه وتاب، قال الشيخ: سبحان الله ألا تستطيع الحفاظ على مداسك من هيبة مخلوق، فكيف تحفظ الكشف في هيبة الخالق وقد جئت منكرًا له وقلت لي: اشرح لي القول الفلاني!

يسرّوي: أن أحد القراء أنكر الشيخ، لأنه يرى منه أمورًا عظيمة، محروم منها ذلك المسكين، قال: هذه المعاملات والرياضات التي يرتاضها، أرتاضها

أنا أيضاً، وهو يقول نحن غرباء عنه، علم الشيخ بذلك، وقصد الشيخ ذات يوم، فتنفس الشيخ نفماً في ذلك المقرئ، فقد (على أثره) وعيه ثلاثة أيام، وتبول على نفسه، ولما عاد إلى رشه اغتسل، ثم قدم إلى الشيخ، بعد ذلك، فقال الشيخ: ألم تعلم أنهم لا يضعون أحمال الأفيال على الحمير.

يروى: أن الشيخ أبا سعيد المنجوراني قدم إلى أبي يزيد، وأراد أن يمتحنه فأحاله الشيخ إلى مريد اسمه سعيد الراعي، وقال: إذهب إليه، لأننا منحاه ولاية الكرامة إقطاعاً، وعندما ذهب إلى سعيد، رأى راعياً، كان يصلى في الصحراء، وكانت الذئاب ترعى غنمه، ولما فرغ من الصلاة، قال: ما تريد؟ قال: أريد خبزاً ساخناً، وعنباً. كانت لدى الراعي عصا. قسمها إلى نصفين، وضع نصفاً على طرف الشيخ أبي سعيد، ونصفاً على طرفه هو، وفي الحال: أثمر العنب، وكان طرف الراعي أبيض وطرف سعيد المنجوراني أسود، قال: لماذا طرفك أبيض وطرفي أسود؟ فقال الراعي: لأنني أردت اليقين، وتريد أنت الامتحان، فسيكون لون كل شيء لائقاً بحاله، بعد ذلك أعطى خرقة لسعيد المنجوراني وقال: حافظ عليها. ولما ذهب سعيد إلى الحج، صناعت منه تلك الخرقة في عرفات، ولما عاد إلى بسطام، وجدها مع الراعي.

يروى أنهم سألوا أبا يزيد: من شيخك؟ قال: عجوز. فقد غلبني الشوق والتوحيد ذات يوم إلى حد أنني لم أحتمل شعرة، فذهبت إلى الصحراء فانياً، فوصلت عجوز ومعهما جوال دقيق، وقالت لي: ارفع معي هذا الجوال، ولم أكن أستطيع أن أحمل نفسي فأشرت إلى أسد، فجاء، فوضعت الجوال على ظهره، وقلت للعجوز: ما تقولين إن ذهبت إلى المدينة عمن رأيت؟ إنني لا أريد أن يعرف أحد من أنا، قالت: رأيت من رأيت ظالماً، رأيت أحماً، فقال الشيخ: احذري ما تقولين، قالت العجوز: أهذا الأسد مكلف أم لا؟ قلت: لا، قالت:

كلفت من لم يكلفه الله، ألا تكون ظالماً قلت: نعم، قالت: ومع كل هذا، تريد أن يعرف أهل المدينة أنه مطيع لك، وإنك صاحب كرامات ألا يكون هذا حمقاً! قلت: بلى، وتبت، وانقلبت رأساً على عقب، كان هذا القول شخياً. وبعد ذلك كلما كانت تحل عليه آية أو كرامة، كان يطلب مصداقها من الحق (تعالى)، وفي الحال يأخذ نوراً أصفر في الظهور، مكتوب عليه بخط أخضر لا إله إلا الله محمد رسول الله، نوح نجى الله، إبراهيم خليل الله، موسى كليم الله، عيسى روح الله، فكان يقبل الكرامة بهذه الأدلة الخمس، وهكذا لا يصدق حتى يظهر ذلك، قال أحمد بن خضرويه: رأيت الحق في المنام، وقد قال: يطلب مني جملة الرجال ما يطلبون ما عدا أبي يزيد فهو يطلبني أنا.

يروى: أن شقيق البلخي وأبا تراب التخشبي جاءا إلى الشيخ، فأمر الشيخ بطعام، فأحضره، وكان أحد المريدين يقوم بخدمة الشيخ، وكان واقفاً. فقال أبو تراب: تفضل معنا، قال: إني صائم، قال: كل، وخذ ثواب شهر، قال: إني لا أستطيع أن أفطر، قال شقيق: أفطر وخذ أجر سنة، فقال: لا أستطيع فقال أبو يزيد: دعه فهو مطرود من الحضرة، ولم تمر مدة حتى قبض عليه بالسرقة، وقطعت يده.

يسرى: أن الشيخ كان قد وضع عصاه على الأرض في الجامع ذات يوم، فوقعت وسقطت على عصا شيخ، فانحنى ذلك الشيخ، ورفع العصا. فذهب الشيخ (أبي يزيد) إلى داره، وطلب الحل منه، وقال: احنيت ظهرك لرفع العصا.

يسرى: أن رجلاً دخل عليه ذات يوم، وسأله عن الحياء، فأجابه الشيخ، فتبول ذلك الرجل، ودخل رجل آخر، فرأى ماء أصفر اللون، فوقف وقال: يا شيخ، ما هذا؟ قال: دخل شخص من الباب، وسأل عن الحياء، وأجبتة، ولم يطق، فتبول من الخجل.

يسروى: أن الشيخ قال: وصلت إلى نهر دجلة ذات مرة، وقد تلاطمت مياهه، قلت: لا أغتر بأن يجعلوني أعبر بنصف دانق، فإني لا أضيع ثلاثين عاماً من عمري بنصف دانق، لأنه يبغى لي الكرم لا الكرامة.

يسروى: أن الشيخ قال: أردت أن أسأل الحق تعالى أن يكفيني مؤنة النساء، ثم قلت: لا يجوز لي هذا، ولم يسأله النبي (عليه السلام) هذا، وبهذه الحرمة كفاني الحق تعالى ذلك، حتى تساوت لدي المرأة والحائض^(٢١١).

يسروى: أن الشيخ كان يصلى خلف إمام، فقال الإمام: يا شيخ، إنك لا تكتسب، ولا تطلب شيئاً من أحد، فمن أين تأكل؟ قال الشيخ: اصبر، حتى أودى الصلاة، قال: لماذا؟ قال: لأن الصلاة لا تجوز أن تؤدى خلف رجل لا يعرف الرازق.

وذات مرة، رأى رجلاً في مسجد، كان يصلى، قال: إن ظننت أن هذه الصلاة هي سبب الوصول إلى الله (تعالى)، فأنت مخطئ، لأن هذا ظن لا مواصلة، وإن لم تصلى فأنت كافر، وإن نظرت إليه نظرة واحدة بعين الاعتماد فأنت مشرك.

يسروى: أن الشيخ قال: ربما يأتي شخص لزيارتنا، فتكون ثمرته اللعة، وربما يأتي شخص آخر، وتكون فائدته الرحمة. قالوا: كيف؟ قال: يأتي رجل، وتغلبني حالة أفنى فيها عن نفسي، فيقع في اللعة، ويأتي آخر، فيغلبني الحق، ويعذرنى، فتكون ثمرته الرحمة.

وقال: أريد أن تقوم القيامة سريعاً حتى كنت أنصب خيمتى على طرف الجحيم، لأن الجحيم عندما يرانى، يندم، فأكون سبباً في راحة الخلق.

قال حاتم الأصم^(٢١٢) للمريدين: كل من لا يشفع منكم يوم القيامة لأهل الجحيم، فهو ليس من مريدينى. (قيل) هذا الكلام لأبى يزيد، فقال أبو يزيد

وأنا أقول: إن مريدي من وقف على حافة الجحيم، يأخذ بيد من يحمل إليها، ويرسله إلى الجنة، ويذهب هو إلى الجحيم بدلاً منه. قالوا: لماذا لا تدعو الخلق إلى الله بهذا الفضل الذي قد فضلك الحق به، قال كيف يستطيع أبو يزيد تحرير رجل قيده هو (الحق).

ذهب شيخ إلى أبي يزيد، فرآه وقد وضع رأسه في تلابيبه مستغرقاً في التفكير، وعندما رفع رأسه، قال: أيها الشيخ، ما فعلت؟ فقال: وضعت رأسي بقنائي، ورفعتها ببقاء الحق.

ذات يوم كان خطيب يتلو هذه الآية على المنبر، ماقدروا الله حق قدره^(٢١٣)، فضرب برأسه على المنبر إلى أن فقد الوعي، وعندما تاب إلى رشده، قال: طالما علمت، فمن أين جئت بهذا المسكين الكاذب كي يدعى معرفتك؟

رأى مريد الشيخ كان يرتعد، قال: يا شيخ، لم ارتعادك هذا؟ قال الشيخ: ينبغي عليك أن تسلك طريق الصدق ثلاثين عاماً، وتكنس تراب المزابل بمحاسنك وتضع رأسك على ساعد الحزن، حتى تعرف سلوك الرجال، أنتهض من خلف الحجاب منذ يوم أو اثنين، وتريد أن تقف على أسرار الرجال!

يروى: أن جيش الإسلام عندما كان قد أصابه الضعف في الروم، وأوشك على الهزيمة من الكفار سمع صوتاً بأن أدركنا يا أبا يزيد، وفي الحال هبت نار من جهة خراسان، أنارت الفزع في جيش الكفار، وانتصر جيش الإسلام.

يروى: أن رجلاً جاء إلى الشيخ، وكان الشيخ قد وضع رأسه، ولما رفعها، قال ذلك الرجل: أين كنت؟ قال: في الحضرة، فقال ذلك الرجل: وأنا كنت في

الحضرة، ولم أرك، قال الشيخ: صدقت، فقد كنت داخل الحجاب وأنت خارجه، ولا يرى من في الخارج من في الداخل.

قال: من لا يقرأ القرآن، ولا يحضر جوائز المسلمين، ولا يذهب لعيادة المرضى، ولا يصل الينامي، ويدعى هذا، اعلما أنه مدعى.

قال واحد للشيخ: صف قلبك، كي أتحدث معك، قال الشيخ: ثلاثين عاماً وأنا أطلب من الحق قلباً صافياً، ولم أحصل عليه حتى الآن، فمن أين أحضر لك قلباً صافياً في لحظة.

وقال: يظن الخلق أن الطريق إلى الله أكثر وضوحاً من الشمس، وأنا أطلب منه طوال عدة أعوام أن يظهر لى مقدار رأس الإبرة من هذا الطريق، ولن يحدث.

يروى: أن أبا يزيد كان يقول في ذلك اليوم الذى لم يكن يصيبه فيه بلاء: يا إلهي أرسلت الخبز، ويلزمه الأكل، فأرسل البلاء كي أكل الخبز.

ذات يوم سأل أبو موسى الشيخ: متى صباحك؟ فقال: ليس لى صباح ولا مساء.

وقال: نودى فى صدورنا: يا أبا يزيد، إن خزاننا مملوءة بالطاعة المقبولة، والخدمة المحمودة إن تريدنا، احضر لنا شيئاً ليس لدينا، قلت: يا إلهي، ماذلك (الشيء) الذى ليس لديك؟ قال: الفقر والعجز والحاجة والذلة والضعف^(٣١٤).

وقال: ذهبت إلى الصحراء، وكانت قد أمطرت عشقاً، وابتلت الأرض لدرجة تفوص معها قدم الرجل فى الطين، وغاصت قدمي فى العشق.

وقال: لم أر من الصلاة سوى ثبات الجسد، ومن الصوم سوى الجوع، وما لى هو من فضله وليس من فعلى. ثم قال: لا يمكن نيل أى مثال بالجهد

والكسب، وحديثي خارج عن الكونين، لكن العبد الحسن الطالع من يمضى،
وفجأة تسقط قدمه فى كنز، فيغنى .

وقال : كل مرید أدرك الإرادة، ينبغى عليه أن يأتى إلى خاضعاً، وأتحدث
معه لأجله .

يسروى : أن أبا يزيد عندما كان يتحدث فى صفات الحق، كان يسعد
ويستكين، وعندما كان يتحدث فى الذات، كان ينهض من المكان، ويأخذ فى
الحركة، ويقول: جاء، جاء، وانتهى .

رأى الشيخ رجلاً: كان يقول: أعجب من شخص يعرفه ولايطيعه، فقال
الشيخ: أعجب من شخص يعرفه ويطيعه . أى أن العجب أن يظل على وجوده .

يسروى : أن أبا يزيد سئل: بما نلت هذه الدرجة؟ وبما أدركت هذا المقام؟
فقال: خرجت من بسطام ذات ليلة فى الطفولة، وكان ضوء القمر يצלأ،
والدنيا ساكنة، ورأيت حضرة بدت الثمانية عشر ألف عالم إلى جانبها ذرة،
فاضطريت، وغلبتى حالة عظيمة، وقلت يا إلهى حضرة بمثل هذه العظمة
ومثل هذا الاتساع، وأمور بهذه العظمة ومثل ذلك التفرد . فهتف هاتف: ليست
الحضرة خالية لأن شخصاً لا يأتى إليها، لكن لأننا لا نريد، لأن كل قدر الوجه
ليس جديراً بها . نويت أن أدعو لجملة الخلائق، فجال بخاطرى أن مقام
الشفاعة لمحمد (عليه الصلاة والسلام) فحفظت الأدب، وسمعت خطاباً: رفعا
اسمك بهذا الأدب الذى حفظت، وهكذا يقولون حتى يوم القيامة: أبو يزيد
سلطان العارفين .

قالوا أمام الإمام أبى نصر القشيري^(٢١٥): قد حكى أبو يزيد مثل تلك
الحكاية: أردت بالأمس أن أطلب من كرم الربوبية أن يسدل ذيل الغفران على
جرائم الخلق الأولين والآخرين، لكننى خجلت أن أعاود حضرة الكرم بحاجة

بهذا القدر، واستولى على الشفاعة التي هي مقام صاحب الشريعة، فحفظت الأدب. قال القشيري: «بهذه الهمة نال ما نال، وقد حلق أبو يزيد بهذه الهمة العالية في أوج الشرف.

يسروى: أن الشيخ قال: أول مرة ذهبت فيها إلى البيت (الحرام)، رأيت البيت وثاني مرة ذهبت فيها إلى البيت، رأيت رب البيت، وثالث مرة لم أر البيت ولا رب البيت^(٢١٦) أي إنتى فنيت في الحق، فلم أعرف شيئاً قط، فإن رأيت، رأيت الحق، والدليل على هذا القول: أن رجلاً ذهب إلى دار أبي يزيد، ونادى (عليه) فقال الشيخ: من تريد؟ قال: أريد أبا يزيد، قال: مسكين أبو يزيد، أبحث عنه طيلة ثلاثين عاماً، ولا أجد له أثراً^(٢١٧).

أخبر ذو اللون بهذا الكلام، فقال: ليخفر الله لأخي أبي يزيد، فقد ضل مع الصائين في الله^(٢١٨).

يسروى: أنهم قالوا لأبي يزيد: قل لنا شيئاً عن مجاهدتك، قال: إن تحدثت عن أعظم شيء لما طقنتموه، لكنى أتحدث عن أقل شيء: ذات يوم، أمرت النفس بأمر ما، فرفضت أي لم تطع الأمر، فلم أمدّها بالماء عاماً، وقلت: يا نفس. هبى الجسد للطاعة أو إهلكى من العطش.

وقال أبو يزيد: ما تقول في شخص حجابته الحق، أي طالما يعرف أنه الحق، فينبغي أن يمتحى حجابته وينمحي علمه أيضاً، حتى يتحقق الكشف الحقيقي.

وكان مستغرفاً إلى حد أن مريداً كان لديه، لم ينفصل عنه طيلة عشرين عاماً، وكل يوم كان الشيخ يدعوه، وكان يقول له: ما اسمك يا بني؟ فقال له المريد ذات يوم: أيها الشيخ، إنك تحزنني لأننى أخدمك طيلة عشرين عاماً، وكل يوم تسأل عن اسمي! قال الشيخ: أي بني، إننى لا أهزأ بك، لكن اسمه قد جاء، ومحي كل الأسماء من قلبى فأتذكر الاسم الجديد، ثم أنساه.

يسروى: أن أبا يزيد قال: ينبغي على أن أصلى صلاة تليق بحضرته، ولم أفضل ذلك طوال عمري، وذات ليلة كنت أؤدي أربع ركعات منذ صلاة العشاء وحتى الصباح، وكل مرة كنت أفرغ فيها، كنت أقول ينبغي (أن أؤدي) أفضل من هذا، حتى أوشك الصبح أن يتنفس، ابتليت وقلت: يا إلهي، اجتهدت كي أكون جديراً بك، لكن أبا يزيد ليس جديراً بك، الآن لك كثير من تاركي الصلاة، فاعتبر أبا يزيد واحداً منهم.

وقال: رفع الحجاب بعد أربعين عاماً من الرياضة، فانتحبت قائلاً: امنحوني السبيل، فجاءني خطاب: لا قبول لك مع القدر والفراء اللذين تملكهما، فالتيت بالقدر والفراء، وسمعت نداء: يا أبا يزيد، قل لهؤلاء المدعين: لم تستقبل الحضرة أبا يزيد بعد أربعين عاماً من الرياضة والمجاهدة، ما لم يطح بالقدر المكسور والفراء المتهاك. وطالما تعلقتم بمثل هذه العلائق المتعددة وجعلتم الطريقة طعاماً لشباك أهواء النفس، كلا وحاشا أن يفسح لكم السبيل.

يسروى: أن شخصاً كان يلصق وقت السحر لما سيفطه (الشيخ)، (فسمعه) قال: الله مرة واحدة وسقط، وسال الدم منه، قالوا: وما هذه الحال؟ فقال: جاء نداء (فحواه): من أنت؟ حتى تتحدث بحديثنا!

يسروى: أن أبا يزيد وقف ذات ليلة على أطراف أصابع قدمه منذ صلاة العشاء، وحتى السحر، وكان الخادم يشاهد تلك الحال، وكان الدم يسيل من عين الشيخ على الأرض، فتعجب الخادم، وسأل الشيخ في الصباح: ما تلك الحال؟ اجعل لنا نصيباً منها، قال الشيخ: ذهبت إلى العرش في أول خطوة خطوتها، فرأيت العرش كذئب مخضب الشفاة وخالي المعدة، قلت أيها العرش، يدللون عليك به الرحمن على العرش استوى،^(٢١٩) تعال (حتى نرى) ما عندك، قال: ما جدوى هذا الحديث، فإنهم يدللون لنا على قلبك به أنا عند

المنكسرة قلوبهم، (٢٢٠) فلو أنهم هم أهل السماء، فإنهم يبحثون عن أهل الأرض، ولو أنهم أهل الأرض، فهم يطلبون أهل السماء. ولو أنه شاب فهو يطلب الشيخ، ولو أنه شيخ فهو يطلب الشاب، ولو أنه خراباتى فهو يريد الزاهد، ولو أنه زاهد فهو يريد الخراباتى.

وقال: عندما وصلت إلى مقام القرب، قالوا: اطلب، قلت لا طلب لى (قالوا) اطلب من أجلنا، اطلب، قلت: أريدك وكفى قالوا: طالما يبقى وجود أبى يزيد مثقال ذرة، فهذا الطلب محال، «دع نفسك وتعال، قلت: لا أستطيع العودة بلا ذلة، لأننى سوف أتجربأ، وقال: قل: فقلت: ارحم جميع الخلاق، قال: انظر، نظرت، فلم أر مخلوقاً إلا وله شفيماً، ورأيت الحق ألطف بهم أكثر من أنفسهم، فصمت، ثم قلت بعد ذلك ارحم إبليس، قال: تجرأت، فاذهب، إنه فى النار، وينبغى للنار نار، اجته ألا تفعل ما تستحق عليه النار التى لا طاقة لك بها.

يسروى: أن أباً يزيد قال: أحضر الحق (تعالى) لى ألقى مقام أمامه، وعرض على مملكة فى كل مقام، ولم أقبل، قال لى: ما تريد يا أباً يزيد؟ قلت: لا أريد شيئاً قط.

وعندما كان شخص يطلب منه الدعاء، كان يقول: يا إلهى، إنهم خلقك وأنت خالقهم فمن أنا لأكون الواسطة بينك وبين خلقك!

وكان يقول لنفسه: هو عالم الأسرار، أى شأن لى بهذا الفضول.

وجاء شخص إلى الشيخ وقال: علمنى شيئاً يكون سبباً لنجاتى، فقال: اعلم إنك حظيت بقدر من العلم، واعلم أن الله مطلع عليك، ويرى كل ما تفعل، واعلم أن الله (تعالى) مستغن عن عمالك.

و ذات يوم كان كان الشيخ يسير، فوضع شاب قدمه على قدم الشيخ، وأخذ يقول: هكذا توضع الأقدام على قدم المشايخ، وكان الشيخ يرتدى فراء، فقال: يا شيخ، إعطنى قطعة من هذا الفراء، حتى تحل بركتك على، قال الشيخ: إن إرتديت فراء أبى يزيد فإن يفيدك طالما لا تعمل عمل أبى يزيد.

ورأى مجذوباً ذات يوم كان يقول: يا إلهى، انظر إلى، قال الشيخ بسبب الغيرة وغلبات الوجد: ألك عقل حسن ووجه طيب كى ينظر إليك؟! فقال: أيها الشيخ، إننى أطلب تلك النظرة حتى يحسن عقلى ويطيب وجهى، فسر الشيخ كثيراً لهذا القول، وقال: صدقت.

يروى: أن أباً يزيد كان يتحدث عن الحقيقة ذات يوم، وكان يمص شفتيه، ويقول: أنا الشارب والشارب والساقى أيضاً.

يسروى: أن أباً يزيد قال: خلعت، سبعين زناراً عن خصرى، وبقي واحد، كلما اجتهدت أن أخلعه، لم يخلع، تعبت، وقلت: يا إلهى، امنحنى القوة كى أخلعه أيضاً، فجاء صوت: خلعت كل الزنانير وخلص هذا ليس من شأنك.

وقال: طرقت باب الحق بكل الأيادى وفى النهاية لم يفتح حتى طرقته بيد الحاجة، وطلبت النعمة بكل الألسنة، فلم تمنح لى حتى طلبتها بلسان الحزن، وسلكت سبيله بكل قدم، ولم أصل إلى مقام العزة حتى سرت بقدم الذل.

وقال: مضت ثلاثون عاماً وكنت أقول: أفعل هكذا، وأمنح هكذا، وعندما وصلت إلى المعرفة، قلت فى أول خطوة: يا إلهى، كن لى وافعل ما تريد.

وقال: تكرت الله ثلاثين عاماً، وعندما فرغت، نظرت، فكان نكرى حجاباً لى.

وقال: ناجيته فى الحضرة ذات مرة، وقلت: كيف الوصول إليك، فسمعت نداء يا أباً يزيد، أطلق نفسك ثلاثاً ثم قل الله.

وقال: إن طلب الحق تعالى منى حساب سبعين عاماً، أطلب منه حساب سبعين ألف عام، فقد قال: «ألت بريكم، (٢٢١) وهاج الجميع بسبب قول بلى، وجملة الفتن في السموات والأرض بسبب شوق ألت. ثم قال: بعد ذلك جاء خطاب (فحواه): اسمع الإجابة، في اليوم السابع نقطع جسدك إربا إربا، ونمنح الرؤية لكل ذرة منه ونقول: ها هو حساب السبعين ألف عام، ونضع الحاصل والباقي في كنفك.

وقال: إن بسطت الجدان الثماني في دارنا، وأقطعونا ولاية كلا الدارين، لا نمنحهم بها قط آهة تصعد من روحنا وقت السحر على ذكر الشوق إليه، بل أن نفساً يصعد بسبب تياريح الشوق إليه لا نماريه بملك ثمانية عشر ألف عالم.

وقال: إن انمحت الرؤية في الجنة غداً، أنوح وأئن لدرجة أن أهل السبع جحيمات ينسون عذابهم بسبب بكائي ونواحي.

وقال: كل شخص من الأشخاص الذين سبقونا خضع لشيء، ولم نخضع نحن لشيء قط، وضحينا بأنفسنا مرة واحدة فداء له، ولا نطلبه من أجل أنفسنا، لأن مثقال ذرة من صفائنا إن حلت في صحراء لتخبطت السموات والأرض ببعضها البعض.

وقال: أراد هو أن يرانا، ولم نرد نحن أن نراه، أي أن لا إرادة لعبد.

وقال: اتجهت للخلق أربعين عاماً، ودعوتهم إلى الحق، فلم يجبني شخص فأشحت بوجهي عنهم، وعندما ذهبت إلى الحضرة، رأيتهم سبقوني جميعاً، أي اننى رأيت أن عناية الحق بالخلق أكثر من عنايتي بهم، وما كنت أريده، أوصله الحق (تعالى) بعنايته للجميع قبلى.

وقال: خرجت من بايزيدينى كالحية من الجلد، ثم نظرت فرأيت العاشق والمعشوق والعشق واحداً، لأنه في عالم التوحيد يمكن أن يكون الجميع واحداً.

وقال: ذهبت من الله إلى الله، فصدر نداء مني إلى: يا من أنت أنا، أي أنني وصلت إلى مقام الغناء في الله.

وقال: تجاوزت عدة آلاف من المقامات، ولما نظرت، رأيت نفسي في مقام حزب الله بمعنى أن الله (تعالى) لا سبيل إلى كنهه.

وقال: كان الحق (تعالى) مرآة لى طيلة ثلاثين عاماً، والآن أنا مرآة لنفسى أى لم يبق (ما كنته)، لأننى والحق كنا شركاء، وطالما لم أبق أنا فالحق تعالى مرآة لى وهنا أقول أن الحق مرآتى، فهو يتحدث على لسانى، وأنا فنيته.

وقال: جاورت هذه الحضرة أعواماً، وفى العاقبة رأيت الحيرة، ولم يكن نصيبنا سوى الحيرة.

وقال: ذهبت إلى حضرة العزة، ولم يكن هناك عناء قط، فقد انشغل أهل الدنيا بالدنيا وحجبوا، وانشغل أهل الآخرة بالآخرة، والمدعون بالدعوى، وانشغل قوم من أرباب الطريقة والتصوف بالأكل والشرب والبكاء، وقوم آخرون بالسماع والرقص وكانوا من تقدموا الطريق وقادوا الجيش قد ضلوا فى بادية الحيرة، وغرقوا فى بحر العجز.

قال: كنت أطوف حول البيت لفترة، ولما وصلت إلى الحق، رأيت البيت كان يطوف حولى.

قال: كنت أطلب قلبى ذات ليلة، ولم أجده، وفى السحر سمعت نداء: يا أبا يزيد أطلب شيئاً آخر سوانا، فما شأنك بالقلب؟

وقال: ليس الرجل من يسعى وراء شيئاً، لكن الرجل من يأتى إليه كل ما يريد، أينما يكون، ويسمع الإجابة من كل من يتحدث إليه.

وقال: أوصلنى الحق إلى مقام رأيت فيه الخلق جميعاً بين إصبعين من أصابعى.

وقال: يمنح المرید حلوة الطاعة، وحين يفرح بها، تصير حجاب قريه.

وقال: أقل درجة للعارف هي: أن تكون صفات الحق فيه.

وقال: إن حرقت بالنار بدلاً من الخلق، أصبر لأننى مازلت لم أظهر حبي له قط، وإن غفر ذنبى أنا وكل الخلائق، لأن الرأفة والرحمة من صفاته، وينتهى الأمر.

وقال: الثوبة من المعصية واحدة ومن الطاعة ألف، أى أن العجب فى الطاعة أسوأ من الذنب.

وقال: كمال درجة العارف احترامه فى المحبة.

وقال: يصح إهداء علم الأزل من شخص يبدو عليه نور الذات فى البداية.

وتهمال: عادت الدنيا، وذهبت إلى الخالق، وفضلت الله (تعالى) على المخلوقات، حتى استولت محبة الحق على إلى حد أننى كرهت وجودى، ولما تخلصت من العناء، أنست ببقاء لطف الحق.

وقال: لله عباد إن عرضت عليهم الجنة بكل زينتها صرخوا منها كما صرخ أهل جهنم من جهنم.

وقال: العابد الحقيقى والعامل الصادق من يقطع رؤوس كل الرغبات بالسيف، وتغنى كل شهواته وأمانيه فى الحق، وهو يحب ما يريده الحق، وكذلك يرغب فى أن يشاهده الحق.

وقال: ألا يدخل الحق (تعالى) العباد إلى الجنة برصانه؟ قالوا: بلى وقال: عندما يهب رضاء لشخص، فماذا يفعل ذلك الشخص بالجنة؟

وقال: إن ذرة من حلاوة المعرفة في القلب أفضل من ألف قصر في الفردوس الأعلى.

وقال: إن وحدانيته تعجز كثيراً من الرجال الشجعان، وتمنح الرجولة لكثير من العجزة.

وقال: إن استلعمت الذهاب إلى حافة قاعدة الغناء الأولى، أدركتم هذا الحديث وإلا، فإن كل هذا الصلاح والزهد ليس إلا رياحاً تهب عليكم.

وقال: جزاء العارفين الجنة وهي وبال عليهم.

وقال: لا يصيركم الذنب إلى درجة هوان أخوة المسلمين وذلتهم.

وقال: الدنيا لأهل الدنيا غرور في غرور، والآخرة لأهل الآخرة سرور في سرور، ومحبة الحق لأهل المعرفة نور على نور.

وقال: العمل في المعاينة نقد، لكن في المشاهدة نقد النقد.

وقال: عبادة أهل المعرفة حراسة الأنفاس.

وقال: حين يصمت العارف، يكون مراده أن يتحدث مع الحق، وحين يغمض عينيه يكون مقصوده، أن ينظر إلى الحق عندما يفتحها، وحين يضع رأسه على ركبته يكون طلبه ألا يرفعها حتى ينفخ إسرافيل من كثرة أنه مع الله (تعالى).

وقال: كن فارس القلب، وساحق الجسد.

وقال: علامة معرفة الحق الهروب من الخلق، والصمت في معرفته.

وقال: من ابتلى بالحق، لا يضمن بالملك عليه، ولا يذله (الحق تعالى) في الدارين.

وقال : جاء عشقه، ومحي كل ما كان دونه، ولم يتركنا بلا أثر، حتى بقى وحيداً، مثلما هو وحيد.

وقال : كمال العارف احتراقه فى محبة الحق.

وقال : غداً يذهب أهل الجنة لزيارتها، وعندما يعودون، تعرض عليهم صور، وكل من اختار صورة، لا يمنح السبيل لزيارتها.

وقال : لا شىء أفضل للعبد قط من أن يفنى فلا يملك الزهد ولا العلم ولا العمل وعندما يفنى عن الجميع، يبقى بالجميع.

وقال : ينبغى لهذه القصة، ألم، لأن لا شىء يتأتى من القلم.

وقال : يتحدث العارف كثيراً عن المعرفة، ويطوى سبيلها فلا تبقى المعارف ويصل العارف، ثم تدوب المعارف عن العارف، ولا يصل العارف إلى المعرفة، طالما يتذكر المعارف.

وقال : طلب العلم والأخبار جدير بشخص يتجاوز العلم إلى المعلوم، والخبر إلى المخبر لكن من يتعلم العلم للمباهاة، ويطلب به مكانة وزينة، ليقبله مخلوق، يصير كل يوم أبعد عن الله وأكثر هجرًا منه.

وقال : أى قدر للدنيا عند شخص يفكر فى تركها.

وقال : يستحيل أن يعرف شخص الحق ولا يحبه، فلا قدر للمعرفة دون المحبة.

وقال : تسمع صوتاً من جداول الماء الجارية، فكيف تأتى؟ وعندما تصل إلى البحر تسكن، ولا يزداد البحر أو ينقص من مجيئها وذهابها.

وقال : له عباد إن حجبوا عنه لحظة فى الدنيا، ما عبده ولا طاعوه، أى أنهم عندما يحجبون يفنون، وكيف يتعبد الفانى؟

وقال: من يعرف الله، لا يستطيع أن يفتح فمه بحديث آخر سوى ذكر الحق.
 وقال: أقل شيء وجب على العارف التبرؤ من المال والملك، والحق إن طوبت العالمين في محبته، يكون ذلك قليل بالنسبة له.
 وقال: الحق ثواب العارفين من الحق.

وقال: يبحث العارفون في عيان المكان، ولا يقولون بأثر في الظاهر، وإن خطا مائة ألف آدمى من العرش إلى الثرى ومعهم ذريات كثيرة وأتباع ونسل وفير ومائة ألف ملاك مقرب مثل جبريل وميكائيل (عليهم السلام) خطوة من العدم في زاوية قلب العارف، لا يظنهم موجودين إلى جانب وجود الحق ومعرفة، ولا يعلم شيئاً عن ورودهم وخروجهم وإن كان على خلاف هذا، كان مدعيًا لا عارفًا.

وقال: يرى العارف المعروف، ويجلس العالم مع العالم، فيقول العالم: ماذا أفعل؟ ويقول العارف: ماذا يفعل هو؟

وقال: لا أهمية للجنة عند أحبة الحق، ومع كل هذا فإن أهل المحبة مهجورون بمحبتهم شأن أولئك القوم أنهم الطالب والمطلوب في النوم واليقظة، ومن الطلب والمحبة هم فارغون، وتغلبهم مشاهدة المعشوق، فالعشق لدى العاشق هو الرؤية الممكنة، وفي مواجهة المطلوب لطالبه النظر في طريق المحبة طغيان.

وقال: اطلع الحق على قلب أوليائه، فرأى أن بعض القلوب لا تستطيع أن تحتمل معرفته، فانشغلت بعبادته (٢٢٢).

وقال: لا يحمل أحمال الحق سوى خواص الحمالين فهم أذلاء المجاهدة ومرتاوضوا المشاهدة.

وقال : ليت الخلق يستطيعون إدراك معرفته، لأن معرفتهم تتم بمعرفته.

وقال : اجتهد أن تحظى بلحظة لا ترى فيها فى الأرض والسماء سوى الحق. أى أنك تغنى بتلك اللحظة طوال عمرك.

وقال : علامة من يحبه الحق هى أن يهبه (الحق) ثلاث خصال: سخاوة كسخاوة البحر، وشفقة كشفقة الشمس، وتواضع كتواضع الأرض.

وقال : يطوف الحبيب حول الكعبة بأجسادهم، ويطلبون البقاء، ويطوف أهل المحبة حول العرش بقلوبهم ويطلبون اللقاء.

وقال : فى العلم علم لا يعلمه العلماء، وفى الزهد زهد لا يعرفه الزهاد.

وقال : من يقع عليه الاختيار، ينتخب له فرعوناً يعذبه.

وقال : كل هذه الأقاويل والمشاكل والأصوات والحركات والرغبات خارج الحجاب، وفى داخله الصمت والسكون والهدوء.

وقال : هذا القدر من الجرأة لأن السيد غائب عن حضرة الحق، وعاشق لنفسه، وطالما حضر، فأى مجال للأقاويل.

وقال : صحبة الأختيار أفضل من العمل الطيب، وصحبة الأشرار أسوأ من العمل السيئ.

وقال : يجب أن يصرف (المرء) كل أعماله فى المجاهدة، وحينئذ يرى فضل الله (عز وجل) لا فعله هو.

وقال : من عرف الله (عز وجل)، لا حاجة له بالسؤال، ولن تكون له حاجة ومن لم يعرفه لا يدرك قول العارف.

وقال : العارف لا يعكر سبيله شىء قط، وكل كدورة تصل إليه تجعله صافياً.

وقال: النار هي عذاب ذلك الشخص الذي لا يعرف الله، لكن العارفين بالله يتعذبون بالنار.

وقال: يسلك ألف شخص هذا الطريق كل يوم، ويعودون بالإيمان ليلاً.

وقال: كل موجود يستند على قدمين: يضع واحدة على نصيبه، والأخرى (تدعن) لأوامر الحق، يرفع القدم الأولى، ويثبت القدم الثانية في مكانها.

وقال: من ترك الهوى، أدرك الحق.

وقال: من اقترب من الحق، ملك كل شيء وكل مكان، لأن الحق (تعالى) في كل مكان وله كل الأشياء.

وقال: العارف بالحق جاهل، والجاهل بالحق عارف.

وقال: العارف طيار والزاهد سيار.

وقال: من عرف الله يتعذب بالنار، ومن لم يعرف الله تتعذب به النار. ومن عرف الله يثاب بالجنة، وتصير الجنة وبالآ عليه.

وقال: لا يفرح العارف بشيء قط سوى الوصال.

وقال: نفاق العارفين أفضل من إخلاص المريدين.

وقال: أعتقد فيما يروى من أن إبراهيم وموسى وعيسى (صلوات الله عليهم أجمعين). قالوا: يارب، اجعلنا من أمة محمد أتظن أنهم أرادوا فضيحة هذه الحفنة الباحثة عن الرياسة كلا وحاشا، لكنهم رأوا رجالاً في أمة محمد غاصت أقدامهم تحت الثرى، وتجاوزت رؤوسهم أعلى العليين، وققدواهم وسط ذلك.

وقال: حظ الأولياء على تفاوت درجاتهم متعلق بأربعة أسماء، وقيام كل فرقة منهم مربوط باسم من أسماء الله وهو قول الله (عز وجل): «هو الأول

والآخر والظاهر والباطن، (٢٢٣). من كان نصيبه من هذه الأسماء (الظاهر) كان أكثر ملاحظة في عجائب قدرته، ومن كان نصيبه من هذه الاسماء (الباطن) يلاحظ ما يسرى من الأنوار والأسرار ومن كان نصيبه من هذه الاسماء (الأول) انشغل بأنه قد سبق، ومن كان نصيبه من هذه الأسماء (الآخر) كان قد علق اهتمامه بالمستقبل وبما سيكون. ولكل شخص من هذا الكشف قدر طاقته.

وقال: إن حولت لكم كل سعادة الخلق، فلا تتحولوا، ولو وقعت كل التعاسة في سبيلكم، لا تيأسوا، لأن أمر الله (عز وجل) «كن فيكون» (٢٢٤) ومن ينظر إلى نفسه، ويرى عبادته خالصة ويمكنه أن يكتسب كثيراً من صفاء كشفه، ولا يرى نفسه أخطب النفوس، لا حساب له قط.

وقال: من يمت قلبه بكثرة الشهوات، يلف في كفن اللعنة، ويدفن في أرض الندامة، ومن يمت نفسه بالإعراض عن الشهوات، يلف في كفن الرحمة، ويدفن في أرض السلامة.

وقال: لم يصل إلى الحق (تعالى) من وصل إليه إلا بحفظ الحرمة، ولم يسقط في الطريق من سقط إلا بدرك الحرمة. وقال: لا يمكن أن يدرك هذا الحديث بالطلب قط، لكن لا يفهمه سوى الطالبين.

وقال: عندما يصيح المرید وينادى يكون حوضاً، وعندما يصمت يصير بحرًا مملؤًا بالدم.

وقال: إما أن تبدو كما تكون أو تكون كما تبدو.

وقال: من يؤجل الله ثوابه للغد، فإنه لم يعبده اليوم، لأن ثواب كل نفس من المجاهدات وارد في الحال.

وقال: العلم عذر، والمعرفة مكر، والمشاهدة حجاب، ومن ثم كيف ستدرك شيئاً تطلبه!؟

وقال : قبض القلوب في بسط النفوس، وبسط القلوب في قبض النفوس .

وقال : النفس صفة لا تتجه قط إلا للباطل .

وقال : الحياة في العلم، والراحة في المعرفة، والرزق في الذكر .

وقال : شوق العشاق هو دار الملك، وُضع فيها عرش من سيف الفراق، وأشهر فيها سيف من هول الهجران، وغرس فيها غصن من نرجس الوصال في يد الرجاء، وفي كل لحظة يضربون ألف رأس بذلك السيف .

وقال : مرت سبعة آلاف عام وما زال ذلك النرجس غضاً طرياً، لأن يدا لم تأمل في الوصول إليه قط .

وقال : المعرفة أن تعرف أن حركات الخلق وسكناتهم بالله .

وقال : التوكل هو الإعداد للحياة يوم واحد وإطاحة التفكير في الغد .

وقال : كثرة الذكر ليست بالعدد بل بالحضور دون غفلة .

وقال : المحبة أن تعد الكثرة منك قلة، والقلة من الحق كثرة .

وقال : المحبة ألا تحب الدنيا والآخرة .

وقال : اختلاف العلماء رحمة إلا في التجريد والتوحيد (٢٢٥) .

وقال : الجوع غيم لا تمطر سوى أمطار الحكمة (٢٢٦) .

وقال : أبعد الخلائق عن الحق أكثرهم إشارة إليه (٢٢٧) .

وقال : أقرب الخلائق إلى الحق هم الذين يتحملون عناء الخلق، ويتمتعون

بالطبع الحسن .

وقال: نسيان النفس ذكر للحق، ومن يعرف الحق بالحق يحيا، ومن يعرف الحق بنفسه يفنى.

وقال: يشبه قلب العارف سراجاً في قنديل من زجاجة صافية، يضئ شعاعه جملة الملكوت فأى خوف له من الظلام؟

وقال: وهلاكه في شيلين: عدم مراعاة حرمة الخلق، وعدم مراعاة منة الحق.

قالوا: ما الفريضة وما السنة؟ قال: الفريضة صحبة المولى والسنة ترك الدنيا (٢٢٨).

يروى: أن مريداً كان يمضى إلى سفر، فقال للشيخ: عظمى، قال: أوصيك بثلاث خصال: عندما تصاحب شيئاً حسن طبعه السيئ يطبعك الحسن، حتى يطيب عيشك ويهنا، وعندما ينعم عليك شخص، أشكر الله أولاً، وبعد ذلك أشكر ذلك الشخص الذى جعل الحق (تعالى) قلبه يعطف عليك وعندما يصيبك بلاء، اعترف بالعجز وأطلب النجدة لأنك لا تستطيع الصبر، ولا يخاف الحق (٢٢٩).

مثل عن الزهد فقال: لا قيمة للزهد، فقد زهدت ثلاثة أيام: فى اليوم الأول زهدت فى الدنيا، وفى اليوم الثانى زهدت فى الآخرة، وفى اليوم الثالث زهدت فيما سوى الله.

هتف هاتف يا أبا يزيد، لاطاقة لك بنا، قلت: هذا هو مرادى، فرن فى أذنى أصبت، أصبت.

وقال: (بلغ) كمال رضائى عنه إلى حد أنه لو ولد عبد فى العالين وخذلنى أسفل المسافلين، أكون أكثر رضاء من ذلك العبد.

سئل: متى يصل العبد إلى درجة الكمال؟ قال: عندما يعرف عيبه، ويرفع الهمة عن الخلق، عندئذ يقربه الحق إليه بقدر همته ويقدر بعده عن نفسه.

قالوا: تأمرنا بالزهد والعبادة ولا تزيد من زهدك وعبادتك! فصاح الشيخ صيحة وقال: قد انشق الزهد والعبادة على.

سئل: كيف السبيل إلى الحق؟ قال: انهض للطريق تصل للحق.

قالوا: بما يمكن الوصول للحق؟ قال: بالعمى والصم والخرس.

قالوا: سمعنا كثيراً من أقوال الشيخ، وليس هناك قول أعظم من قولك قط، فقال: إنهم تحدثوا في بحر صفاء المعاملة، وأتحدث أنا عن بحر صفاء السنة، فهم يتحدثون مختلطين وأتحدث أنا خالصاً، ولا يطهر المشوب مشوباً، هم قالوا: أنت ونحن، وأنا أقول: أنت أنت!

وطلب شخص وصية، فقال له: انظر إلى السماء، فنظر، قال: أتعرف من خلقها؟ قال: بلى، قال: الذى خلقها مطلع عليك أينما تكون، فاحذره.

قال رجل: لا يهدأ هؤلاء الطالبون عن السياحة، فقال: المقصود مقيم وليس مسافراً وطلب المقيم محال فى السفر.

قالوا: من ناصح؟ قال: من يعاودك حين تعرض، ويقبل توبتك حين تذنّب (٣٣٠) وكل شئ يعلمه الحق عنك ليس خافياً عليه.

قال رجل: لماذا لا تصلى ليلاً؟ قال: لا وقت لى للصلاة إننى أطوف حول الملكوت، وأخذ بيده فى كل مكان حل فيه، أى أننى أعمل فى سريرتى.

قالوا: ما أعظم علامة للعارف؟ قال أن يأكل معك، ويفر منك، ويشترى منك، ويبيع لك، ويكون قد وضع قلبه على وسادة الأنس فى حضرات القدس.

وقال: العارف هو الذى لا يرى فى المنام سوى الله عز وجل، ولا يرافق شخصاً سواه، ولا يفصح بسرّه إلا له.

وسئل عن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فقال: نحن في ولاية ليس فيها أمر بالمعروف ونهي عن المنكر، فكلاهما في ولاية الخلق، وليس هناك أمر بالمعروف ونهي عن المنكر في حضرة الوحدة.

قالوا: متى يعرف الرجل أنه قد وصل إلى حقيقة المعرفة؟ قال: حين يفنى تحت إطلاع الحق، ويبقى على بساطه بعيداً عن الخلق بلا نفس ثم يكون فانياً باقياً، وبقياً فانياً، وميتاً حياً، وحيماً ميتاً، ومحجوباً مكشوفاً، ومكشوفاً محجوباً.

قالوا للشيخ: يتحدث سهل بن عبدالله (٢٣١) (رحمة الله عليه) في المعرفة. فقال: مضى سهل على شاطئ البحر وسقط في داومة، قالوا: أيها الشيخ، كيف يكون حال من يغرق في البحر؟ قال: إما أنه يرى الخلق أو يتبع الكونين، ولا يطوى بساط القيل والقال لأن «من عرف الله كل لسانه» (٢٣٢).

قالوا: ما التفكر؟ قال: أن يضع الشخص قدمه على كثر في زاوية قلبه، ويسمى ذلك افئصاح الآخرة لأنه يجذب في ذلك الكثر جوهرًا يسمى المحبة، ومن وجد ذلك الجوهر، هو فقير.

قالوا: متى يصل الرجل إلى الله؟ قال: لا يصل قط أيها المسكين.

قالوا: بما نلت ما نلت؟ قال: جمعت أسباب الدنيا، وقيدتها بزنجير القناعة، ووضعتها في منجنيق الصدق، وألقيت بها في بحر اليأس.

قالوا: كم عمرك؟ قال: أربعة أعوام، قالوا: كيف؟ قال: مضت سبعون عاماً كنت فيها في حجب الدنيا، لكن أراه منذ أربعة أعوام، بناء على هذا لا تسأل، ولا يحسب زمن حجابي من عمري.

قال أحمد خضرويه للشيخ: ألا أدرك نهاية التوبة، فقال الشيخ: لنهاية التوبة عزة، والعزة صفة الحق، فكيف يمكن لمخلوق! رآكها؟

سئل عن الصلاة، فقال: هي وصال ولا يكون الوصال إلا بعد القطع.

قالوا: كيف السبيل إلى الله؟ قال: ابتعد عن اليبيل واتصل بالله.

قالوا: لماذا تمدح الجوز؟ قال: إن كان فرعون جائعاً لما كان يقول: «أنا ريكم الأعلى» (٢٣٣) قطه.

وقال: لا يشتم متكبر قط رائحة المعرفة، قالوا: وما علامة المتكبر؟ قال: من يرى نفساً أخبث من نفسه في الثمانية عشر ألف عالم.

قالوا: إنك تسير على الماء! فقال: تسير قطعة الخشب على الماء.

قالوا: وتطير في الهواء! قال: تطير الطيور في الهواء، قالوا: تسير إلى الكعبة ليلاً! قال: يذهب الساحر من الهند إلى دوماندا ليلاً قالوا: وما دأب الرجل إذن؟ قال: ألا يعلق قلبه سوى بالله عز وجل.

قالوا: كيف كان حالك في المجاهدات؟ قال: ظللت في المحراب ستة عشر عاماً، ورأيت نفسي كامرأة حائض.

وقال: طلقت الدنيا ثلاث طلاقات، وانفردت للواحد، ومثلت أمام الحضرة، وقلت: يا إلهي، ليس لي سواك، وطالما أنت لي فالكل لي. ولما علم بصدقي، فإن أول فضل تفضل به عليّ هو أنه نزع عن نفسي إرادتها (٢٣٤).

وقال: أمر الحق (تعالى) (بأمر) ونهى (عن أخرى)، من أطاعوا أوامرهم خلع عليهم خلعة فشغلوا بها وأنا لم أرد منه سواه (٢٣٥).

وقال: ذكرته كما ذكره الخلق حتى صار ذكرى ذكره، ثم هاجمتني معرفته وأفتنتني، ثم هاجمتني مرة أخرى وأحبتني.

وقال: ظننت أنني أحبه، ولما نظرت (وجدت أن) محبته سبقت محبتي.

وقال : غرق الجميع في بحر العمل، وأعتليت أنا دوامة فيه، أى رأى الآخرون رياضاتهم ورأيت أنا عناية الحق .

وقال : تلقى الناس العلم من الموتى، وتلقيناه نحن من الأحد الذى لا يموت قط ومن ثم يتحدث الجميع إلى الحق وأتحدث أنا عن الحق . لا جرم أنه قال: ليس هناك شئ قط أسمى على من متابعة العلم (٢٣٦)، أى علم التعليم الظاهر .

وقال : دعوت النفس للحق، فلم تجب، فتركتها، وذهبت إلى الحضرة بمفردى .

وقال : حمل قلبى إلى السماء، فطاف حول الملكوت وعاد، قلت: بما جئت؟ قال: المحبة والرضا (٢٣٧)، بحيث ملكت الاثنین فصار ملكاً لهما .

وقال : عندما عرفت الحق (تعالى) بعلمى، قلت: لو أنه ليس كافياً لك بكفايته لا يرضى لك بكفاية شخص قط . حتى ألحقت الجوارح بالخدمة، كلما كانت تكسل كنت أنشغل بعضو آخر حتى صارت أبا يزيد .

قال : أردت أن أعرف ماهى أسمى عقوية لجسدى فلم أر أسوأ من الغفلة، ولا تفعل نار جهنم بالناس ما تفعله بهم ذرة من الغفلة .

وقال : أصلى منذ أعوام، وظننت فى نفسى أننى سأقضى على زرد شتىتى وسأقطع زنارى فى كل صلاة .

وقال : شأن النساء أفضل من شأننا فهم يغتسلون بالماء من النجاسة، ولم نغتسل نحن طوال عمرنا من الطهارة (٢٣٨) .

وقال : صدقت لأبى يزيد كلمة طوال عمره وهى أنه لا يخاف من شىء قط .

وقال: إن قيل لى غداً فى العرصات لماذا لم تفعل (كذا) ؟ (٢٣٩) أحب إلى من أن يقال لى: لماذا فعلت؟ أى أن كل شىء أفعله له يكون فيه الأنا والأنا شرك والشرك أسوأ من الذنب سوى طاعة نرسى على، وأكون فانياً فيها.

وقال: الله (تعالى) مطلع على أسرار الخلائق، وكل سر ينظر إليه يراه فارغاً سوى سر أبى يزيد فهو يراه منعماً به.

وقال: ما أكثر المقربين إلينا والباعدين عنا، وما أكثر الباعدين عنا والمقربين إلينا.

وقال: رأيت فى المنام أننى كنت أريد من الحق (تعالى) ما هو بعد التوحيد، ولما استيقظت، قلت: يا رب، إننى لا أريد ما هو بعد التوحيد.

وقال: رأيت الحق فى المنام قال لى: يا أبا يزيد، ما تريد؟ قلت: أريد ما تريده، فقال: أنا لك كما أنك لى.

وقال: رأيت الحق (عز وجل) فى المنام، فسألته: كيف السبيل إليك؟ قال: أترك نفسك تصل إلى (٢٤٠).

وقال: يظن الخلق أننى فرد مثلهم، وإن اطلعوا على صفتى فى عالم الغيب لهلكوا.

وقال: مثلى كمثل البحر ليس له عمق ظاهر، ولا أول واضح ولا آخر.

وسأله شخص: ما العرش؟ قال: أنا، قال: والكرسى؟ قال: أنا، قال: واللوح والقلم؟ قال: أنا، قالوا: لله (تعالى) عباد غير إبراهيم وموسى وعيسى صلوات الله عليهم أجمعين) قال: أنا كل أولئك. فصمت الرجل فقال أبو يزيد: بلى، كل من فى فى الحق، أدرك حقيقة كل ما هو موجود. فكله الحق، وإن فى ذلك الشخص، يرى أنه (فى حد ذاته) الحق، فلا عجب، والله أعلم وأحكم.

صعراج الشيخ أبى يزيد (قدس الله روحه)

نورد هذا ونختم:

قال الشيخ: نظرت إلى الحق بعين اليقين، بعد أن أوصلنى إلى درجة الاستغناء عن جميع الموجودات، وجعلنى أستلير بپوره، وكشف لى عجائب الأسرار، وأظهر لى عظمة هويته. ونظرت إلى نفسى بالحق، وتأملت أسرارى وصفاتى، فكان نورى ظلمة إلى جانب نور الحق، وصارت عظمى عين الحقايرة إلى جانب عظمة الحق، فتلاشت عزتى إلى جانب عزته، هناك كان كل الصفاء، وهنا كانت كل الكدورة. عندما نظرت ثانية، رأيت نفسى بپوره وعلمت أن عزتى من عظمته وعزته، وكل شىء فعلته، استطعت أن أفعله بقدرته، وكل ما أدركته عين قالى أدركته به.

نظرت بعين الإنصاف والحقيقة، فكانت كل عبادتى من الحق لا منى، وكنت قد ظلمت أننى أعبده.

قلت: يا إلهى، ما هذا؟ قال: أنا كل ذلك، وليس سواى، أى مباشر الأفعال لكنى أنا المقدر والميسر لك، وطالما لا يحل توفيقى، لا يتأتى شىء من طاعتك، فرويتى نابعة من رؤيته، لأنه سيطر على عينى، وعلمنى النظر إلى

أصل أمره وهويته، وأفاننى عن نفسى، وأبقانى ببقائه، وأعزنى، وبين لى وجودى دون عناء، لا جرم أوضح الحق الحقيقة لى، ونظرت من الحق إلى الحق، ورأيت الحق بالحقيقة وأقمت هناك، وسكنت، وشحذت أذن الاجتهاد، وسحبت لسان الحاجة فى خلق الإخفاق وتركت اكتساب العلم، وقصبت على عناء النفس الأمانة، واستقرت فترة دون آلة (حركة) وأزلت الفضول عن طريق الأصول بيد التوفيق، فتعطف الحق على، وهبنى العلم الأزلى، ووضع لساناً من لطفه فى خلقى، وخلق عيلى من نوره، فرأيت جميع الموجودات بالحق.

عندما ناجيت الحق بلسان اللطف، وحصلت على علم من علم الحق، ونظرت بنوره إليه قال: يا من أنت الجميع دون الجميع مع الجميع، وبآلة دون آلة. فقلت: يا إلهى، لا أغتر بهذا، ولا استغنى بوجودى عنك، إن كنت لى بدونى أفضل من أن أكون لى بدونك، وإن تحدثت بك إليك أفضل من أن أتحدث إلى نفسى دونك. قال: الآن أنصت إلى الشريعة، ولا تتجاوز حد الأمر والنهى حتى يكون سعيك مشكوراً لدينا. قلت: لأن لى دين ولقلبي يقين إن شكرت نفسك، تشكر لأنك الخالق، وإن تدم فإنك منزه.

قال لى: ممن تعلمت؟ قلت: يعلم السائل أفضل من المسئول لأنه المراد والمريد، والمجيب والمجيب أيضاً. عندما رأى صفاء سريرتى، سمع قلبى نداء من رضا الحق، وخلع على خلعة الرضاء، وجعلنى أستشير، وأتجاوز ظلمة النفس وكدورات البشرية، فعلمت أننى أحيا به، وطرح بفضلته بساط السرور فى قلبى، وقال: أطلب ما تريد، فقلت: أريدك أنت، فإنك أفضل من الفضل، وأعظم من الكرم، منعت منك بك، طالما تكون لى، أطوى منشور الفضل والكرم، لا تردنى عنك، ولا تحضر لى ما هو دونك. فلم يجبنى زماناً ثم وضع

تاج الكرامة على مفرقى، وقال لى: إنك تقول الحق، وتبحث عن الحقيقة، لأنك رأيت الحق وسمعته. فقلت: إن رأيت رأيت بك، وإن سمعت سمعت بك، فقد سمعت أنت أولاً ثم أنا، وأثنت عليه، لا جرم أنه وهبني جناحاً من الكبرياء، فحلقت فى ميادين عزه، فكنت أرى عجائب صنعه، وعندما علم بضعفى، وعرف حاجتى، جعلنى أقوى بقوته، وزيلننى بزينته ووضع تاج الكرامة على رأسى، وفتح لى باب قصر التوحيد ولما علم أن صفاتى من صفاته خلع علىّ اسماً من حضرته، وشرفنى به، وتجلت الوحدة، وزالت الإثنية، وقال: رضاؤنا رضاؤك، ورضاؤك رضاؤنا، لا يقبل قولك الذم، ولا يمتن شخص عليك، ثم أذاقنى جرح الغيرة، وأحيانى ثانية، وخرجت من بوتقة الامتحان خالصاً، فقال لمن الملك؟ قلت: لك، قال: لمن الحكم؟ قلت: لك، قال: لمن الاختيار؟ قلت: لك لما كان الكلام هو نفس الكلام الذى سمعه فى البداية، أراد أن يبين لى أنه لو لم تكن رحمته سبقت، لما ارتاح الخلق قط، ولو لم تكن محبته، لاجتاحت قدرة الدمار، الجميع ثم نظر إلى نظرة القهار بواسطة الجبار، فلم ير أحد أثراً لى من الآدمية، وعندما أقيبت بنفسى فى كل وادى وأنا ثمل، وصهرت جسدى فى كل بوتقة بنار الغيرة، وهاجمت بجواد الطلب فى فضاء الصحراء. لم أر صيداً أفضل من الحاجة، ولم أجد شيئاً أفضل من العجز، ولم أر سراجاً أضوأ من الصمت، ولم أسمع قولاً أفضل من الصمت، فسكنت قصر السكوت، وارتديت صدره الصبر ووصل بى الأمر إلى أنلى رأيت ظاهرى وباطنى خالياً من علة البشرية، فانفجرت فرجة من الفرج فى صدرى المظلم. ومنحنى لساناً من التجريد والتوحيد، لا جرم أن لسانى الآن من اللطف الصعدانى، وقلبى من النور الريانى، وعينى من الصنع الإلهى، أتحدث بمدده، وأخذ بقوته، طالما أحيا به، فلن أموت قط، طالما أدركت هذا المقام فإن إشارتى أزلية وعبادتى أبدية، ولسانى التوحيد، ونفسى نفس

التجريد. لا أتحدث عن نفسي، فأكون المحدث أو أحدث إلى نفسي فأكون أنا المذكر، فهو يحرك اللسان بما يريد وأنا المترجمان، متحدث بحقيقته هو لا أنا. الآن، عندما جعلني عظيماً قال لي: يريد الخلق أن يروك، فقلت: وأنا لا أريد أن أراهم إن أحببت أن تظهرني لهم، لا أخالفك زيني بوحدانيتك، فعندما يراني الخلق، يأملون صنعك، ويرون الصانع، و(أنعدم) أنا. فحقق لي هذا المراد، ووضع تاج الكرامة على رأسي، جعلني أتجاوز مقام البشرية. ثم قال: تعال أمام خلقي، فخطوت بقدم من الحضرة، ووقعت بالثانية، وسمعت نداء هاتوا حبيبنا، فإنه لا يستطيع الوجود بدوني، ولا يعرف الطريق إلا بي.

وقال: عندما أدركت الوحدانية، وكانت تلك أول لحظة نظرت فيها إلى التوحيد، أسرعت في ذلك الوادي أعواماً بقدم الإفهام، حتى صرت طائراً، عيناه من الوحدة وجناحاه من الديمومة، وكنت أخلق في هواء الكيفية ولما غبت عن المخلوقات، قلت: وصلت إلى الخالق، ثم طلقت برأسي من وادي الربوبية، وتجرعت كأساً لا أرتوي إلى الأبد عطشاً إليه، ثم حلقت ثلاثين ألف عام في فضاء وحدانيته، وحلقت ثلاثين ألف أخرى في الألوهية، وثلاثين ألف أخرى في الفردانية، ولما انقضت تسعون ألف عام، رأيت أبا يزيد، وكل شيء رأيت كان أنا، ثم قطعت أربع آلاف بادية، ووصلت في النهاية ولما نظرت، رأيت نفسي في أول درجة للأنبياء، وطويت مسافة في ذلك اللا متناهي، وقلت: لم يصل شخص إلى أعلى من هذه الدرجة والأسمى من هذا المقام غير ممكن ولما أمعنت النظر، رأيت رأسي على قدم أحد الأنبياء، فعلمت أن نهاية حال الأولياء هي بداية أحوال الأنبياء، ولا غاية لنهاية الأنبياء.

ثم مرت روحي على جملة الملوك، وددت لها الجنة والنار، فلم تلتفت إليهما قط وكل شيء اعتراها، لم تطفه، ولم تصل إلى روح نبي قط إلا

وسلمت، ولما وصلت إلى روح المصطفى (عليه السلام) رأته هناك مائة ألف بحر نارى لا حد لها، وألف حجاب من نور فإن كنت قد خطوت إلى أول البحر لاحتقرت، وضعت هباء، لا جرم أننى ذهلت من الهيبة والدهشة إلى أن فليت، ومهما حاولت رؤية رباط خيمة محمد (رسول الله) لم أستطع ذلك ومع أننى وصلت إلى الحق، لم أطق الوصول إلى محمد، أى أن كل شخص يمكنه الوصول إلى الله (تعالى) بحسب قدره، لأن الحق مع الجميع، لكن محمد هو باب الحرم الخاص أمامه فلا جرم طالما لا تقطع وادى لا إله إلا الله لا يمكنك الوصول إلى وادى محمد رسول الله، وفى الحقيقة الواديان كلاهما واحد.

كما شرحنا ذلك المعنى فى أن مرید أبى تراب كان يرى الحق، ولم يطق رؤية أبى يزيد.

ثم قال أبو يزيد: يا إلهى، كل ما رأيته، كان أنا، لا سبيل لى إليك بأنيتى، ولا معبر لى من نفسى، لما يذبى على أن أفعل؟ قال: خلاصك من أنتيتك فى متابعة حبيبنا محمد العربى (ﷺ)، كحل عينك بتراب قدمه، وداوم على متابعتة.

أعجب من قوم يعظمون شخصاً باللبوة، وعندئذ يتحدثون بخلاف هذا، ولا يعرفون معنى هذا. كما قالوا لأبى يزيد سيكون الناس يوم القيامة تحت لواء محمد (ﷺ) فقال: برؤية الله، إن لوائى سيعلو لواء محمد، وسيكون الأنبياء والخلائق تحت لوائى أى أنهم لا يجدون فى السماء مثيلاً لى، ولا يعرفون صفتى فى الأرض، فصفاى غائبة فى الغيب، والحديث عما هو غائب فى الغيب جهل محض، وكله غيبة. وشخص على هذا النحو كيف يكون هذا الشخص هو نفسه، بل أن لهذا الشخص لسان الحق، وهو متحدث عن الحق أيضاً، وقال: من كان نطقه بمن لا ينطق، ولا يسمع ولا يبصر، لا جرم أن الحق

يتحدث على لسان أبي يزيد ويفسر ذلك: «لوائى أعظم من لواء محمد، بل لواء الحق أعظم من لواء محمد فطالما تجيز أن تنبعث «إنى أنا الله» من شجرة، فأجز أن تصدر «لوائى أعظم من لواء محمد» وسبحانى ما أعظم شأنى، من شجرة سليقة أبى يزيد.

والله أعلم وأحكم.

صناجاة الشيخ أبى يزيد (قدس الله روحه العزيز)

لأبى يزيد مناجاة، (يقول فيها):

إلهى، إلام تظل الأنية والأنتية بينى وبينك، ارفع الأنية، حتى تلحق أنتى بك ويعدم وجودى.

وقال: إلهى، طالما أنا معك، فأنا أكثر من الجميع، وطالما أنا مع نفسى، أكون أقل من الجميع.

وقال: إلهى، أوصلنى إليك الفقر والغفاعة، ولم يزلهما لطفك، وقال: إلهى، لا يلزمنى زهد، ولا قراءة، ولا علم، إن أردت أن تجعلنى أهلاً لشيء، اجعلنى أهلاً لشمة من أسرارك، وأوصلنى إلى درجة أحيائك، فأنتلل عليك، وأصل منك إليك.

إلهى، ما أطيب واقعات إلهامك على خطرات القلوب، وما أطفف طريقة إلهامك فى سبل الغيب، وما أعظم الحال التى لا يستطيع الخلق كشفها، ويعجز اللسان عن وصفها ولا تنته هذه القصة.

وقال: إلهى، لا عجب أننى أحبك، وأنا عبد عاجز وضعيف ومحتاج، العجب أنك تحببى وأنت الإله والملك والمستغنى (٢٤١).

وقال: إلهى، هنا فرحى بك وأنا أخافك فكيف فرحى بك إذ أمنتك (٢٤٢).

يروى: أن أبا يزيد حظى بقرب حمزة العزة سبعين مرة، كلما كان يعود، كان يعقد زناراً ويقطعه ثانية، ولما انتهى عمره ذهب إلى المحراب وعقد زناراً، وكان لديه فراء، ارتداه مقلوباً، ووضع عمامة مقطوبة على رأسه، وقال: إلهي لا أبيع رياضة العمر كله، ولا أعرض صلاة كل الليالي، ولا أتحدث عن صوم العمر كله، ولا أحصى خواتم القرآن، ولا أتحدث عن الأوقات والمناجاة والقرب، وأنت تعلم أنني لا أنظر إلى شيء قط، وهذا الذي أشرحه بلساني ليس بسبب التفاخر أو الاعتماد عليه، بل أذكره لأنني أخجل مما فعلته، وقد خلعت على هذه الخلعة وهي أن أرى نفسي هكذا، وكل هذا لا شيء، والظن أنه العدم. أنا تركماني، أبيض شمري في الزردشية، أعود الآن من الصحراء وأقول: تنكري، تنكري^(٢٤٣). وأتلم الآن قول: الله، الله، أقطع الزنار الآن، وأضع قدمي في دائرة الإسلام، وأنطق الآن بالشهادة، لا علة لأمرك، قبورك ليس بالطاعة، وليس بسبب المعصية، كل شيء فعلته، ظننته هباءً، وكل شيء تراه مني لا يليق بحضرتك، اعف عنه، وانفض غبار المعصية عنى فإنني نفضت غبار الوهم في الطاعة.

يروى: أن الشيخ كان يكثر من قول الله، الله في البداية، وكان يقوله في النزح أيضاً، ثم قال يا رب، لم أذكرك قط إلا في غفلة، والآن حيث تصعد الروح أنا غافل عن طاعتك، ولا أعلم متى سيكون الحضور، ثم أسلم الروح وهو في الذكر والحضور.

في تلك الليلة التي أدركنه فيها الوفاة، كان أبو موسى غائباً، قال: رأيت في المنام أنني قد وضعت العرش على مفرقي، وكنت أحمله، وأتعجب. وفي الصباح توجهت لأقص المنام على الشيخ وكان الشيخ قد توفي، وكان خلق غفير قد جاء من الأطراف، ولما رفعوا نعشه، سعيت كي يفسحوا لي ناحية من النعش، ولم

أمكن منه ففد صبرى وزججت بنفسى تحت النش ورفعته على رأسى، وأخذت فى السير، وكنت قد نسيت ذلك المنام، فرأيت الشيخ قال: يا أبا موسى، هذا هو تفسير منام الأمس، وذلك العرش الذى قد حملته هو نش أبى يزيد.

يسروى: أن مريدا رأى الشيخ فى المنام، فقال كيف تخلصت من منكر ونكير، قال: عندما سألانى هذان العزيزان، قلت: عجباً من هذا السؤال، لأننى لو أقول: هو رى فلا يصدر هذا القول منى قط، لكنه عاد وسأل: من أنا بالنسبة له؟ ما يقوله هو يكون، فلو قلت هو رى مائة مرة، فلا جدوى طالما لا يعدنى هو عبداً له.

رآه شيخ فى المنام قال: ماذا فعل الله (عز وجل) بك؟ قال: سألتنى: يا أبا يزيد ماذا أحضرت؟ قلت: يا إلهى، لم أحضر شيئاً يلىق بعزتك، ومع هذا لم أجدى بالشرك أيضاً (فقال الحق تعالى): ولا ليلة اللبن؟ ألم تشرك فى تلك الليلة قال: كنت قد شربت لبناً ذات ليلة، فألمتنى بطنى، فعاتبنى الحق (تعالى) قائلاً: إلى هذا الحد، أى أن هناك فعلاً غيرى.

يسروى: أنه عندما دفن الشيخ: جاءت أم على التى كانت زوجة لأحمد خضرويه - لزيارته، ولما فرغت من الزيارة، قالت: أتعلمون من كان الشيخ أبى يزيد؟ قالوا: أتعلمين أنت؟ فقالت: كنت أطوف حول الكعبة ذات ليلة، وجلست برهة، واستغرقت فى النوم، وهكذا رأيت أننى حملت إلى السماء، حتى وصلت أسفل العرش، وهناك رأيت صحراء لا يبدو طولها ولا عرضها، قد امتلأت بالورد والرياحين. ومكتوب على كل ورقة ورد: أبو يزيد ولى الله.

يسروى: أن شيخاً قال: رأيت الشيخ فى المنام، فقلت: عظمى، قال: الناس فى بحر بلا نهاية، والبعد عنهم سفينة، فاجتهد أن تجلس فى هذه السفينة، وتخلص الجسد المسكين من هذا البحر.

بروى : أنهم رأوا الشيخ في المنام، فقالوا له: ما التصوف؟ قال: إغلاق باب الراحة أمامه والجلوس خلفه على ركبة المحبة.

وعندما جاء الشيخ أبو سعيد بن أبي الخير لزيارة الشيخ وقف برهة، وفي طريق عودته، كان يقول: هذا هو المكان الذي كل من يفقد فيه شيئاً في الحياة يجده ثانية.

رحمة الله عليه واسعة وسلم تسليماً،

ذكر عبدالله بن المبارك^(٢٤٤) (رحمة الله عليه)

هو زين الزمان، وركن الأمان، هو إمام الشريعة والطريقة، وذو الجهادين في الحقيقة^(٢٤٥)، هو أمير القلم والسيف، عبدالله بن المبارك (رحمه الله عليه). وقد سمي ملك العلماء ولم يكن له نظير في العلم والشجاعة، وكان من سادة أصحاب الطريقة ومن المحترمين بين أرباب الشريعة، وله في فنون العلوم أحوال محمودة، وكان قد أدرك كبار المشايخ وصحبهم، وكان مقبولاً لدى الجميع، وله تصانيف مشهورة وكرامات مذكورة.

ذات يوم كان قادماً، فقال له سفيان الثوري^(٢٤٦): «تعال يا رجل المشرق، وكان الفضيل حاضراً، فقال: «والمغرب وما بينهما»^(٢٤٧). وشخص بفضله الفضيل، كيف يمكن مدحه؟

وكانت بداية توبته أنه فتن بجارية، إلى حد أنه هام بها. وذات ليلة في الشتاء، وقف تحت حائط دار معشوقته حتى الصباح في انتظارها، وكانت تمطر ثلجاً طوال الليل، ولما أذن للصلاة ظن أنه أذان العشاء، فلما طلع النهار أدرك أنه قد ظل طوال الليل مستغرقاً في حال معشوقته، فقال لنفسه: أخذلك الله يا ابن المبارك إذ وقفت ليلة مباركة كهذه حتى الصباح على قدميك موافقة

لهواك، وإن قرأ الإمام سورة طويلة في الصلاة تجن. فتألم قلبه في الحال، وتاب^(٢٤٨) وانشغل بالعبادة إلى حد أن أمه دخلت عليه البستان ذات يوم، فرأته نائماً في ظل شجرة ورد، وقد أمسكت حية بغصن من النرجس في فمها، تذب به الذباب عنه.

وفي ذلك الوقت رحل عن مرو، وظل مدة في بغداد في صحبة المشايخ. ثم ذهب إلى مكة، ويعد أن جاورها مدة، عاد إلى مرو، فتولاه أهلها، وأعدوا له دروساً ومجالس، وفي ذلك الوقت، كان نصف أهل مرو يتبع الحديث، والنصف الآخر يهتم بعلم الفقه، كما هو الحال اليوم ويسمونه «رضى الفريقين»، بحكم أنه موافق لكل منهما، وكان الفريقان كلاهما يختصمان إليه، فأعد رباطين في ذلك المكان: أحدهما لأهل الحديث، والآخر لأهل الفقه^(٢٤٩). ثم مضى إلى الحجاز وجاورها.

يسروى: أن عبد الله بن المبارك كان يحج عاماً، ويزو عاماً، ويتاجر عاماً، وكان يفرق مكسبه على أصحابه، وكان يعطى الدرايش التمر، ويعد النوى، ومن كان يأكل أكثر، كان يمنحه درهماً مقابل كل نواة.

يسروى: أن عبد الله بن المبارك رافق خسيماً ذات مرة، ولما انفصل عنه، بكى عبدالله، قالوا: لماذا تبكي؟ قال: مضى ذلك المسكين، ومضت معه كذلك تلك الطوية السيئة، وانفصل عنا، ولم تنفصل عنه.

يسروى: أنه كان يمضى في البادية ذات مرة، وكان قد ركب ناقه، فوصل إلى فقير، وقال: أيها الفقير، أنا غنى، وقد دعيت، فإلى أين تذهب أنت أيها الطفيلي قال الفقير: طالما كان المضيف كريماً، فإنه يفضل الطفيلي، وإن كان قد دعاك إلى بيته فقد دعاني إليه أيضاً بنفسه، قال عبدالله: إنه طلب منا نحن

الأغنياء القرض، فقال الفقير: إن كان يطلب منك القرض فمن أجلنا، فخجل عبدالله وقال: صدقت.

يروى: أن عبدالله بن المبارك وصل في التقوى إلى حد أنه كان قد نزل في منزل ذات مرة، وكان له جواد ثمين، وانشغل بالصلاة، فدخل الجواد مزرعة فتركه فيها ومشى على قدميه، وقال: إنه أكل زرع السلاطين، وذهب وذهب ذات مرة من مرو إلى الشام بسبب قلم - كان قد طلبه ولم يعده - وسلمه

ويروى: أن عبدالله بن المبارك كان يمر ذات يوم، فقالوا لصريز: إن عبد الله بن المبارك قادم، فاطلب كل ما يلزمك، فقال الفقير: قف يا عبدالله، فوقف عبدالله، وقال: ادع الحق (تعالى) أن يعيد لى بصري، فرفع عبدالله رأسه ودعا، فأبصر في الحال (٢٥٠).

يروى: أن عبدالله بن المبارك ذهب ذات يوم في العشرة الأوائل من أيام ذي الحجة إلى الصحراء، وكان يحترق رغبة في الحج، وقال: لو أننى لست هناك انحسر على ضياع هذه (الفرصة)، وأدى أعمالهم (المقصود الحجيج)، لأن من ينهمهم ولا يطلق شعره، أو يقص أظفاره، يكون له نصيب من ثواب الحجيج. وفي تلك الأثناء قدمت عجوز، محنية الظهر ممسكة بعصاة في يدها، وقالت: يا عبدالله، لملك ترغب في الحج، قال: بلى، فقالت: يا عبدالله قد أرسلت إليك، فاصطحبني حتى أوصلك إلى عرفات، فقال عبدالله: قلت لنفسى ما زالت هناك ثلاثة أيام أخرى كي توصلني من مرو إلى عرفات، فقالت العجوز: الشخص الذي يؤدي سنة صلاة الصبح في السجاب، وفريضتها على شاطئ جيحون، ناقص والضحي في مرو، كيف يمكن مرافقته؟ فقلت: بسم الله، ووضعت قدمي على الطريق، وعبرت عدة بحار شاسعة، يصعب عبورها بسفينة، كل بحر

كنت أصل إليه، كانت تقول لي: اغمض عينيك، ولما كنت أغمضها، كنت أرى نفسى فى وسط المياه، حتى أوصلتنى إلى عرفات، ولما أدينا الحج، وفرغنا من الطواف والسعى والعمرة، وطفنا طواف الوداع، قالت العجوز: تعال، فإن لى ابنا جلس يرتاض فى الغار زمنا - كى نراه، عندما ذهبنا إلى هناك، رأيت شابا، أصفر الوجه، وضعيفا ونورانيا، ولما رأى أمه جثا على قدميها ومسح وجهه فى قدمها، وقال: أعلم أنك لم تأت لكن الله قد أرسلك، إن وقت رحيلى قريب، وقد جئنى كى تعدينى. قالت العجوز: يا عبدالله، ابق هنا كى تدفنه، ثم توفى ذلك الشاب فى الحال، ودفناه. بعد ذلك قالت تلك العجوز: ليس لدى عمل قط، سأقيم على قبره حتى آخر العمر اذهب أنت يا عبدالله، وعندما تعود فى العام القادم، ولا ترانى، تذكرنى بالدعاء.

يروى: أن عبدالله كان فى الحرم، وكان قد فرغ من الحج ذلك العام فاستغرق فى النوم برهة، فرأى فى المنام أن ملكين هبطا من السماء، وسأل أحدهما الآخر: كم من الخلق جاء هذا العام؟ فقال: ستمائة ألف، قال: وكم شخص قبل حجه؟ قال: لم يقبل حج أى منهم، فقال عبد الله: عندما سمعت هذا، بدا على الاضطراب، فقلت: تجيء كل هذه الخلائق من أطراف الدنيا وأكنافها بكل هذه الآلام والمتاعب من كل فج عميق،^(٢٥١) وتقطع الفيافي، ويضيع كل هذا! فقال ذلك الملاك: فى دمشق إسكافى اسمه على بن الموفق، لم يأت للحج، لكن حجه مقبول، وغفر للجميع بسببه، وقد فعلوا كل هذا من أجله. ولما سمعت هذا، استيقظت من النوم، وقلت: ينبنى على الذهاب إلى دمشق، وزيارة ذلك الرجل، فذهبت إلى دمشق، وسألت عن دار ذلك الرجل، وناديت عليه، فخرج شخص،، قلت: ما اسمك؟ قال: على بن الموفق، قلت لى معك كلام، قال: قل، فقلت: أى عمل تعمل به؟ قال: إننى إسكافى، فقصصت

تلك الواقعة، قال: ما اسمك؟ قلت: عبدالله بن المبارك، فصاح صيحة، وهوى، وفقد وعيه، وعندما تاب إلى رشده، قلت: أخبرني بأمرك، قال: رغبت في الحج طيلة ثلاثين عاماً، وجمعت من الحياكة ثلاثمائة وخمسين درهماً، هذا العام، قصدت الذهاب إلى الحج، فقالت لى زوجتى التى كانت حاملاً - ولعل رائحة الطعام كانت تفوح من عند الجار؛ اذهب، واحضر قدرًا من ذلك الطعام، فذهبت إلى باب دار ذلك الجار، وأخبرته بتلك الحال، فأخذ الجار فى البكاء، وقال: اعلم أن أطفالى لم يكونوا قد أكلوا شيئاً قط طيلة ثلاثة أيام، واليوم رأيت حماراً ميتاً، فقطعت قطعة منه، وأعددت طعاماً لا يحل لكم، ولما سمعت هذا اشتعلت النار فى روجى، فحملت تلك الدراهم الثلاثمائة والخمسين، ومدحتها له، وقلت: انفق على الأطفال، فهذا هو حجى، قال عبدالله: صدق الملك فى الرؤيا، وصدق الملك فى الحكم والقضاء.

سروى: أنه كان لعبدالله غلام مكاتب، قال واحد لعبدالله: هذا الغلام يعمل نباشاً، ويمدحك الفضة، فحزن عبدالله، وأخذ يتعقبه ذات ليلة فذهب إلى القبور، وشق قبراً، كان فيه محراب، ووقف للصلاة: وكان عبدالله يراه من بعيد، فاقترب فى هدوء فرأى الغلام كان قد ارتدى المرقعة، ووضع جنزيراً على رقبته، وكان يمسح وجهه فى التراب، وكان يبكى منجذباً. عندما رأى عبدالله ذلك، انسحب فى هدوء، وبكى، وجلس فى زاوية، وظل الغلام هناك حتى الصباح، ثم عاد، وأخفى حافة القبر ودخل المسجد، وأدى صلاة الصبح، وقال: إلهى، طلع النهار، ويريد سيدى المجازى منى درهماً، أنت ثروة المفلسين، فاعطى من حيث تعلم، وفى الحال ظهر نور فى الهواء، وسقط درهم من الفضة على يد الغلام، فلم يطق عبدالله (ذلك) فهض واحتضن رأس الغلام وأخذ يقبله ويقول: لتفد ألف روح مثل ذلك الغلام، لقد كنت أنت السيد لا أنا، ولما رأى الغلام تلك الحال قال: يا إلهى طالما مزق حجابى وأفشى سرى، لم

تعد لي راحة في الدنيا، فبعمرتك لا تفقني، وأزهق روحي، وبيلما كانت رأسه في حضن عبدالله أسلم الروح، فأعد عبدالله أسباب تجهيزه وتكفينه، ودفنه بنفس المرقعة وفي نفس القبر، وفي الليلة نفسها، رأى في المنام سيد العالم إبراهيم الخليل (عليهما السلام) وقد جاء؟! وجلس كل واحد منهما على براق وقالوا: يا عبد الله لماذا دفنت حبيباً بالمرقعة؟

يسروى: أن عبدالله كان قد خرج ذات يوم مع كوكبة تامة من المجلس، وكان يمضى، فقال له طفل علوى: يا ابن الهندي ما هذا الشأن الذي تحقق لك؟ إننى ابن محمد (رسول الله)، أصنع العلم عدة أيام حتى أحصل على القوت، أما أنت فتسير مع مثل هذه الكوكبة، فقال عبدالله: إننى أفعل ذلك لأن جدك قد فعله وأمر به، وأنت لا تفعله، ويقال أيضاً: إنه قال هكذا: بلى يا ابن السيد كان لك أب، ولى أب، وكان أبوك المصطفى (صلى الله عليه وعلى آله وسلم)، ويقى عنه العلم ميراثاً، وكان والدى من أهل الدنيا، ويقيت عنه الدنيا ميراثاً، فأخذت ميراث والدي وصرت عزيزاً ببركته وأخذت ميراث والدي، وصرت ذليلاً به، وفي تلك الليلة رأى عبدالله الرسول (عليه السلام) في المنام غاضباً، فقال: يا رسول الله ما سبب غضبك، قال: بلى، فلتوضح المسألة لابننا، فاستيقظ عبدالله وعزم أن يطلب ابن العلوى، ويطلب المعذرة منه. وفي الليلة نفسها، رأى ابن العلوى الرسول (عليه الصلاة والسلام) في المنام، قال: إن كنت كما ينبغي، لما استطاع أن يقول لك ذلك، لما استيقظ العلوى، اعتزم التوجه لعبد الله ليعتذر له، فتقابلا في الطريق، وقصا الواقعة، وتابا.

يسروى: أن سهلاً بن عبدالله المروزي^(٢٥٢) كان يأتى كل يوم إلى (حلقة) درس - عبدالله، فخرج ذات يوم وقال: لن أجيء إلى درسيك ثانية، فقد اعتلت جواريك السطح ودعوتني إليهن، وقالت كل منهن: سهلى، لما لا تؤدبهن؟ قال عبدالله لأصحابه: استعدوا للصلاة على سهل، وفي الحال توفى سهل، وصلوا

عليه ثم قالوا كيف علمت يا شيخ؟ فقال: كانت تلك العور اللاتي تنادى عليه حور الخلد، ليست لدى جارية قط.

يسروى: أنه سئل ماذا رأيت من العجائب؟ قال: رأيت راهباً، أصابه الضعف من المجاهدة، وانحنى ظهره من خشية الله، سألته: ما الطريق إلى الله؟ قال: إن عرفته عرفت الطريق إليه^(٢٥٣). وقال: إننى أعبد الأصنام وأخشى ما لا أعرفه عنه، وأنت تعصى ما تعرفه، أى المعرفة تقتضى الخوف، ولا أراك خائفاً، والكفر يقتضى الجهل، وأرى نفسى ذائباً من الخوف، فصار قوله عظة لى، ومنعتى عن كثير مما لا يليق عمله.

يسروى: أن عبدالله بن المبارك قال: كنت فى غزو ذات مرة فى ناحية من بلاد الروم ورأيت فيها خلقاً كثيرين، قد تجمعوا، وسحبوا واحداً على عقابين، وقالوا: ليعاديك الصنم الأكبر إن قصرت مقال ذرة، وضربوه بشدة وقسوة، وتألّم ذلك المسكين كل الألم ولم يتأوه، فسألته: تتكبد كل هذه القسوة، ولا تتأوه ما السبب؟ قال: ارتكبت جرماً عظيماً، وفى ملتنا سنة وهى طالما لا ينطهر المرء من الأدران، لا يرد على لسانه اسم الصنم العظيم. الآن: إن تظهر الإسلام اعلم أننى قد وضعت اسم الصنم العظيم بين كفتى ميزان، وهذا جزاء ذلك. قال عبدالله: البارئ فى ملتنا من يعرفه لا يستطيع أن يذكره لأن من عرف الله كل لسانه.

يسروى: أن عبدالله كان قد ذهب للغزو ذات مرة، وكان يقاتل كافراً. وحل وقت الصلاة، فطلب مهلة من الكافر، وصلى، ولما حل وقت صلاة الكافر، طلب المهلة كى يصلى، وعندما اتجه إلى الصنم، قال عبدالله: انتصرت عليه هذه اللحظة، وذهب إليه مشهوراً سيفه كى يقتله، فسمع صوتاً: يا عبدالله أوفوا

بالعهد إن العهد كان مسلولاً، فبكى عبدالله، ورفع الكافر رأسه، فرأى عبدالله مشهوراً سيفه، وبأكياء، فقال: ما أصابك؟ قص عبدالله حاله وقال: هكذا عوتبت من أجلك، فصاح الكافر صيحة وقال: جبان من يعصى مثل ذلك الإله الذى يعاتب الحبيب من أجل العدو ويطغى عليه، وأسلم فى الحال، وصار عزيزاً فى طريق الدين.

يسررى: أن عبدالله قال: رأيت فى مكة شاباً جميلاً قصد الذهاب إلى الكعبة، وفجأة فقد وعيه، وسقط، فتقدمت إليه وهو ينطق بالشهادة، وقلت: أيها الشاب ما أصابك؟ فقال: كنت راهباً، وأردت أن ألقى بنفسى فى الكعبة تلبساً، كى أرى جمالها، فهتف هاتف: «تدخل بيت الحبيب وفى قلبك معادة الحبيب».

يسررى: أن عبدالله كان يسير فى سوق نيسابور فى شتاء بارد، فرأى غلاماً يرتدى قميصاً فقط، وكان يرتجف من البرد، قال: لماذا لا تطلب من سيدك أن يعد لك جبة! قال: ما أقول؟ فهو يعلم ويرى بنفسه، طاب الوقت لعبدالله، فصاح صيحة وخزفاً فى الوعي، ثم قال: تعلموا الطريقة من هذا الغلام.

يسررى: أن مصيبة حلت بعبدالله ذات مرة، فذهب الخلق لمواساته، وذهب مجوسياً أيضاً، وقال لعبدالله: العاقل من عندما تحل به مصيبة يفعل فى اليوم الأول لها ما سيفعله بعد ثلاثة أيام، فقال عبدالله: اكتبوا هذا الكلام، إنه الحكمة.

يسررى: أن عبدالله سئل أى خصلة أنفع للآدمى؟ قال: العقل الوافر، قيل إن لم يكن، قال: حسن الأدب، قيل إن لم يكن، قال: أخ مشفق يتشاور معه، قيل إن لم يكن، قال الصمت الدائم، قيل: إن لم يكن، قال: الموت فى الحال.

يسروى: أن عبدالله قال: من يستسهل طريق الأدب يظهر الخلل في السنن ومن يستسهل السنن، تحرمه من الفرائض، ومن يستسهل الفرائض تحرمه من المعرفة ومن يحرم من المعرفة تخيل كيف يكون حاله!؟

وقال: طالما تكون منزلة فقراء الدنيا هكذا، فكيف تكون منزلة فقراء الآخرة؟

وقال: لا تسكن قلوب أحبة الحق قط، أى أنها تطلب دائماً من يثبت في إظهار مقامه.

وقال: نحن أحوج إلى قليل من الأدب أكثر من كثرة العلم.

وقال: تطلب الأدب الآن، وقد مضى الرجال المتأدبون.

وقال: كثيراً ما تحدث الناس في الأدب والأدب بالنسبة لى هو معرفة النفس.

وقال: السخاء بما فى يد الناس أفضل من بذل ما فى يدك.

وقال: من يقرض الله درهماً أحب إلى من أن يتصدق بمائة ألف، ومن يأخذ شيئاً حراماً لا يكون متوكلاً.

وقال: ليس التوكل أن ترى نفسك متوكلاً، لكن التوكل هو أن يعلم الله عندك التوكل.

وقال: لا يمنع الكسب عن التفويض والتوكل إن لم يكن عادتين فى الكسب.

وقال: إن اكتسب شخص بالقوة، يجوز له أن ينفق إن مرض، وأن يكون له كفن من ماله إن مات.

وقال: تافه ذلك الإنسان الذي لم يحتمل نل الكسب.

وقال: مروءة الرضا أفضل من مروءة العطاء.

وقال: يتسارى عند الله زهد الآمن ومحبة الفقير.

وقال: من لم يذوق طعم العبودية لم يتمتع بذوق قط.

وقال: الشخص الذي يحظى بعيال وأبناء، ويرعاهم في الصلاح، ويستيقظ من النوم ليلاً، فيرى الأطفال عرايا، ويلقى عليهم ثياباً، كان عمله أفضل من الغزو.

وقال: من كان قدره أعظم لدى الخلق يجب أن يرى نفسه أحقر.

وقالوا: ما دواء القلب؟ قال: البعد عن الناس.

وقال: من التواضع أن تتكبر مع الأغنياء وتتواضع مع الفقراء.

وقال: التواضع هو أن تتكبر على من هو أسمى منك في الدنيا، وتتواضع مع من هو أقل.

وقال: الرجاء الحقيقي هو ما يظهر من الخوف، والخوف الحقيقي ما يظهر من صدق الأعمال، وصدق الأعمال يتأتى من التصديق، وكل رجاء لا يتقدمه خوف سرعان ما يطمئن صاحبه، ويجعله يسكن.

وقال: ما يجعل الخوف يستقر في القلب، دوام المراقبة في السر والعلانية.

يسروى: أن حديث الغيبة كان يجري أمامه، فقال: إن اغتبت أغتاب أسمى وأبى فهما أولى بالإحسان.

يسروى: أن شاباً جاء ذات يوم، ووقف على باب عبدالله، ويكى منتحباً، وقال: لقد ارتكبت ذنباً لا أستطيع ذكره من الخجل، قال عبدالله: قل: ماذا فعلت؟ قال: زنييت، قال عبدالله: خفت، ربما كنت قد اغتبت.

وقال رجل: إن عبدالله وعظني وقال: احفظ الله، قلت: ما تفسير هذا؟ قال: كن دائماً كأنك ترى الله.

يسروى: أن عبدالله وهب كل ماله للدرأويش وهو على قيد الحياة، وجاءه صيف ذات مرة، وقد انفق كل ما يملك، فقال: الصيوف رسل الرحمن، فعادته امرأته، قال: المرأة التي تخالفني في هذا الأمر، لا يجوز بقاؤها، وطلقتها. هكذا أراد الله (تعالى): أن جاءت إلى مجلسه فتاة من أبناء السادة، وطاب لها قوله ذهب إلى الدار، وطلبت من والدها، أن يزوجه إياها، فمنحها خمسين ألف دينار، وزوجها له، فرأى في المنام، طلقت زوجتك من أجلنا، وها هو العوض، حتى تعلم أنه لا يضر شخص معنا.

ولما اقترب وقت وفاته، أعطى كل ماله للدرأويش، فاقترب مريد من فراشه وقال: أيها الشيخ، لديك ثلاث بنات، وأنت تودع الدنيا فاترك لهم شيئاً، ماذا أعددت لهم؟ قال: قد قلت: «هو يتولى الصالحين، والشخص الذى يتولى هو أمره أفضل من أن يتولاه عبدالله بن المبارك، ثم فتح عينيه عند الموت، وكان يبتسم ويقول: «لمثل هذا فليعمل العاملون».

رأوا سفيان الثوري في المنام، فقالوا: ما فعل الله بك؟ قال: رحمني، قالوا: وما حال عبدالله بن المبارك، قال: هو من الجمع الذى يذهب إلى الحضرة مرتين في اليوم (رحمة الله عليه).

ذكر سفيان الثوري (٢٥٤) (قدس الله روحه)

هو تاج الدين والديانة، وشمع الزهد والهداية، هو شيخ العلماء ومكلمهم، هو صاحب حضرة القدماء، وقطب الحركة الدائرية، هو إمام العالم سفيان الثوري (رحمة الله عليه).

كان من كبار رجال الدين، وكانوا يقولون له أمير المؤمنين، ولم يتول خلافة قط واقتدى بالحق، وكان صاحب قبول، ولا نظير له في علم الظاهر والباطن وكان من المجتهدين الخمسة، وكان قد وصل إلى منتهى التقوى، وحاز غاية الأدب والتواضع وكان قد رأى كثيراً من المشايخ الكبار، ولم يراجع ذرة عما كان عليه منذ بداية أمره وحتى نهايته.

كما يروى أن إبراهيم دعاه (قائلاً): تعال، حتى نستمع إلى الحديث، فجاء في الحال، فقال إبراهيم كان يجب على أن أختبر خلقه.

وكان قد ولد لأم ورعة. وكما يروى أن والدته كانت قد اعتلت سطح المنزل ذات يوم وتناوت قطعة مخال من سطح الجار، فضرب برأسه على بطن أمه لدرجة أنها فكرت في الذهاب (للجار) وطلب الحل.

وكانت بداية أمره: أنه دخل بقدمه اليسرى ذات يوم في المسجد غافلاً فسمع صوتاً: أيها الثور، ولذلك سمي بالثوري. عندما سمع ذلك الصوت، فقد

صوابه، ولما تاب إلى رشده أمسك بمحاسنه، وكان يلطم وجهه ويقول: طالما لم تكن تضع قدمك بأدب في المسجد فإن اسمك قد محى من صحيفة الإنسان، فانتبه على أى نحو تخطر.

يروى: أنه وضع قدمه فى مرعى، فنادى صوت يا ثور، انظر أى اهتمام تبديه بشخص لا يستطيع أن يخطر خطرة مخالفاً للسنة، طالما حاز هذا القدر فى الظاهر فمن يستطيع أن يقول كلامه الباطن. ولم ينم الليل قط طوال عشرين عاماً.

يروى: أنه قال: لم أسمع شيئاً من حديث النبى ﷺ قط إلا وعملت به وكان يقول: يا أصحاب الحديث. أدوا زكاة الحديث، قيل: وما زكاة الحديث؟ قال أن تعملوا بخمسة أحاديث من كل عشرين حديثاً.

يروى: أن خليفة عهده كان يؤمه فى الصلاة، وكان يحرك محاسنه أثناءها فقال سفيان: إن مثل هذه الصلاة ليست بصلاة، وستضرب بها يوم القيامة على وجهك كخرقة قذرة. قال الخليفة: تمهل فى القول، قال: لو أننى تخليت عن مثل هذه المهمة لصار بولى دماً فى الحال، فنقل قوله ذلك على قلب الخليفة، فأمر بأن ينصبوا مشنقة ويشنقوه كى لا يتجرأ على أحد ثانية، وفى اليوم الذى نصبوا فيه المشنقة: كان سفيان قد وضع رأسه إلى جانب شيخ ووضع قدميه تجاه سفيان بن عيينه (٢٥٥) واستخرق فى النوم. عرف هذان الشيخان هذا الحال، وقالوا لبعضهما البعض: لا نخبره بهذا فاستيقظ بنفسه وقال: ما الأمر؟ فقصا الحال، وكانا يبديان ضيقاً شديداً، قال سفيان ليست لى سيطرة على روحى، ولكن يجب على أن أؤدى حق أمور الدنيا، ثم اغرورقت عيناه وقال: يا إلهى، اقبضها قبضاً عظيماً، قال هذا الدعاء. بينما اعتلى الخليفة العرش، وكان أركان الدولة قد جلسوا على الجانبين، وقع زلزال فى القصر،

وانكب الخليفة وأركان الدولة على الأرض دفعة واحدة، وقال الشيخان: أذعاء بهذه الاستجابة وبهذه السرعة، قال سفيان: بلى، إننا لم نرق ماء وجهنا في هذه الحضرة.

يروى: أن خليفة آخر تولى الخلافة، وكان معتقداً في سفيان، وحدث أن مرض سفيان، وكان للخليفة طبيب مسيحي ماهر جداً وحاذق، فأرسله إلى سفيان ليعالجه وعندما رأى قارورته (بوله) قال: هذا رجل أدمى كبده من خشية الله، وكان يتساقط قطعة قطعة من مئانته، ثم قال ذلك الطبيب المسيحي: الدين الذي يكون عليه رجل كهذا، لا يكون باطلاً، وأسلم في الحال. قال الخليفة: ظننت أنى أرسل طبيباً إلى فراش مريض لكنى أرسلت مريضاً إلى طبيب (٢٥٦).

يروى: أن ظهر سفيان كان قد احدودب في شبابه، فقيل: يا إمام المسلمين لم يحن الوقت لهذا بعد. فلم يجب لأنه لم يكن يتبع الخلق في ذكر الحق، حتى ألحوا عليه يوماً، فقال: كان لى أستاذ، وكان رجلاً طاعناً في السن، وكنت أتعلم العلم منه، ولما انتهى عمره، وغاصت سفينة عمره في دوامة الأجل، كنت قد جلست على فراشه، ففتح عينيه فجأة وقال لى: يا سفيان، أنرى ما يفعل معنا؟ نرشد الخلق للطريق المستقيم طيلة خمسين عاماً، وندعو إلى حضرة الحق، والآن أطرد، ويقال لى: اذهب فإنك لا تليق بنا.

ويقال إنه قال: التحقت بخدمة ثلاثة من الأساتذة، وتعلمت العلم، وانتهى أمر أحدهم باليهود، ومات على ذلك، وتمجس الثانى، وتنصر الثالث، فتخبط ظهري خشية ذلك وانكسر.

يروى: أن رجلاً أرسل إليه كيسين من الذهب، وقال: خذهما، فقد كان أبى صاحبك ومريدك، وهى حلال أحضرتها لك من ميراثه، فأعطاهما لابنه

وأعادها، وقال: قل له إن محبتي لوالدك كانت من أجل الله. قال ابن سفيان: عندما رجعت قلت: يا والدي ربما أن قلبك من حجر، ألا ترى أن لي عيالاً، ولا أملك شيئاً، فترحمني.. قال سفيان: أي بني، ينبغي عليك أن تأكل، وأنا لا أبيع محبة الله بمحبة الدنيا، فأصبح عاجزاً يوم القيامة.

يروى: أن هدية أحضرت إلى سفيان، ولم يقبلها، وقال لصاحبها لم أسمع منك حديثاً قط، قال سفيان: قد سمع أخوك، وأخشى أن يكون قلبي أكثر شفقة عليه من الآخرين بسبب مالك فتكون هذه رغبة. ولم يكن يأخذ شيئاً من شخص قط، وكان يقول: إن كنت أعرف أنني لن أتخلف لكنت آخذ. وكان يمر ذات يوم مع رجل على باب قصر أحد السادة فنظر ذلك الرجل على ذلك الإيوان، فنهاه وقال له: لو لم تكن تنظر إلى ذلك المكان لما كانوا يسرفون كل هذا الإسراف، ومن ثم عندما تنظرون تشاركون في مظلمة هذا الإسراف.

وتوفى له جار، فذهب إلى جنازته، فسمع بعد ذلك: أن الناس يقولون: إنه كان رجلاً طيباً، قال سفيان: لو أكن أعرف أن الخلق يرضون عنه، لما كنت أذهب لجنازته لأنه إن لم يكن رجلاً منافقاً لما رضى الخلق عنه.

وأثر عن سفيان أنه عندما كان يجلس في المقصورة، أعدت مجرة مملوءة بالعود من مال السلطان، ففر من هناك كي لا يشم تلك الرائحة، ولم يجلس هناك ثانية.

يروى: أنه كان قد لبس لباساً مقلوباً ذات يوم، فطلبوا منه أن يعدلها، فلم يفعل وقال: كنت قد لبست هذا القميص من أجل الله ولا أريد أن أعد له من أجل الخلق، وتركه على ما هو عليه.

يروى: أن الحج كان قد فات شاباً، فتأوه. قال سفيان: أمنحك أربعين حجة إن كنت تهبني هذه الآمه فقال: وهبتها لك، فرأى تلك الليلة في المنام أن قيل له: ريحت ريحاً إن قسمته على أهل عرفات كلهم، لصاروا أغنياء.

يروى: أنه دخل حماماً يوماً، ودخل غلام أمرد، فقال أخرجوه، فإن مع كل امرأة شيطان، ومع كل أمرد ثمانية عشر من الشياطين يزينه في عيون الرجال.

يروى: أنه كان يأكل خبزاً ذات يوم، وكان هناك كلب، كان يعطيه (من الخبز)، فقيل له: لماذا لم تأكل مع زوجك وأولادك؟ قال: إن أعطيت الخبز لكلب فإنه يحرسني حتى النهار كي أصلي، وإن أعطيته لزوجتي وأولادي أعاقوني عن الطاعة. وقال لأصحابه يوماً: حلوا الطعام ومره يصل من الشفاة إلى الحلق ليس أكثر، فاصبروا إن لم يكن حلواً أو مرأ حتى يستوى لديكم الحلو والمر، فالشيء الذي يمر بهذه السرعة يمكن الصبر بدونه وكما يروى الفقراء عن عظمتهم: إن الفقراء كانوا يشبهون الأمراء في مجلسه.

يروى: أنه كان يمضى إلى مكة على محمل ذات مرة وكان معه رفيق، وكان يبكي طوال الطريق، فقال له رفيقه: أتبكي خشية ذنب؟ فمد سفيان يده، وحمل ورقة شجر يابسة وقال: الذنوب كثيرة، لكن ذنوبى لا تساوى شيئاً بالقياس إلى هذه الورقة، لكنى أخشى الإيمان الذى أمنتته أهو إيمان أم لا!

وقال: شغل الآخرون بالعبادة، فأثمرت لهم الحكمة.

وقال: البكاء عشرة أجزاء: تسعة منها الرياء، وواحد لله، إن سقطت قطرة من العين كل عام من ذلك الجزء الذى لله. تكون غزيرة.

وقال: إن جلس كثير من الخلق فى مكان، ونادى شخص: من يعلم أنه سيعيش اليوم حتى الليل فلينهض، فلم ينهض أحد، والعجب: هو إن قيل للخلق جميعاً: من استعد منكم للموت ذلك الأمر المقدر للجميع فلينهض، فلن ينهض أحد.

وقال: التقوى في العمل أشد من العمل. وكثيراً ما يعمل المرء طيباً حتى يكتب في ديوان العلانية، ثم يفتخر بذلك كثيراً ويظل يردده حتى يكتب في ديوان الرياء.

وقال: عندما يطوف الفقير حول الغنى اعلم أنه مرء، وعندما يدور حول السلطان اعلم أنه لص.

وقال: الزاهد من يخرج زهده في الدنيا إلى حيز الفعل، والمتزهده من كان زهده باللسان.

وقال: ليس الزهد في الدنيا لبس المرقعة ولا أكل الشعير، لكنه استغناء القلب عن الدنيا وقصر الأمل.

وقال: إن اتجهت إلى الله وأنت كثير الذنوب فالذنب الذي يكون بينك وبين الله أسهل من ذنب يكون بينك وبين عبده.

وقال: هذا هو الزمان الذي تصمت فيه وتنتحي جانباً، زمان السكوت ولزوم البيت.

قال له شخص: أجلس في زاوية للكسب فما تقول في ذلك؟ قال: إخش الله فأننى لم أرَ خائفاً قط احتاج إلى الكسب.

وقال: لا أعرف شيئاً أطيب للإنسان من مهرب يهرب إليه ويختبئ فيه فقد كره السلف أن يلبسوا لباس الشهرة قديماً كان أو جديداً بل أنهم وكما ينبغي لا يتحدثون عنها وهذا هو النهى عن الشهرتين،

وقال: لا أعرف شيئاً قط أسلم لأهل هذا الزمان من النوم

وقال: أفضل السلاطين من يجالس أهل العلم، ويتعلم منهم العلم، وأسوأ العلماء من يجالس السلاطين.

وقال: أول العبادة الخلوّة ثم طلب العلم ثم العمل به ثم نشره.

وقال: لم أتواضع لأحد قط قبل أن أرى له كلمة من الحكمة.

وقال: تمسك بالدنيا من أجل الجسد وبالأخرة من أجل القلب.

وقال: إن كان للذنب كيد، فلم ينج شخص قط من كيده ومن يفضل نفسه

على غيره متكبر.

وقال: أعزاء الخلق خمسة: عالم زاهد، وفقه صوفى، وغنى متواضع،

وفقير شاكراً، وشريف سني.

وقال: من لا يخشع في صلاته، لا تصلح له صلاة.

وقال: من يتصدق من الحرام ويفعل خيراً يكون كشخص يغسل ثياباً قذرة

بالدم أو البول، فتصبح أكثر قذاراً.

وقال: الرضا قبول المقدر بالشكر.

وقال: يحمد خلق المرء الحسن غضب الله.

وقال: اليقين هو ألا تتهم الله فيما يحل بك.

وقال: سبحان الله الذي يقبض أرواحنا، ويأخذ أموالنا، ومع هذا نفضله

عليهما.

وقال: من أخذه بالمحبة لا يأخذه بالعداء.

وقال: التنفس حرام في المشاهدة، وحرام في المكاشفة وحرام في المعاينة

وحلال في الخطرات.

وقال: إن قال لك شخص: «نعم الرجل أنت»، وسرك هذا أكثر من يقال لك

«بئس الرجل أنت»، فاعلم أنك ما زلت رجلاً سيئاً.

وسئل عن اليقين . فقال: هو فعل في القلب كلما صحت معرفته ثبت يقينه .
واليقين هو أن تعلم أن كل شيء يحل بك هو من الحق ، بحيث تكون على نحو
يتحقق لك الوعد فيه عياناً بل أكثر من العيان أى يكون حاضراً بل أكثر من هذا .

سئل عن قول الرسول (ﷺ): إن الله يكره أهل دار تؤكل فيه اللحوم بكثرة،
فقال: قاله عن أهل النبية الذين يأكلون لحوم المسلمين

يروى: أنه قال لحاتم الأصم: أقول لك أربعة أقوال من أربعين:

أولاً: أن ملامة الناس من الجهل بالقضاء والجهل بالقضاء كفر.

ثانياً: حسد أخوة المسلمين من الجهل بالقسمة والجهل بالقسمة من الكفر.

ثالثاً: المال الحرام وشبهه جمعه من الجهل بحساب القيامة والجهل بالحساب
من الكفر.

رابعاً: الاطمئنان إلى وعيد الحق واليأس من وعده والجهل بهما كفر..

يروى: أنه عندما كان يسافر أحد تلاميذ سفيان، كان يقول له: إن رأيت
الموت في مكان اشتريه لى وعندما اقترب أجله، بكى وقال: رغبت الموت والآن
الموت صعب، ليته كان يشبه كل الأسفار التي كانت تستقيم بالعصا والركوة
ولكن القدر على الله شديد، وكلما كان يسمع حديث عن الموت وسطوته كان
يفنى عن نفسه عدة أيام وكان يقول لكل من يصادفه: «استعد للموت قبل
نزوله، ويقدر ما كان يخاف الموت كان يطلبه وحين كان أصحابه يقولون له:
لتطب في الجنة. كان يهز رأسه قائلاً: ما تقولون لا تصل الجنة إلى قط، أو
تمنح لشخص مثلى. ثم كان مرضه في البصرة، وأراد أمير البصرة أن يمنحه
ثياباً، فطلبوه، وكان فى الاصطبل وقد أصابه ألم فى معدته لكنه لم يقعد لحظة
عن العبادة، وحسبوا فى تلك الليلة ستين مرة كان قد اغتسل فيها، ولم يكذب

يفرضاً ويصلي، حتى كانت تعاوده الحاجة، فقيل له: لا تتوصاً ثانية، قال: أريد أن أكون طاهراً حين يدخل عذرائيل لا نجساً فإن النجس لا يستطيع أن يتجه إلى الحضرة (٢٥٧).

قال عبد الله بن المهدي (٢٥٨): قال سفيان: صنع وجهي على الأرض فإن أجلي قد اقترب، فوضعت وجهه على الأرض.. وخرجت لأخبر الجميع، ولما عدت، كان كل الأصحاب حاضرين فقلت: من أخبركم؟ قالوا: رأينا في المنام أن احضروا جنازة سفيان (٢٥٩). دخل الناس، وضاق به الحال فمد يده، وأخرج كيساً به ألف دينار، وقال: تصدقوا، قالوا: سبحان الله، كان سفيان دائماً يقول: إنه لا يحب التمسك بالدنيا، وامتلاك كل هذا الذهب! فقال سفيان: كان هذا حارساً لديني، واستطعت أن أحافظ به على ديني فلم يتملط إبليس على بسببه، فإن كان يقول لي: ما تأكل اليوم؟ وما تلبس؟ أقول: ها هو الذهب. وإن كان يقول: إنك لا تملك الكفن أقول: ها هو الذهب، وكنت أدفع وسواسه عني، مع أنني لم أكن في حاجة إلى ذلك ثم نطق كلمة الشهادة، وأسلم الروح.

ويقال: كان له مورث في بخارى، ومات، فحفظ علماء بخارى ذلك المال، وأخبروا سفيان، فاتجه إلى بخارى، فاستقبله أهل بخارى على شاطئ الماء، وحملوه إلى بخارى في إعزاز تام، وكان يبلغ من العمر ثمانية عشر عاماً، وأعطوه ذلك الذهب، فكان يحفظه، لأنه لا ينبغي عليه أن يطلب شيئاً من شخص قط حتى أيقن أنه سوف يموت، فتصدق به.

وفي تلك الليلة التي توفي فيها: سمع صوت «مات الورع مات الورع». ثم رآه في المنام، فقالوا: كيف صبرت على وحشة القبر وظلامه؟ فقال: قبري روضة من رياض الجنة.

رآه آخر في المنام فقال: ما فعل الله بك؟ قال: وضعت قدماً على الصراط

والأخرى في الجنة.

ورآه آخر في المنام كان يطير من شجرة إلى شجرة في الجنة، فسأله: بما نلت هذا؟ قال: بالورع.

يروى: أنه بسبب شفقتة على خلق الله رأى ذات يوم في السوق طائراً في قفص كان يصيح وينخبط، فاشتراه، وحرره. فكان الطائر يأتي كل ليلة إلى دار سفيان، وكان سفيان يصلي طوال الليل، وكان ذلك الطير يشاهده، وأحياناً كان يحط عليه. وعندما دفن سفيان كان ذلك الطائر يرفرف على جنازته ويصيح. وكان الخلق ينتحبون، ولما دفن الشيخ كان الطير يضرب بنفسه على الأرض. فصدر صوت من القبر رحم الحق • (تعالى) سفيان لشفقتة على الخلق.

ومات ذلك الطير أيضاً وأدرك سفيان (رحمة الله عليه).

«ذكر شقيق البلخي^(٢٦٠) (رحمة الله عليه)»

هو متوكل الأبرار، والمتصرف في الأسرار، هو ركن المحترم، وقبلة المحتشم هو شجاع أهل الطريق، أبو على شقيق (رحمة الله عليه).

كان فريد زمانه، وشيخ وقته، وله في الزهد والعبادة قدم راسخة، وأمضى عمره كله في التوكل، وكان كاملاً في أنواع العلوم، وله تصانيف كثيرة في فنون العلم، وكان أستاذاً حاتم الأصم، وكان قد سلك الطريق على يد إبراهيم بن أدهم^(٢٦١) وكان قد صاحب كثيراً من المشايخ. وقال: تعلمت على يد ألف وسبعمئة أستاذ، وحصلت عدة أحمال بعير من الكتب. وقال: طريق الله في أربعة أشياء: الأول: الأمن في الرزق، والثاني: الإخلاص في العمل، والثالث: عدوة الشيطان، والرابع: الاستعداد للموت.

وكان سبب تويته أنه مضى إلى بلاد الترك في تجارة، وذهب لمشاهدة معبد أصنام، فرأى عابداً للأصنام، كان يعبد صنماً وينتخب. قال له سفيان: لك خالق حي وقادر وعالم، فاعبده، واستح ولا تعبد صنماً، لا يتأتى منه خير قط أو شر فقال عابد الأصنام: لو أنه كما تقول، أليس قادراً على أن يرزقك في بلدك، فلا ينبغي عليك أن تأتي إلى هنا، فتعبد شقيق لهذا الكلام^(٢٦٢).

وانته إلى بلخ، فقابلته مجوسى، قال له: فيما تعمل؟ قال: فى التجارة قال: إن سعيت وراء رزق لم يقدر لك لن تدركه إلى يوم القيامة وإذا لم تسع وراء رزق قدر لك فإنه يصل إليك. عندما سمع شقيق هذا الكلام، انتبه، وفكرت الدنيا على قلبه ثم اتجه إلى بلخ، فاجتمعت حوله جماعة من الأصحاب، وكان فى ريعان شبابه، وكان على بن عيسى بن همام أميراً لبلخ، وكان يملك كلاب صيد، فقد له واحد منها فقيل له إنه عند جار شقيق، فقبض على ذلك الشخص على أنه قد أخذه، ثم عذب ذلك الجار، فلجأ إلى شقيق، فذهب شقيق إلى الأمير، وقال: سأحضر لك الكلب بعد ثلاثة أيام، فأخلى الأمير سبيله، وبعد ثلاثة أيام كان شخص قد وجد ذلك الكلب، فأخذه، وفكر فى أنه ينبغي عليه أن يحمله إلى شقيق، فهو كريم وقد يمنحه شيئاً ومن ثم حمله إلى شقيق، فحمله شقيق إلى الأمير، وتحلل من العهد، وهنا عقد العزم، واعرض عن الدنيا كلية^(٢١٣).

يسرورى: أن قحطاً شديداً حل ببلخ، إلى درجة أنهم كانوا يأكلون بعضهم البعض. رأى شقيق فى السوق غلاماً مسروراً ضاحكاً فقال: أيها الغلام، أى مجال للسرور! ألا ترى كيف حال الخلق بسبب الجوع؟ قال: الغلام: أى خوف لى (من ذلك) إننى عبد لشخص لديه قرية خاصة به، ومقدار من الغلال يؤمننى من الجوع. غادر شقيق المكان، وقال: إلهى هكذا سعد هذا الغلام بسيدته الذى كان قد خزّن وأنت مالك الملوك، ومقدر الأرزاق، فلماذا نحزن؟ وفى الحال رجع عن الانشغال بالدنيا، وتاب توبة نصوحة، واتجه إلى طريق الحق، ووصل فى التوكل إلى حد الكمال، وكان يقول دائماً. أنا تلميذ غلام^(٢١٤).

يسرورى: أن حاتم الأصم قال: ذهبت مع شقيق إلى الغزو، وكان يوماً عصبياً، فقد كانوا يتقاتلون فيه إلى حد أنه كان لا يمكن رؤية سوى رؤوس

الحراب، وكانت السهام تقصف من الهواء، فقال لى شقيق: بما تشعر يا حاتم؟ لعلك تفكر فى البارحة التى زفت إليك امرأتك فيها قلت: لا، فقال: بالله أجد نفسى كما لو أننى كنت بالأمس فى الليلة التى زفت لى فيها امرأتى، ثم أقبل الليل، فنام، وجعل الخرقه وسادة واستغرق فى النوم، وهكذا استغرق فى النوم وسط الأعداء باعتماده على الله. (٢٦٥)

يروى: أن شقيق كان يعقد مجلساً ذات يوم، وذاع فى المدينة أن جاء الكفار، فخرج شقيق مسرعاً، وهزم الكفار، وعاد. فوضع مرید عدة وردات على سجادة الشيخ، وكان يتشممها، رأى جاهل ذلك فقال: الجند على باب المدينة، والورد أمام إمام المسلمين يتشممه! فقال الشيخ: يرى المنافق شم الورد، ولا يرى هزيمة الجند قط.

يروى: أنه كان يمضى ذات يوم، فرآه غريب، فقال: يا شقيق، ألا تخجل أن تدعو الخاصة، وتقول مثل هذا الكلام: من يعبده ويؤمن به من أجل الرزق فهو عابد للنعمة فقال شقيق لأصحابه: اكتبوا هذا الكلام الذى يقوله، فقال الغريب: أ يكتب رجل مثلك قول رجل مثلى! قال: بلى إننا حين نجد الجواهر، نلتقطه وإن كان ملقى فى النجاسة ولا نخاف، فقال الغريب اشرح الإسلام، فدينك هو التواضع، وقبول الحق، قال: بلى، فقد قال الرسول (عليه السلام) «الحكمة ضالة المؤمن فاطلبها لو كانت عند الكافر».

يروى: أن شقيق كان يعظ فى مجلس فى سمرقند، فأتجه إلى القوم وقال: أيها القوم لو أنكم موتى فى القبور، أو أطفال فى المدارس، أو مجانين فى المستشفيات، أو كفار فى بلد كافر، أو عبيد، اثاروا للإسلام من أنفسكم، يا عباد المخلوق. فقال شخص لشقيق: يلومك الناس، ويقولون: إنك تأكل الخبز من كدهم، فتعال كى أقتص لك، فقال: إن لم يكن فيك خمسة عيوب، لكنت أفعل

ذلك، الأول: نقل خزائنك، والثاني: يسرقها اللص، والثالث: تندم عليها، والرابع: لا تباعد إن رأيت عيباً صدر مني، وتثار مني والخامس: يجوز أن يحين الأجل وأظل دون عدة، لكن لي رب برىء من كل العيوب ومنزه عنها. **يروى:** أن شخصاً قدم إليه، وقال: أريد أن أحج، فقال له: ماذا طريقك؟ قال: أربعة أشياء قال: ما هي؟ قال: لا أرى شخصاً قط أقرب إلى في رزقي عن نفسي، ولا شخصاً قط أبعد عن رزقه سوى، وأرى قضاء الله (تعالى) يأتي إلى حيثما كنت، كما أعلم في كل حال أكون فيه إن الله أعلم بحالي مني. فقال شقيق: أحسنت باركك الله.

يسروى: أن شقيق عندما قصد الكعبة، ووصل إلى بغداد، دعاه هارون الرشيد ولما ذهب شقيق إلى هارون، قال هارون: أنت شقيق الزاهد؟ قال: أنا شقيق، لكنني لست زاهداً، فقال هارون: عظني، قال له: احذر فقد أجلسك الحق تعالى مكان الصديق، ويطلب منك الصدق كما يطلبه منه، وأجلسك مكان الفاروق، ويريد منك أن تفرق بين الحق والباطل كما أراد منه، وأهلك محل ذي النورين^(٢٦٦) ويريد منك الحياء والكرم مثله، وأجلسك مكان المرتضى ويريد منك العلم والعدل مثله. قال: زدني، فقال: لله دار تسمى الجحيم، جعلك حارساً عليها، وأعطاك ثلاثة أشياء المال والسيف والسوط، وقال: احجب الخلق عن الجحيم بهذه الأشياء الثلاثة وكل محتاج يأتي إليك لا تضن عليه بالمال، ومن يخالف أمر الحق أدبه بهذا السوط، ومن يقتل شخصاً، اقتص منه بهذا السيف بالأمر، وإلا تكون قدوة أهل جهنم. قال هارون: زدني، قال: أنت الينبوع والعمال الجداول، فإن كان الينبوع صافياً، فلا يلحقه الضرر من تكدر الجداول وإن كان الينبوع كدراً، فلا أمل قط في صفاء الجداول. قال: زدني، قال: إن أصابك عطش في الصحراء، إلى حد أنك قاربت الهلاك، ووجدت

شربة ماء في تلك اللحظة، بكم تشربها؟ قال: بكل شيء، قال: وإن لم تبع إلا بنصف ملك، قال: أهبه، قال: وإذا لم تتبول ذلك الماء الذي شربته إلى حد أنك تخشى الهلاك، وقال واحد: أعالجك، على أن آخذ نصف ملكك، ما تفعل؟ قال: أهبه إياه، فقال إذن أى زهو بملك قيمته شربة ماء تشربها وتتبولها، فبكى هارون، وأعادته فى إعزاز تام.

ثم ذهب شقيق إلى مكة، وهناك تجمع الناس حوله، وقال: السعى وراء الرزق هنا جهل، والعمل من أجل الرزق حرام.

وصادفه إبراهيم بن أدهم، فقال له شقيق: يا إبراهيم، ماذا تفعل فى أمر معاشك؟ قال: إن يصلنى شيء أشكر، وإن لا يصلنى أصبر، فقال شقيق: هكذا تفعل كلاب بلخ فعندما يكون هناك شيء يرعونه يهزون ذبولهم، وإن لم يكن، يصبرون، فقال إبراهيم: وكيف تفعل أنت؟ قال: إن وصلنا شيء نؤثره، وإن لم يصلنا نشكره، فنهض إبراهيم، واحتوى رأسه، وقبلها، وقال: أنت الاستاذ والله. عندما عاد من مكة إلى بغداد، وعظ فى مجلس، وكان أغلب كلامه فى التوكل، وقال أثناء حديثه: نزلت فى البادية وكانت فى جيبى أربع قطع من الفضة، أحفظها، فنهض شاب وقال له: ألم يكن الله تعالى موجوداً عندما كنت تضع تلك العملات الأربع فى جيبك ولم تكن قد اعتمدت عليه فى ذلك الوقت؟! فتغير شقيق، وأقر بذلك، وقال: صدقت، وهبط من فوق المنبر.

يسروى: أن شيخاً قدم إليه، وقال: ارتكبت ذنوباً كثيرة، وأريد أن أتوب، فقال له: تأخرت، قال الشيخ: بل أسرعت، قال: كيف؟ قال: من جاء قبل الموت، يكون قد أسرع، فقال شقيق: أحسنت المجيء والقول.

وقال: رأيت فى المنام، أنهم قالوا: من يعتمد على الله، تزيد النية الحسنة رزقه، ويصبح سخيًا، ولا يكون له وسواس فى الطاعة.

وقال: من جزع في مصيبة كأنه قد أخذ حرية يقاتل بها.

وقال: أصل الطاعة الخوف والرجاء والمحبة.

وقال: علامة الخوف ترك المحارم، وعلامة الرجاء دوام الطاعة، وعلامة الشوق المحبة ولزوم الإنابة.

وقال: من لا يحظى بثلاثة أشياء، لا ينجو من الجحيم وهي: الأمن والخوف والإضطرار. (٢٦٧)

وقال: العبد الخائف من خاف مما مضى من الحياة وكيف مضى؟ والخوف لأنه لا يعلم ما سيكون بعد هذا.

وقال: العبادة عشرة أجزاء: تسعة منها الفرار من الخلق، والجزء الباقي الصمت.

وقال: هلاك الرجل في ثلاثة أشياء: أن يذنب على أمل التوبة، ولا يتوب على أمل طول الأمد، ويظل عاصياً على أمل الرحمة، ومثل ذلك الشخص لا يتوب أبداً.

وقال: يحيى الحق (تعالى) أهل طاعته عند الموت، ويميت أهل المعصية أثناء الحياة.

وقال: ثلاثة أشياء قرآن للفقراء هي: فراغة القلب، وخفة الحساب، وراحة النفس وثلاثة أشياء ملازمة للأغنياء هي: تعب الجسد، وانشغال القلب، وشدة الحساب.

وقال: يبغى الاستعداد للموت لأنه عندما يأتي لا يعود.

وقال: إن أحببت من تعطيه شيئاً أكثر ممن يعطيك فإنك محب للأخرة، وإلا فإنك محب للعالم. (٢٦٨)

وقال: ليس هناك شيء أحب إليّ من الضيف لأن رزقه ومؤنته على الله، وأنا لا شأن لي بينهما، ولي أجره وثوابه. (٢٦٩)

وقال: من وقع في ضيق بعد النعمة، ولم يكن الضيق أعظم بالنسبة له من النعمة الوفيرة فقد وقع في غميين عظيمين: غم في الدنيا، وغم في الآخرة، ومن وقع في ضيق وكان أعظم بالنسبة له من النعمة وقع في سعدين: سعد في الدنيا وآخر في الآخرة. (٢٧٠) قالوا: بما يعرف أن العبد واثق بربه ومعتمد عليه؟ قال: عندما يفوته شيئاً من الدنيا، يحسبه غنيمة.

وقال: إن أردت أن تعرف رجلاً، انظر أهو أكثر أمناً بوعده الله أم بوعده الخلق. (٢٧١).

وقال: يمكن معرفة التقوى بثلاثة أشياء: بالإرسال، والمنع والقول. الإرسال هو الدين أي أن ما أرسلته هو الدين، والمنع هو الدنيا أي أن المال الذي يمنح لك لا تأخذه لأنه الدنيا، والقول في الدين والدنيا، أي أنه يمكن التحدث عن كلا الدارين وقال: الحديث ديني ودنياوي. ومعنى آخر هو: ما أرسلته هو الدين، أي طاعة الأوامر، والمنع هو الدنيا أي تجنب النواهي، والقول هو: الإحاطة بالأمرين، لأنه بالقول يمكن العلم هل المرء في أمر الدين أم الدنيا؟.

وقال: سألت سبعمائة عالم عن خمسة أشياء: من العاقل؟ ومن الغني؟ ومن الذكي؟ ومن الفقير؟ ومن البخيل؟ فأجاب السبعمائة إجابة واحدة قالوها جميعاً: العاقل من لا يحب الدنيا، والذكي من لا يفتن بها، والغني من يرضى بقسمة الله، والفقير من لا يطلب الزيادة في قلبه، والبخيل من يمنع حق مال الله عن الله.

قال حاتم الأصم: طلبت منه وصية بشيء ينفع، فقال: إن أردت وصية عامة فاحفظ السان، ولا تتحدث قط حتى ترى ثواب ذلك القول في ميزانك، وإن أردت وصية خاصة فانظر حتى لا تتحدث لعك ترى نفسك تحترق إذا لم تتحدث والله أعلم.

ذكر الإمام أبي حنيفة (رضي الله عنه)

هو سراج الشرع والملة، وشمع الدين والدولة، هو نعمان الحقائق، ومجمع جواهر المعاني والحقائق، هو العارف العالم الصوفي، إمام العالم أبو حنيفة الكوفي (رضي الله عنه).

كيف يمكن وصف شخص كان قد مدح بكل الألسنة وقبل في كل الملل. ولا نهاية لرياضته ومجاهدته وخلوته ومشاهدته، وله في أصول الطريقة وفروع الشريعة درجة رفيعة ونظرة نافذة، وكان فريداً في الفراسة والسياسة والكياسة، وأعجوبة في المروءة والفتوة، وكان كريم الدنيا وجواد الزمان، وأفضل عهده، وأعلم وقته، وهو كان في الدرجة القصوى والرتبة العليا.

روى أنس عن الرسول (صلى الله عليه وعلى آله وسلم): يوجد رجل في أمتي، يقال له نعمان بن ثابت وكنيته أبو حنيفة هو سراج أمتي. ووردت صفة أبي حنيفة في التوراة.

وقال أبو يوسف (٢٧٣): ظللت تسعة عشر عاماً في خدمته، كان طوال هذه الأعوام يؤدي صلاة الصبح بطهارة صلاة العشاء.

قال مالك بن أنس: هكذا رأيت أبا حنيفة، إن ادعيت أمامه أن هذا الشيء عمود ذهبي كان يستطيع أن يقيم الدليل على ذلك.

قال الشافعي: إن جملة علماء العالم عيال أبي حنيفة في الفقه.

وقال علي بن أبي طالب (رضى الله عنه): سمعت النبي (صلى الله عليه وعلى آله وسلم) يقول: «طوبى لمن رآني أو رأى من رآني».

وكان قد أدرك العديد من الصحابة (مثل): عبد الله بن جزء الزبيدي، وأنس بن مالك، وجابر بن عبدالله، وعبدالله بن أبي أوفى، ووائل بن الأسقع، وعائشة بن عجرد. ومن ثم فهو مقدم لهذه الأسباب التي ذكرناها. وكان قد رأى كثيراً من المشايخ وصاحب الصادق (رضى الله عنه)، وكان أستاذ علم الفضيل، وإبراهيم بن أدهم، وبشر الحافي، وداود الطائي، وعبدالله بن المبارك. وحين وصل إلى حافة روضة سيد المرسلين (صلوات الله عليه)، وقال: «السلام عليك يا سيد المرسلين، جاء الجواب: «وعليك السلام يا إمام المسلمين»، واعتزم العزلة في أول أمره.

يروى: أن أبا حنيفة اتجه إلى القبلة الحقيقية، وأشاح بوجهه عن الخلق، وارتدى الصوف، حتى رأى في المنام ذات ليلة: أن عظام النبي (عليه السلام) كانت تدور في اللحد، وتختار بعضها البعض، فاستيقظ من الهيبة، وسأل واحداً من أصحاب ابن سيرين، فقال له: إنك سوف تحظى بدرجة عظيمة من علم الرسول (ﷺ) وحفظ سنته، بحيث إنك تجتهد فيه (العلم)، وتفصل الصحيح منه عن السقيم.

ورأى النبي (ﷺ) في المنام مرة أخرى، وقد قال له: يا أبا حنيفة، قد أنيط بك سبب إحياء سنتي، فلا تعتزل. وكان من بركات حيطته أن الخليفة أعد مجلساً ودعا الشعبي^(٢٧٤). الذي كان أستاذ أبي حنيفة. وكان قد أصبح شيخاً. إليه وأحضر علماء بغداد، وأصدر أمراً بأن تكتب ضياعاً باسم كل خادم، بعضها بالإقرار والبعض بالملك والبعض بالوقف. ثم أحضر الخادم ذلك

المكتوب للشعبي الذي كان قاضياً وقال: يأمر أمير المؤمنين بأن تشهد على هذا المكتوب، فرقع، ووقع جملة الفقهاء، ثم أحضرها إلى أبي حنيفة، وقالوا: يأمر أمير المؤمنين بأن تشهد، قال: وأين هو؟ قالوا: في القصر، قال ليأت أمير المؤمنين إلى هنا، أو أذهب إليه، حتى تصح الشهادة، فأغلظ له الخادم (قائلاً): لقد وقع القاضي والفقهاء والشيوخ، وأنت تتمنع في شبابك، فقال له أبو حنيفة: لها ما نسبت،^(٢٧٥) وصل هذا إلى سمع الخليفة، فأحضر الشعبي، وقال: هل الروية شرط في الشهادة أم لا؟ قال: بلى هي شرط، قال: فمتى رأيتني إذن حتى تكتب الشهادة؟

قال الشعبي: علمت بمعرفتك، لكني لا أستطيع أن أطلب مشاهدتك، قال الخليفة: هذا القول بعيد عن الحقيقة، وهذا الشاب أولى بالقضاء. وبعد ذلك فكر المنصور. وكان الخليفة آنذاك - أن يمنح القضاء إلى شخص، وتشاور على واحد من أربعة أشخاص كانوا فحول العلماء وتم الاتفاق على أن الأول هو: أبو حنيفة والثاني: سفيان، والثالث شريك^(٢٧٦) والرابع: مسعر بن كدام^(٢٧٧) فاستدعى الأربعة، وقال لهم أبو حنيفة في الطريق الذي سلوكه: أفكر لكل منكم، قالوا: لعلك تصيب!

قال: سأدفع القضاء عن نفسي بالحيلة، ويفر سفيان، ويدعى مسعر الجلون، ويصبح شريك القاضي، ومن ثم هرب سفيان في الطريق، واختفى في سفينة، وقال: خبسوني إنهم سوف يقطعون رأسي، تأويلاً لذلك الخبر الذي ذكره الرسول (ﷺ): «من جعل قاضى، فقد ذبح بغير سكين»، ثم أخفاه الملاح. وذهب هؤلاء الثلاثة إلى المنصور، وفي البداية، قال لأبي حنيفة: يجب أن تتولى القضاء، فقال: أيها الأمير، إنني لست من العرب، ولن يرضى سادات العرب بحكمي، وقال جعفر: هذا الأمر لا يتعلق بالنسب ويلزمه العلم، فقال

أبوحنيفة: إننى لا أليق بهذا العمل، ولا أستحقه لما سبق أن ذكرته فإن صدقت فأنا لا أليق به، وإن كذبت، فلا يليق الكاذب بقضاء المسلمين، وأنت خليفة الله لا تجيز أن تجعل خليفتك كاذباً، وتعتمد عليه فى دماء المسلمين وأموالهم قال هذا ونجا. ثم ذهب مسرعاً إلى الخليفة، وأمسك بيده، وقال: كيف حالك؟ وكيف حال الحرير؟ وكيف حال الأبناء؟ فقال المنصور: أخرجوه، إنه مجنون. ثم قال لشريك: يجب أن تتولى القضاء؟ فقال: إننى مختل، وضعيف العقل، قال المنصور: عالج نفسك، حتى يكمل عقلك، ثم ولوا شريك القضاء، فهجره أبو حنيفة، ولم يتحدث معه ثانية.

يروى: أن مجموعة من الأطفال كانوا يلعبون الكرة، فوفعت كرتهم وسط جمع أبى حنيفة فلم يذهب أى طفل ليخرجها، فقال طفل: أذهب أنا، وأحضرها، ثم دخل بجرأة وأخرجها. قال أبو حنيفة: هذا الطفل ليس ابن حلال، بحثوا الأمر، فكان كذلك. قالوا يا إمام المسلمين، بما عرفت؟ قال: إن كان ابن حلال، لمنعه الحياء.

يروى: أن مالا كان له عند شخص، وتوفى فى محلة ذلك الشخص تلميذ من تلاميذ الإمام، فذهب الإمام للصلاة عليه، وكان القبط شديداً، ولم يكن هناك ظل قط إلا حائطاً يملكه ذلك الرجل، الذى ينبغى عليه أن يرد المال للإمام. قال الناس: اجلس برهة فى هذا الظل، فقال: لى مال عند صاحب هذا الحائط، ولا يجوز أن أمتع بحائطه لأن الرسول (ﷺ) قال: «كل قرض جر منفعة فهو ربا».

يروى: أن أبا حنيفة سجن ذات مرة، فجاءه واحد من الظلمة وقال: إبرى لى القلم قال: لا أبرى ومهما قال: لم يجد قوله، فقال: لماذا لا تبريه؟ قال: أخشى أن أكون من أولئك القوم الذين قال عنهم الحق (تعالى): «أحشروا الذين ظلموا وأزواجهم» (٢٧٨).

وكان يصلي ثلاثمائة ركعة كل ليلة، وذات يوم كان يمضي، فقالت امرأة لامرأة: هذا الرجل يصلي كل ليلة خمسمائة ركعة، سمع الإمام ذلك، فعقد النية على أن يصلي بعد ذلك خمسمائة ركعة في كل ليلة، حتى يصدق ظنهم. وكان يمضي في يوم آخر، فقال الأطفال لبعضهم البعض: هذا الرجل الذي يسير يصلي كل ليلة ألف ركعة، قال أبو حنيفة: فدويت أن أصلي ألف ركعة. وذات يوم قال تلميذ للإمام: يقول الناس: إن أبا حنيفة لا ينام الليل، فقال: نويت ألا أنام الليل ثانية، قال: لماذا؟ قال: يقول الحق (تعالى): «ويحبون أن يحمدوا بما لم يفعلوا»^(٢٧٩) الآن لا أضع جانبي على الأرض حتى لا أكون من أولئك القوم، وبعد ذلك كان يؤدي صلاة الصبح بطهارة صلاة العشاء طيلة ثلاثين عاماً.

يروى: أن ركبته كانت قد شابته ركبة الجمل من كثرة السجود.

يروى: أن أبا حنيفة كان قد تواضع لغني لإيمانه، وقال: قد ختمت (القرآن) ألف مرة كفارة لذلك. وقالوا: أحياناً كان يختم (القرآن) أربعين مرة حتى تنكشف له مسألة صعبة.

يروى: أن محمد بن الحسن^(٢٨٠) (رحمة الله عليه) كان جميلاً جداً، رآه ذات مرة ولم يره مرة أخرى بعد ذلك، وعندما كان يلقي الدرس عليه، كان يجلسه خلف عمود خشبية أن تقع عينه عليه.

يروى: أن داود الطائي^(٢٨١) قال: ظللت عشرين عاماً عند الإمام أبي حنيفة، ولم أره طوال هذه المدة جلس عارى الرأس في الخلاء أو في الملاء، ولم يمد قدمه للراحة، فقلت له: يا إمام الدين، ما يحدث إن مددت قدمك في الخلوة؟ قال: أدب السماع أولى لله في الخلوة.

يسروى: أن أبا حنيفة كان يمضى ذات يوم، فرأى طفلاً كان قد وقع في الوحل فمال له: **كبر** لا تنزع، فقال: **أنهفل**: إن وقوى سهل فإن وقعت وقعت بمفردك، **أبى** احذر أنت فلو زلغت قدمك، زلف كل المسلمين الذين يتبعونك، ويصعدونهم فتهضهم فتعجب الإمام من حذاقة هذا الطفل، وبكى في أنحاله، وقال لأصحابه: احذروا. إن ظهر لكم شيء في مسألة، كان الدليل فيها أكثر وضوحاً أن تبمونى في ذلك. وهذا دليل كمال الانصاف. ولا جرم أن أبا يوسف ومحمد^(٢٨٢) (رحمهما الله) لهما أقوال كثيرة في مسائل مختلفة، ومع هذا قالوا: هكذا استقام سهم اجتهاده على هدف الجنان بحيث لم يمل، وكان اجتهاد الآخرين غباراً حول الهدف.

يسروى: أن رجلاً كان موسراً، وكان يكره أمير المؤمنين عثمان (رضى الله عنه) إلى حد أنه كان يسميه (اليهودى). وصل هذا الكلام إلى أبا حنيفة، فدعاه وقال: سأزوج ابنتك إلى فلان اليهودى، فقال: أنت إمام المسلمين، أتجيز أن تزوج ابنة مسلم ليهودى؛ وأنا لن أزوجها له قط. فقال أبو حنيفة: سبحان الله، لأنك لا تجيز زواج ابنتك ليهودى فكيف يجوز أن يزوج محمد (رسول الله) ابنتيه ليهودى، علم ذلك الرجل في الحال فحوى الكلام، ورجع عن اعتقاده، وناب ببركات الإمام أبا حنيفة.

يسروى: أن أبا حنيفة كان ذات يوم في حمام، فرأى واحداً دون إزار، قال البعض: إنه فاسق، وقال البعض: إنه دهرى، فاضمض أبو حنيفة عينيه، قال ذلك الرجل: أيها الإمام، متى سلبت نور العين؟ قال: حين رفعوا الستر عنك.

وقال: عندما تناظر قدرياً قل له قولين: إما أن يكفر أو يرتد عن مذهبه، لأن الله أراد أن يستقيم علمه فيهما، ويتساوى مع علمه. إن قال لا كان كافراً، لأنه عندما يقول: لم يرد أن يستقيم علمه ويتساوى العلم بالمعلوم، يكون هذا كافراً، وإن قال: أراد فقد سلم وضاق بمذهبه.

وقال: إنني لا أصلح (حال) البخيل، ولا أسمع شهادته فإن البخل يمنعه أن يستقصى، وهو يأخذ زيادة عن حقه.

يسروى: أنهم كانوا يشيرون مسجداً، وطلبوا شيئاً من أبي حنيفة على سبيل التبرك، فثقل ذلك على الإمام، قال الناس: غرضنا التبرك بما سيعطيه لنا، فأعطاهم كيس ذهب وهو مستاء جداً، قال التلاميذ: أيها الإمام، إنك كريم وعالم ولا مثيل لك في السخاء، فلما ثقل عليك منح هذا القدر من الذهب؟ قال: لا بسبب المال، ولكني أعلم يقيناً أن المال الحلال لا ينفق قط على الماء والطين، وأعلم أن مالي حلال، وعندما طلبوا مني شيئاً كرهت أن تظهر شبهة في مالي الحلال، ولهذا السبب كنت أتأذى جداً ولما انقضت عدة أيام، أعادوا إليه ذلك الكيس، وقالوا: إنه مبلغ نأفه، ففرح الإمام فرحاً عظيماً.

يسروى: أن أبا حنيفة كان يمضي في السوق، فنتايرت نقطة طين على رداءه، فذهب إلى شاطئ دجلة، وكان يغسلها، قالوا له: أيها الإمام، انك تسمح بمقدار معين من النجاسة على الرداء، وتغسل هذا القدر من الطين! قال: بلى، فتلك فتوى وهذه فتوى كما لم يسمح الرسول (عليه السلام) لبلال أن يدخر نصف رغيف، ووضع للنساء قوت عام.

ويقال: عندما صار داود الطائي فدوة قال لأبي حنيفة: ما أفعل الآن؟ قال: عليك باتباع العلم لأن كل علم لا تعمل به يكون كجسد بلا روح.

ويقال: رأى خليفة العهد في المنام، وقد سأل ملك الموت، كم بقي من عمري؟ فرفع ملك الموت خمسة أصابع، وأشار بها، فسأل أشخاص كثيرين عن تفسير هذا المنام ولم يفسره له أحد فسأل أبا حنيفة فقال: إن إشارة الخمسة أصابع هي إشارة لخمسة علوم، أي أن تلك العلوم الخمسة لا يعرفها شخص، وهذه العلوم الخمسة في هذه الآية: يقول الحق (تعالى): «إن الله عنده علم

الساعة وينزل الغيث ويعلم ما فى الأرحام وما تدرى نفس ماذا تكسب غداً وما تدرى نفس بأى أرض تموت» (٢٨٣).

يقول الشيخ أبو على بن عثمان الجلابى (٢٨٤): كنت فى الشام، وكنت قد نمت على حافة قبر بلال المؤذن (رضى الله عنه)، رأيت نفسى فى مكة فى المنام، وكان الرسول (ﷺ) يدخل من باب بنى شيبه، ويحتضن شيخاً، مثلما تحتضن الأطفال بشفقة تامة، فأسرعت إليه، وقبلت قدميه، وظللت فى عجب! من هذا الشيخ! فاطلع النبى بحكم معجزته على باطنى، وقال: هذا إمام أهل ديارك أبو حنيفة (رحمة الله عليه).

يروى: أن نوفل بن حيان قال: عندما توفى أبو حنيفة، رأيت للقيامة فى المنام، وكان كل الخلق قد وقفوا فى ساحة القيامة، ورأيت الرسول (عليه السلام) واقفاً على حافة حوض، ورأيت المشايخ واقفين على جانبيه يميناً ويساراً، ورأيت شيخاً حسن الوجه، أبيض الشعر والوجه، وجهه مواجه لوجه النبى، ورأيت الإمام أبا حنيفة واقفاً أمام النبى، فسلمت وقلت: اعطنى ماء، قال: أيسمح الرسول؟ فأمر الرسول (قائلاً): امنحه ماء، فأعطانى كأساً من الماء وشربت أنا والأصحاب من تلك الكأس فلم ينقص قط فقلت لأبى حنيفة: من ذلك الشيخ الذى على يمين الرسول؟ قال: إبراهيم الخليل وأبو بكر الصديق على يساره، وهكذا سألته، وكنت أمسك العقد بإصبعى حتى سألته عن سبعة عشر شخصاً. وعندما استيقظت، كنت قد أخذت سبعة عشر عقداً.

قال يحيى بن معاذ الرازى: رأيت الرسول (عليه السلام) فى المنام، فقلت: أين أطلبك، قال: عند علم أبى حنيفة.

إن مناقبه كثيرة ومحامده وفيرة وليست خافية. وختمنا بهذا.

ذكر الإمام الشافعى (٢٨٥) (رضى الله عنه)

هو سلطان الشريعة والطريقة، وبرهان المحبة والحقيقة، هو مفتى الأسرار الإلهية ومهدى الأطوار اللامتناهية، هو وارث النبى وابن عمه، وقد العالم الشافعى المطلبى (رضى الله عنه).

ليست هناك حاجة لشرح أحواله، فالعالم كله مملوء بشروحه وفضائله ومناقبه وشماله كثيرة، وهذا هو وصفه التام: إنه شعبة الدوحة اللبوية، وفاكهة الشجرة المصطفوية. كان فريداً فى الفراسة والسياسة والكياسة، وأعجوبة فى المروءة والفتوة، وكان كريم الدنيا وجواد الزمان، وكان أفضل عهده وأعلم وقته، وكان حجة الأئمة من قريش، ومقدم «قدموا آل قريش». ورياضاته وكراماته من الكثرة بحيث لا يمكن أن يحتويها هذا الكتاب.

قال فى الحرم - وهو فى الثالثة عشرة من عمره - «سلونى ما شئتم»، وكان يفتى وهو فى الخامسة عشرة من عمره.

تلمذ على يدى أحمد بن حنبل - الذى كان إمام الدنيا والذى حفظ ثلاثمائة ألف حديث، وعرى رأسه من العاشية فاعترض عليه قوم (قائلين): «أجلس رجل بهذه المكانة أمام (شاب) فى الخامسة والعشرين، ويترك صحبة المشايخ والأساتذة الأجلاء!؟»

فقال أحمد: كل ما نذكره، يعرف معناه، ولو أنه لم يكن قد قابلنا، لطلبناه، لأنه قد فهم ما فهم من الحقائق والأخبار والآيات، ولم نعرف نحن أكثر من الأحاديث، لكنه كالشمس للدنيا والعافية للخلق!!

وقال أحمد أيضاً: كان باب الفقه قد أغلق أمام الخلق، ففتح الحق (تعالى) ذلك الباب بسببه.

وقال أيضاً: لا أعرف شخصاً أكثر مئة على الإسلام في عهد الشافعي إلا الشافعي.

وقال أحمد أيضاً: الشافعي فليسوف في أربعة علوم: في اللغة، واختلاف الناس وعلم الفقه، وعلم المعاني.

وقال أيضاً: في معنى هذا الحديث الذي قاله المصطفى (عليه السلام) يبعث على رأس كل مائة عام رجل يعلم الخلق ديني، وذلك الرجل هو الشافعي (٢٨٦).

وقال الثوري (٢٨٧): إن وزن عقل الشافعي أمام عقل نصف الخلق، لكان عقله الأرجح.

ويقول بلال الخواص: سألت الخضر: ما تقول في حق الشافعي؟ قال: هو من الأوتاد. وفي بداية أمره لم يكن يذهب إلى عرس أو دعوة قط، وكان دائماً باكياً محترقاً، وخلعت عليه خلعة من بلغ من العمر ألف عام وهو ما زال طفلاً.

ثم التقى بسليم (٢٨٨) الراعي، وظل في صحبته مدة طويلة، حتى سبق الجميع في التصرف، إلى حد أن عبداً لله الأنصاري يقول: إنني لا أعتنق مذهبه، (لكنني) أحب الإمام الشافعي لأني أراه أمامي في كل مقام أنظر إليه.

يقول الشافعي: رأيت الرسول (ﷺ) في المنام، قال لي: من أنت يا ولدي؟ قلت: واحد من صحابتك يا رسول الله، فقال: اقترب، اقترب فأخذ بصاحه كي يضعه في فمي، ففتحت فمي، بحيث وصل إلى شفتي فمى ولساني، ثم قال: اذهب الآن عاونك الله وفي نفس الوقت، رأيت علياً المرتضى في المنام، وقد أخرج خاتمه، ووضعه في إصبعي، كي يسرى إلى علم علي وعلم النبي.

لما بلغ الشافعي الستة أعوام، وكان يذهب إلى المدرسة، وكانت أمه زاهدة من بنى هاشم، وكان الناس يعهدون إليها بأماناتهم، ذات يوم جاء شخصان، وعهدا إليها بحقيبة، بعد ذلك جاء أحدهما، وطلب الحقيبة، فمنحتها إليه بنية حسنة وبعد ذلك بفترة وجيزة جاء الآخر، وطلب الحقيبة، فقالت: أعطيتها لصاحبك، قال: ألم نتفق بالألا ترديها طالما لا نحضر نحن الاثنان، قالت بلى،.... قال لماذا أعطيتها له إذن، ضاقت أم الشافعي ودخل الشافعي،.... وقال: لماذا ضاقت يا أمه؟ قصصت الحال، قال الشافعي: لا مجال للخوف قط، أين المدعي حتى أجيبه؟ قال المدعي: هأنذا، قال الشافعي: حقيبتك في مكانها اذهب وهات صاحبك، وخذاها فتعجب ذلك الرجل واندش وكيل القاضي - الذي كان قد أحضره - من كلامه، ومضيا.

بعد ذلك تتلمذ على يد مالك، وكان مالك يبلغ نيفاً وسبعين من عمره، وجلس على باب دار مالك، وكل فتوى كان يفتيها كان ينظر فيها، ويقول للمستفتي عد، وقل له احتط أكثر من هذا، وعندما كان يرى أن الحق عند الشافعي كان يزهو به، وكان هارون الرشيد هو الخليفة في ذلك الوقت.

يروى: أن هارون تناظر مع زبيدة ذات ليلة، فقالت زبيدة لهارون: يا من أنت من أهل جهنم، قال هارون: لو أننى من أهل جهنم فأنت طالق، وانفصلا عن بعضهما البعض، وكان هارون يحب زبيدة حباً عظيماً، فتصجر، وأمر

بنادياً، فأحضر علماء بغداد واستفتاهم في هذه المسألة، فلم يجب شخص قط، وقالوا: يعلم الله (إن كان) هارون من أهل جهنم أو من أهل الجنة. فنهض طفل من وسط الجمع وقال: أجييب أنا، فتعجب الخلق، وقالوا: لعله مجنون أى مجال له في حديث عجز فيه عدة من فحول العلماء!؟.

دعاه هارون، وقال: أجب، قال: أأنت محتاج لى أم أنا محتاج لك؟ قال: أنا محتاج لك، فقال الشافعي: فانزل من فوق العرش إذن، إن مكانة العلماء سامية فأجلسه الخليفة على العرش، ثم قال الشافعي: أجب أنت أولاً على سؤالى وعندئذ أجييب على سؤالك، قال هارون: وما السؤال؟ قال: أقدرت على معصية وامتنعت عنها خوفاً من الله؟ قال: بلى، هكذا (الحال) والله.

قال: حكمت أنك من أهل الجنة. فصاح العلماء بأى دليل وحجة؟ قال: بالقرآن حيث يقول الحق (تعالى): ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ فإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ﴾^(٢٨٩) فصاح الجميع، وقالوا: هكذا يكون في طفولته فكيف يكون في الشباب.

يروى: أن الشافعي ذات مرة قام وجلس عشر مرات أثناء درس، قالوا: ما الأمر؟ قال: إن ابن العلوى يلعب على الباب، وكل مرة يأتي فيها أمامى، أنهض مراعاة لحرمة فلا يجوز أن يظهر ابن الرسول، ولا تنهض.

يروى: أن شخصاً أرسل مالا ذات مرة، كى ينفق على مجاررى مكة، وكان الشافعي هناك، فحملوا إليه بعضاً من المال، قال: ما قال صاحب المال؟ قالوا: قد أوصى بأن يعطى هذا المال للفقراء الأتقياء، فقال الشافعي: لا يجوز لى أن أخذ هذا المال فإننى لست تقياً ولم يأخذ.

يروى: أن الشافعي قدم من صنعاء إلى مكة ذات مرة ومعه عشرة آلاف دينار، فقالوا له: لا بد أن تشتري ضياعاً وأغناماً، فنصب خيمة خارج مكة،

وألقى بذلك الذهب، وكل من كان يأتي إليه كان يعطيه قبضة منه فلم يبق شيء قط عند صلاة الظهر. (٢٩٠).

يروى: أن مالاً وفيراً كان يرسل لهارون الرشيد من بلاد الروم كل عام، وذات عام أرسل الروم عدة رهبان ليتناقشوا مع العلماء، فإن عرفوا (ما وجه إليهم) نعطيمهم المال وإلا لا تطلبوا منا مالاً مرة أخرى وجاء أربعائة رجل من الرهبان، فأمر الخليفة، فنادوا وحضر جملة علماء بغداد على شاطئ (نهر) دجلة، ثم طلب هارون الشافعي، وقال: ينبغى عليك أن تجيب عليهم، وعندما حضر الجميع على شاطئ دجلة، ألقى الشافعي بسجادة على كتفه، ومضى، وألقى بها على وجه الماء. وقال: من يتناقش معنا يأتي إلى هنا، عندما رأى الرهبان ذلك أسلموا جميعاً، ووصل الخبر إلى قيصر الروم أنهم أسلموا على يد الشافعي، فقال القيصر: الحمد لله، إن ذلك الرجل لم يأت إلى هنا، لو كان قد جاء إلى هنا لما بقي في بلاد الروم كلها زنارى.

يروى: أن جماعة قالوا لهارون: إن الشافعي لا يحفظ القرآن، وكان كذلك، لكن حافظته كانت قوية إلى درجة أن هارون أراد أن يمتحنه، فأمره بالإمامة طوال شهر رمضان فكان يطالع كل يوم جزءاً من القرآن، ويقراه كل ليلة، حتى حفظ القرآن كله في شهر رمضان.

وكانت في عهده امرأة منافقة، أراد أن يراها، فعقد قرانها عليها بمائة دينار ورأها ثم طلقها.

طبقاً لمذهب أحمد بن حنبل: من يترك صلاة متممداً، يصير كافراً، وفي مذهب الشافعي: لا يجوز أن يعذب لأن الكفار لا يصلون، قال الشافعي لأحمد: عندما يترك شخص الصلاة ويكفر فماذا يفعل حتى يسلم؟ قال: يصلى، فقال الشافعي لأحمد: وكيف تصح صلاة كافر؟ فسكت أحمد. وهناك كثير من هذا

الكلام الذي هو أسرار الفقه، وكثير من الأسئلة والأجوبة. لكن هذا الكتاب ليس مجالاً لها.

قال: إن رأيت عالماً ينشغل بالرخص والتأويلات فاعلم أن شيئاً لن يأتى منه.

وقال: أنا عبد شخص علمنى حرفاً من آداب التعليم.

وقال: من يتعلم العلم من جهلة، يضيع حق العلم، ومن يمنح العلم عن شخص جدير به فقد ظلمه.

وقال: إن بيعت الدنيا لى برغيف خبز، لا أتباعها.

وقال: من كان همه شيئاً يضعه فى بطنه، فهو يسارى ما يخرج منها.

وقال له شخص ذات مرة: عظنى، فقال: اغتبط غبطة الأحياء على الأموات، أى لا تقل قط وأسفاه، إننى لم أجمع قدرك من الفضة كما جمع، وتركها متحسراً، بل اغتبط قاتلاً أطيع الله قدر ما أطاع، فلا يحسد شخص قط ميتاً، وينبغى على الحى ألا يحسد شخصاً حياً لأنه سرعان ما يموت أيضاً.

يسرى: أن وقت الشافعى ضاع ذات يوم، فطاف كل المقامات ومر على الخرابات، ومضى إلى المسجد والمدرسة والسوق، فلم يجده، ومر على خانقاه، فرأى مجموعة من الصوفية كانوا قد جلسوا، وقال أحدهم: أعزوا الوقت فإن الوقت يقدم، فاتجه الشافعى إلى الخادم وقال: ها أنا وجدت الوقت بسماعى ما يقولونه.

يذكر الشيخ أبو سعيد (رحمة الله عليه) أن الشافعى قال: لم يصل علم العالم كله إلى علمى، ولم يصل علمى إلى علم الصوفية، ولم يصل علمهم إلى علم كلمة لشيخهم الذى قال: «الوقت سيف قاطع».

وقال ربيع: رأيت في المنام قبيل وفاة الشافعي أن آدم عليه السلام كان قد توفي، وكان الخلق يريدون الخروج لجنائزته، ولما استتيقظت، سألت عن تفسيره، فقال شخص: سيموت أعلم رجل في الزمان لأن العلم خاصية آدم، وعلم آدم الأسماء كلها،^(٢٩١) ثم توفي الشافعي في تلك الأثناء.

يسروى: أن الشافعي أوصى عند وفاته أن قولوا لفلان أن يغسلني، وكان ذلك الشخص في مصر، ولما عاد، قالوا له: هكذا أوصى الشافعي أن قولوا لفلان أن يغسلني، قال: احضروا الوصية فأحضروها لذلك الشخص الذي كان الشافعي قد أوصاه بعد ذلك نظر الرجل في الوصية، وكان قد كتب فيها على دين بألف درهم، فأدى ذلك الرجل دينه وقال: هذا غسله.

وقال: ربيع بن سليمان^(٢٩٢): رأيت الشافعي في المنام، فقلت: ما فعل الله

بك؟

قال أجلسني على كرسي من ذهب، ونثر اللؤلؤ على، ومنحني ما يساوي الدنيا سبعمائة ألف مرة (رحمة الله عليه)^(٢٩٣).

ذكر الإمام أحمد بن حنبل (٢٤١) (قدس الله روحه)

هو إمام الدين والسنة، ومقتدى المذهب والملة، هو دنيا الدراية والعمل، ومكان الكفاية بلا بدل، هو متبع زمانه، وصاحب الورع الفريد، هو سنى الآخرة والأولى، الإمام الحق أحمد بن حنبل (رضى الله عنه).

كان شيخ السنة والجماعة، وإمام الدين والدولة، وليس لشخص قط (مكانته) فى علم الأحاديث، وله فى الورع والتقوى والرياضة والكرامة شأن عظيم، وكان صاحب فراسة، ومستجاب الدعوة، وقد بوركنت جملة فرقه بغاية الإنصاف، وأطلق عليه المقدس والمبرأ إلى حد أن ابنه كان ذات يوم يشرح معنى هذا الحديث: «خمر طينة آدم بيده» (٢٩٥)، وكان قد أخرج يده من تلابيبه فى شرحه لهذا المعنى، فقال أحمد: عندما تقول: «يد الله، لا تشر إلى يدك».

وكان قد أدرك كثيراً من المشايخ الكبار مثل ذى النون وبشر الحافى وسرى السقطى ومعروف الكوفى وأمثالهم.

وقال بشر الحافى: لأحمد ثلاث خصال ليست لى منها طلب الحلال لنفسه ولعاليه، وأنا أطلبه لنفسى.

ثم قال سرى السقطي: كان أحمد ممتحناً في جميع الأحوال، في حال حياته بطعن المعتزلة، وفي حال مماته باتهامات المشبهة وهو برىء من كل هذا^(٢٩٦).

يروى: أنه عندما غلب المعتزلة في بغداد، قالوا: يجب أن يكلف بأن يقول أن القرآن مخلوق ومن ثم حملوه إلى قصر الخليفة وكان هناك حارس باب القصر، قال: أيها الإمام إحدرك حتى تكون رجلاً لأنني سرقت ذات مرة، فضربت ألف مقرعة، ولم أفر حتى تحررت في النهاية، وهكذا صبرت وأنا على باطل، والأولى أن تصبر أنت على الحق

قال أحمد: كان قوله ذلك عوناً لي، ثم حملوه، وكان شيخاً وضعيفاً، وشدوه على عقابين، وضربوه ألف سوط (وهم يقولون): قل إن القرآن مخلوق! فلم يقل. وفي أثناء ذلك حل رباط إزاره، وكانت يده مغلولتين، فظهرت يدان من الغيب، وعقدتا الإزار، فلما رأوا هذا البرهان، حرروه، ومات في تلك الأثناء^(٢٩٧). وفي أواخر عهده جاء إليه قوم وقالوا له: ما تقول في هؤلاء القوم الذين عذبوك؟ قال: إنهم كانوا يضربونني من أجل الله، طائنين أننى على باطل، فلن اختصمهم يوم القيامة لمجرد جرح سوط^(٢٩٨).

يروى: أن شاباً كانت له أم مريضة، ومرَّ عليها زمن، فقالت له يوماً: يا بني، إن أردت رضائي، اذهب إلى الإمام أحمد، وقل له يدعولي، لعل الحق (تعالى) يهبني الصحة، فقد أتهكنى المرض، فدخل الشاب دار الإمام أحمد، ونادى، فقيل: من؟ قال: صاحب حاجة، وقص الحال (فانلاً): لى أم مريضة، وتطلب منك الدعاء فكره الإمام ذلك كرهاً عظيماً (وقال لا): لماذا تعرفنى؟ ثم نهض، واغتسل، وانشغل بالصلاة، قال خادم الإمام: عد أيها الشاب، فإلا مام مشغول بأمرك، فعاد الشاب، ولما وصل إلى الدار نهضت أمه، وفتحت الباب وصحت كل الصحة بأمر الله (تعالى)^(٢٩٩).

يسروى: أن أحمد كان يتوضأ على حافة ماء، وكان شخص آخر يتوضأ أمامه، فنهض حرمة للإمام، وجاء خلفه، وتوضأ وعندما توفى ذلك الرجل، رأوه في المنام، فقالوا: ما فعل الله بك؟ قال: رحمني بتلك الحرمة التي راعيتها للإمام في الوضوء.

يسروى: أن أحمد قال: نزلت بالبادية بمفردي، فضلت الطريق، ورأيت أعرابياً قد جلس في زاوية حديثاً، فقلت: أذهب واسأله عن الطريق، فذهبت وسألته فقال لي: إنني جوعان، كانت لدى قطعة خبز، كنت قد أعطيتها له، فقال متضجراً: يا أحمد، من أنت حتى تذهب إلى بيت الله؟! ولا ترضى برزقك من الله تعالى، لا جرم أنك تضل الطريق، قال أحمد: استبدت بي نار الغيرة، فقلت: يا إلهي، ألك في الزوايا كل هذه العباد المستترة! قال ذلك الرجل: فيم تفكر يا أحمد؟ فيم تفكر؟ إن له عباداً إن أقسموا على الله (تعالى) تتحول الأرض والجبال بأسرها ذهباً من أجلهم، فقال أحمد: نظرت، فكانت الأرض والجبال كلها أصبحت ذهباً، ففليت عن نفسي، وهتف لي هاتف: لماذا لا تحفظ قلبك يا أحمد؟ فهو عبد لنا إن أراد ضرينا السماء على الأرض والأرض على السماء من أجله، ونظهره لك، لكنك لن تراه ثانية.

يسروى: أن أحمد كان يقيم في بغداد، لكنه لم يكن يأكل خبزاً في بغداد قط، وكان يقول: قد أوقف أمير المؤمنين عمر (رضي الله عنه) هذه الأرض على الغزاة، وكان يرسل الذهب للموصل، حتى يجلبون له به الدقيق، وكان يأكل منه الخبز.

عمل ابنه صالح بن أحمد قاضياً في إصفهان لمدة عام، وكان صائم النهار وقائم الليل ولم يكن ينام في الليل أكثر من ساعتين، وكان قد بنى داراً بلا باب بجوار داره، كان يجلس فيه في الليل، لأنه لا ينبغي أن يكون لأحد مشكلة ويجد باب مثل هذا القاضي مغلقاً.

و ذات يوم كانوا يعدون الخبز للإمام أحمد، فأخذوا عجين صالح، ولما أحضروا الخبز أمام أحمد قال: ما هذا الخبز؟ قالوا: العجين الأساسي ملك صالح، قال: قد عمل قاصياً لإصفهان لمدة عام فلا يجوز (خبزه) لنا، قالوا: وما نفعل به إذن؟ قال: اتركوه وعندما يأتي سائل فقولوا له: إنه خبز صالح، خذه إن شئت، وظل في الدار أربعين يوماً، ولم يأت سائل ليأخذه، فتعفن ذلك الخبز، وألقوا به في دجلة، قال أحمد: ماذا فعلتم بذلك الخبز؟ قالوا ألقينا به في دجلة، فلم يأكل أحمد بعد ذلك سمكاً من دجلة قط (٣٠٠)، ووصل في التقوى إلى حد أنه قال: لا يجوز الجلوس في جمع لأعضائه جميعاً مراراً من فضة.

يسروى: أن أحمد كان قد ذهب ذات مرة إلى سفيان بن عيينه في مكة، ليتقصى الأخبار ولم يذهب يوماً، فأرسل شخصاً ليعرف لماذا لم يأت؟ ولما ذهب، كان أحمد قد أعطى ثوبه للغسال، وجلس عارياً، ولم يستطع، فعاد الرجل إليه وقال: أمنحك عدة دنانير تنفقها على نفسك قال: لا، قال: أعيرك ثيابي، قال: لا، قال: لن أعود ما لم أدبر لك أمرك، فقال له: اكتب لك كتاباً وبأجره اشترى كرياساً، قال: اشتريها كتان، قال: لا اشترى ثوباً طوله عشرة أجازير، (٣٠١) أجعل خمسة منها قميصاً وخمسة إزاراً (٣٠٢).

يسروى: أن تلميذاً لأحمد حل ضيفاً عليه، وفي تلك الليلة حمل إليه قدحاً من الماء، وفي الصباح كان القدح مملوفاً كما كان، فقال أحمد: لماذا (ظل) قدح الماء مملوفاً هكذا؟ قال طالب العلم: ماذا كنت أفعل؟ قال: الطهارة وصلاة الليل وإلا لم تتعلم هذا العلم (٣٠٣)؟.

يسروى: أن أجيلاً كان لأحمد، وفي صلاة المغرب قال لتلميذ من تلاميذه أن يعطيه شيئاً زيادة على أجره، فلم يأخذها الأجير. وعندما مضى، أمر الإمام

أحمد (تلميذه قائلاً) تعقبه كي يأخذها، فقال التلميذ: كيف؟ قال حين لا يرى في بطنه طمعاً فيها، عندما يمر بهذه اللحظة، يأخذها.

ذات مرة هجر تلميذاً لمدة طويلة، لأنه كان قد طلى باب الدار بالكين والطين وقال: (إن) أخذت ظفرك من طريق المسلمين، لا يجوز لك أن تتعلم.

وذات مرة، كان أحمد قد رهن سطلاً، وعندما كان يسترده، أحضر له البقال سطلين وقال: خذ سطلك، إننى لا أعرفه أيهما سطلك؟ فترك الإمام أحمد السطل له ومضى (٣٠٤).

يسروى: أن أحمد كان يرغب (فى رؤية) عبدالله بن المبارك مدة طويلة، حتى قدم عبد الله إليه فقال ابن أحمد: يا أبت، إن عبدالله بن المبارك على باب الدار، وقد جاء لرؤيتك، فلم يأذن له الإمام أحمد، فقال ابنه: ما الحكمة فى هذا؟ كنت تحترق أعواماً شوقاً إليه، الآن وقد جاءت السعادة إلى دارك، لا تأذن لها، فقال أحمد هكذا كما قلت، لكنى أخشى إن رأيت، اعتاد لطفه، وبعد ذلك لا أطيق فراقه، وأمضى العمر متلهفاً إليه حتى أراه هناك حيث لا يتعقبنا الفراق.

وله كلمات عالية فى المعاملات. وكل من يسأله مسألة كان يجيبه عنها إذا كانت من المعاملات، ويحيله على بشر الحافى إذا كانت من الحقائق (٣٠٥).

وقال: رجوت الله (تعالى) أن يفتح على باباً من الخوف، حتى وصل خوفى إلى حد أن زال العقل عنى، فدعوت وقلت: يا إلهى، بأى شىء يكون التقرب أفضل؟ قال: بكلامى، القرآن.

سئل: ما الإخلاص؟ قال: أن تجد الخلاص من آفات الأعمال.

قالوا: ما التوكل؟ قال: الثقة بالله فى الرزق. قالوا: ما الرضا؟ قال: أن تسلم أمورك إلى الله.

قالوا: ما المحبة؟ قال: سلوا بشرًا عنها، فطالما كان حياً، لا أجيّب عن هذا (٣٠٦).

قالوا: ما الزهد؟ قال: الزهد على ثلاثة أقسام: ترك الحرام وهو زهد العوام، وترك الزيادة من الحلال وهو زهد الخواص، وترك كل شيء يشغلك عن الحق وهو زهد العارفين.

قالوا: هؤلاء الصوفية الذين قد جلسوا بالمسجد الجامع، جاهلون بالتوكل، قال: إنكم مخطئون، فقد أجلسهم العلم، قالوا: لقد عقدوا كل همتهم في كسر الخبز، فقال: إنني لا أعرف قوماً على وجه الأرض أعظم همة من أولئك القوم الذين لا يصرفون همتهم في شيء أكثر من تقطيع الخبز.

ولما حانت وفاته بسبب ذلك الجرح الذي تحدثت عنه، والذي رفعه إلى درجة الشهداء، في تلك الحال كان يشير بيده ويقول بلسانه: ليس بعد، فقال ابنه: يا أبت، أي حال هذه؟ قال: عندما يكون وقت الخطر، فأى وقت للإجابة؟! مدنى بالدعاء، ومن جملة الحاضرين على فراشه، عن اليمين وعن الشمال قعيد، (٣٠٧). إبليس، وكان يقف أمامه، وكان يلقي على رأسه تراب الإدبار، ويقول: يا أحمد إزهاق الروح بيدي، فأقول: ليس بعد، فقد بقى نفس، والمجال مجال الخطر لا الأمن. (٣٠٨)

وعندما توفي، وحملوا نعشه، كانت الطيور تأتي، وترفرف على نعشه، حتى أسلم عشرات الآلاف في حلية الأولياء من مجوسى ويهودى وراهب. وكانوا يقولون بزنانيرهم، ويصيحون ويقولون، لا إله إلا الله، وكان سبب ذلك أن الحق (تعالى) ألقى بالبكاء على أربعة أقوام: فى اليوم الأول: على الزردشتيين وفى اليوم الثانى: على اليهود، والثالث: على المسيحيين (الرهبان) والرابع: على المسلمين. (٣٠٩)

لكنهم سألوا شيخاً: أكانت كراماته أكثر في الحياة أم الممات؟ فقال: كان له دعاءان مستجابان، الأول: أنه كان يقول، يا إلهي، هب إيماناً لمن لا يؤمن، ولا تسترده ممن آمن، فأجيب دعاء من هذين الدعائين في الحال، فلم يرتد كل من كان قد آمن، والآخر أجيب عند الوفاة فرزقهم الإسلام.

وقال محمد بن خزيمة^(٣١٠)، رأيت أحمد في المنام بعد الوفاة، وكان يعرج، فقلت: أي مشية هذه؟ قال: مشية إلى دار السلام^(٣١١). فقلت: ما فعل الله بك؟ قال: غفر لي، ووضع تاجاً على رأسي، ونعلأ في قدمي، وقال: يا أحمد، هذا لأنك كنت تقول القرآن ليس مخلوقاً، ثم قال لي: اقرأ الأدعية التي بلغتك^(٣١٢). (رحمة الله عليه).

ذكر داود الطائى (٣١٣) (قدس الله روحه)

هو شمع العلم والبصيرة، وسراج الخلق، هو عامل الطريقة، وعالم الحقيقة، هو الرجل الريانى داود الطائى (رحمة الله عليه).

كان من أكابر هذه الطائفة، وسيد القوم، ووصل فى الورع إلى حد الكمال، واستفاد من أنواع العلم فائدة تامة خاصة الفقه الذى أنقته، وبرع فيه.

وكان قد تتلمذ على يد أبى حنيفة لمدة عشرين عاماً، وأدرك فضيل وإبراهيم بن أدهم وكان حبيباً (٣١٤) الراعى شيخ طريقته.

وكان الحزن يسيطر عليه ويتملكه فى بداية الأمر وكان قد اعتزل الخلق وكان سبب تويته أنه كان ينشد هذا البيت نائحاً:

بأى خديك تبدى البلى وأى عينيك إذا سالاً (٣١٥)

فأصابه ناء عظيم بسبب هذا المعنى، وفقد قراره، واضطرب، وبينما هو كذلك ذهب إلى درس الإمام أبى حنيفة، فقال الإمام الذى رآه على هذه الحال: ما أصابك؟ فقص الواقعة، وقال: قد فتر قلبي عن الدنيا، وأصابنى شيء فلا أعرف السبيل إليها، ولا أجد معنى لذلك فى أى كتاب، ولا تضمنته أى فتوى. قال الإمام: اعرض عن الخلق فاعرض عنهم، واعتكف فى الدار، ولما انقضت

مدة، ذهب إليه الإمام أبو حنيفة، وقال: لا يكون الأمر هكذا أن تعتكف في المنزل، ولا تتحدث، لكن أن تجلس بين الأئمة، وتسمع كلامهم الغامض، وتتمعنه، ولا تتحدث قط، وعندئذ تفضلهم في معرفة تلك المسائل، فأدرك داود ما يقوله.

وذاة عام قدم إلى الدرس، وجلس بين الأئمة، ولم يقل شيئاً، وكان يتمعن كل ما يقولونه، ولم يكن يجيب، وكان يكتفي بالاستماع، ولما انقضى عام قال: إن صبر عام يعدل عمل ثلاثين عاماً عملت فيها.

ثم التقى بحبيب الراعي، وكان إقباله على هذا الطريق بسببه، وخطا في هذا الطريق برجولة، وألقى بكتبه في الماء، واعتزل، وقطع أمه عن الخلف.

يسروى: أن داود كان قد ورث عشرين ديناراً، كان ينفقها في عشرين عاماً^(٣١٦)، حتى قال بعض المشايخ: إن طريقته الإيثار لا الاحتفاظ، فقال: إنني أملك هذا القدر من النقود لأنه سيب فراغى، انفق منه حتى أموت. ولم يهدأ عن العمل قط إلى حد أنه كان يبيل الخبز بالماء ويقعات به، وكان يقول: إنه يستطيع قراءة خمسين آية من القرآن بين بلة وأكله، فلماذا أضيع الوقت؟

يقول أبو بكر العياش: ذهبت إلى حجرة داود، فرأيته وقد أمسك بقطعة خبز يابسة في يده، وكان يبكي، فقلت: ما جرى لك يا داود؟ قال: أريد أن أكل قطعة الخبز هذه، ولا أعرف أهى حلال أم حرام؟

وقال آخر: ذهبت إليه، فرأيت قدح ماء، وضع في الشمس، فقلت: لماذا لا تضعه في الظل، قال: عندما وضعته هناك، كان الظل، الآن أخجل من الله أن أتنعم من أجل نفسي.

يسروى: أن داراً عظيمة كانت لداود، وبها حجرات كثيرة وكان يقيم في حجرة حتى كانت تنهدم فكان ينتقل إلى حجرة أخرى، قالوا لماذا لا نعلم

دارك؟ قال: أنا على عهد مع الله ألا أعرم الدنيا. ويروى: أن الدار كلها تهدمت، ولم يبق سوى الدهليز وفي تلك الليلة التي توفي فيها إنهار الدهليز أيضاً.

وذهب له شخص آخر وقال: لقد تحطم سقف الدار وسيسقط، قال: لم أر هذا السقف منذ عشرين عاماً.

يسروى: أنهم قالوا له: لماذا لا تجلس مع الخلق، قال: أجالس من؟ إن جالست من هم أصغر مني، لا يأمروني بأمر الدين، وإن جالست من هم أكبر مني، لا يفصحون لي بعيوبي، ويزينون لي نفسي في عيني، ومن ثم ماذا أفعل بصحبة الخلق (٣١٧).

قالوا: لم لا تتزوج؟ قال: لا أستطيع أن أخدع مؤمنة، قالوا: كيف؟ قال: طالما أريدها على أن أتكفل بها فطلى القيام على أمرها، وطالما أننى لا أستطيع تأدية الأمور الدينية والدنيوية (معاً) فإننى أخدعها.

قالوا له: مشط لحيتك؟؟ فقال: بعد ما أفرغ ربما أنجز هذا الأمر.

يسروى: أن داود اعتلى السطح في ليلة مقمرة، وكان ينظر إلى السماء، ويتفكر في الملوك، ويبيكى، حتى فنى عن نفسه، فوقع على سطح جار له، فظن الجار أن هناك لص على السطح، فاعتلى السطح بسيفه، فرأى داود فأمسك بيده وقال: من ألك؟ قال لا أعرف، كنت فانياً ولا علم لي. (٣١٨)

يسروى: أنهم رأوه كان يسرع إلى الصلاة، فقالوا: لم العجلة؟ قال: هؤلاء الجنود - الذين على باب المدينة - في انتظاري، قالوا: أى جند؟ قال: موتى القبور، وعندما كان يسلم في الصلاة، كان يجرى كأنه يهرب من شخص، حتى كان يدخل البيت، وكان يكره الذهاب للصلاة كرهاً عظيماً بسبب وحشة الخلق، حتى كفاه الحق (تعالى) تلك المؤنة.

كما يروى: أن أمه رآته ذات يوم وقد جلس في الشمس، يتصبب منه العرق، فقالت: يا عزيزي، القبط شديد، وأنت صائم الدهر، فماذا لو جلست في الظل؟ قال: يا أمي أخطئ من الله أن أخطئ خطوة موافقة لنفسي وإرضاء لها، ولا أجزئ هذا، قالت الأم: أي قول هذا؟ قال: يا أمي، عندما رأيت أحوالاً وأموراً سيئة في بغداد، دعوت، فسلبني الحق (تعالى) اللياقة لأكون معذوراً، ولا أذهب لصلاة الجماعة، لأنه لا ينبغي لى رؤيتهم، الآن لا أملك اللياقة منذ ستة عشر عاماً، ولم أقل لك.

يروى: أن داود كان دائم الحزن، وعندما كان يحل الليل كان يقول: إلهي، فاق حزني كل الأحران، وسلبتني النوم، وكان يقول: متى ينجلي الحزن عمن تتوالى عليه المصائب.

ومرة أخرى قال فقير: ذهبت إلى داود، فوجدته ضاحكاً، فتعجبت وقلت: يا أبا سليمان، لما سعادتك هذه؟ قال: منحوني شراباً في السحر يقال له: شراب الأئس فجعلت اليوم عيداً، وسررت.

يروى: أن داود كان يأكل خبزاً، فمر عليه راهب، أعطاه قطعة ليأكلها، وفي تلك الليلة التقى ذلك الراهب بزوجه، وولد معروف الكرخي.

يقول أبو ربيع الواسطي^(٣١٩): قلت لداود: عظمي، فقال: صم عن الدنيا وأفطر في الآخرة، وفر من الناس كما يفرون من الأسد المفترس.^(٣٢٠)

وطلب آخر عظة، فقال له: احفظ لسانك، قال: زدني، قال: اعتزل الخلق، وإن تستطيع أفرغ القلب منهم، قال: زدني، قال: يجب أن ترضى بسلامة الدين من هذه الدنيا، كما رضى أهل الدنيا بسلامة الدنيا.^(٣٢١)

وأراد آخر عظة، فقال له: الجهد الذي تبذله في الدنيا ابذله بالقدر الذي سيكون لك به مقاماً في الدنيا وبما سيفيدك فيها، والجهد الذي تبذله للآخرة

ضاعفه بالقدر الذى سيكون عليه مقامك فى الآخرة وبالقدر الذى سيفيدك فيها .

وطلب آخر وصية: فقال له: الموتى فى انتظارك^(٣٢٢) . وقال: كان شخص يلقى بالتوبة والطاعة لمن يصطاد لتصل المنفعة لشخص آخر .

وقال لمريد: إن أردت السلامة، سلم على الدنيا سلام المودع، وإن أردت الكرامة، كبر بترك الآخرة . أى دعك منهما كى يمكنك الوصول للحق^(٣٢٣) .

يروى: أن فضيل رأى داود مرتين طوال عمره، وكان يفخر بذلك . ذات مرة، كان قد جلس تحت سقف مهدم، فقال له: انهض، هذا السقف مهدم، وسوف يسقط قال: طالما أفنى فى هذه الصفة لم أر هذا السقف، كانوا يكرهون فضول النظر كما يكرهون فضول الكلام،، والمرة الأخرى قال له: عظمى، فقال له: انقطع عن الخلق .

ويقول معروف الكرخى: لم أر شخصاً قط حقر الدنيا أكثر من داود، فلم تكن الدنيا وأهلها جميعاً فى نظره تساوى مثقال ذرة، فإن كان يرى واحداً منهم، كان يشكو من ظلمها حتى تحرر من الطريق، وابتعد إلى حد أنه قال: كلما أغسل قميصى، أجد قلبى متغيراً لكنه كان يعتقد فى الفقراء عظيم الاعتقاد، وينظر إليهم بعين الاحترام والمروءة^(٣٢٤) .

قال الجنيد: كان حجاماً يحتجم له، فأعطاه ديناراً، قالوا له: أسرقت، قال: لا دين لمن لا مروءة له^(٣٢٥) .

يروى: أن شخصاً تقدم له، وكان ينظر إليه، فقال له: ألا تعلم أنه كما أن كثرة الكلام مكروهة فإن كثرة النظر مكروهة أيضاً .

يروى: أنه عندما كان يقع خلاف بين محمد وأبى يوسف، يكون هو الحكم، وعندما كانا يقدمان إليه، كان يدير ظهره لأبى يوسف، وينجه إلى

محمد، ويتناقض معه، ولم يكن يتحدث إلى أبي يوسف، وإن كان القول قول محمد، كان يقول: القول ما يقوله محمد وإن كان القول قول أبي يوسف، كان يقول: هذا هو القول، ولم يكن يذكر اسمه، فقالوا له: كلاهما عظيم في العلم، فلماذا تفضل أحدهما، وتقصى عنك الآخر، قال: لأن محمداً بن الحسن نشأ في نعمة وفيرة ورفعة من الدنيا وأقبل على العلم، والعلم سبب عزة دينه وذل دنياه، وأقبل أبو يوسف على العلم من الذل والفاقة، فصار العلم سبب عزه وجاهه. ومن ثم فمحمد ليس مثله قط. ضرب أستاذنا أبو حنيفة بالمقرعة ولم يقبل القضاء^(٣٦٦)، وقبله أبو يوسف، وكل من يخالف طريق أستاذه لا أتحدث معه.

يروى: أن هارون الرشيد قال لأبي يوسف: إحملني إلى داود، كي أزوره، فدخل أبو يوسف الدار، ولم يسمح له فطلب من أمه، فشغعت له (قائلة): إذن له فلم يقبل، وقال: ما شأننا بأهل الدنيا والظالمين؟ فقالت له أمه: بحق لبنى إذن له فقال داود: يا إلهي، أمرت برعاية حق الأم فقلت: رضائي من رضائها، وإلا فأى شأن لي بهما؟ وأذن، فدخلوا، وجلسا، وبدأ داود الوعظ، فبكى هارون كثيراً عندما عاد (إلى رشده) وضع قدراً من الذهب، وقال: إنه حلال فقال داود: احمله، فلا حاجة لي به، فقد بعث داري من ميراث حلال، وأنفق منه، ورجوت الحق (تعالى) أن يزهد روحى عندما تنتهى تلك النفقة، كي لا أحتاج إلى شخص، وأمل أن يستجاب الدعاء.

ثم عاد الاثنان، وسأل أبو يوسف وكيل نفقاته: كم بقى من نفقات داود؟ قال: درهمان وكل يوم كان ينفق دنانج فضة، وفي اليوم الأخير كان أبو يوسف قد أدار ظهره للمحراب وقال: لقد توفى داود اليوم، نظروا، فكان الأمر كذلك، فقالوا: بما عرفت؟ قال: حسبت نفقاته فلم يبق منها اليوم شيء قط، فعملت أن دعاءه مستجاب.

وسألوا أمه عن حال وفاته فقالت: كان يصلى طوال الليل، وفي آخره وضع رأسه للمسجود ولم يرفعها، فانشغل قلبى، وقلت: يا بنى الوقت وقت الصلاة، وعندما نظرت، كان قد توفى.

قال شيخ: كان قد نام أثناء مرضه فى ذلك الدهليز الخرب، وكان القيظ شديداً وكان قد وضع يابسة تحت رأسه، وهو فى النزح وكان يقرأ القرآن، فقلت: أتريد أن أحملك إلى هذه الصحراء، قال: أخجل أن أنفذ رغبة نفسى، فلم تكن لها على سلطة قط، والأولى ألا يكون لها فى هذه الحال، ثم توفى فى نفس الليلة.

كان داود قد أوصى (قائلاً): ادفنوني خلف حائط، حتى لا يمر شخص أمامى، وهكذا فعلوا، وظل على هذا الحال حتى اليوم.

ورنى تلك الليلة التى فارق فيها الدنيا، انبعث صوتاً من السماء: يا أهل الأرض، وصل داود الطائى إلى الحق، والحق سبحانه وتعالى راض عنه.

بعد ذلك رأوا فى المنام أن داود كان يطير فى الهواء، ويقول: خرجت الساعة من السجن، فجاء ذلك الشخص، ليقص منامه، فكان قد توفى، وبعد وفاته انبعث نداء من السماء أدرك داود مقصوده^(٣٢٧) (رحمة الله عليه).

ذكر حارث المحاسبى (٣٢٨) (قدس الله روحه)

هو سيد الأولياء، وعمدة الأتقياء، هو السيد المبجل، والمحترم المفتخر، هو خاتم ذوى المناقب، شيخ العالم الحارث المحاسبى (رحمة الله عليه).

كان من علماء المشايخ، وكان مقبول الرأى فى العلوم الظاهرة والباطنة، وفى المعاملات والإشارات، وكان مرجع أولياء عصره فى كل فن، وله تصانيف كثيرة فى أنواع العلوم، وله همة عالية جداً، وكان عظيماً، وله سخاوة ومروة عجيبة، ولا نظير له فى الفراسة والحدافة.

وكان شيخ مشايخ بغداد فى عصره، واختص بالتجريد والتوحيد، ووصل فى المجاهدة والمشاهدة إلى أقصى غاية. واجتهد فى الطريقة، والرضا لديه من الأحوال لا المقامات، ويطول شرح هذا الكلام. كان من البصرة، وتوفى فى بغداد.

قال عبدالله بن خفيف^(٣٢٩): اقتدوا بخمسة من شيوخنا، واتبعوا أحوالهم مع التسليم للآخرين: الأول: الحارث المحاسبى، والثانى: جتيد البغدادى، والثالث رويم^(٣٣٠)، والرابع: ابن عطاء، والخامس: عمرو بن عثمان المكى^(٣٣١) (رحمهم الله)، لأنهم جمعوا بين العلم والحقيقة^(٣٣٢)، وبين الطريقة والشريعة،

ويجوز الاعتقاد فيما عدا هؤلاء الخمسة، أما هؤلاء الخمسة يعتقد فيهم ويقندى بهم.

وقال شيوخ الطريقة: إن عبدالله بن خفيف سادسهم، يجوز الاعتقاد فيه والافتداء به، لكن ليس من شأنهم مدح أنفسهم.

يروى: أن الحارث ورث ثلاثين ألف دينار عن والده، فقال: احمولها إلى بيت المال حتى تكون للسلطان، قالوا: لماذا؟ قال: لأن الرسول قد قال وهو الصادق: القدرى مجوس هذه الأمة، وكان أبى قدرياً، وقال الرسول (ﷺ) أيضاً: لا يرث المسلم قدرياً، وأبى زردشتى وأنا مسلم. (٣٣٣)

وكانت عناية الحق (تعالى) تحفظه إلى حد أنه عندما كان يمد يده إلى طعام فيه شبهة، كان عرقه يتحرك داخل إصبعه (٣٣٤)، بحيث لا يطاوعه الإصبع، فكان يعرف أن تلك اللقمة فيها شبهة.

قال الجليد: جاءنى الحارث ذات يوم، فرأيت فيه أثر جوع، قلت: يا عم، أحضر طعاماً؟ قال: حسناً فدخلت الدار، وطلبت طعاماً كان قد أحضر من عرس ليلاً، وقدمته إليه، فلم يطاوعه إصبعه بأن يضع لقمة فى فمه، ومهما حاول لم تبلع، فكان يلوكها فى فمه، ثم نهض فى آخر الأمر، وألقاها فى الدهليز وخرج. قال: بعد ذلك سألته عن تلك الحال؟ فقال الحارس: كنت جائعاً، وأردت أن أرضيك؟ لكن لى مع الله علامة: ألا يسوغنى طعاماً فيه شبهة، ولا يطاوعنى إصبعى ومهما حاولت فلا تبلع. فمن أين ذلك الطعام؟ قلت: من دار قريب لى، ثم قلت: أتدخل اليوم دارى؟ قال: نعم فدخلنا، وأحضرت كسرة خبز بابسة، فأكلنا، وقال: هكذا يجب أن يكون الشىء (الطعام) الذى تقدمه للفقراء. (٣٣٥)

وقال: لم تسمع أذنى شيئاً قط طيلة ثلاثين عاماً سوى سريرتى، وتبدل حالى بعد ثلاثين عاماً أخرى، فلم يسمع سوى سوى الله شيئاً قط.

وقال: الشخص الذى يرى فى صلاة، ويسر بذلك، فكرت فى شأنه هل تبطل صلاته أم لا؟ أغلب ظنى الآن أنها تبطل. وكان مبالغاً جداً فى المحاسبة بحيث كان يسمى المحاسبى لهذا السبب.

وقال: لأهل المحاسبة عدة خصال تعلموها بالقول: فهم عندما نهضوا، بلغوا بتوفيق الحق (تعالى) المنازل الشريفة، ويسر لهم كل شيء بقوة العزم ويقهر الأهواء والنفس، فكل من يصح منه العزم يسهل عليه مخالفة الأهواء، ومن ثم كن قوى العزم، وواظب على هذه الخصال فهذا هو المجرب. وأول خصلة هي: ألا تقسم بالله صدقاً أو كذباً، سهواً أو عمدًا، والثانية: تعفف عن الكذب، والثالثة: ألا تخلف الوعد طالما تستطيع الوفاء به، ولا تعد شخصاً قدر استطاعتك فهذا أقرب إلى الصواب والرابعة: ألا تلعن شخصاً قط وإن كان ظالماً، والخامسة: ألا تدعو بالسوء قولاً أو فعلاً ولا تبحث عن الأجر، وأن تتحمل من أجل الله، والسادسة: ألا تشهد على شخص قط لا بالكفر ولا بالشرك ولا بالنفاق، فهذا أقرب إلى الرحمة بالخلق وأبعد عن مقت الله (تعالى) والسابعة: ألا ترتكب معصية فى الظاهر أو الباطن، وتعقل جوارحك عن كل شيء والثامنة: ألا تلق بحملك على شخص قط، وأن ترفع أعمالك عن كل شخص سواء أكانت خفيفة أم ثقيلة فيما تحتاج إليه فى هذا وما تستغنى عنه فى ذلك، والتاسعة: ألا تطمع فى الخلق، وتيأس من كل ما يملكونه، والعاشرة: إن كنت تريد رفعة الدرجة وغاية العزة لدى الله والخلق فى الدنيا والآخرة فيمكلك الحصول عليها بالأمر شخصاً قط من أبناء آدم (عليه السلام) إلا وتعدده أفضل منك.

وقال: المراقبة هي: علم القلب في قرب الحق (تعالى).

وقال: الرضا هو: الخضوع تحت مجارى الأحكام.

وقال: الصبر هو: هدف سهم البلاء.

وقال: التفكير هو: رؤية الأسباب قائمة بالحق.

وقال: التسليم هو: الثبات عند نزول البلاء بلا تغير في الظاهر والباطن. (٣٣٦)

وقال: الحياء: الرجوع عن جملة العادات السيئة التي لا يرضى الله عنها.

وقال: المحبة فرط الميل إلى شيء ثم إيثاره على نفسك بالجسد والروح والعمال وموافقته في الباطن والظاهر ثم العلم بأن كل التقصير منك.

وقال: الخوف هو: ألا يستطيع المرء أن يتحرك حركة ولا تستبد به الظنون فيقول: سوف أعاقب بهذه الحركة في الآخرة.

وقال: علامة الأنس بالحق هي الوحشة بالخلق، والهروب من كل شيء فيه الخلق والتفرد بحلاوة ذكر الحق تعالى ويقدر ما يستقر الأنس بالحق في قلبك يتسلل الأنس بالمخلوقات منه. (٣٣٧)

وقال: الصادق من لا يخاف وإن لم يبق له أى قدر لدى الخلق، ويعرف قلبه ولا يحب أن يرى الناس ذرة من أعماله.

وقال: احذر فتور العزم في كل الأعمال، لأن العدو سيظفر بك في هذا الوقت، وكلما رأيت فتور العزم، لا تهدأ لحظة، واستعن بالله.

وقال لفقير: «كن لله وإلا لا تكن». هذا هو أفضل الكلام. (٣٣٨)

وقال: جدير بالشخص الذى هذب نفسه بالرياضة أن يرشدها إلى المقامات.

وقال: قل لمن يريد أن يظفر بلذة أهل الجنة: اقع بمصاحبة الفقراء الصالحين.

وقال: من يصلح باطنه بمراقبة الله (تعالى) والإخلاص له يزين ظاهره بالمجاهدة واتباع السنة. (٣٣٩)

وقال: من كان عالماً بحركات القلب فى الغيب أفضل ممن كان عالماً بحركات الجوارح.

وقال: دائماً يهبط العارفون إلى خندق الرضا، ويغوصون فى بحر الصفاء، ويستخرجون جواهر الوفا، لا جرم أنهم يدركون الله فى السر والخفا (٣٤٠)

وقال: هناك ثلاثة أشياء إن ظفروا بها استفادوا منها. ولم نجد ما نحن فى: المحبة الحسنة بالرعاية والوفاء والشفقة. (٣٤١)

ويروى: أن الحارث كان يصنف مصنفاً، فسأله فقير: هل معرفة الحق حق على العبد أم حق له على الحق؟ فترك التصنيف لهذا القول لأنه إن قلت: إن عرف العبد المعرفة بنفسه، وحصلها بجهد، فهي حق على العبد، وهذا لا يجوز، وإن كانت معرفة الحق حق على العبد للحق لا يجوز لأنه يجب عليه أن يودى للحق حقه ومن هنا تعجب، وترك التصنيف وبمعنى آخر: هو طالما أن معرفة الحق حق (على) أن أودى هذا الحق كراماً، وفيما يجدى التأليف فى المعرفة، فالحق يمنح العبد ما هو حق له، مصداقاً لقوله: «أدبى ربي»، وإن كان شخص سيؤدى حق ذلك الحق فى معنى «إنك لا تهدى من أحببت»، (٣٤٢). لا جرم أنه ترك التصنيف.

ومعنى آخر هو: أن معرفة الحق حق على العبد بمعنى طالما منح الحق العبد المعرفة، فواجب على العبد تأدية حق ذلك الحق لأن كل حق سيؤديه

العبد بالعبادة سيكون حق الحق ويتوفيق منه، ومن ثم فإن على العبد حق أن يؤدي للحق حقه. ثم صنّف الكتاب والله أعلم بالصواب.

قال ابن مسروق: إن الحارث احتاج إلى درهم في الوقت الذي كان يسلم فيه الروح وكانت قد بقيت عن والده ضياع كثيرة، فلم يأخذ منها شيئاً قط وتوفى في تلك اللحظة التي احتاج فيها. (٢٤٣) (رحمة الله عليه رحمة واسعة).

« ذكر أبي سليمان الداراني (قدس الله روحه) »

هو مجرد الباطن والظاهر، المسافر الغائب والحاضر، هو العامل في الورع والمعرفة، والكامل في مائة نوع من الصفة، هو دُرُّ بحر المعرفة، أبو سليمان الدرائي (رحمة الله عليه).

كلُّ فريد زمانه، وسمى «ريحان القلوب» لثغاية لطفه، وله شأنٌ حسن في الرياضة الشاقة والجوع المفرط، بحيث أنهم كانوا يسمونه «بندار الجائعين» لأن شخصاً قط من هذه الأمة لم يستطع الصبر على الجوع مثله، وله في المعرفة وحالات غيوب القلوب وأفات عيوب النفس حظ عظيم وافر، وله كلمات عالية وإشارات لطيفة.

وكان من قرية «دارا» بدمشق. (٣٤٥)

قال أحمد بن الحواري الذي كان مريداً له: ذات ليلة كنت أصلي في خلوة، ووجدت في ذلك راحة عظيمة، وفي اليوم التالي قلت لسليمان فقال: أنت رجل ضعيف، فإن لك لدى الخلق لون في الخلاء وفي الملاء لون آخر، ولا شيء في العالمين أخطر مما يمكن أن يعوق العبد عن الحق.

وقال أبو سليمان: كنت في المسجد ذات ليلة، فأقلقني البرد، فخبأت إحدى يدي عند الدعاء، وارتحت راحة عظيمة لهذا، فهتف بي هاتف: يا أبا سليمان،

منحنا تلك اليد التي كنت قد أخرجتها رزقها، وإن أخرجت الأخرى، لمنحناها نصيبها. فأقسمت ألا أدعو قط إلا وأخرج يدي، برداً كان الوقت أو حرّاً (٣٤٦).
ثم قال: سبحان الله الذي حشد لطفه بلا هدف أو مراد.

وقال: نعمت عن وردى ذات مرة، فرأيت حوراء، قالت لي: تنام هانئاً وأنا أرى لك في الخدور منذ خمسمائة عام؟ (٣٤٧)

وقال: رأيت حوراء ذات ليلة، ابتسمت لي من زاوية، وبلغ بهاؤها حدّاً لا يمكن وصفه، ولا يستقيم وصف جمالها بالعبارة، قلت: من أين جئت بهذا البهاء والجمال؟ قالت: كانت العبرات تقطر من عينيك ذات ليلة، فغسل بها وجهي، وكل هذا منها فإن عبراتك زينة وجوه الحور، وكلما ازدادت ازددن جمالاً.

وقال: اعتدت أن أكل الخبز والملح وقت الطعام، ذات ليلة كان في الملح حبة من السمسم نسيبتها منذ عام عندما كنت أتناوله وحيث لا يتسع المكان لحبة السمسم، لا أعلم ماذا ستفعل مئات الآلاف من الشهوات بقلبك.

وقال: لي صديق، كان يعطيني كل شيء أريده، ذات مرة طلبت منه شيئاً، فقال: أزهقت كثرة المطالب حلاوة الصداقة عن قلبي.

وقال: أنكرت على الخليفة شيئاً، وعرفت أنه سمع قولي، ولم أعبأ بذلك، لكن الناس كانوا كثيرين، فخفت أن يروني، ويحلوا لقلبي إعجابهم بشجاعتى فأصير عندئذ خائناً.

وقال: رأيت مريداً في مكة، لم يكن يشرب شيئاً قط إلا ماء زمزم، فقلت له: ما تشرب إن جف هذا الماء؟ فنهض، وقال: جزاك الله خيراً، هديتني السبيل، فقد كنت عابداً لزمزم طيلة عدة أعوام، قال هذا، ومضى.

قال أحمد بن الحواري^(٣٤٨): لم يكن أبو سليمان يقول «ليبيك» في الإحرام، وقال: أرحى الحق (تعالى) إلى موسى (عليه السلام): بأن قل لظالمى أمئك ألا يذكرونى لأن من يظلم ويذكرنى، ألعنه، ثم قال: سمعت أن من ينفق فى الحج من مال فيه شبهة، ويقول «ليبيك» عندئذ يقال له: «لا لبيك ولا سعديك حتى ترد ما فى يديك»^(٣٤٩)

يروى: أن ابن الفضيل لم يكن يطيق سماع آية العذاب، فسألوا الفضيل: بما أدرك ولدك درجة الخوف؟ قال: بقلّة الذنوب. وقالوا هذا لسليمان فقال: يعترى الخوف المرء بكثرة الذنوب لا قلتها.

يروى: أن صالحاً بن عبد الكريم^(٣٥٠) قال: الرجاء والخوف نوران فى القلب، فقالوا له: أيهما أضوأ؟ قال: الرجاء.

أبلغوا أبا سليمان بهذا القول، فقال: سبحان الله أى قول هذا؟ فقد رأينا أن التقوى والصوم والصلاة وغيرها تنبعث من الخوف ولا تنبعث من الرجاء، ومن ثم كيف يكون الرجاء أكثر ضياءً؟ وقال: أخاف من نار هي عقوبة الله أو أخاف من إله عقوبته النار؟.

وقال: الخوف من الحق (تعالى) هو أصل كل الأشياء فى الدنيا والآخرة، وكلما يغلب الرجاء الخوف يفسد القلب، وكلما يدوم الخوف فى القلب، يظهر عليه الخسوع، وإذا لم يدم ويمر أحياناً على القلب، فلا يخضع قط.

وقال: لا ينفصل الخوف عن قلب إلا ويصير خراباً.

وقال لأحمد بن الحواري ذات يوم: حين ترى الناس يعملون بالرجاء، اعمل أنت بالخوف إن استطعت.

وقال للقمان بن جود: اخش الله خشية لا تياس فيها من رحمته، وأمل فى الله أملاً لا تأمن فيه من مكروه.

وقال: طالما ألقيت بقلبك في الشوق، إلق به في الخوف بعد ذلك، حتى يمحو الخوف الشوق عن الطريق، أي أنك أخرج للخوف من الشوق.

وقال: أفضل الأعمال مخالفة رضاء النفس، ولكل شيء علامة وعلامة الخذلان ترك البكاء، ولكل شيء صداً، وصداً القلب الشيع (٣٥١).

وقال: الاحتلام عقوبة ولهذا السبب يقول إنه علامة الشيع.

وقال: من يشيع، تعتره، ستة أشياء هي: أنه لا يجد حلاوة للعبادة، ويقل حفظه في تذكر الحكمة، ويحرم من الشفقة على الخلق، لأنه يظن أن العالمين جميعهم شبعانون، وتثقل عليه العبادة، وتزداد الشهوات لديه ويحوم جميع المسلمين حول المساجد، ويحوم هو حول المزابل.

وقال: الجوع عند الله خزينة من الخزائن المدخرة، لا يعطى (منها) إلا من يحب. (٣٥٢)

وقال: حين يشبع المرء، تجوع جملة أعضائه رغبة في الشهوات، وحين يجوع تشبع جملة أعضائه من الشهوات. أي طالما تجوع البطن تتجنب الشهوات

وقال: الجوع مفتاح الآخرة والشيع مفتاح الدنيا.

قال: كلما كانت لك حاجة من حوائج الدنيا والآخرة، لا تأكل قط حتى تنقضى تلك الحاجة لأن الطعام يغير العقل، ويتغير طلب الحاجة من المتغير، ومن ثم عليك بالحرص على الجوع، فإنه يذل النفس، ويرقق القلب، ويصب عليك العلم السماوي.

وقال: إن تناولت لقمة من حلال ذات ليلة أحب إلى من أن أصلى حتى النهار لأن الليل يحل عندما تغرب الشمس، ويحل ليل قلوب المؤمنين عندما تمتلأ معداتهم بالطعام.

وقال: لا تصبر على شهوات الدنيا إلا نفساً في قلبها نور يشغلها بالآخرة.

وقال: طالما لا يصبر العبد على ما يحبه فكيف يصبر على ما لا يحبه.

وقال: لم يرجع من رجع من الطريق لأنه إذا وصل إليه لم يرجع عنه أبداً. (٣٥٣)

وقال: طوبى لمن خطا خطوة بإخلاص طوال عمره.

وقال: ينجو العبد كلما يتخلص من كثرة الوسوس والرياء.

وقال: الأعمال الخالصة قليلة.

وقال: إن أراد صادق أن يصف ما في قلبه لا يطاوعه لسانه.

وقال: مضى الصدق بالسنة الصادقين وبقي على السنة الكاذبين.

وقال: لكل شيء تراه زينة، وزينة الصدق الخشوع.

وقال: اجعل الصدق ظنك والحق سيفك واعلم أن الله غاية طلبك.

وقال: القناعة من الرضا كالورع من الزهد. فهذه أول الرضا، وذلك أول الزهد.

وقال: لله عباد يخجلون أن يعاملونه بالصبر، فيعاملونه بالرضا. أي أن في الصبر معنى أنا صبور، لكن هذا ليس في الرضا، ويكون الإنسان على النحو الذي بداخله، فيتعلق الصبر بك والرضا به.

وقال: الرضا ألا (تطلب) الجنة من الله، أو تطلب النجاة من الجحيم.

وقال: لا أعرف للزهد ولا الورع ولا الرضا حداً ولا غاية، ولكني أعرف السبيل إليها.

وقال: ورد على حال من كل مقام إلا الرضا لم تصلني منه سوى
الرائحة، ومع هذا فإن يحمل خلق العالم جميعاً إلى الجحيم ويذهبون كارهين،
أذهب أنا راضياً، لأنه لو أننى لست راضياً عن دخول الجحيم فهو راض.

وقال: وصلنا في الرضا إلى حد أنهم إن وضعوا طبقات الجحيم السبع في
عيننا اليمنى لا يجول بخاطرنا لماذا لم يضعوها في اليسرى؟

وقال: التواضع: ألا يبدر عليك عجب قط في عملك.

وقال: لا يتواضع العبد قط حتى يتجاهل نفسه، ولا يتزهّد قط حتى
يفغاضى عن الدنيا، والزهد هو أن تترك كل شيء يمنعه الحق (تعالى) عنك.

وقال: علامة الزهد هي: إن ارتدى شخص أمامك صوفاً قيمته ثلاثة
دراهم لا يرغب قلبك في صوف قيمته خمسة دراهم. (٣٥٤)

وقال: لا تشهد بالزهد على شخص قط لأنه غائب عنك في القلب،
وحاضر في الورع.

وقال: الورع أفسى على اللسان من الفضة والذهب على القلب.

وقال: حفظ اللسان هو الحصن الحصين، والجوع لب العبادة، ومحبة الدنيا
سبب كل الخطايا.

وقال: التصوف هو من تسرى عليه أفعال لا يعلمها إلا الله، ويكون مع الله
دائماً بحيث لا يعرف سواه.

وقال: التفكير في الدنيا حجاب الآخرة، والتفكير في الآخرة ثمرة الحكمة
وحياة القلوب.

وقال: يزداد العلم بالغيرة والخوف بالتفكير.

وذكر شخص معصية أمامه، فبكى منتحباً وقال: بالله، أرى الآفاق في الطاعة وهي في غنى عن تلك المعصية.

وقال: عردوا العين البكاء والقلب الفكر.

وقال: إذا لم يبك العبد قط إلا على ما أضاعه من عمره فكفاه حزناً حتى الموت.

وقال: من عرف الله، يفرغ قلبه، وينشغل بذكره وطاعته، ويبكى على أخطائه.

وقال: في الجنة صحراوات، حين ينشغل العبد بالذكر تفرس الأشجار باسمه فيها حتى يكف، يقال للملائكة: لما اكتفيتم؟ فيقولون: لأنه كف.

وقال: قل لمن يرجو عظة الوهاب: انظر في اختلاف الليل والنهار!

وقال: من أحسن في نهاره كوفئ في ليله، ومن أحسن في ليله كوفئ في نهاره^(٣٥٥).

وقال: من صدق في ترك شهوة فإن الحق تعالى أكرم من أن يعذبه، وسيذهب بتلك الشهوة عن قلبه^(٣٥٦).

وقال: من يشغل بالنكاح والسفر وتدوين الحديث فقد انشغل بالدنيا إلا امرأة صالحة فهي ليست من الدنيا بل من الآخرة. أي التي تجعلك فارغاً لإنجاز أمور الآخرة لكن ما يشغلك عن الحق من مال وأهل وولد يكون شوماً عليك.

وقال: اعلم أن كل عمل لا تثاب عليه في الدنيا، لن تثاب عليه في الآخرة. أي أن راحة قبول تلك الطاعة يجب أن (تصلك) هنا (في الدنيا).

وقال: إن نفساً بارداً يصعد من قلب فقير عند رغبة عجز عن تحقيقها، أفضل من ألف عام طاعة وعبادة لغنى.

وقال: أفضل سخاوة التي تتفق مع الحاجة.

وقال: آخر أقدام الزاهدين هو أول أقدام المتوكلين.

وقال: إن علم الغافلون ما يفوتهم مما هم فيه، لامتوا جميعاً من هول المفاجأة.

وقال: يقضى الحق (تعالى) لعارف نائم فوق فراش الأسرار ويظهر له ما لا يظهر قط لواقف في صلاة.

وقال: طالما فتحت للعارف عين القلب، أغلقت عليه عين الرأس، فلا يرى أحداً سواه.

كما قال أيضاً: أقرب شيء يتقرب به إلى الله (تعالى) هو أن تعرف أن الله (تعالى) مطلع على قلبك، ويعرف منه أنك لا تريد من الدنيا والآخرة إلا هو.

وقال: إن صورت المعرفة في مكان، لا ينظر إليها شخص قط إلا وينبهر من حلاوتها وجمالها وحسنها ولطفها، ويظلم كل نور إلى جانب نورها.

وقال: المعرفة أقرب إلى الصمت من الكلام، وقلب المؤمن مضى بذكره، وذكره غذاء له والأنس به راحته، وتجارته حسن معاملته، والليل سوقه، والمسجد مكانه، والعبادة كسبه والقرآن بضاعته، والدنيا مزرعته، والقيامة بيدره، وثواب الحق تعالى ثمرة كفاحه.

وقال: أفضل ما في زماننا الصبر، والصبر قسمان: صبر على ما تكرهه من أوامر الحق مع التزامك باتباعها، وصبر على ما تطلبه مما يدعوك إليه الهوى وينهيك الحق عنه.

وقال: الخير الذي لا شرف فيه هو الشكر عند النعمة والصبر عند البلاء.

وقال: كل من يعرف قيمة نفسه، لا يذوق حلاوة الخدمة قط.

وقال: إن اجتمع الخلق كى يذلونى، لما استطاعوا ما لم أذل نفسى وإن أرادوا أن يعزوني لما استطاعوا ما لم أعز نفسى. أى أن ذلى فى المعصية وعزى فى الطاعة.

وقال: لكل شىء صديق، وصداق الجنة ترك الدنيا، وكل ما فيها.

وقال: كل قلب استقرت فيه محبة الدنيا تسلت منه محبة الآخرة.

وقال: حين يترك الحكيم الدنيا فإنها تضىء بنور حكمته.

وقال: إن الدنيا عند الله أقل من جناح بعوضة، فأى قيمة لها حتى يزهد الشخص فيها؟!

وقال: من يبحث عن وسيلة إلى الله فيها مضرة لنفسه يحفظ الله عليه نفسه، ويجعله من أهل الجنة.

وقال: يقول الله (تعالى): يا عبدى إن خجلت منى أخفى عيوبك عن الخلق، وأمحورلتك من اللوح المحفوظ، ولا أحاسبك يوم القيامة.

وقال لمريد: حين ترى خيانة من صاحب، لا تعاتبه، فربما تسمع فى العتاب كلاماً أشد. فقال المريد: وهو كذلك.

قال أحمد بن الحوارى: كان الشيخ قد ارتدى ثياباً بيضاء ذات يوم، وقال: ليت قلبى بين القلوب كان مثل ذلك الثوب بين الثياب.

ويقول الشيخ الجنيد (رحمة الله عليه): وصلت حيطته إلى حد أنه قال: كثيراً ما مرت على قلبى أمور من أمور هؤلاء القوم، فلم أقبلها طوال عدة أيام إلا بشاهدى عدل من الكتاب والسنة.

وكان يقول في المناجاة: إلهي، كيف يليق بخدمتك من لا يمكن له أن يكون جديراً بها أو كيف يأمل في رحمتك من لا يخجل من النجاة من عذابك؟

يروي أن أبا سليمان كان صاحباً لمعاذ بن جبل^(٣٥٧) وتلقى العلم منه، وحين اقتربت وفاته، قال الأصحاب: بشرنا بأنك ستذهب إلى الحضرة حيث الله الغفور والرحمن. فقال: لماذا لا تقولون ستذهب إلى الحضرة الإلهية، ويحاسبك فيها على الصغيرة ويعذبك على الكبيرة عذاباً شديداً، ثم أسلم الروح. رآه آخر في المنام بعد وفاته، فقال له: ما فعل الله بك؟ قال: رحمني، ورعاني، ولكن إشارات هؤلاء القوم كانت ضرراً فادحاً لي. أي أنني كنت مشهوراً بين (العارفين) (رحمة الله عليه).

ذكر محمد بن السماك^(٣٥٨) (قدس الله روحه)

هو واعظ الأقران، وحافظ الإخوان، هو الزاهد المتمكن والعاقد المتدين هو قطب الأفلاك محمد بن السماك (رحمة الله عليه)

كان إماماً في كل وقت، وكان مقبولاً لدى الأنام، وله كلام سامي وبيان شافي، وكان آية في الموعدة، تحقق الفتح لمعروف الكرخي من كلامه ويجله هارون الرشيد كذلك وتواضع له لأنه قال: يا أمير المؤمنين! تواضعك في شرف أكثر شرفاً من كثرة الشرف.

وقال: أشرف التواضع ألا ترى فضلاً لك على شخص قط.

وقال: كان هناك دواء لهؤلاء الناس دواء من قبل يشفى به، الآن أصيبوا جميعاً بالداء الذي لا دواء له. ومن ثم فالطريق هو: أن تجعل الله مؤنسك وتجعل كتابه موضع أسرارك.

وقال: الطمع طناب في الرقبة وقيد في القدم، فألق به حتى تتحرر.

وقال: كانت الموعدة تثقل على الواعظين حتى الآن بحيث كان المقتفون لأثرهم قليلين كذلك فالعاملون بها اليوم قليلون.

قال أحمد الحواري: مرض ابن السماك، وأخذنا بوله لنعرضه على طبيب نصراني كان معاصراً له، وفي الطريق الذي كنا نسير فيه رأينا رجلاً جميل الوجه، زكى الرائحة، طاهراً، يرتدى ثياباً نظيفة قدم إلينا وقال: إلى أين تذهبون؟ قلت: إلى الطبيب النصراني فلان، نريده أن يفحص ابن السماك، ونحمل البول لنعرضه عليه. فقال: سبحان الله! أيستعين حبيب الله بعد والله! وتذهبون إليه، عودوا واذهبوا إلى ابن السماك وقولوا له أن يضع يده على تلك العلة ويقراء أعوذ بالله من الشيطان الرجيم وبالحق أنزلناه وبالحق نزل، (٣٥٩) فعدنا وشرحنا له الحال ففعل ما أمر به، فشفي في الحال وقال: اعلموا أنه كان الخضر (عليه السلام).

يروى: أنه كان يقول حين وافته المنية: يا إلهي أتعلم أنني في الوقت الذي كنت أرتكب فيه المعصية كنت أحب أهل طاعتك، فأجعل هذا كفارة لذلك. (٣٦٠)

يروى: أنه كان أعزياً، فقيل له: أتريد زوجة؟ قال: لا، قالوا: لماذا؟ قال: لأن معي شيطان، ويدخل شيطان آخر وأنا لا أطيق أن يكون هناك شيطانان في داري. قالوا: كيف؟ قال: لكل منا شيطان، واحد لي وواحد لها، فكيف يبقى شيطانان في بيت واحد.

بعد ذلك توفي، فرأوه في المنام، فقالوا: ماذا فعل الله بك؟ قال: أظهر لي كل عطف ومودة وتبجيل وإكرام، ولكن أحداً لا يريق هناك ماء وجهه إلا من كابد أعباء العيال، وكف في أثر الدابة والزننيل. «رحمة الله عليه».

ذكر محمد بن أسلم^(٣٦١) (قدس الله روحه)

هو قطب الدين والدولة وشمع جمع السنة، هو طارى الأرض بالجسد المطهر، والفلك بالروح المنور، هو المتمكن من البساط القدسي محمد بن أسلم الطوسي (رحمة الله عليه).

كان فريد الدنيا، والقُدرة المطلقة، وقد سمي «لسان الرسول» وكتب عنه «حارس خراسان».

ولم تكن لشخص قط همته في اتباع السنة، فقد كانت سكناته وحركاته طوال عمره على بساط السنة.

قدم إلى نيسابور مع علي بن موسى الرضا (رضى الله عنه)، ركب الإثنان معاً هودجاً على ناقة، وكان إسحق بن راهويه الحنظلي يمسك بزمامها (ولما وصلوا إلى نيسابور، بدا وسط المدينة، مرتدياً عمامة من اللباد على رأسه وقميصاً من الصوف على جسده، وواضعاً خرطة مملوءة بالكتب على كتفه، عندما رآه الناس بتلك الهيئة بكوا، وبكى هو أيضاً. وقالوا: إننا لا نستطيع أن نراك بهذا القميص وهذه العمامة.

يروي: أن محمداً كان يعقد مجلساً، ولم يكن يأتي إليه أكثر من عدة

أشخاص قليلين ومع هذا اهتدى ما يقرب من خمسين ألف آدمى إلى الطريق المستقيم ببركات نفسه، وتابوا وكفوا عن الفساد.

ويعد ذلك سجن عامين، لأن ظالماً كان يقول له: القرآن مخلوق، فقال: لا ومن ثم وضع في السجن، وكان يغتسل كل جمعة، ويؤدى السنن، وكان يرفع السجادة ويمضى إلى باب السجن ولما ينتعش، كان يعود، ويضع وجهه على التراب ويقول: يا إلهي أديت ما عليّ، وأنت تعلم الآن.

ولما أطلق سراحه، كان عبدالله بن طاهر^(٣٦٢) أميراً على خراسان، وكان رجلاً شديد الجمال وطيب السيرة. (وقد أحسن إلى العلماء. حدث أن) جاء إلى نيسابور، فخرج أعيان المدينة جميعاً لاستقباله والسلام عليه، وخرجوا في اليوم الثانى للسلام عليه، وكذلك فى الأيام الثالث والرابع والخامس والسادس. قال عبدالله: ألم يبق شخص قط فى هذه المدينة لم يأت للسلام علينا؟ قالوا: جاءوا جميعاً سوى شخصين، قال: من هما؟ قالوا: أحمد بن حرب ومحمد بن أسلم الطوسى (رحمهما الله)، قال: لماذا لم يأتيا إلينا؟ قالوا: هما عالمان ربانيان، لا يذهبان للسلام على السلاطين، فقال: إن لم يجيئا للسلام علينا نذهب نحن للسلام عليهما، وذهب إلى أحمد بن حرب، فقال شخص: إن عبدالله بن الطاهر قادم، قال: لا مفر دخل، فنهض أحمد، وظل يومئ برأسه ساعة تامة، ثم رفعها، وكان ينظر إليه، وقال: كنت قد سمعت: أنك رجل حسن الوجه، ولكن منظرك أجمل مما أخبرت به، الآن لا تقبح هذا الوجه الحسن بالمعصية ومخالفة أمر الله، ثم خرج من هناك وذهب إلى محمد بن أسلم، فلم يأذن له (ببقائه) ومهما حاول فلا جدوى، وكان اليوم جمعة، فانتظر حتى خرج لصلاة الجمعة، ونظر إليه، فلم يطق ذلك، ونزل من فوق دابته، ووضع وجهه على تراب قدم محمد بن أسلم، وقال: يا إلهي العزيز، إنه

يكرهني لأنني عبد سيء وإنني أحبه لأنه عبد حسن، وأنا غلامه، طالما أننا لك، اجعل أمر هذا السيء في أمر هذا الحسن! قال هذا، وعاد.

ثم ذهب محمد بن أسلم بعد ذلك إلى طوس، وأقام فيها، وكان له مسجد هناك، كل من كان ضريراً كان (يشفي) حين يصل إليه، ويرى أي مكان ذلك. وكان عربياً، فلما أقام هناك، اشتهر بمحمد بن أسلم الطوسي. وأمضى مدة طويلة في طوس وكان هناك سلسبيل على باب داره لم يملأ منه قدحاً قط، وقال: هذا الماء ملك للناس ولا تجوز تعبئته، ورغب مدة في الماء الذلال، بلا جدوى، ولما تجاوزت رغبته الحد في النهاية، ملأ قدح ماء من البئر وصبه في ذلك الجدول، وحمل منها ماء ذلالاً، ثم عاد إلى نيسابور.

يسروى: أن واحداً من أكابر الطريقة قال: كنت في الروم في جمع، فجأة رأيت إبليس وقد سقط من الهواء، فقلت: أيها اللعين ما هذه الحال؟ وما حل بك؟ قال: تحنح محمد بن أسلم في المتوضأ في هذه اللحظة، فسقطت هنا خوفاً من صوته وكاد أن يغشى علي.

يسروى: أن محمداً كان يقترض دائماً، ويتصدق على الفقراء، وذات مرة جاء يهودى وقال: قد أعطيتك بعض الذهب، فرده، ولم يكن لدى محمد بن أسلم شيء قط، وفي تلك اللحظة كان قد برى القلم، ووضع نشارته أمامه، وقال لليهودى: انهض، وخذ نشارة القلم تلك، فنهض اليهودى ليرى أن نشارة القلم كانت قد صارت ذهباً، فتعجب وقال: كل دين تتحول فيه نشارة القلم ذهباً. بواسطة نفس عزيزة، لا يكون باطلاً، وآمن، وأمنت القبيلتان.

يسروى: أن الشيخ علي بن الفارمدى كان يعظ في مجلس في نيسابور ذات يوم، وكان إمام الحرمين حاضراً، فسأل واحداً من العلماء ورثة الأنبياء؟ قال:

لا القائل ولا السامع أى أمام الحرمين، لكنه هذا الرجل الذى قد نام على بوابة، وأشار إلى تراب محمد بن أسلم.

يروى: أن محمداً مرض فى نيسابور، فرآه أحد جيرانه فى المنام، وهو يقول: الحمد لله وجدت الخلاص، وشفيت من المرض. فنهض ذلك الرجل كي يخبره، ولما وصل إلى باب داره، سأل: ما حال السيد؟ فقالوا: ليجزيك الله، قد توفى البارحة.

ولما حملوا نعشه طرحوا عليه الخرقه التى كان يملكها، ويسطوا تحته قطعة لباد قديمة كان يجلس عليها. وكانت هناك عجوزتان على سطح (دار)، كانتا تقولان لبعضهما البعض: مات محمد بن أسلم، وحمل ما ملكه معه (٢٦٣)، ولم تستطع الدنيا خداعه قط. (رحمة الله عليه).

ذكر أحمد بن حرب (٣٤٤) (قدس الله روحه)

هو الراسخ في مقام المكنة، والأمين على السنة وإمامها، هو زاهد الزهاد، وقبلة العباد هو قدوة الشرق والغرب، شيخ خراسان أحمد بن حرب (رحمة الله عليه).

فضائله كثيرة، ولا نظير له في الورع، ولا مثيل له في العبادة، وكان معتقداً فيه إلى حد أن يحيى بن معاذ الرازي (رحمة الله عليه) كان قد أوصى (قائلاً): ضعوا رأسى على قدمه. ووصل في التقوى إلى حد أن أمه كانت قد شوت له طائراً، وقالت: كله فقد ربيته في الدار، ولا شبهة فيه قط، فقال أحمد: ذات يوم حط على سطح الجار وأكل هناك بعض الحبوب، وكان ذلك الجار جندياً، فلا يليق هذا بحلقى.

وقيل: كان هناك أحمدان في نيسابور، واحد همه في الدين والآخر همه في الدنيا فسمى أحدهم أحمد بن حرب، والآخر أحمد بن بازرگان، وقد اتصف هذا الأحمدي بأن الذكر غلبه إلى حد أنه عندما كان يطلب المزين ليصلح له شعر شاربه، كان يحرك شفتيه فيقول له: كف حتى أصلح لك هذا الشعر، فكان يقول: انشغل أنت بشغلك. وفي كل مرة كانت تنجرح شفتاه.

ذات مرة كتب شخص رسالة إليه، فظل مدة طويلة يريد أن يكتب رد الرسالة، ولم يجد الوقت. ذات يوم كان المؤذن يؤذن للصلاة، فقال لواحد أثناء الإقامة اكتب رد رسالة صاحب، وقل له: ألا يكتب لي مرة أخرى، فليس لدي وقت للرد، اكتب له انشغل بالله، والسلام.

وغلب حب الدنيا على أحمد بازركان إلى حد أنه طلب طعاماً من جاريتيه، فأعدت له الجارية الطعام، وأحضرته إليه ووضعته أمامه، وكان يحسب حساباً إلى حد أن صار الوقت ليلاً، وغلبه النوم حتى استيقظ في الصباح وسأل: ألم تعدى الطعام يا جارية؟ فقالت: بلى، (لكنك) شغلت بالحساب، وأعدته مرة ثانية، وأحضرته إليه فلم يجد وقتاً أيضاً ليأكله، ومرة ثالثة أعدته ولم يتم الأمر، فذهبت إليه الجارية ووجدته نائماً، فحكّت شفتيه بقطعة من الطعام، فاستيقظ، وقال: احضري الطست، لأنه ظن أنه قد تناول الطعام.

يسروى: أن أحمد بن حرب كان يرى ابنه على التوكل، فقال له: كلما لزمك طعام أو أى شيء آخر، اذهب إلى هذه الطاقة، وقل: يا إلهي، يلزمني خبز، ومن ثم كلما كان يذهب الطفل إلى ذلك الموضع كل شيء كان يطلبه كان يعد له ويلقى به في تلك الطاقة. وذات يوم غاب الجميع عن الدار، فغلب الجوع الطفل، فأتجه إلى الطاقة كعادته، وقال: يا إلهي، يلزمني الخبز والشيء الفلاني وفي الحال وصلت إليه في تلك الطاقة، فجاء أهل الدار، ورأوه جالساً وهو يأكل شيئاً، فقالوا: من أين أحضرت هذا؟ قال: ممن يعطيني كل يوم فعملوا أن هذا الطريق انفتح عليه.

يروى: أن أحد التجار قال: مررت على مجلس أحمد بن حرب، وقد جرت مسألة على لسانه استضاء بها قلبي كالشمس وقد ظلمت عاماً على هذا النحو، ولن يزول (النور) عن قلبي.

وكان أحمد مريداً ليحيى بن يحيى، وكان لديه بستان. أكل منه قليلاً من الكروم ذات يوم، فقال له أحمد: لماذا تأكل؟ قال: هذا البستان ملكي! قال: الماء وقف في هذه القرية يوم بليلة، ولا يهتم الناس بهذا، فتاب يحيى بن يحيى (وقال): لن أكل كروماً من ذلك البستان ثانية.

يروى: أن أحمد كانت لديه صومعة، كان يذهب إليها في كل وقت للعبادة حتى يفرغ ذات ليلة كان قد ذهب إليها للعبادة وعندما أخذت الأمطار الغزيرة تهطل، فكر في أمر الدار، ربما تتسرب إليه المياه وتبتل الكتب. فسمع صوتاً: يا أحمد، انهض واذهب إلى الدار، فما يتأتى منك من عمل، وجهته إلى الدار فما تفعل هنا؟ فتاب في الحال توبة نصوحة.

يروى: أن سادات نيسابور جاءوا ذات يوم للسلام عليه، فدخل من الباب ولده وهو ثمل وكان يعزف على العود، ومر عليهم، ولم يهتم بهم، فتغيروا جميعاً، رأى أحمد هذا الحال، فقال لهم: اعذروهم لأنهم ذات ليلة أحضروا لنا مأكولاً من منزل الجار، فأكلنا منه (أنا وزوجي)، وكانت لنا صحبة في تلك الليلة، جاء منها إلى الوجود، تتبععت الأمر فكانت أمه قد ذهبت إلى عرس في قصر السلطان، وأحضرت منه مأكولاً^(٣٦٥).

يروى: أن مجوسياً يدعى بهرام كان جاراً لأحمد، وكان شريكه قد أرسله في تجارة وفي الطريق سرق اللصوص المال، ولما وصل الخبر للشيخ قال للمريدين: انهضوا نشاطر جارنا الأحزان لما حل به، فمع أنه مجوسى إلا أنه جار، وعندما وصلوا إلى باب داره وكان بهرام يشعل نار المجوسية، فأسرع إليه وقبل يده، وجال في خاطر بهرام: ربما هم جوعى، والخبز أقل من أن أضعه على مائدة. قال الشيخ: ما عليك، فقد جئنا نواسيك، لأنى سمعت أن لصاً قد سرق أموالكم، قال المجوسى: بلى الأمر كذلك لكنه من الواجب أن أشكر الله

ثلاث مرات: أولاً: لأنها سرفت منى ولم أسرقها أنا من غيرى، ثانياً: لأن نصفها سرق ولم يسرق النصف الآخر، ثالثاً: لأن دينى معى، فالدنيا نجىء وتروح. سر أحمد بهذا الكلام، وقال: اكتبوا هذا، فإن رائحة الإسلام تفوح من هذه الأقوال الثلاثة، ثم اتجه للشيخ إلى بهرام وقال: لما تعبدت تلك النار؟ قال: حتى لا تحرقنى، وسبب آخر هو أننى أزودها بالحطب اليوم، فلا تخوننى فى الغد، وتوصلنى إلى الله. قال الشيخ: أخطأت خطأ عظيماً، فالنار ضعيفة وجاهلة ولا وفاء لها وكل ما تعقده عليها باطلاً، فإن صب عليها طفل قدراً من الماء تخمد، وشخص ضعيف إلى هذا الحد كيف يستطيع أن يوصلك إلى قولى كهذا؟ شخص لا يقوى أن يدفع ذرة تراب عن نفسه، كيف يستطيع أن يوصلك إلى الحق، والشىء الثانى: أنها جاهلة، إن ألقىت فيها مسكاً وقذارة تلتهمها ولا تدرى أيهما أفضل ومن هنا فهى لا تفرق بين النجاسة والعود، والشىء الثالث هو: أنك عبدتها طيلة سبعين عاماً، ولم أعبدها أنا قط. هيا نضع أدينا فيها، لنرى أنها ستحرق كلا اليمين، ولا تحفظ لك وفاء فوق هذا الكلام من قلب المجوسى موقعاً، فقال: أسألك أربع مسائل، إن أجبت أؤمن قل: لماذا خلق الحق (تعالى) الخلق؟ ولماذا رزقهم حين خلقهم؟ ولماذا يميتهم؟ ولماذا يعثهم بعد أن يميتهم؟ قال: خلقهم ليعبدوه، ورزقهم ليعترفوا بأنه الرزاق، ويميتهم ليعترفوا له بالقهر، ويحييهم ليعترفوا له بالقدرة والعلم. عندما سمع بهرام هذا. قال: أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله. وعندما أسلم، صاح الشيخ صيحة، وفقد وعيه، ومضت فترة عاد فيها إلى رشده.

قالوا له: ما سبب هذا يا شيخ؟ قال: فى تلك اللحظة التى كان يبسط فيها إصبعة للشهادة، نودى على: يا أحمد، قبح بهرام فى المجوسية سبعين عاماً، ثم آمن وأمضيت أنت سبعين عاماً فى الإسلام إلام ستلول فى العاقبة؟

يروى : أن أحمد لم يكن قد نام ليلة طوال عمره، فقالوا له: فلتسترح لحظة، قال: كيف يأتي النوم لشخص تزين له الجنة من أعلى ويشعل له الجحيم من أسفل ولا يدري من أهل أيهما سيكون؟! وأيها مقره؟

ومن أقواله ليتنى أعلم من يكرهنى ومن يفتابنى، ومن يسيئ إلى القول حتى كنت أرسل إليه الفضة والذهب، لأنه طالما ينشغل بأمرى ينفق من مالى.

وقال: اخشوا الله ما استطعتم، وأطيعوه قدرما تستطيعون وأطيعوه حتى لا تخدعكم الدنيا، فلا تبتلون بالبلاء كالسابقين.

ذكر حاتم الأصم (٣٦١) (قدس الله روحه)

. هو زاهدالزمان، والعباد الفريد، هو المعرض عن الدنيا، والمقبل على العقبى، هو حاكم الكرم الشيخ حاتم الأصم (رحمة الله عليه).

كان من كبار مشايخ بلخ، وكان قد اشتهر فى خراسان. كان مريداً لشقيق البلخى وكان قد أدرك خضرويه أيضاً.

وكان فريداً فى الزهد والرياضة والورع والأدب والصدق والحذر، ويمكن القول: إن نفساً لم يكن قد سعد منه بعد البلوغ دون مراقبة ومحاسبة، ولم يخط خطوة بغير صدق وإخلاص حتى قال الجنيد عنه: «صديق زماننا حاتم الأصم».

وله أقوال عجيبة فى مجاهدة النفس، ودقائق مكرها، ومعرفة رعوناتها، ولا مثيل لتصانيفه القيمة، وآرائه وحكمته، مثلما قال لأصحابه ذات يوم: إن سألكم الناس ما ذا تعلمتم من حاتم؟ ما تقولون؟ قالوا: نقول العلم، قال: وإن قالوا لا علم لحاتم؟ قالوا: نقول الحكمة، قال: وإن قالوا لا حكمة له؟ ما تقولون؟ قالوا: نقول: تعلمنا شيئين: الأول: الرضا بما فى اليد، والثانى: اليأس مما فى يد الناس.

ذات يوم سأل أصحابه (قائلًا): أتحمل عناءكم منذ عمر طويل ألم يصبح أى شخص منكم لائقًا؟ فقال أحدهم: غزا فلان عدة غزوات، قال: أليكون غازيًا ويكون لائقًا عندي! قالوا: بئذ فلان أموالاً طائلة، فقال: أليكون سخيًا ويكون لائقًا لدى! قالوا: حج فلان كثيرًا قال: أليكون حاجًا، ويكون لائقًا فى نظرى. فقالوا: لا ندرى، اشرح لنا إذن من هو اللائق لديك؟ قال: من لا يخاف سوى الله، ولا يأمل إلا فيه.

ووصل كرمه إلى حد أن امرأة جاءت إليه ذات يوم، وسألته عن مسألة، فخرج منها صوت (ريح)، قال حاتم: ارفعى صوتك فإننى أصم كى لا يخلها، فرفعت العجوز صوتها فأجابها فى تلك المسألة^(٣٦٧). وكانت تلك العجوز قد عمرت ما يقرب من خمسة عشر عامًا، جعل نفسه فيها أصم حتى لا يقل شخص للعجوز أنه ليس كذلك. ولما توفيت العجوز أجاب الكلام ذى الصوت الخفيض حينئذ، وكان قبل ذلك يقول لكل من كان يتحدث معه، ارفع صوتك، ولهذا السبب سُمى بالأصم.

يروى: أن حاتمًا كان يعظ فى مجلس بلخ ذات يوم، وكان يقول: إلهى، اغفر لمن هو أكثر ذنبًا فى هذا المجلس، وأسود صحيفة وأجرأ على الذنوب. كان رجلاً يعمل نباشًا حاضرًا فى ذلك المجلس، وكان قد شق كثيرًا من القبور، وسرق الأكفان ولما حل الليل، ذهب للنباشة كعادته، وعندما رفع التراب من على القبر، سمع صوتًا من اللحد: ألا تخجل، فقد غفر لك فى مجلس الأصم بالأمس، وتستمر فى عمالك هذه الليلة أيضًا، فنهض النباش من التراب، وذهب إلى حاتم، وقص القصة، وتاب.

يقول سعد بن محمد الرازى^(٣٦٨): تتلمذت على يد حاتم عدة أعوام، ولم أره غاضبًا قط إلا عندما كان قد ذهب إلى السوق ذات مرة، فرأى واحدًا كان

قد تتلمذ على يديه وكان يصيح: قد استولى على بضاعتي عدة مرات، ولا يعطيني ثمنها. قال الشيخ: أيها السخي، اصفح عنه، قال: لا أعرف الصفح وأريد الفضة، ومهما تحدث فلا جدوى، فغضب ورفع الرداء عن كتفه، وألقاه على الأرض، فامتلات حلبة السوق بالذهب، وكلها صحيحة فقال: هلا خذ حقه ولا تزد حتى لا تتيبس يدك، فأخذ الرجل الذهب المنناثر حتى حصل على حقه، ولم يستطع الصبر، فمدّ يده، وحمل ذهباً آخر، فتيبست يده في الحال.

يروى: أن شخصاً دعا حاتم إلى دعوة، فقال له: لست معتاداً على الذهاب إلى ضيافة، فألح الرجل، فقال: إن كان لابد فأنا موافق بشرط أن توافق على ثلاثة أعمال: قال: موافق، قال: أجلس حيث أريد، وأقبل ما أريد، وأكل ما أريد، قال: حسناً ثم ذهب، ودخل، وجلس في مكان النعال، قالوا: ليس هذا مكانك! فقال: قد اشتربت أن أجلس حيث أريد، ولما وضعوا المائدة، أخرج حاتم رغيفاً من الشعير من كفه، وأخذ يأكل منه، فقال: يا شيخ، كل شيئاً من طعامنا، فقال: قد اشتربت أن أكل ما أريد، ولما فرغوا قال: ضع تلك النعال الثلاثة في النار حتى تلتهب، فعل الرجل كذلك، فقال (له): الآن ضعهم في هذا الممر، فعل الرجل ذلك، فنهض ووضع قدميه على الثلاثة نعال وقال: أكلت رغيفاً، ومضى. وقال: إن علمتم أن الصراط حق، والجحيم حق، وأن كل ما تفعلونه تسلون عنه فوق ذلك الصراط، فتخيلوا أن هذه النعال الثلاثة هي ذلك الصراط، وضعوا أقدامكم عليها، وكل ما تناولتموه اليوم في هذه الدعوة، تعطوني حسابه، قالوا: لا طاقة لنا بذلك يا حاتم، فقال حاتم: عندما تطيقون ذلك غداً تسلون عما تكونوا قد فعلتموه في الدنيا

وأكلتموه منها. «ولتسلن يومئذ عما النعيم» (٣٦٩) فصارت تلك الدعوة مأتماً للجميع.

يسرّوي: أن شخصاً جاءه ذات يوم، وقال: أملك مالاً وفيراً، وأريد أن أعطيك وأصعابك من هذا المال، أتأخذ؟ قال: أخشى أن تموت، وحيلتذ ينبغى على أن أقول: يا رازق السماء مات رازق الأرض.

قال رجل لحاتم: من أين تأكل؟ قال: من بيدر الله الذي لا يقبل الزيادة ولا النقص فقال ذلك الرجل: أتأكل مال الناس بالحمرة قال حاتم: أأكلت من مالك شيئاً؟ قال: لا، قال: ليتك كنت من المسلمين، قال إنك تسوق الحجج، قال: يطلب الله (تعالى) الحجة من العبد يوم القيامة، فقال: أهي كل هذا الكلام؟ قال: قد أنزل الله (تعالى) الكلام، وقد حلتك أمك لأبيك بالكلام، قال: أيأتى رزقك من السماء؟ قال: يأتي الرزق للجميع من السماء. «وفى السماء رزقكم وما توعدون» (٢٧٠) قال: وربما ينزل من طاقة داركم قال: كنت في بطن أمي، ولم يكن الرزق قد أتى في ذلك الوقت، فقالت: ارضع اللثري حتى يأتي الرزق إلى فمك، قال حاتم: كنت قد رقتت عامين في مهدى، وكان الرزق يأتي إلى فمي، قال: رأيت شخصاً يحصد ما لم يزرع؟ قال: شعر رأسك الذي تحصده لا تزرعه، قال: انطلق في الهواء حتى يصل رزقك إليك، قال: يصل إلى عندما أصبح طائراً، قال: اهبط على الأرض حتى يصل إليك قال: إن أصبحت نملة يصل إلى، قال: اغسل تحت الماء إذن واطلب الرزق، قال: يزرع السمك تحت الماء فلا عجب أن يصل رزقي إلى. فسكت الرجل، وتاب، وقال: عظني، فقال: لا تطمع في الخلق حتى لا يبخلون عليك، وأحسن باطنك مع الله حتى يحسن الله ظاهرك، وطع الله حيثما كنت حتى يطعمك الخلق.

وقال له رجل أيضاً: من أين تأكل؟ قال: «ولله خزائن السموات والأرض» (٣٧١)

يسروى: أن حاتماً سأل أحمد بن حنبل (قائلاً) أتسمى وراء رزقك؟ قال: بلى، قال: قبل أوانه أم بعده أم فيه؟ فكر أحمد (وقال): إن قلت قبل حينه لقال: لماذا تضيق وقتك؟ وإن قلت بعد حينه لقال: لما تبحث عن شيء ضاع منك؟ وإن قلت في حينه لقال: لماذا تتشغل بشيء سوف يأتي؟ وبقي عاجزاً أمام تلك المسألة، فقال الشيخ: هكذا ينبغي أن يكون الجواب: إن السعى (وراء الرزق) ليس بفريضة علينا ولا واجب ولا سنة فلماذا أسعى وراء شيء ليس من هذه الأشياء الثلاثة؟ وتساءل عن شيء هو نفسه يبحث عنك بقول الرسول ﷺ: يأتي هو إليك، وما هي إجابة حاتم: «علينا أن نمجده كما أمرنا وعليه أن يرزقنا كما وعدنا،

يسروى: أن حامد اللقاف (٣٧٢) قال: قال حاتم: ما من صباح إلا وإيليس يوسوس لي قائلاً: ما تأكل اليوم؟ أقول الموت يقول: وما تلبس؟ أقول: الكفن، يقول: وأين تسكن؟ أقول: القبر (٣٧٣) فيقول: يا لك من رجل سيء، أعجزتني، ويمضى.

يسروى: أن حاتماً قال لزوجته: سأذهب للغزو، وأترك لك قليلاً من النفقات، قالت: بقدر ما تحيا، قال: الحياة ليست بيدي، قالت: والرزق أيضاً ليس بيديك. لما مضى حاتم، قالت عجوز لامرأته: ألم يترك حاتم رزقاً لكم؟ فقالت كان حاتم مرزقاً، والرازق هنا ولم يمض بعد.

يسروى: أن حاتماً قال: عندما كنت في الغزو، أسرني تركي، وأضجعتني كي يقتلني فلم يشغل به قلبي قط، ولم يخف، بل كنت أنظر ما سيفعل؟ وبينما هو

يبحث عن سكين أصابه سهم فجأة، وطرحه عنى^(٣٧٤). فقلت: أقتلنى أم قتلتك؟

يروى: أن شخصاً أراد السفر، فقال لحاتم: عظمى، قال: إن أردت العون فكفاك بالله عوناً، وإن أردت الصحبة فكفاك كرام الكاتبيين، وإن أردت العبدة فكفاك الدنيا وإن أردت المؤنس فكفاك القرآن، وإن أردت العمل فكفاك عبادة الله، وإن أردت الموعظة فكفاك الموت، وإن لم تكتف بما ذكرته لك فكفاك الجحيم.

يروى: أن حاتماً قال لحامد اللغاف ذات يوم: كيف حالك؟ قال: بسلامة وعافية فقال: السلامة بعد عبور الصراط، والعافية أن تكون فى الجنة. قالوا: وفيما ترغب؟ قال: فى العافية، قالوا أأست فى عافية كل يوم؟ قال: إن عافيتى تكون فى ذلك اليوم الذى لا أعصى الله فيه.

يروى: أنهم قالوا لحاتم، قد جمع فلان مالاً وفيراً، قال: أجمع الحياة معه؟ قالوا: لا، قال: وما يفعل المال لميت؟ قال شخص لحاتم: أنتحاج شيئاً؟ قال: أنتحاج، قال: أطلبه، قال: حاجتى هى: ألا ترانى وألا أراك.

وسأل أحد المشايخ حاتماً: كيف تصلى؟ قال: حين يحل الوقت، أتوضأ وضوءاً ظاهرياً وآخر باطنياً، وقال: الظاهرى بالماء والباطنى بالتوبة، وعندئذ أدخل المسجد، وأجعل المسجد الحرام شاهدى، وأضع مقام إبراهيم بين حاجبى، وأرى الجنة عن يمينى والجحيم عن يسارى والصراط تحت قدمى، وأتخيل ملك الموت خلفى، وأعهد بقلبى لله، عندئذ أكبر بتعظيم، وأقوم بحرمة، وأقرأ بهيبة، وأسجد بتضرع، وأركع بتواضع، وأجلس بحلم، وأسلم بالشكر، وهكذا تكون صلاتى. (٣٧٥)

يسروى: أن حاتماً مر ذات يوم على جماعة من أهل العلم وقال: اتصفوا بثلاثة وإلا وجبت الجحيم عليكم، قالوا: وما هي؟ قال: حسرة الأمس الذي مر عليكم ولم تستطيعوا الإكثار من الطاعة فيه ولا الاستغفار لذنوبكم، وإن شغلت اليوم بالاستغفار عن الأمس فمتى تؤدي حق اليوم؟ والثانية: اغتنام اليوم والسعي في صلاح أمرك بالطاعة ومصالحة الخصوم، والثالثة: الخوف والخشية مما يصيبك في الغد من نجاة أو هلاك.

وقال: وضع الله (تعالى) ثلاثة أشياء في ثلاثة أشياء: فراغة العبادة في أمن المونة والإخلاص في العمل في اليأس من الخلق، والنجاة من العذاب في الطاعة، فطالما تطيعه فالأمل في النجاة موجود.

وقال: احذر أن يدركك الموت وأنت على حال من ثلاثة أحوال: للكبر والحرص والخيلاء أما المتكبر فلن يخرجه الله من هذه الدنيا إلا وينقيه الذلة من أقل شخص من أهله، وأما الحريص فلن يخرج من هذه الدنيا إلا جائعاً يستولى العطش على حلقة ولا يسمح له بمرور شيء ليشره، وأما المحتال فلا يخرج إلا مبتلاً ببوله وحدثه.

وقال: إن وزن كبر زهاد زماننا وعلمائه وقرائه، لفاق كبر الأمراء والملوك كثيراً.

وقال: لا تغتر بالدار والبستان المزين، فلم ير آدم مكاناً أفضل من الجنة، في كل ما رأى، ولا تغتر أيضاً بكثرة الكرامات والعبادات فقد رأى بلعم^(٣٧٦) ما رأى مع القدر الكبير من الكرامات والاسم الأعظم الذي كان الله قد منحه إياه، وقال الله (تعالى): «فمظله كمثل الكنب»^(٣٧٧)، ولا تغتر بكثرة العمل فقد رأى إبليس ما رأى مع كل طاعته ولا تغتر بروية الزهاد والعلماء فليس هناك

شخص قط أعظم من المصطفى صلى الله عليه وعلى آله وسلم، والنحو ثعلبة بخدمته^(٢٧٨)، وكان أقاربه يرونه ويقومون بخدمته ولم يستفيدوا شيئاً.

وقال: من يذهب هذا المذهب، فليتنوق ثلاثة أنواع من الموت: الموت الأبيض وهو الجوع، والموت الأسود وهو الاحتمال، والموت الأحمر وهو ارتداء المرقعة^(٢٧٩).

وقال: من لا يطلع على حكايات للزهاد تعادل سبع القرآن في يوم بليته، لا يستطيع الحفاظ على سلامة دينه.

وقال: القلوب على خمسة أنواع: قلب ميت، وقلب مريض، وقلب غافل، وقلب منتبه، وقلب صحيح^(٢٨٠). القلب الميت قلب الكفار، والقلب المريض قلب المذنبين، والقلب الغافل قلب اللاهين، والقلب المنتبه قلب اليهودى سىء الفعال. «قالوا قلوبنا غلف»^(٢٨١)، والقلب الصحيح قلب العاقل العامل كثير الطاعة الخائف من الملك ذى الجلال.

وقال: تعهد نفسك في ثلاثة مواضع: إذا عملت فاذا ذكر أن الله مطلع عليك وإذا تكلمت فاذا ذكر أن الله سميع لما تقول، وإذا سكنت فاذا ذكر أن الله عليم بحالك^(٢٨٢).

وقال: الشهوة ثلاثة أقسام: شهوة فى الأكل، وشهوة فى الكلام، وشهوة فى النظر فاحفظ الاعتماد على الله بالأكل، واللسان بالصدق والنظرة بالعبرة^(٢٨٣).

وقال: اطلب نفسك فى أربعة مواضع: العمل الصالح بغير رياء والأخذ بغير طمع والعطاء بغير منة، والإمسك بغير بخل^(٢٨٤).

وقال: المنافق: ما أخذ من الدنيا يأخذه بالحرص، وإن منع، منع بالشك، وإن أنفق في المعصية، والمؤمن يأخذ ما يأخذه بقلّة الرغبة والخوف، وإن حفظه حفظه بالضيق أى أن التملك صعب عليه، وإن أنفق، أنفق لوجه الله تعالى خالصاً في الطاعة. (٢٨٥)

وقال: الجهاد ثلاثة: جهاد في السر مع الشيطان حتى يتعطم، وجهاد في العلانية في أداء الفرائض حتى تؤدى، وكما قالوا: صلاة الفرض ظاهرة في الجماعة والزكاة أيضاً، وجهاد مع أعداء الدين في غزو الإسلام حتى يقتل أو يقتل. (٢٨٦)

وقال: ينبغي على الناس أن يحتملوا كل شيء سوى أنفسهم.

وقال: أول الزهد الاعتماد على الله ووسطه الصبر، وآخره الإخلاص.

وقال: لكل شيء زينة، وزينة العبادة الخوف، وعلامة الخوف قصر الأمل، وقرأ هذه الآية: «ألا تخافوا ولا تحزنوا» (٢٨٧)

وقال: إن أردت أن تكون حبيب الله، ارض بكل ما يفعله الله وإن أردت أن تُعرف في السموات عليك بصدق الوعد.

وقال: العجلة من الشيطان إلا في خمس: إطعام الضيف، وتجهيز الموتى، وتزويج البكر، وقضاء الدين، وتوبة المذنبين. (٢٨٨)

يروى: أنهم كانوا يرسلون شيئاً لحاتم فلم يكن يقبله، فقالوا: لماذا لا تأخذه؟ قال: أرى في قبوله ذلي، وفي رده عزى، وقبله ذات مرة، فقالوا: وما الحكمة؟ قال: فضلت عزه على عزى وذلى على ذله.

يروى: أن حاتمًا عندما قدم إلى بغداد، أخبروا الخليفة بأن زاهد خراسان قد جاء، فطلبه، ولما دخل حاتم من الباب، قال للخليفة: يا زاهد، فقال الخليفة:

لست بزاهد فالدنيا بأسرها طوع أمرى، إنك أنت الزاهد، قال حاتم: لا بل أنت الزاهد، لأن الله (تعالى) يقول: «قل متاع الدنيا قليل،^(٣٨٩) وقد فنعت بالقليل، فأنت الزاهد لا أنا فإننى لا أقتع بالدنيا والعبى، فكيف أكون زاهداً؟»

ذكر سهل بن عبد الله التستري^(٣١١) (قدس الله روحه العزيز)

هو سياح بيداء الطريقة، وغواص بحر الحقيقة، هو شرف الأكابر والمشرق الخاطر، هو مهدي الطريق ومرشده سهل بن عبد الله التستري (رحمة الله عليه). كان من سادة أهل التصوف، ومن كبار هذه الطائفة، وكان مجتهداً في هذه الطريقة، وكان سلطانها في زمانه، وكان برهان الحقيقة، كراماته كثيرة. وله في الجوع والسهر شأن عال، وكان من علماء المشايخ، وكان إماماً للعهد، وأهلاً لثقة الجميع، وكان في الرياضات والكرامات بلا نظير، وفي المعاملات والإشارات بلا بديل، وفي الحقائق والدقائق بلا مثيل.

وكما يقول عنه علماء الظاهر: إنه جمع بين الشريعة والحقيقة وهذا وجه العجب فيه لأن كليهما واحد، فالحقيقة زيت الشريعة والشريعة لبها.

وكان ذو اللون المصرى شيخه، وقد أدركه في ذلك العام الذي كان قد ذهب فيه للحج، ولم تقع هذه الواقعة لشيخ قط منذ طفولته كما حدثت له قبيل الطفولة.

كما يروى عنه أنه قال: أذكر أن الحق تعالى يقول، أأست بريكم،^(٣١١) فقلت: بلى وأجبت، وأذكر ذلك وأنا في بطن أُمى.

وقال: كنت ابن ثلاث سنين، وكنت أقوم الليل، وكان خالي محمد بن سوار يبكي أثناء الصلاة لقيامي، وكان يقول: نم يا سهل، فإنك تشغل قلبي (٣٩٢) وكنت أراقبه سراً وعلانية، وحدث أن قلت لخالي: تعتريني حالة صعبة بحيث أننى أرى رأسى أمام العرش فى السجود، فقال: إخف تلك الحال يا بنى، ولا نقل عنها لشخص قط، ثم قال: أذكره بقلبك حين تتقلب فى ثياب النوم من جنب إلى جنب، دون أن تحرك به لسانك وقل: «الله معى، الله ناظرى، الله شاهدى». قال: كنت أقول هذا وأخبرته فقال: قل فى كل ليلة سبع مرات، قال: (قلت) ثم أخبرته فقال: قل فى كل ليلة خمس عشرة مرة، وبعد هذا كانت حلوة تسرى فى قلبى، ولما انقضى عام، قال لى خالى: احفظ ما علمتك، وداوم عليه حتى تدخل القبر، فإنه يدفعك فى الدنيا والآخرة.

ثم قال: مرت أعوام، كنت أقول فيها ذلك، حتى ظهرت حلوته فى سريرتى، ثم قال لى خالى: يا سهل، من كان معه ويراها كيف يرتكب المعصية؟! فبالله عليك لا ترتكب معصية! (٣٩٣).

وأقمت فى خلوة حتى بعثونى إلى الكتاب، فقلت: إنى لأخشى أن تتشتت همى، فاشترطوا على المعلم أن أذهب إليه ساعة، فأتعلم شيئاً، ثم أرجع إلى عملى. ثم مضيت إلى الكتاب بهذا الشرط، وحفظت القرآن وأنا ابن سبع سنين، وكنت أصوم دائماً وكان قوتى خبز الشعير، وفى الثانية عشرة صادفتنى مسألة لم يكن شخص يستطيع حلها، فسألت (أهلى) أن يبعثونى إلى البصرة حتى أسأل عنها، فجلت وسألت علماءها فلم يجبنى أحد منهم، فخرجت إلى «عبادان» إلى رجل كان يعرف بحبيب بن حمزة سألته عنها، فأجابنى، وأقمت عنده مدة وجيزة، واستفدت منه فوائداً جمّة، ثم رجعت إلى تستر، فجلعت قوتى مقتصرًا على درهم واحد، اشتروا لى به شعيراً، كانوا يطحنونه ويخبزونه

لى، وكنت أفطر عند السحر كل ليلة على أوقية واحدة بغير ملح ولا إدام، فكان يكفينى ذلك الدرهم سنة. ثم عزمت على أن أفطر مرة كل ثلاثة أيام، ثم وصلت إلى خمسة أيام ثم إلى سبعة أيام ثم إلى عشرين يوماً (٣١٤).

يروى: أن سهل قال: كنت قد وصلت إلى سبعين يوماً، وقال أحياناً كنت أكل لبة لوز فى أربعين يوماً بليااليهم وقال: كابدت الشبع والجوع عدة أعوام، وفى البداية أصابنى الضعف بسبب الجوع، وقويت بالشبع، ولما انقضى زمن استمديت قوتى من الجوع وضعفى من الشبع، وحينئذ قلت: يا إلهى، اغمض عيناً من عيني سهل حتى يرى الشبع فى الجوع والجوع فى الشبع بك. وقد كان أغلب صيامه فى شعبان لأن أغلب الأخبار فى شعبان، ولما كان يحل رمضان، كان يأكل شيئاً مرة واحدة، وكان يقضى الليل والنهار فى القيام.

قال ذات يوم: التوبة فريضة على العبد فى كل لحظة سواء كان من الخاصة أو العامة سواء كان مطيعاً أو عاصياً، فخرج عليه رجل فى تستر كان ينسب إلى الزهد والعلم، لهذا الكلام الذى يقوله والذى يعنى أنه ينبغى على العاصى أن يقوب عن المعصية، والمطيع عن الطاعة وحقره فى أعين العامة، ونسب أحواله إلى المخالفة، فكفر لدى العامة والمشايخ، ولم يكن لديه القدرة على مناظرتهم، فشتتوه، وأمسكت نار الدين بطرفه، وكتب كل ما لديه من ضياع وعقار ومتاع وأوانى وذهب وفضة على ورقة، وجمع الخلق، ونذر قطع الورقة على رؤوسهم، وكل من أخذ قطعة من الورق، كان يعطيه كل ما كان قد كتب فى تلك الورقة شاكرًا لهم لأنهم قبلوا الدنيا منه.

ولما منحهم كل ما لديه، قصد السفر إلى الحجاز، وقال لنفسه: أيتها النفس إننى صرت مفلساً، فلا تطلبى منى شيئاً قط لأنك لن تحصلى عليه، فاتفقت معه النفس ألا تطلب. ولما وصل إلى الكوفة، قالت له النفس: إلى هنا لم أطلب

منك شيئاً والآن أرغب في قطعة خبز وسمك، وقالت: اعطني مقداراً منها لأنناوله ولا أزعجك حتى مكة، فدخل الكوفة، فرأى طاحونة كانوا قد عقدوا ناقة بها، فقال: كم تدفعون أجراً لهذه الناقة قالوا: درهمين، قال الشيخ: أطلقها، وقيدني حتى صلاة المغرب واعطني درهما فأطلق الناقة، وربط الشيخ في الطاحونة، وأعطوه درهماً في المساء، فاشترى خبزاً وسمكاً، ووضعها أمامه، وقال: أيتها النفس، إذا رغبت في شيء من هذا القبيل، فعاهدى نفسك أن تقومى بعمل الدواب من الصباح حتى المساء كي تحققي رغبتك.

ثم ذهب إلى الكعبة، وأدرك كثيراً من المشايخ هناك، وعندئذ قدم إلى تستر وكان قد أدرك ذا النون هناك، ولم يستند إلى حائط قط، ولم يتجول قط، ولم يجب على أى سؤال، ولم يعتل منبراً وكان قد ربط أصابع قدمه أربعة أشهر، فسأله فقير: ما أصاب أصابعك؟ قال: لا شيء، وعندئذ ذهب ذلك الفقير إلى مصر لدى ذى النون، فرأه وقد ربطت أصابع قدمه، فقال: ما دهاك؟ قال: أصبت بداء، قال: منذ متى؟ قال: منذ أربعة شهور، قال: حسبتها فعرفت أن سهل قد وافق ذا النون - أى أن الموافقة شرط - قصصت الواقعة، فقال ذو النون: إنه الشخص الذى يعلم بدائنا ويوافقنا.

يروى: أن سهل تجول في تستر ذات يوم، واستند إلى حائط، وقال: «سلونى عما بدا لكم»، فقالوا: لم تفعل هذا من قبل! قال: طالما كان الأستاذ حياً يجب أن يكون التلميذ مؤدباً، وسجل التاريخ أن ذا النون كان قد توفى في ذلك الوقت.

يروى: أن عمرو بن الليث مرض، بحيث عجز كل الأطباء عن معالجته، وقالوا: هذا من اختصاص رجل يدعو (الله)، فقالوا: سهل مستجاب الدعاء، طلبوه فأجاب طاعة لأولى الأمر ولما جلس أمامه قال: يستجاب الدعاء في حق شخص يتوب، وإن لك في السجن مظالم، فحررهم جميعاً وتاب. فقال

سهل: يا إلهي، مثلما أظهرت له معصيته فأره عز طاعتي، ومثلما ألبست باطنه لباس الإنابة فألبس ظاهره لباس العافية، ولما ناجى هذه المناجاة، جلس عمرو بن الليث، وصحح (بدنه)، وعرض عليه مالا وفيرا، فلم يقبله قط، وخرج من هناك.

قال مرید: إن قبلت شيئا على سبيل دين نؤديه ألم يكن أفضل؟ فقال للمريد: أيلزمك ذهب؟ فانظر، نظر المرید فإذا الغيافي والصحاري صارت ذهباً وياقوتاً، فقال: الشخص الذي يكون مع الله على مثل تلك الحال، لماذا يأخذ شيئا من مخلوق؟ (٣٩٥).

يروى: أن سهل عندما كان يسمع سماعاً كان الوجد يعتره، ويظل خمسة وعشرين يوماً في هذا الوجد، لا يتناول طعاماً، وكان العرق يتصبب منه - ولو كان الوقت شتاء - حتى كان قميصه يبطل، ولما كان العلماء يسألونه وهو على تلك الحال، كان يقول: لا تسألوني، فلا منفعة لكم مني ومن كلامي الآن.

يروى: أن سهل كان يسير على الماء ولم تكن قدمه تبطل، فقال شخص: يقول قوم: إنك تمسير على الماء! فقال له: سل مؤذن هذا المسجد فهو رجل صادق، قال: سألته فقال: لم أر ذلك، لكنه دخل حوض في هذه الأيام كي يغتسل، فوقع فيه، ولو لم أكن هناك، لمات. لما سمع الشيخ أبو علي الدقاق هذا، قال: إن له كرامات كثيرة لكنه أراد أن يخفيها.

يروى: أن سهل كان قد جلس في المسجد ذات يوم، فسقطت حمامة من الحر والتعب، فقال: مات شاه الكرمانى، ولما نظروا كان الأمر كذلك.

يروى: أن أحد المشايخ قال: ذهبت إلى سهل يوم الجمعة قبل الصلاة، فرأيت حية في داره، خفت، فقال: ادخل، قلت: إنى أخاف، فقال: لا يدرك

شخص حقيقة الإيمان طالما يخاف شيئاً آخر سوى الله، وقال لى: ما تقول فى صلاة الجمعة؟ قلت: بيننا والمسجد يوم بليلة، فأخذ بيدي، ثم نظرت فرأيت نفسى فى المسجد الجامع فأدينا الصلاة، وخرجنا، وكنت أنظر إلى الناس، فقال: أهل لا إله إلا الله كثيرون والمخلصون قليلون.

يسروى: أن كثيراً من الأسود والسباع كانت تجيء إليه فكان يقدم لها الطعام، ويرعاها، ويسمون بيت سهل فى تستر اليوم، بيت السباع، (٣٩٦).

ومن كثرة ما ارتاض وعانى من الرياضة، لم يستقر فى مكان إلا وحضرته حرقه البول، بحيث أنه كان يقضى حاجته عدة مرات فى الساعة، وكان يحمل وعاء معه دائماً، لأنه لم يكن يستطيع الإمساك (على نفسه)، لكن عندما كان يحين وقت الصلاة كانت تنقطع، فكان يتطهر، ويصلى، وحينئذ كان يبقى قعيداً فى مكانه، وعندما كان يعتلى المنبر، كانت تزول كل حرقته، وتنقطع، وتتمحى كل آلام قدمه، وعندما كان يهبط، كانت علته تعاوده، لكن مقال ذره من الشريعة لم تكن تفوته.

يسروى: أن سهل قال لمريد: اجتهد أن تقول الله الله طوال اليوم، فكان الرجل يقولها حتى اعتادها، فقال له: الآن دوام عليها ليلاً، ففعل كذلك، حتى أنه إن كان يجد نفسه فى الفراش يقول الله فى النوم، حتى قيل له: كف عن هذا، وانشغل بالذكر، حتى حدث أنه استغرق طوال عمره فى الذكر.

وكان فى الدار ذات مرة، فسقطت قطعة خشب من فوقه، ووقعت على رأسه فأصابته، وسالت قطرات الدم من رأسه على الأرض، ونقشت جميعها الله، الله.

يسروى: أن سهل أمر مريداً بعمل، فقال له: لا أستطيع خشية أسنة الناس، فالتفت سهل إلى أصحابه وقال: لا يدرك حقيقة هذا الأمر ما لم يحظ بصفة

من صفتين: إما أن يسقط الخلق من عينه فلا يرى سوى الخالق، أو تسقط نفسه ولا يبالي بأى صفة يراه الخلق عليها. أى يرى الجميع الحق.

يسرى: أن سهل كان يحكى أمام مرید (قائلاً): هناك خباز فى البصرة، يحظى بدرجة الولاية، فهض المرید، وذهب إلى البصرة، فرأى ذلك الخباز، وفى ذقنه خرطة كمادة الخبازين، ولما وقعت عليه عين المرید، جال بخاطره: إن كانت له درجة الولاية لما كان يحترز من النار، ثم سلم وسأل سؤالاً، فقال الخباز: طالما نظرت إلى بعين الاحتقار منذ البداية، فلا فائدة لك من كلامى.

يسرى: أن الشيخ قال: كنت أسير فى البادية ذات مرة، فرأيت عجوزاً كانت قادمة بمفردها، وقد عقدت عصاها على رأسها وأمسكت بعصا فى يدها، فقلت: ربما تخلفت عن قافلة، فوضعت يدي فى جيبى وأعطيتها شيئاً (قائلاً): إعتدى به حتى تبغى مقصودك، فعصت العجوز بنان التعجب ومدت يدها فى الهواء، فأخذت حقة من الذهب، وقالت: أنت تأخذ من الجيب، وأنا أخذ من الغيب، قالت هذا واختفت، فكنت أسير متعجباً لذلك، حتى وصلت إلى عرفات، ولما ذهبت إلى الكعبة للطواف رأيت الكعبة كانت تطوف حول شخص، فذهبت إلى هناك، فرأيت تلك العجوز قالت: يا سهل، من يخطو خطوة ليرى جمال الكعبة فلا بد له من الطواف حولها، وأما من يخطو خطوة من وجوده ليرى جمال الحق، فلا بد للكعبة من الطواف حوله.

وقال: قدم إلى رجل من الأبدال وتحدثت معه، وكان يسألنى عن الحقيقة وكنت أجيبه، حتى كان يصلى الصبح. وكان يسقط تحت الماء ويجلس تحته حتى وقت الزوال، وعندما كان أخى إبراهيم يؤذن للصلاة، كان يخرج من تحت الماء، ولم يكن طرف شعرة قد ابتل على جسده، وكان يصلى الظهر، ثم يسقط تحت الماء، ولم يكن يخرج من تحته إلا عند الصلاة، وقضى معى

مدة على هذا الحال، ولم يأكل شيئاً قط، ولم يجلس مع شخص قط حتى مضى.

وقال: رأيت القيامة في المنام ذات ليلة، وكنت قد وقفت في هذا الموقف، فجأة رأيت طائراً أبيض كان يمسك بواحد من كل جانب في الموقف، وكان يطير به إلى الجنة، فقلت: أى طائر هذا الذى إمتن به الحق تعالى على عباده؟ فجأة بدت ورقة من الهواء، فتحتها وكان قد كتب عليها: إنه الطير الذى يسمى الورع، فمن كان ورعاً في الدنيا، كان حاله كذلك في القيامة.

وقال: رأيت في المنام أنهم حملوني إلى الجنة، فرأيت ثلاثمائة شخص، فقلت: السلام عليكم، ثم سألت ما أفزع شيء آثار خوفكم؟ قالوا: الخوف من الخاتمة.

وقال: أراد الحق (تعالى) أن يهب الروح لآدم، فنفخ فيه الروح باسم محمد. وجعل كنيته أبا محمد، وليست هناك ورقة في الجنة كلها إلا مكتوباً عليها محمد، ولا شجرة في أرجاء الجنة إلا وغرست باسمه، وفي البداية سميت كل الأشياء باسمه، وسوف يكون خاتماً لجملة الأنبياء، فلا جرم أن جاء اسمه خاتم النبيين.

وقال: رأيت إبليس في المنام، فقلت: ما أشد شيء عليك؟ قال: إشارة قلوب العبيد إلى سيد العالم.

وقال: رأيت إبليس بين قوم، فقيدته بالهمة، ولما انصرف أولئك القوم قلت: لا أحرره، تعال، وتحدث في التوحيد وقال: جاء إبليس، وقال فصلاً في التوحيد لو كان عارفو الزمان حاضرين، لأخذوا جميعاً يعضون على نواجذهم. وقال: رأيت شخصاً، وقد أحضروا له لقمة في ليلة جاع فيها جوعاً شديداً، فاشتبه فيها ولم يأكلها، ولم يستطع التبعيد في تلك الليلة من الجوع، وتمسوى

أجر ثلاثة أعوام كان يقضى ليها في الطاعة، بأجر الجوع والتعفف عن طعام مشبوه في تلك الليلة.

وقال: إن تملىء معدتي بالخمير أحب إليّ من أن تملىء بطعام حلال، قالوا: لماذا؟ قال: لأنه عندما تملىء المعدة بالخمير، يستريح العقل وتخمد نار الشهوة، ويأمن الخلق من بدى ولسانى، ولكن عندما تملىء بالطعام الحلال ترغب في الفضول، وتقوى الشهوة، وتسعى النفس في طلب شهواتها (٣٩٧).

وقال: لا تصح الخلوة إلا بأكل الحلال ولا يصح الحلال إلا بأداء حق الله.

وقال: من يأكل مرة واحدة في يوم بليلة فهذا هو أكل الصديقين.

وقال: لا تصح العبادة لشخص قط ولا يخلص له عمل ما لم يكن جائعاً.

وقال: يجب عدم الفرار من أربعة أشياء حتى تصح العبادة هي: الجوع والفقر والذلة والفقاعة.

وقال: من يجوع لا يحوم الشيطان حوله بأمر الله، فأطلبوا الجوع حين تشبعون لأنه قد ابتلاكم بالشبع، وإن لم تفعلوا ذلك تتجاوزون الحد وتطفون.

وقال: الشبع أساس كل الآفات.

وقال: من يأكل حراماً تقع أعضاؤه السبعة في المعصية، فيبتلى بالمعصية أراد أو لم يريد، ومن يأكل حلالاً تشمل الطاعة أعضائه السبعة ويلزمه التوفيق والخير.

وقال: الحلال الصافي هو الذي لا ينسى (المرء) الله فيه.

يروى: أن تلميذاً له جاع جوعاً شديداً، وانقضت عدة أيام، فقال: يا أستاذ ما القوت؟ قال: ذكر الحى الذى لا يموت.

وقال: الخلق ثلاثة أقسام: مجموعة في حرب مع أنفسهم من أجل الله تعالى، ومجموعة في حرب مع الحق من أجل أنفسهم. إذ لماذا قضاؤك لا يرضينا ومشيئتك ليست بمشورتنا؟

وقال: قل لمن يريد أن تصح تقواه، تجنب كل الذنوب.

وقال: اعملوا أن كل عمل تؤدوه ولا تقفون فيه بقدرة هو من جملة عذاب أنفسكم.

وقال: لا يصح تعبد العبد ما لم ير أثر المحبة على نفسه في العدم، وأثر الوجود عليها في الفناء.

وقال: خرج العلماء والعباد والزهاد من الدنيا وما زالت قلوبهم غلف، ولم تهد سوى قلوب الصديقين والشهداء.

وقال: لا يكمل إيمان المرء ما لم يتورع في عمله، ويخلص في ورعه، ويكون إخلاصه بالمشاهدة ويتبرأ إخلاصه عما دون الله.

وقال: أفضل الخائفين المخلصون، وأفضل المخلصين أولئك القوم الذين يخلصون حتى الموت. وقال: لا يطلع على الرياء إلا مخلصاً.

وقال: أولئك القوم الذين أدركوا هذا المقام، تحركوا بالبلاء، إن تحركوا انفصلوا وإن سكتوا اتصلوا.

وقال: من لا يعبد الله بالاختيار، عليه أن يعبد خلقه بالاضطرار.

وقال: حرام على القلب الذي يستطيع السكن إلى غير الله أن تصل إليه رائحة اليقين قط.

وقال: حرام على القلب الذى يشويه شيء لا يرضى الله عنه، أن يسرى فيه نور.

وقال: كل وجد ليس نليله الكتاب والمنة هو باطل (٢١٨).

وقال: أفضل الأعمال أن يتطهر العبد من خبث طهارته.

وقال: من ينقل عن نفسه إلى نفسه يضيع ذكر خالقه من أن لآخر.

وقال: الهمة هي أن يطلب (المرء) الزيادة، وعندما تنتهى، إما أن يصل إلى مقصوده أو ينقطع.

وقال: إن لم يكن البلاء لما كان السبيل إلى الحق.

وقال: من يخلص أربعين يوماً، يزهد فى الدنيا، وتظهر عليه الكرامات وإن لم تظهر يكون قد أدخل بالزهد، قالوا: وكيف تظهر عليه الكرامات؟ قال: بأن يأخذ ما يريد كما يريد.

وقال: كل قلب يشتد بالعلم يصير أشد القلوب، وعلامته هي أنه يتعلق بالتدابير والحيل، ولا يمكن أن يسلم تدبيره لله، ومن يدعه الحق تعالى لتدبيره، يلق به فى الجحيم فى الدنيا والآخرة.

وقال: العلماء ثلاثة أقوام: عالم بعلم الظاهر، يحدث بعلمه أهل الظاهر وعالم بعلم الباطن، يحدث بعلمه لأهله، وعالم علمه بينه وبين الله ولا يستطيع التحدث به لشخص قط.

وقال: لا تشرق الشمس ولا تغرب على شخص قط أفضل ممن يفضل الله على الجسد والمال والدنيا والروح والآخرة.

وقال: ليست هناك معصية قط أعظم من الجهل.

وقال: لا تنظروا إلى هؤلاء المجانين بعين الاحتقار، لأنهم أطلقوا عليهم خلفاء الأنبياء.

وقال شخص: ما علمك؟ قال: لا يتأتى علماً بالتصرف، ولكن لا يمكن إطلاقه بالتكلف، عندما يرد هذا الحديث، يسلبك كل شيء.

وقال: أصولنا ستة: التمسك بكتاب الله، والإقتداء بسنة الرسول صلى الله وعلى آله وسلم، وأكل الحلال، وكف الأذى عن الخلق وإن آذوك، واجتناب الآثام، والتعجيل بأداء الحقوق (٣٩٩).

وقال: أصول مذهبنا ثلاثة: الاقتداء بالرسول في الأخلاق والأفعال والأفعال وأكل الحلال، والإخلاص في جملة الأعمال.

وقال: أول شيء ينبغي على المبتدئ: التوبة وهي الندم، ونزع الشهوات من القلب، وتبديل الحركات المذمومة بالحركات المحمودة، ولا يدرك عبد التوبة ما لم يلزم الصمت، ولا يلزمه الصمت ما لم يخل، ولا تلزمه الخلوة ما لم يأكل حلالاً، ولا يتيسر الحلال ما لم يؤد حق الله، ولا يؤدي حق الله إلا بحفظ الجوارح، ولا يتيسر له ما أعددها ما لم يطلب من الله العون عليه.

وقال: أول مقام للعبودية ترك الإختيار والتبرم من حولك وقوتك.

وقال: أعظم المقامات أن يبذل المرء طبعه السيء بالطبع الحسن.

وقال: شينان يهلكان بنى آدم: طلب العز والخوف من الفقر.

وقال: من كثر خشوع قلبه، لا يحوم الشيطان حوله.

وقال: خمسة أشياء من جوهر النفس: فقير يظهر الغنى، وجائع يظهر الشبع، وحزين يظهر السرور، ورجل يكره شخصاً ويظهر له المحبة، ورجل يقوم الليل ويصوم النهار ويظهر القوة.

وقال: ليس بين العبد وبين الله حجاب أغلظ من حجاب الدعوى، وليس هناك طريق أقرب إلى الله من الافتقار إليه^(٥١١).

وقال: من إدعى لا يخاف، ومن لا يخاف لا يأمن، ومن لا يأمن لا يطلع على خزائن الملك.

وقال: من يداهن غيره لا يجد رائحة الصدق، ومداهنة النفس رياء.

وقال: من يداهن مبتدعاً يسلبه الحق (تعالى) السنة، ومن بيتسم في وجه مبتدع يسلبه الحق (تعالى) نور الإيمان.

وقال: كل حلال يريدون أخذه من أهل المعاصى يكون حراماً عليهم.

وقال: مثل السنة في الدنيا كالجنة في العقبى، فمن دخل الجنة أمن الخوف والبلاء، كذلك من عمل جادة السنة، أمن البدع والهوى.

وقال: من يطعن في الكسب فقد طعن في السنة، ومن يطعن في التوكل فقد طعن في الإيمان، ولا يصح كسب أهل التوكل سوى على جادة السنة، ومن هو ليس من أهل التوكل لا يصح كسبه سوى بلية التعاون أى يتعاون حتى يفرغ قلب الخلق منه.

وقال: إن استطعت أن تتشبث بالصبر فافعل، ولا تكن من أولئك القوم الذين يحيلون الصبر إليك.

وقال: أصل جملة الآفات قلة الصبر على الأشياء. وغاية شكر المعارف هي أن يعرف أنه عاجز عن أنه يستطيع أن يؤدي حق شكره، أو أن يصل إلى حد شكره.

وقال: لله عطايا في كل يوم وساعة وليلة وأعظم عطاياها أن يلهمك ذكره.

وقال: ليست هناك معصية أسوأ من الغفلة عن الحق.

وقال: من يغمض عينه عن الحرام، لا يصيب الحق تعالى عينه بقاء قط طوال عمره.

وقال: لم يخلق الحق (تعالى) مكاناً قط أعز من قلب المؤمن، لأنه لم يمنح الخلق شيئاً قط أعز من المعرفة، ويوضع أعز عطاء في أعز مكان، وإن كان في العالم مكان أعز من قلب المؤمن، لكان وضع معرفته فيه.

وقال: العارف لا يتغير طعمه قط وفي كل لحظة يكون أطيب رائحة.

وقال: لا معين إلا الله ولا دليل إلا رسول الله ولا زاد إلا التقوى، ولا عمل إلا الصبر على الأشياء الخمسة التي ذكرناها.

وقال: لا يمر يوم إلا وينادى الحق (تعالى): إنك لا تنصف يا عبدى، انكرك وتنساني، أدعوك إلى فتذهب إلى حضرة شخص آخر، أرد عنك البلاء وتداوم على الذنب يا ابن آدم، أى عذر ستعذر به حين تقدم يوم القيامة؟

وقال: خلق الله (تعالى) الخلق، وقال: قولوا لى أسراركم، وإلا فانظروا إلى وإن لم تفعلوا هذا، اطلبوا حوائجكم.

وقال: لا يحيا القلب ما لم تمت النفس.

وقال: من ملك نفسه عز، وملك الآخرين أيضاً وكما قالوا: من ملك جسده ملك كل جسده، ولا يثور عليك خصمك طالما تثور على نفسك، ومن ملكته نفسه ذل، وأول جنابة للصديقين هي إنسجامهم مع أنفسهم.

وقال: لا يُعبد الله عبادة أفضل من مخالفة الهوى والنفس.

وقال: من لا يعرف نفسه من أجل معرفة ربه، لا يعرفه الله.

وقال: من عرف الله، غرق في بحر من العزن والسرور.

وقال : غاية المعرفة الحيرة والدهشة .

وقال : أول مقام للمعرفة ، هو أن يمنح العبد اليقين في سريره ، فتطمئن جملة جوارحه بذلك اليقين ، أى أن الخواطر السيئة من ضعف اليقين .

وقال : العارفون بالله هم أصحاب الأعراف ، يعرفونه جميعاً بدليله .

وقال : الصادق من يسلم الله (تعالى) عليه ملك ، عندما يحين وقت الصلاة ، يحثه عليها ليؤديها ويتبها إن كان نائماً^(٤٠١) .

وقال : اليأس من توبة القراء أكبر من اليأس من توبة الكفار وأهل المعاصى .

وقال : على الخلق الاعتقاد فى لا إله إلا الله بالقلب والإعتراف بها باللسان ، والوفاء بها بالعمل .

وقال : أول التوبة الإجابة ثم الإنابة ثم التوبة ثم الاستغفار ، والإجابة بالفعل والإنابة بالقلب ، والتوبة بالنية والاستغفار عن التصير .

وقال : الصوفى من يصفى من الكدر ، ويمتلىء بالفكر ، وينقطع فى قرب الله عن البشر ، ويستوى لديه الذهب والمدر .

وقال : التصوف قلة الطعام ، والسكون إلى الله ، والفرار من الخلق .

وقال : التوكل حال الأنبياء ، فقل لمن يحظى بحال النبى فى التوكل ، لا تحيد عن سنته .

وقال : أول مقام فى التوكل أن تكون أمام القدرة كاميت أمام المغفل ، يحركة كما يريد ، ولا تكون له أى إرادة أو حركة .

وقال : لا يصح التوكل إلا ببذل الروح ، ولا يمكن أن تبذل الروح إلا بترك التدبير .

وقال : علامات التوكل ثلاث: ألا يسأل وعندما يقدم (له شيء) لا يقبله، وطالما لا يقبله يتركه.

وقال : يمنح المتوكلون ثلاثة أشياء: حقيقة اليقين، ومكاشفة الغيب ومشاهدة قرب الحق (تعالى).

وقال : التوكل ألا تنهم الله، أى أن ما قدره لك سيحل بك.

وقال : التوكل هو السكون فى كلا الحالتين السراء والضراء.

وقال : يوهب التوكل لقلب يحيا مع الله بلا غرض.

وقال : لجملة الأحوال وجه وقفا إلا التوكل كله وجه بلا قفا^(١٠٢). والمعنى أن الزهد والتقوى يكونان فى اجتناب الدنيا، وتكون المجاهدة فى مخالفة النفس والهوى، والعلم والمعرفة فى رؤية الأشياء والعلم بها، والخوف والرجاء فى اللطف والكبرياء، والتفويض والتسليم فى الألم والعناء والرضا بالقضاء والشكر على النعماء والصبر على البلاء والتوكل على الله، فلا جرم أن التوكل كله وجه بلا قفا. إن قال شخص: المحبة أيضاً كالتوكل على الله نقول: لا تكون المحبة على الله بل مع الله.

وقال : المحبة: التعلق بالطاعة، والبعد عن المخالفة.

وقال : من يحب الله يحظى بالسعادة.

وقال : الحياء أسمى من الخوف لأن الحياء للخاصة، والخوف للعلماء.

وقال : العبودية هى الرضا بفعل الله.

وقال : المراقبة: ألا تخاف أن تفوتك الدنيا وتخشى أن تفوتك الآخرة.

وقال : الخوف ذكر والرجاء أنثى وابدهما الإيمان.

وقال: كل قلب فيه كبر لا يستقر فيه الخوف أو الرجاء.

وقال: الخوف هو البعد عن النواهي، والرجاء هو الإسراع في أداء الأوامر، لا يصح علم الرجاء إلا للخائف.

وقال: أسمى مقام للخوف هو: أن يخاف العبد مما قدر له في علم الله، وكان رجل يدعى الخوف، فقال له: أتفكر في أى خوف خلافاً لخوف القطيعة؟ فقال: بلى، قال: إنك لم تعرف الله ولم تخش قطيعته.

وقال: الصبر انتظار الفرج من الله تعالى.

وقال: المكاشفة هي كما قالوا: «لو كشف الغطاء ما ازدت يقيناً» (٤٠٣).

وقال: الفتوة متابعة السنة.

وقال: الزهد في ثلاثة أشياء: الزهد في الملبوس والذي سينتهي إلى المزابل والزهد في الأخوة التي ستؤول إلى الفراق، والزهد في الدنيا التي ستنتهي إلى الفناء.

وقال: الورع ترك الدنيا والدنيا نفس، فمن إعتد بنفسه فقد تمسك بعدو الله.

وقال: السفر من النفس إلى الله صعب.

وقال: لا تخلو النفس من ثلاث صفات: إما كآفة أو منافقة أو مرآية.

وقال: للنفس شهور كثيرة، واحد منها ظهر لفرعون ولا يظهر إلا بالفرعنة وهي إدعاء الربوبية.

وقال: أنتلس بشخص لديه كل ما يلزمك.

وقال: لم يقرب الحق (تعالى) الأبرار بالخيرات وإنما قربهم باليقين.

وقال: حافظوا على الدهن كي تزداد عقولكم، فلم يدرك الله قط قلب ناقص العقل.

وقال: التجلي على ثلاثة أحوال: تجلي الذات وهو المكاشفة، وتجلي الصفات وهو موضع النور، وتجلي حكم الذات وهو الآخرة وما فيها (٤٠٤).

سئل عن الأنس فقال: الأنس أن تأنس الأجساد بالعقل، ويأنس العقل بالعلم ويأنس العلم بالعبد، ويأنس العبد بالله.

وسئل عن بداية الأحوال ونهايتها فقال: الورع أول الزهد، والزهد أول التوكل، والتوكل أول درجة للعارف، والمعرفة أول القناعة، والقناعة ترك الشهوات، وترك الشهوات أول الرضا، والرضا أول الموافقة.

وسئل: ما أقصى شيء على النفس؟ فقال: الإخلاص، لأنه ليس لها نصيب فيه (٤٠٥).

وقال: الإخلاص إجابة ومن لا إجابة له لا إخلاص له.

وسئل عن الإخلاص فقال: الإخلاص هو مثلما أخذت الدين من الله لا تمنحه لأي شخص آخر إلا لله.

قالوا: صف لنا الصديقين فقال: هاتوا أسرار الصديقين حتى أخبركم عن أوصافهم.

قالوا: ما المشاهدة؟ فقال: العبودية.

قالوا: اللعاصين أنس؟ فقال: لا، ولا لمن يفكر في المعصية.

قالوا: على أي شيء يكون الثواب؟ فقال: لمن يقوم الليل، ولا يجلي في النهار.

قالوا: يقول رجل: إننى كالدرهم لا أتحرك حتى يحركونى. فقال: لا يقول هذا الكلام إلا صديقاً أو زنديقاً.

قالوا: ما تقول فى تناول الطعام مرة فى يوم بليته، قال: أكل الصديقين، قالوا: ومرتين؟ قال: أكل المؤمنين، قالوا: وثلاث مرات؟ قال: قل حتى ينتهوا إلى أن تأكل مثل الدواب.

سئل عن الطبع الحسن فقال: احتمال الفقر، ومكافأة من لا يفعل السوء، وطلب المغفرة له، والعطف عليه.

وقال: اتجاه العباد إلى الله زهد.

سئل بأى شىء يظهر (الله) أثر لطفه على العبد؟ قال: حين يصبر على الجوع والمرض والبلاء إلا ما شاء الله. سئل أين تذهب نار جوع شخص لم يأكل قط طيلة أيام كثيرة؟ فقال: يخدم النور تلك النار.

وقال: للجوع ثلاثة منازل: جوع الطبع وهو موضع العقل، وجوع الموت وهو موضع الفساد، وجوع الشهوة وهو موضع الإسراف.

سئل ما التوبة؟ فقال: أن تنسى الذنب، قال رجل: التوبة ألا تنسى الذنب فقال سهل: ليس كذلك فقد عرفت أن ذكر الجفاء فى أيام الوفاء يكون جفاء.

قال شخص: عظمى، فقال له: خلاصك فى أربعة أشياء: الجوع والسهرة والوحدة والصمت، فقال: أريد أن أصحبك، قال: ومن تصاحب حين يموت أحدنا؟ احفظ نفسك معه الآن، وقال: إن خشيت السباع فلا تصاحبنى.

قالوا: يقال: إن السباع تأتى لزيارتك، قال: بلى يأتى الكلب للكلب.

قالوا: متى يستريح الفقير؟ قال: حين لا يرى نفسه إلا فى الوقت الذى يكون فيه.

قالوا: أى قوم نصحب من جملة الخلائق؟ قال: صاحبوا العارفين لأنهم لا يعتدون بشيء قط، وكل فعل يسرى عليهم، وأولونه لا جرم إنهم يلتمسون لك العذر فى كل الأحوال.

ومناجاته:

قال: إلهى، ذكرتنى ولم أذكرك، وإن ذكرتك لما كان هناك شخص مثلى ولما كفانى هذا سروراً ولما كان هناك شخص أسعد منى.

وكان سهل بن عبد الله واعظاً حقيقياً، وأقبل خلق على الطريق بفضله، وفى ذلك اليوم الذى اقتربت فيه وفاته، كان أربعمائة مريد، وقفوا على فراشه وقالوا: من يخلفك؟ ومن يعظ على منبرك؟ وكان هناك مجوسى، كانوا يقولون له: «شاد دل، المجوسى، فتح الشيخ عينه وقال: يخلفنى «شاد دل، قال الخلق: ربما اختل عقل هذا الشيخ. أُنصب رجل له أربعمائة مريد عالم متدين من تلاميذه مجوسياً خليفة له ١٢.

فقال: اجلوا ثورتكم، اذهبوا، واحضروا لى «شاد دل، فأحضره، ولما وقع نظر الشيخ على «شاد دل، قال له: عندما يمر اليوم الثالث على وفاتى وبعد صلاة العصر ارتق المنبر، واجلس مكانى واخطب فى الخلق وعظهم، قال الشيخ هذا، ومات. وفى اليوم الثالث بعد صلاة العصر، جمع حشد من الناس، وجاء «شاد دل، وارتقى المنبر، وكان الخلق يشاهدونه (ويقولون): ما هذا المجوسى ذو العمامة المجوسية على رأسه، والزنار المعقود على خصره؟! قال: أرسلنى شيخكم رسولاً إليكم وقال لى: يا شاد دل ألم يحن الوقت بعد لأن تقطع زنار المجوسية فقلت: أقطعه الآن واستل خنجرى وقطع الزنار، وقد قال أيضاً: ألم يحن الوقت لأن تخلع عمامة المجوسية عن رأسك فقلت: ها أنا رفعتها وقال: «أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله، ثم قال: وقد قال الشيخ:

قل: نصح من كان شيخكم وأستاذكم وقبول نصيحة أستاذكم شرط (قائلاً): ها هو شاد دل قطع زنار الظاهر، وإن أردتم رؤيتي في القيامة عليكم بالمروءة وأن تقطعوا زنانير الباطن كلها، قال هذا: فقامت القيامة على أولئك القوم واعترتهم حالات عجيبة.

يروى: أنه في ذلك اليوم الذي حملوا فيه نعش الشيخ، كان كثير من الخلق يتزاحمون، وكان هناك يهودى فى السبعين من عمره. عندما سمع الصياح والجلبة، خرج ليرى ما الخبر؟ ولما وصلت الجنازة، صاح نداء: أيها الناس، أترون ما أراه؟ كانت الملائكة تهبط من السماء، وترفرف على نعشه، وفى الحال، نطق الشهادة وأسلم.

وقال أبو طلحة بن مالك: إن سهل كان صائماً يوم ولد، ويوم مات، ووصل إلى الحق صائماً^(٤٠٦).

يروى: أن سهل كان قد جلس مع أصحابه ذات يوم، فمر رجل من هناك، فقال سهل: لهذا الرجل سر، نظروا فكان الرجل قد مضى. ولما توفى سهل، كان مريد قد جلس على حافة قبره، فمر ذلك الرجل، قال له المريد: أيها السيد، هذا الشيخ الذى فى هذا التراب قال: إن لديك سرًا، فبحق الله الذى قد وهبك هذا السر افض لى شيئاً، فأشار ذلك الرجل إلى قبر سهل، (وقال): قل يا سهل، فقال سهل فى القبر بصوت عال: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، قال: يقال: من كان من أهل لا إله إلا الله لا يظلم قبره صدق أم لا؟ فصاح سهل من القبر وقال: إنه الصدق (رحمة الله عليه).

ذكر معروف الكرخي^(٤٠٧) (رحمة الله عليه)

هو رفيق نسيم الوصال، ومحرم حرم الجمال، هو مقتدى صدر الطريقة، ومرشد طريق الحقيقة، هو العارف بأسرار المشيخة، قطب الزمان، معروف الكرخي (رحمة الله عليه).

كان السباق في الطريقة، والمقدم لدى الطوائف، واختص بأنواع اللطائف. وكان سيد المحبين في زمانه، وخلاصة عارفي عهده، بل إن لم يكن عارفاً لما كان معروفاً.

كانت كراماته وفيرة ورياضاته كثيرة، وكان آية في الفتوة والتقوى، وقد حظى بلطف عظيم وقرب تام، ووصل في مقام الأنس والشوق إلى الغاية.

وكان أبواه نصرانيين، فأرسلوه إلى مؤدب، قال له مؤدبه: قل: ثالث ثلاثة، فقال لا؟ بل هو الله الواحد، ومهما قال له: قل: الله ثلاثة، كان يقول: واحد ومهما ضربه الأستاذ فبلا جدوى. ذات مرة ضربه ضرباً مبرحاً، فهرب معروف، ولم يجدوه ثانية وكان أبواه يقولان: ليتته كان يرجع إلينا، ولكننا نوافقه على أي دين يشاء. مضى (معروف) وأسلم على يد علي بن موسى الرضا، وبعد فترة رجع إلى دار والده ذات يوم، وطرق الباب فقليل: من؟ قال:

معروف، قيل: على أي دين أنت؟ قال: على دين محمد رسول الله، فأسلم أبوه في الحال (٤٠٨).

وحينئذ التقى بداود الطائي، وارتاض كثيراً، وأكثر من التعبد والمجاهدة، واتخذ من الصدق منهجاً حتى أصبح مشاراً إليه، يقول محمد بن منصور الطوسي (٤٠٩): كنت عند معروف في بغداد، فرأيت في وجهه أثراً (شجة)، فقلت: كنت عندك بالأمس، ولم يكن هذا الأثر؟ فما سببه؟ فقال: الشيء الذي لا شأن لك به لا تسأل عنه، وسل عن شيء يعنيك! فقلت: قل بحق المعبود، فقال: كنت أصلي بالأمس، وأردت الذهاب إلى مكة والطواف حولها، وذهبت إلى زمزم لأشرب، فزلت قدمي، وارتطم بها وجهي وهذا هو الأثر (٤١٠).

يروى: أن معلرفاً كان قد ذهب إلى دجلة للطهارة، ووضع المصحف والمصلى في المسجد، فدخلت عجوز، وأخذتهما، ومضت، فأخذ معلرف يتعقبها حتى وصل إليها وتحدث معها، ورفع رأسه كي لا يقع نظره عليها، وقال: أديك ولد يقرأ القرآن؟ قالت: لا، قال: اعطني المصحف إذن، والمصلى لك، فتعجبت تلك المرأة من حلمه، وتركتهما مكانهما، فقال معلرف: خذي المصلى حلالاً عليك، فمضت المرأة مسرعة من الخجل والحياء.

يروى: أن معلرفاً كان يسير ذات يوم مع جمع، وكانت جماعة من الشباب قادمة، وتعيث فساداً، حتى وصلوا إلى شاطئ دجلة، فقال له الأصحاب: يا شيخ، أدع أن يفرقهم الحق (تعالى) جميعاً، لينقطع آذاهم عن الخلق، فقال معلرف: إرفعوا أيديكم، ثم قال: إلهي، أسألك أن تسعدهم في الآخرة كما أسعدهم في الدنيا، فتعجب الأصحاب وقالوا: يا سيدنا، إننا لا نعرف سر هذا الدعاء، قال: يعلمه من أحدثه، فانظروا وسيوضح سره الآن. وعندما رأى ذلك الجمع الشيخ، حطموا الرباب، وسكبوا الخمر، وارتعدوا، وجثوا على يدي الشيخ

وقدميه، وتابوا. قال الشيخ: رأيتم أن مراد الجميع قد حدث دون غرق ودون أن يصاب شخص بأذى^(٤١١).

يسروري: أن سرى السقطى قال: رأيت معروفاً يوم عيد، كان يلتقط نوى التمر، فقلت: ما تفعل به؟ قال: رأيت هذا الطفل، وكان يبكي، فقلت: لماذا تبكي؟ فقال: إنني يتيم ليس لدى أب ولا أم، ويملك الأطفال الآخرين ثياباً، وأنا لا، ولديهم الجوز وأنا لا، ولهذا فإبنتى التقط هذا النوى من أجله كي أبيعه، وأشتري له جوزاً ليمضى ويلعب، فقال سرى: كف عن هذا، ثم حملت الطفل، وأرديته ثياباً، واشتريت له الجوز، وأدخلت السرور على قلبه، فرأيت نوراً في الحال أضاء قلبى، وتبدل حالى^(٤١٢).

يروى: أن مسافراً نزل على معروف في الخانقاه ذات يوم، ولم يكن يعرف القبلة فاتجه (في صلاته) إلى ناحية أخرى، وصلى، ولما حان وقت الصلاة، واتجه الأصحاب إلى القبلة وصلوا، خجل ذلك المسافر، وقال: لماذا لم تخبروني؟ فقال الشيخ: إننا فقراء، وأى شأن للفقير بالتصرف؟ وراعى ذلك المسافر رعاية لا يمكن وصفها.

يسروري: أنه كان هناك خال لمعروف، وكان والياً على المدينة وكان يمر في مكان خرب ذات يوم فرأى معروفاً جالساً فيه، وكان يتناول خبزاً وأمامه كلب، فكان يضع لقمة في فمه ولقمة في فم الكلب فقال له خاله: ألا تخجل أن تتناول الخبز مع كلب؟ قال: بل أخجل أن أعطي الخبز لفقير، ثم رفع رأسه، ودعا طائرًا من الهواء، فهبط الطائر، وحط على يده، وكان يغطي رأسه وعينه بريشه، فقال معروف: من يخجل من الله، تخجل منه كل الأشياء، فخجل خاله في الحال.

يروى: أن طهارة معروف نقصت ذات يوم، فتيمم في الحال، فقيل له: ها هو نهر دجلة فلماذا تتيمم؟ قال: ربما لا أعيش حتى أبلغه^(٤١٣).

يروى: أن الشوق غلبه ذات مرة، وكان هناك عمود، فنهض، واحتض ذلك العمود وضغط عليه إلى حد أنه خشي معه أن ينفقت.

وله كلمات عالية منها أنه قال: للفتيان علامات ثلاث: وفاء بلا خوف، ومدح بلا جود وعطاء بلا سؤال^(٤١٤).

وقال: علامة محبة الله: أن يشغل (العبد) بعمل تكون فيه سعادته، ويحفظه من المشاغل التي لا تفيد في العمل.

وقال: علامة مقت الله العبد أن تراه مشتغلاً بما لا يفيد من أمر نفسه^(٤١٥).

وقال: علامات أولياء الله ثلاث: همومهم لله، وفرارهم إليه، وشغلهم فيه^(٤١٦).

وقال: إذا أراد الحق (تعالى) بعبد خيراً يفتح عليه باب عمل الخير، ويغلق عليه باب الكلام، وكلام الرجل فيما لا يعنيه علامة الخذلان^(٤١٧). وإذا أراد بعبد شراً يكون الأمر على خلاف هذا.

وقال: حقيقة الوفاء إفاقة السر عن رقدة الغفلات وفراغ الهم عن فضول الآفات^(٤١٨).

وقال: إذا أراد الله (تعالى) بعبد خيراً فتح له باب العمل وأغلق عليه باب الكسل^(٤١٩).

وقال: طلب الجنة بلا عمل ذنب وانتظار الشفاعة دون حفظ الرسوم نوع من الغرور، وارتجاء الرحمة في عدم الطاعة جهل وحمق^(٤٢٠).

وقالوا: ما التصوف؟ فقال: الأخذ بالحقائق، والقول بالدقائق، واليأس مما في أيدي الخلائق.

وقال: من عشق الرئاسة لا يفلح قط.

وقال: أعرف سبيلاً إلى الله هو: ألا تطلب شيئاً من شخص، وألا يطلب شخص منك شيئاً قط.

وقال: غضوا أبصاركم عن الجميع ذكراً كان أو أنثى (٤٢١).

وقال: احفظوا اللسان من المدح واحفظوه من الذم أيضاً، وسألوه: بأى شيء ندرك الطاعة؟ فقال: بأن تخرجوا الدنيا من قلوبكم، وإن يرد على قلوبكم شيء قليل منها اقتلوه في كل سجدة تسجدوها (٤٢٢).

وسئل عن المحبة فقال: المحبة ليست من تعاليم الخلق، إنما هي من مواهب الحق وفضله (٤٢٣).

وقال: إذا لم تكن هناك أي نعمة للعارف فهو في كل نعمة (٤٢٤).

يسرروي: أن معلرفاً كان يتناول طعاماً طيباً ذات يوم، فقالوا له: ما تأكل؟ فقال: أنا ضيف، آكل ما يعطونه لي ومع هذا كان يقول لنفسه ذات يوم: أيتها النفس خالصيني حتى تتحرري أيضاً (٤٢٥).

وطلب منه إبراهيم (٤٢٦) وصية ذات مرة فقال: توكل على الله حتى يكون معك، ويكون مؤنسك وملاذك حين تشكوله من الجميع، لأن جملة الخلق لا يستطيعون نفعك ولا دفع الضرر عنك (٤٢٧) وقال: أرجوه لأن جملة الأدواء لديه، واعلم يقيناً أن كل ما يحل بك من داء أو بلاء أو فاقة أن الفرج منها يكمن فيها.

وقال شخص آخر: عظني، فقال: احذر أن يراك الله ولا تكون في زمرة
المساكين.

قال سري: قال لي معروف: إذا كنت في حاجة إلى الله، أقم له رقل:
يارب بحق معروف الكرخي تجب حاجتي فتكون الإجابة في الحال(٤٢٨).

يسروي: أن الشيعة تزاحموا على باب الرضا (رضى الله عنه) ذات يوم،
وكسروا أضلع معروف الكرخي، فمرض(٤٢٩) فقال له سري السقطي: عظني،
فقال: إذا مت، تصدق بقميصي، فإني أريد أن أخرج من الدنيا عارياً مثلما
دخلتها(٤٣٠).

لا جرم كان فريداً في التجريد، ومن قوة تجريده، كانوا يسمون قبره بعد
وفاته الترياق المجرب، وأي حاجة يذهبون إلى قبره فيها يجيبها الحق تعالى.

وعندما توفي حدث أن تنازعت عليه كل معتنقى الأديان: من يهود ونصارى
ومؤمنين لغاية لطفه وتواضعه، وقالت كل مجموعة: إنه منا، فقال خادم إنه قد
قال: من يستطيع رفع نعشى من الأرض أكون من قومه، فلم يستطع النصارى
ولا اليهود، فجاء أهل الإسلام، ورفعوه، وصلوا عليه ودفنوه هناك.

يسروي: أنه كان صائماً ذات يوم، وكان النهار قد انتصف، وكان يمضي
في السوق وكان سقاء يقول: «رحم الله من شرب، فأخذ منه وشرب، فقيل له:
ألم تكن صائماً؟ فقال: بلى لكني رجوت دعاءه(٤٣١) ولما توفى، رأوه في
المنام، فقالوا: ما فعل الله بك؟ قال: أدخلني في دعاء السقاء، وغفر لي.

قال محمد بن الحسين(٤٣٢) (رحمة الله عليه): رأيت معروفاً في المنام،
فقلت له: ما فعل الله بك؟ قال: غفر لي، فقلت: بزهك وورعك، قال: لا،
بقبولي عظة سمعتها من ابن السماك في الكوفة حيث قال: من أقبل على الله

كلية، أقبل الله برحمته عليه، وأقبل بجميع الخلق عليه، فوقع كلامه في قلبي فأقبلت على الله، وتركت جميع المشاغل إلا خدمة علي بن موسى الرضا، وذكرت له هذا الكلام فقال: إذا قبلت المرعظة، فيكيفك هذا^(٤٣٣).

قال سري: رأيت معروفاً في المنام وهو واقف تحت العرش، وقد حملق عينه كالوا له المفتون، وكان نداء يصل من الحق تعالى إلى الملائكة: من هذا؟ فيقولون: أنت أعلم يارب، فيقول: إنه معروف الذي سكر من حبنا ووله به، فلا يفيق إلا برويتنا، ولا يعلم عن نفسه شيئاً إلا بقلاننا^(٤٣٤). (رحمة الله عليه).

ذكر سرى السقطى^(٤٣٥) (قدس الله روحه)

هو النفس الخاضعة بالمجاهدة، والقلب الحى بالمشاهدة، هو سالك حضرة الملكوت، والشاهد على عزة الجبروت هو مركز دائرة لا نقطى^(٤٣٦)، شيخ الزمان سرى السقطى (رحمة الله عليه).

كان إماماً لأهل التصوف، ووصل إلى الكمال فى أصناف العلم، وكان بحراً للحنن والألم، وجبلاً للحلم والثبات، وخزانة للمرءة والشفقة، وأعجوبة فى الرموز والإشارات، وكان أول شخص تحدث عن الحقائق والتوحيد فى بغداد، وكان أغلب مشايخ العراق من مريديه، وكان خال الجديد، ومريداً لمعروف الكرخى، وكان قد رأى حبيباً الراعى.

وفى بدء أمره كان يقيم فى بغداد، وكان له حانوت، كان يعلق عباءته على بابيه، ويصلى، وفى كل يوم كان يصلى عدة ركعات، فجاء رجل من جبل اللكام لزيارته. ورفع العباءة من على الباب، وسلم، وقال لسرى: يبلغك الشيخ الفلانى من جبل اللكام السلام، فقال السرى: إنه قد سكن الجبل، ولا يعمل، ويجب على الرجل الانشغال بالحق فى السوق بحيث لا يغيب عنه لحظة^(٤٣٧).

سرى: أن السرى لم يكن يطلب فى البيع والشراء سوى نصف على كل عشرة، وذات مرة اشترى جوزاً بستين ديناراً، وحدث أن ارتفع ثمن الجوز، فأتاه دلال وقال له: بهه لى قال: بكم؟ قال: بثلاثة وستين ديناراً، قال الدلال: ثمن اللوز اليوم تسعين ديناراً، فقال: إنى قد عقدت العزم ألا آخذ أكثر من نصف دينار على كل عشرة دنائير، ولن أنقص عزمى، فقال الدلال: وأنا أيضاً لا أبيع أن أبيع بضاعتك بالقليل، فلم يبع الدلال، ولم يجز السرى (٤٣٨).

فى بادىء الأمر كان يسب البيع، وحدث أن احترق سوق بغداد ذات يوم، فقيل له: احترق السوق، فقال: وأنا فرغت أيضاً، نظروا بعد ذلك فلم يكن حانوته قد احترق ولما رأى ذلك، وهب الفقراء كل ما يملك، وسلك طريق التصرف (٤٣٩).

سلى: كيف كانت بداية حالك؟ فقال: مر حبيب الراعى بدكانى ذات يوم، فأعطيته شيئاً يمنحه للفقراء فقال: خيرك الله، ومنذ ذلك اليوم الذى قال فيه هذا الدعاء فترت الدنيا على قلبى (٤٤٠).

وذات يوم آخر كان معروف الكرخى يأتى إليه ويرفقته صبى يتيم، وقال: إكس هذا اليم، قال سرى: فكسوته، فقال معروف: بفض الله (تعالى) إليك الدنيا، وأراك من هذا الشغل، ففرغت من الدنيا مرة واحدة ببركات دعاء معروف (٤٤١).

ولم يبالغ شخص فى رياضته مثله إلى حد أن الجنيد قال: لم أر شخصاً قط أكمل عبادة من السرى مرت عليه ثمان وتسعون سنة ما روى خلالها مضطجاً إلا فى علة الموت (٤٤٢).

وقال: تشهى نفسى جزرة مغموسة فى الدبس منذ أربعين عاماً ولم أذقها إياها (٤٤٣).

وقال: أنظر فى المرآه كل يوم عدة مرات مخافة أن يكون قد إسود وجهى من الذنوب(٤٤٤).

وقال: أريد أن تلقى ما على قلوب الناس من هموم على قلبى حتى يفرغوا من الهم.

وقال: أخشى إن جاءنى أخ. وحككت محاسلى بيدي، فيسجل اسمى فى صحيفة المناقبين.

وقال بشر الحافى: لم أكن أسأل شخصاً قط سوى السرى الذى كنت قد عرفت زهده، وأنه يسر بما يخرج من يديه.

قال الجليل: دخلت يوماً على السرى وهو ييكى، فقلت له: ما بيكيك؟ فقال: جال بخاطرى أن أعلق كوزاً الليلة ليبرد الماء، ثم استغرقت فى النوم، فرأيت حورية، فقلت: لمن أنت؟ فقالت: لمن لا يعلق الكوز ليطيب ماؤه، وضربت تلك الحورية بكوزى على الأرض، انظرها هو، قال الجليل فرأيت خزفاً مكسوراً، وكأنه كان قد وقع منذ زمن بعيد(٤٤٥).

قال الجليل: كنت نائماً ذات ليلة، ثم استيقظت، وتملكنى رغبة فى الذهاب إلى مسجد «شونيزيه»، فذهبت، ورأيت شخصاً مهيباً، فخفت، فقال لى: أتخاف يا جليل منى، قلت: بلى، قال: إن عرفت الله كما ينبغي لما خفت غيره، فقلت: من أنت؟ قال: إيليس، قلت: وهل يمكن لى أن أراك؟ فقال فى تلك البرهة التى خفت فيها منى غفلت عن الله، وأنت لا تدري، فما مرادك من رؤيتى؟ قلت: أردت أن أسألك: ألك يد على الفقراء؟ قال: لا، قلت: لماذا؟ قال: إذا أردت أن آخذهم بالدنيا يفرّون إلى العقبى، وإذا أردت أن آخذهم بالعقبى يفرّون إلى المولى، ولا سبيل لى إليه. فقلت: طالما ليست لك يد عليهم فإنك لا تراهم إنن،

قال: أراهم فى حال فى السماع والوجد وأرى مما ينوحون؟ قال هذا، واخفى. ولما دخلت المسجد، رأيت السرى، وقد وضع رأسه على ركبته، فرفع رأسه وقال: يكذب عدو الله فهم أعز من أن يظهروا معه.

قال الجنيد: مررت والسرى بجماعة من المخنثين، فجال بخاطرى: كيف سيكون حالهم؟ قال السرى: لم يجل بخاطرى قط أن لى فضلاً على أى مخلوق فى كل العالم، قلت: يا شيخ، ولا على المخنثين؟ قال: لا (٤٤٦).

قال الجنيد: دخلت على السرى، فرأيتُه متغيراً، فقلت: ما حدث؟ قال: جاءنى ملك من الملائكة وسألنى ما الحياء؟ فأجبته، فصار ذلك الملاك ماء كما ترى!!

يسرى: أن السرى كانت له أخت، فاستأذنته أن تكس له داره، فلم يأذن لها، وقال: لا تساوى حياتى أجزء هذا، ودخلت داره يوماً فرأت عجوزاً كانت تكس داره، فقالت: يا أختى، إنك لم تأذن لى أن أقوم بخدمتك، والآن أحضرت امرأة غريبة! فقال: لا تشغلى قلبك يا أختاه، فهذه هى الدنيا قد احترقت فى عشقنا وحرمت منا، والآن استأذنت الحق (تعالى) أن يكون لها نصيب من زماننا، فمحت مكنسة رواقنا.

يقول أحد المشايخ: رأيت عدداً من المشايخ، فلم أجد أحداً قط مشفقاً على خلق الله شفقته السرى.

يسرى: أن من كان يسلم عليه، كان يقطب وجهه، ويجيبه السلام، فسئل عن سر هذا فقال: قال النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم: من يسلم على مسلم، تهبط عليه مائة رحمة، تسعون منها لمن تنفج أساريه، لذا قد عيبت لنحل عليه تسعون رحمة. إن قال شخص هذا إيثار وما فطه أكبر من درجة

الإيثار إلا فكيف يريد أن يفضله على نفسه؟ أقول: نحن نحكم بالظاهر، فإننا نستطيع أن نحكم بالظاهر على تطيب الوجه، لكننا لا نستطيع الحكم على الإيثار وهل هو نابع من الصدق أم لا؟ ومن الإخلاص أم لا فلا جرم أنه فعل ما استطاع فى الظاهر.

يروى: أن السرى رأى يعقوب (عليه السلام) فى المنام ذات مرة، فقال: ما هذه الفتنة التى أقيت بها فى الدنيا من أجل يوسف يابى الله؟ وطالما أن لك شأنًا فى الحضرة، فاترك حديث يوسف، فجاءه هاتف: أيها السرى، احفظ قلبك، وأظهروا له يوسف، فصاح صحيحة، وغشى عليه، وكان قد ظل ثلاثة عشر يوماً بلياليها فاقداً الوعى، ولما تاب إلى رشده قيل هذا جزاء من يلم عشاق حضرتنا.

يروى: أن شخصاً أحضر طعاماً للسرى وقال: منذ كم يوم لم تأكل؟ فقال: منذ خمسة أيام، فقال: قد كان جوعك جوع بخل ولم يكن جوع فقر.

يروى: أن السرى أراد أن يرى أحد الأولياء، فتصادف أن رأى أحدهم على قلة جبل، فلما وصل إليه قال: السلام عليك، من أنت؟ فقال: هو، قال: وما تفعل؟ قال: هو، قال: وما تأكل؟ قال: هو، قلت: أتقصد الله بقولك هو؟ سمع هذا الكلام فصاح صحيحة، وأسلم الروح.

يروى: أن الجنيد قال: سألتى السرى عن المحبة يوماً، فقلت: قال قوم: هى الموافقة، وقوم آخرون: هى الإشارة، وقال: أشياء أخرى. فأخذ السرى جلدة يده، وجذبها فلم تنجذب، ثم قال: وعزته إن قلت أن هذه الجلدة يبست بسبب محبته لصدقت، وغشى عليه، وصار وجهه كأنه قمر^(٤٤٧).

يروى: أن السرى قال: يصل العبد فى المحبة إلى حد أنه إن ضررته بسهم أو بسيف فإنه لا يدري، وعلم قلبى بهذا حتى اتضح أن الأمر هكذا.

وقال السرى: عندما أعلم أن الناس يجيلوننى ليتعلموا منى العلم، أدعو (قائلاً): يارب، هب لهم علماً يشغلهم عنى، حتى لا يشغلونى، فإنى لا أحب مجيئهم إلى (٤٤٨).

سرى: أن رجلاً ظل ثلاثين عاماً ملتزماً بالمجاهدة، فقيل له: بما نلت هذا؟ قال: بدعاء السرى، قالوا: كيف؟ قال: دخلت داره يوماً، وطرقت الباب، وكان فى خلوة، فصاح: من؟ قلت: عارف، قال: إن كنت عارفاً لشغلت به، ولما اهتميت بنا، ثم قال: إلهى، اشغله بك حتى لا يهتم بشخص قط، دعا هذا الدعاء، فنزل شىء بصدري ووصل بى الأمر إلى هذه الدرجة.

سرى: أن السرى كان يعظ فى مجلس ذات يوم، وكان أحد ندماء الخليفة ويدعى أحمد بن يزيد الكاتب يمر فى أبهة تامة وقد التفت حوله مجموعة من الخدم والظلمان، وقال: لأذهب إلى مجلس هذا الرجل، فإبنى ذاهب إلى عدة أماكن لا ينبغى الذهاب إليها، ومن ثم ساقنى قلبى إلى ذلك المكان، ثم مضى إلى مجلس السرى، وجلس، فجرى على لسان السرى: ليس هناك شخص قط أضعف من الإنسان فى الثمانية عشر ألف عالم ولا يعصى مخلوق قط من أنواع خلق الله أو امره كالإنسان، فإن أحسن يحسن إلى حد تحمده عليه الملائكة، وإن أساء يسيء إلى أن يستنكف الشياطين صحبته، والعجيب أن إنساناً بهذا الضعف يعصى إلهاً بهذه العظمة، فكان هذا سهماً أطلق من قوس سرى واتجه إلى روح أحمد، فبكى طويلاً إلى أن غشى عليه، ثم نهض باكياً، وذهب إلى داره، ولم يأكل فى تلك الليلة قط، ولم يتحدث، وفى اليوم التالى جاء إلى المجلس مترجلاً، حزيناً شاحباً، ولما انتهى المجلس مضى إلى داره، وفى اليوم الثالث جاء مترجلاً بمفرده، ولما انتهى المجلس، تقدم إلى السرى وقال: أيها الأستاذ، قد أسرنى كلامك هذا وجعل الدنيا فاترة على قلبى، ومن

ثم أريد أن أعزل الخلق، وأترك الدنيا، فأرشدني إلى طريق السالكين، فقال: أريد سبيل الطريقة أم الشريعة؟ أريد طريق العامة أم الخاصة؟ فقال: إرشدني إلى الطريقين، فقال: سبيل العامة هو: أن تحافظ على الصلوات الخمس وتخرج الزكاة إن كانت عن المال فنصف دينار لكل عشرين ديناراً وسبيل الخاصة هو: أن تطيء الدنيا كلها بقدمك، ولا تنشغل بشيء قط من زينتها، وإن أعطيت فلا تقبل، وأنت تعرف هذين الطريقين.

ثم خرج من هناك، واتجه إلى الصحراء، ولما انقضت عدة أيام، جاءته عجوز شعثاء مخدوشة الوجه وقالت: يا إمام المسلمين، لدى ولد شاب نضر الوجه، جاء إلى مجلسك ضاحكاً مختالاً، وعاد باكياً منهالكا، الآن قد غاب عدة أيام ولا أعلم أين هو؟ احترق قلبي لفراقه، فدبرني في هذا الأمر، فأشفق السرى عليها من كثرة نحيبها، وقال لا تتصايقي، فلن يحدث إلا خيراً، وعندما يعود، سأخبرك، إنه قد ترك الدنيا فبقيت لأهلها، وقد أصبح تائباً حقيقياً. ولما انقضت مدة، جاء أحمد ذات ليلة، فقال السرى للخادم: اذهب، وأخبر العجوز، ثم رأى السرى أحمد وقد ذبل وجهه وأصابه الهزال، وانحنى قده، فقال: أراحك الله أيها الأستاذ المشفق كما أرحنتني من الظلمات، وهبك الراحة في العالمين، وبينما كانوا في هذا الحديث جاءت أم أحمد وعياله، وكان له صبي صغير أحضره، فلما وقعت عين الأم على أحمد، ورأته على تلك الحال، التي لم تكن قد رأتها من قبل، ألقت بنفسها في حضنه، وأخذ عياله يبكون في ناحية، وكان الصبي يبكي، وارتفع الصياح منهم جميعاً، فبكى السرى، وألقى طفله بنفسه على قدميه، ومهما حاولوا أن يحملوه إلى الدار فبدون جدوى، وقال: يا إمام المسلمين، لماذا أخبرتهم؟ إنهم سيضرونني؟ فقال: كانت أمك قد انتحيت كثيراً، وقد قبلت منها، ثم أراد أحمد أن يعود، فقالت له زوجة: جعلتني أرملة

وأنت حى، ويحتمت أولادى فى ذلك الوقت الذى يريدونك فيه، فما أفعل؟ لا جرم ينبغي عليك أن تأخذ ابنك معك، فقال: وهو كذلك، فخلع عن ابنه الثياب الحسنة، وألقى عليه قطعة خشنه، ووضع زنبيلاً فى يده، وقال: سر، فلما رأته الأم تلك الحال قالت: لا أطيق هذا، اختطفته الابن، فقال أحمد لزوجه: وأنت أيضاً جعلتلك وكيلة لنفسك إن أردت طلقينى، ثم عاد أحمد، واتجه إلى الصحراء، وانقضت عدة أعوام، وذات ليلة فى صلاة العشاء اتجه شخص إلى خانقاه السرى ودخل وقال: أرسلنى أحمد إليك، ويقول: ضاق بى الأمر، فأدركنى، فذهب الشيخ ورأى أحمد نائماً فى قبر على التراب، وقد وصلت روحه إلى شفتيه، وكان يحرك لسانه، أنصت إليه فكان يقول: لمثل هذا فليعمل العاملون،^(٤٤٩) رفع السرى رأسه، ونظفها من التراب، ووضعها على طرفه ففتح أحمد عينيه، فرأى الشيخ، فقال: أيها الأستاذ، جئت فى وقتك، فقد ضاق بى الأمر، ثم انقطع نفسه، فاتجه السرى إلى المدينة باكياً، حتى يهيبء له الأمر فرأى خلقاً كانوا يخرجون من المدينة، فقال أين تذهبون؟ قالوا: ألا تعلم أن نداء جاء من السماء بالأمس: قل لمن يريد أن يصلى على ولى الله الخاص أن يذهب إلى مقابر شونيزيه، وهكذا كانت له كرامة حيث كان المريدون ينهضون إليه، ولو أنها صدرت عن الجنيد لكان صحيحاً. ومن أقواله أنه قال: أيها الشباب، اعملوا فى الشباب قبل أن تصلوا إلى الشيخوخة فضعفون وتقصرون مثلى، وفى هذا الوقت الذى قال فيه هذا الكلام لم يحظ شاب قط بطاقة عبادته.

وقال: منذ ثلاثين سنة وأنا أستغفر بسبب شكر، قيل: وكيف؟ فقال: وقع حريق بمسوق بغداد، لكن دكانى لم يحترق فأخبرونى، فقلت: الحمد لله، وأستغفر خجلاً من أننى أردت لنفسى أفضل مما كان لإخوانى المسلمين وحمدت الدنيا^(٤٥٠).

وقال: إذا فاتنى جزء من وردى فلا قضاء له أبداً (٤٥١).

وقال: ابتعدوا عن الجيران الأغنياء، وقراء السوق، وعلماء الأمراء.

وقال: قل لمن أراد أن يسلم دينه ويستريح قلبه ويدنه، ويقل غمه، فليعتزل الناس لأن هذا زمان عزلة ووحدة (٤٥٢).

وقال: كل الدنيا فضول إلا خمسة أشياء: خبز يشبعه، وماء يرويه، وثوب يستره ويبيت يكنه وعلم يستعمله (٤٥٣).

وقال: كل معصية سببها شهوة يرجى غفرانها، وكل معصية سببها كبر لا يرجى غفرانها، لأن معصية إبليس كانت من الكبر، وذلة آدم من الشهوة.

وقال: إن دخل شخص بستاناً فيه أشجار كثيرة، وعلى كل ورقة منها طائر يقول له بلسان فصيح: «السلام عليك ياولى الله، وذلك الشخص وهو لا يخاف يجب أن يخيفه ذلك المكر والاستدراج (٤٥٤).

وقال: علامة الاستدراج تجاهل عيوب النفس (٤٥٥).

وقال: المكر قول بلا عمل.

وقال: الأدب ترجمان القلب (٤٥٦).

وقال: أقوى قوة غلبتك نفسك، ومن عجز عن أدب نفسه كان عن أدب غيره أعجز ألف مرة (٤٥٧).

وقال: ما أكثر من لا يوافق قولهم فقلهم وما أقل من يوافق قولهم فقلهم (٤٥٨).

وقال: من لم يعرف قدر النعمة سلبها من حيث لا يعلم (٤٥٩).

وقال: من أطاع من فوقه أطاعه من دونه (٤٦٠).

وقال: لسانك ترجمان قلبك ووجهك مرآة قلبك، يتبين على الوجه ما تضمن في قلبك (٤٦١).

وقال: القلوب ثلاثة: قلب مثل الجبل لا يزيه شيء، وقلب مثل الشجرة أصلها ثابت لكن الريح تميلها من وقت لآخر، وقلب كالريشة تتقاذفه الرياح في كل صوب (٤٦٢).

وقال: قلوب الأبرار معلقة بالخواتيم، وقلوب المقربين معلقة بالسوابق (٤٦٣) ومعنى ذلك أن حسنات الأبرار هي سيئات المقربين، وتسقط الحسنات على السيلة فتمحوها، وبذلك يختم الأمر عليك في كل منزلة تنزلها، والأبرار هم أولئك القوم الذين ينزلون في نعمة «إن الأبرار لفي نعيم» (٤٦٤)، لا جرم أن قلوبهم معلقة بالخواتيم، أما السابقون المقربون فإن لهم عيناً في الأزل، فلا جرم لا ينزلون أبداً ولا يستطيعون الوصول إلى الأزل، لهذا طالما أنهم لا ينزلون في منزلة قط فيجب أن يسحبوا إلى الجنة بزنجير.

وقال: يدخل الحياء والأنس القلب إن سكنه الزهد والورع وإلا رجما.

وقال: خمسة أشياء لا يسكن في القلب معها غيرها: الخوف من الله، والرجاء في الله، والحب لله، والحياء من الله، والأنس بالله وحده (٤٦٥).

وقال: مقدار فهم كل رجل بمقدار قرب قلبه من الله.

وقال: أكثر الخلق فهماً من يفهم أسرار القرآن ويتدبر فيها الأسرار.

وقال: أصبر الخلق من يستطيع الصبر على الخلق.

وقال: يدعون الأمم غداً بالأنبياء والأحبة بالله.

وقال: الشوق أسمى مقامات العارف.

وقال: العارف من كان أكله أكل المرضى، ونومه نوم من أصابته جنة وعيشه عيش الغرقى^(٤٦٦).

وقال: ذكر فى بعض الكتب المنزلة أن الله قال: يا عبدى عندما يظنك نكرى أصير عاشقاً لك، والعشق هنا بمعنى المحبة.

وقال: صفة العارف الشمس التى تشرق على العالم كله، وشكله الأرض التى تثمر كل الموجودات، وطبعه الماء الذى نحيا به القلوب، ولونه النار التى يضىء بها العالم.

وقال: التصوف اسم لثلاثة معان: وهو الذى لا يطفىء معرفته نور ورعه، ولا يتكلم بباطن فى علم ينقضه عليه ظاهر الكتاب، ولا تحمله الكرامات على هتك أستار محارم الله^(٤٦٧).

وقال: علامة الزاهد كف النفس عن الطلب، وقناعتها بما يسرى عليها من جوع، ورضاها بما يستر العورة، ونفورها من الفضول، وإخراجها للخلق من القلب.

وقال: أصل العبادة الزهد فى الدنيا وأصل القوة للرجبة فى الآخرة.

وقال: لا يطيب عيش الزاهد المشغول بنفسه، ويطيب عيش العارف حين ينشغل عن غيره.

وقال: مسكت ييدى أمور الزهد، فأدركت كل ما أردت إلا للزهد.

وقال: من تزين للناس بما ليس فيه سقط من ذكر الحق^(٤٦٨).

وقال: من كثر لخلطه بالخلق، قل صدقه.

وقال: حسن الخلق كف الأذى عن الناس، واحتمال الأذى عنهم بلا حقد ولا جزاء^(٤٦٩).

وقال: لا تنقطع عن أخ بالظن والشك ولا تتخلى عن صحبته بلا عتاب.

وقال: أجلد الناس من ملك غضبه^(٤٧٠).

وقال: ترك الذنب على ثلاثة وجوه: الخوف من الجحيم، والرغبة فى الجنة، والخجل من الله.

وقال: لن يكمل العبد حتى يؤثر ديبه على شهوراته^(٤٧١).

يسرورى: أن السرى كان يتحدث عن الصبر يوماً، فلدغته عقربة عدة مرات، فقيل له: لماذا لم تدفعها؟ قال: خجلت، فكيف أدفعها وأنا أتحدث عن الصبر؟

وقال فى المناجاة: إلهى، منعتنى عظمتك عن مناجاتك، وأنست بمعرفتى لك.

وقال: إن لم تكن أنت الذى قلت: اذكرنى باللسان وإن لم أكن ذكرتكم أى أن اللسان لا يتسع لذكرك فكيف أذكرك بلسان قد تلوث باللهو؟

قال الجنيد: قال السرى: لا أريد أن أموت ببغداد، لأننى أخاف ألا تقبلنى الأرض فافتضح، وقد ظن الناس بى ظناً حسناً فيسيئون الظن بى.

وقال: لما مرض دخلت لعيادته، كانت هناك مروحة، فأخذتها، وكنيت أجنب له الهواء، فقال: يا جنيد، ضعها كى تذهب النار، فقال الجنيد: ما الحال؟ فقال: «عبد مملوك لا يقدر على شىء» فقلت: عظنى، قال: لا تنشغل بصحبة الخلق عن صحبة الحق تعالى، فقال الجنيد: إن قلت هذا الكلام من قبل لما كنت صاحبك أنت أيضاً، وأسلم السرى الروح. (رحمة الله عليه).

ذكر فتح الموصل^(١٧٦) (قدس الله روحه العزيز)

هو عالم الفروع والأصول، وحاكم الوصال والفصال، هو ممدوح الرجال، وأسير الجلال، هو الوالى فى الحقيقة، شيخ الزمان فتح الموصلى (رحمة الله عليه).

كان من كبار المشايخ، وكان صاحب همة وعالى القدر، ووصل فى الورع والمجاهدة إلى الغاية، وغلبه الحزن والخوف واعتزل الخلق، وكان يخفى نفسه عن الخلق إلى حد أنه كان قد عقد مجموعة من المفاتيح على شاكلة التجار، وفى كل مكان كان يذهب إليه كان يضعها أمام السجادة، فلم يكن شخص يعرف من هو.

ذات مرة أتاه واحد من أحياب الحق (تعالى)، وقال له: ماذا تفتح بهذه المفاتيح التى تعلقها؟

وسئل شيخ: أيرضى الفتح بأى علم؟ فقال: أفضل علم له أنه قد ترك الدنيا كلية.

يقول عبد الله بن الجلا: كنت فى دار السرى، ولما مرّ جزء من الليل ارتدى ثياباً نظيفة، وأطاح بالرداء، فقلت: أين تذهب فى هذا الوقت؟ فقال: لحياة فتح

الموصلي، ولما خرج، قبض عليه العس، وحمل إلى السجن، وعندما طلع النهار صدر الأمر بضرب المساجين، ولما رفع الجلاذ يده ليضربه، تبيست يده فلم يستطع تحريكها، فقالوا للجلاذ: لماذا لا تضرب؟ فقال: لقد وقف شيخ أمامي كان يقول لي: لا تضربه، فلم أطعه، نظروا فكان فتح الموصلي، فحملوا إليه السرى، وأطلقوا سراحه.

يروى: أن فتح مثل عن الصدق، فمد يده إلى مرجل حداد، وأخرج قطعة حديد مشتطة، ووضعها على يده وقال: هذا هو الصدق.

قال فتح: رأيت أمير المؤمنين علياً في المنام فقلت له: عظمي، فقال: لم أر شيئاً أطيب من تواضع الغني للفقير ابتغاء ثواب الحق، فقلت: زدني، فقال: الأطيب منه تكبر الفقير على الغني اعتماداً على الحق.

يروى: أن فتح قال: ذات مرة كنت في المسجد مع الأصحاب، فدخل شاب بقميص خلق وسلم، وقال: للغرباء رب، تعال بعد غد إلى المكان الغلاني، وأسأل عن داري، سأكون نائماً، فغسلني، وكفنتني بهذا القميص، وادفنتني في التراب. فذهبت، وكان الأمر كذلك، فغسلته وكفنته بذلك القميص ودفنته، وكنت أريد العودة، فأمسك بطرفي وقال: إن كانت لي منزلة عند الحضرة الإلهية يافتح، أكافئك على هذا التعب الذي رأيت، ثم قال: يموت المرء على ما يحيا عليه، قال هذا وخدمت أنفاسه.

يروى: أن فتح كان يبكي يوماً، وكانت الدموع تسيل من عينه مضرجة بالدماء. قيل لماذا أنت دائم البكاء؟ فقال: حينما أتذكر ذنوبي يسيل الدم من عيني لأنه لا ينبغي أن يكون بكائي رياءً لا إخلاصاً.

يروى: أن شخصاً أعطى فتح خمسين درهماً وقال: ورد في الأخبار أن من يمنح شيء دون سؤال، ويرده، فقد رده إلى الحق تعالى، فأخذ درهماً ورد له الباقي.

وقال: صحبت ثلاثين شيخاً، كانوا من جملة الأبدال.

قالوا لي جميعاً: تعفف عن صحبة الخلق، وأمروني جميعاً بقلة الأكل.

وقال: أيها الناس، أيموت من يمتنع عن الطعام والشراب من المرضى؟
قالوا: بلى، قال: وكذلك يموت القلب الذي يمتنع عن العلم والحكمة وكلام
المشايخ؟

وقال: سألت راهباً ذات مرة: كيف السبيل إلى الله فقال: حيثما تولى وجهك
إليه هو موجود.

وقال: أهل المعرفة هم: أولئك القوم الذين حين يتحدثون يتحدثون عن الله،
وحين يعملون يعملون لله، وحين يطلبون يطلبون من الله.

وقال: من أدام الذكر ورثه ذلك فرح المحبوب، ومن آثر الله على هواه ورثه
ذلك حبه إياه، ومن اشتاق إليه زهده فيما سواه (١٧٣).

يسرّوي: أنهم رأوا فتح في المنام حين توفي، فقالوا: ما فعل الله بك؟ قال:
قال الله (تعالى): لمانذا أكثرت من البكاء؟ فقلت: خجلاً من الذنوب يا إلهي،
فقال أيا فتح إنني كنت قد أمرت ملاك الذنوب الخاص بك ألا يسجل عليك ذنباً
قط بسبب بكائك طيلة أربعين عاماً (رحمة الله عليه).

ذكر أحمد بن أبي الحواري (٤٧٤) (قدس الله روحه)

هو الشيخ الكبير، والإمام الخطير، هو زينة الزمان وركن الدنيا، هو ولي قبة التواري، قلب الزمان أحمد بن أبي الحواري (رحمة الله عليه).

كان فريداً في زمانه، وعالماً في جميع فنون العلوم، وله في الطريقة بيان عال، وقيمة في الحقائق، وكان القدوة في الروايات والأحاديث، ومرجع أهل زمانه في الواقعات، وكان من أكابر مشايخ الشام، وكان ممدوحاً بكل لسان إلى حد أن قال عنه الجنيدي: أحمد بن أبي الحواري ريحانة الشام، وكان من مريدي أبي سليمان الداراني، وكان قد صحب سفيان بن عيينه، ولكلامه أثر عجيب في القلوب، في بادئ أمره انشغل بتحصيل العلم، حتى وصل فيه إلى درجة الكمال، ثم حمل كتبه فأغرقها في البحر، وقال: نعم الدليل كنت لي، لكن لما بلغت المقصود كان من المحال الانشغال بالدليل؛ لأن الدليل يلزم المرید في الطريق، وطالما بدا المقصود فأى قيمة للحضرة والطريق، ثم ألقى بالكتب في البحر، وتألم لذلك ألماً عظيماً. وقال المشايخ: إنه كان في حالة سكر.

يسروى: أن عهداً كان بين أبي سليمان الداراني وأحمد الحواري على ألا يخالفه في شيء قط، وكان أبو سليمان يعظ يوماً، فقال له: أضىء التور، فما

تأمر؟ فلم يجبه أبو سليمان فكررهما ثلاث مرات، فقال أبو سليمان: انهب واجلس فيه، ولما انقضت فترة وهو على هذه الحال تذكره أبو سليمان فقال: أطلبوا أحمد، فطلبوه مظلم يجوده، فقال: انظروا في التنور، فإنه قطع معي عهداً على ألا يخالفني في أي شيء، فلما نظروا كان في التنور، ولم تكن شعره منه قد احترقت.

يسروى: أن أحمد قال: رأيت حوراء في المنام، كان لها نور يتلألأ فقلت: أيتها الحوراء إن لك وجهاً جميلاً، فقالت: نعم يا أحمد، ففي تلك الليلة التي كنت تبكي فيها، مسحت وجهي بدموع عينك، فصار وجهي على هذا النحو.

وقال: لا يكون العبد تائباً حتى يندم بالقلب، ويستغفر باللسان، ويرد المظالم ويجتهد في العبادة، وطالما تعبد كما ذكرت، يتشعب له من التوبة والاجتهاد الزهد والصدق، ثم يتشعب له من الصدق التوكل ثم يتشعب له من التوكل الاستقامة ثم يتشعب له من الاستقامة المعرفة، ثم يتشعب له من المعرفة لذة الأنس ثم بعد الأنس الحياء ثم بعد الحياء الخوف من المكر والاستدراج، ولا يفارق قلبه في جميع هذه الأحوال خوف (زوالها) عنه دون لقاء الحق (١٧٥).

وقال: من عرف ما يجب عليه الخوف منه سهل عليه اجتناب ما نهى عنه.

وقال: من كان أكثر عقلاً كان أكثر معرفة بالله، ومن كان أكثر معرفة بالله سرعان ما يصل إلى المنزل.

وقال: الرجاء قريت للخطئين.

وقال: أفضل الكلام بكلمة للعبد على ما فاتته من أوقاته سدى (١٧٦).

وقال: من نظر إلى الدنيا بنظر الإرادة والحب أخرج الله نور الفقر والزهد من قلبه (٤٧٧).

وقال: الدنيا مزيلة ومجمع الكلاب، ومن عكف عليها أكل من الكلاب، فإن الكلب حين يأخذ منها حاجته يشبع وينصرف (٤٧٨).

وقال: من لم يعرف نفسه فهو من دبله في غرور (٤٧٩).

وقال: ما ابتلى الله عبداً بشيء أشد من الغفلة وقسوة القلب (٤٨٠).

وقال: إنما كره الأنبياء الموت لأنه أقدمهم عن ذكر الحق (٤٨١).

وقال: لمحبة الله علامة وهي حب طاعته (٤٨٢).

وقال: محبة الله تكمن في محبة طاعة الله.

وقال: لا دليل على معرفة الله سوى الله، لكن دليل الطلب آداب الخدمة.

وقال: من أحب أن يعرف بالخير أو يذكر به، فهو مشرك في عبادة الله تعالى لدى هذه الطائفة؛ لأن من عبد الله بالمحبة لا يحب أن يرى خدمته شخص قط سوى مخدمه والسلام (٤٨٣).

ذكر أحمد بن خضرويه (٤٨١) (قدس الله روحه العزيز)

هو فتوة الطريق، وتقى الحضرة، هو المتصرف فى الطريقة، والمتوكل فى الحقيقة، هو صاحب الفتوة والمشیخة، أحمد بن خضرويه البلخى. (رحمة الله عليه).

كان من كبار مشايخ خراسان، ومن مرشدى الطريقة، ومن المشهورين بالفتوة، وكان من سلاطين الولاية والمقبولين عند الفرق كلها، وكان مشهوراً بالرياضة، ومذكوراً بالكلمات السامية، وكان صاحب تصانيف، وكان له ألف من المريدين كانوا يسرون على الماء ويطيرون فى الهواء.

وفى بادية أمره كان مريداً لحاتم الأصم، وكان قد سحب أبا تراب النخشبى، ورأى أبا حفص.

وسئل أبو حفص: من رأيت من هذه الطائفة؟ فقال: ما رأيت أحداً أكبر همة ولا أصدق حالاً من أحمد بن خضرويه (٤٨٥).

وقال أبو حفص أيضاً: لولا أحمد ما ظهرت الفتوة والمروءة (٤٨٦). وكان أحمد يرتدى ثياباً على شاكلة الجنود (٤٨٧).

وكانت فاطمة زوجة آية في الطريقة، وكانت من بنات أمير بلخ، ثابت، وبعثت رسولا إلى أحمد (قائلة): اطلبني من أبي، فلم يجبها، فأرسلت إليه ثانية (تقول): يا أحمد، عرفتك أسخى من هذا، فكن هاديا لا قاطعا، فأرسل أحمد رجلا وطلبها من أبيها، فزوجها لأحمد بحكم التبرك. وتركت فاطمة الانشغال بالدنيا، واستراحت بحكم العزلة مع أحمد، إلى أن قصد أحمد زيارة أبي يزيد، فرافقته فاطمة، ولما أقبل على أبي يزيد، رفعت فاطمة النقاب عن وجهها، وأخذت تتحدث معه، فغضب أحمد، واستولت الخيرة على قلبه فقال: أي جرأة تلك التي كانت لك مع أبي يزيد؟ فقالت فاطمة لأنك أنت محرم طبيعتي، وأبو يزيد محرم طريقتي، فأصل بك إلى الهوى، وأصل به إلى الله، والدليل على هذا أنه في غنى عن صحبتي وأنت محتاج إلي^(٤٨٨) وكان أبو يزيد جريفا دائما مع فاطمة، حتى وقعت عينه يوما على يدها، وكانت قد تخضبت بالحناء، فقال يا فاطمة، لم الخضاب بالحناء؟ قالت: يا أبا يزيد لقد كنت أتبسط معك طالما لم تكن رأيت يدي وحناي، والآن وقد وقعت عينك على يدي فقد صارت صحبتنا حراما^(٤٨٩).

وإن استبدت الظنون بأحد، وتخيل أكثر مما قلت، فإن أبا يزيد قال: رجوت الله أن يجعل النساء كالحائض أمام عيني، وقد جعلهم سواء، وطالما يكون الشخص كذلك فكيف يرى امرأة؟

ثم اتجه أحمد وفاطمة من هناك إلى نيسابور، فسر أهل نيسابور بأحمد، وعندما جاء يحيى بن معاذ الرازي (رحمة الله عليه) إلى نيسابور وقصد بلخ، أراد أحمد أن يدعوه، فشاور فاطمة فيما ينبغي لدعوة يحيى فقالت: يلزم كثير من البقر والخراف والحوائج، وكثير من الشمع والطر، ومع كل هذا يلزم كثير من الحمير أيضا، فسألها أحمد: ولماذا ذبح الحمير؟ قالت: حين يكون الكريم

ضيقاً، يجب أن يكون لكلاب المحلة نصيب من ذلك^(٤٩٠). وهكذا كانت فاطمة في الفتوة فلا جرم أن قال أبو يزيد (عليها): من أراد أن يرى رجلاً مخبوءاً تحت لباس امرأة فليظنر إلى فاطمة^(٤٩١).

يروى: أن أحمد قال: فهرت نفسي مدة طويلة، وكانت جماعة تذهب للغزو يوماً، فرغبت في ذلك رغبة شديدة، ونكرت الأحاديث التي وضعت في بيان ثواب الغزو، ثم تعجبت وقلت: إن نفسي لا تطاوعني على الطاعة، لأنني أجعلها دائماً تتدارم على الصوم، فلم يعد لديها طاقة بسبب الجوع، وتريد أن تظفر، فقلت لها: لن أفطر في السفر، قالت: أوافق، فتعجبت وقلت: ربما تقول ذلك لأنني أمرها بقيام الليل فتزغب في السفر حتى تنام الليل وتستريح، فقلت: أوافقك حتى النهار، قالت: أوافق، فتعجبت، وظننت أنها ربما تقول ذلك لتختلط بالخلق فقد ملت الوحدة، ويلزمها أن تنس بالخلق، فقلت: كل مكان أحملك إليه أنحوبك جانباً وأعزلك فيه عن الخلق، قالت: أوافق، فعمزت، ورجعت إلى الحق متضرعاً، كي يحيطني علماً بمكرها أو بقرها، وهكذا قالت: إنك تقتلني كل يوم مائة مرة على خلاف مرادى ولا يعلم الخلق، ولكني أقتل في الغزو مرة واحدة، وأتحرر، وأتخلص من الدنيا، ويذاع في الدنيا بأسرها: هنيئاً لأحمد بن خضرويه قتل واستشهد، فقال: سبحان الله الذي خلق نفساً مفاقمة في الحياة ومفاقمة بعد الموت ولن تسلم في الدنيا ولا الآخرة، وظننت أنها تبحث عن الطاعة، ولم أعرف أنها تعقد الزنار، فازدت مخالفة لما كنت أفعل.

يسروى: أن أحمد قال: ذات مرة سلكت طريق الحج في البادية متوكلاً، واندفعت دفعة واحدة، فانكسرت في رجلى شوكة، ولم أخرجها، وقلت: يبطل التوكل، وببدا كنت أسير، دخلت شوكة في قدمي، فلم أخرجها أيضاً، وهكذا

وصلت إلى مكة وأنا أعرج، وأديت الحج وعدت، وكان شيئاً يخرج منها طول الطريق، وكنت أسير في ألم شديد، رأى الناس ذلك، فنزعوا الشوكة عني، وجرحت قدمي، واتجهت إلى بسطام إلى أبي يزيد وقعت عين أبي يزيد على فابتسم وقال: ما فعلت بتلك الشوكة التي أصيبت بها قدمك؟ فقلت: تركت اختياري لاختياره، فقال الشيخ: تقول اختياري، أيها المشرك! أي أن لك وجوداً واختياراً، أليس هذا شرك؟ (٤٩٢).

يروى: أن أحمد قال: أستر عز فقرك (٤٩٣).

وقال: دعا فقير في شهر رمضان واحداً من الأغنياء، ولم يكن في منزله غير رغيف يابس، عاد الغني وأرسل إليه صرة ذهب، فردها وقال: هذا جزء من يكشف سره لملكك، إننا لا نبيع هذا الفقر بكل العالمين (٤٩٤).

يروى: أن لصاً دخل داره وطاف فيه كثيراً، فلم يجد شيئاً، فأراد العودة وهو يائس فقال أحمد: أيها الشاب، احمل الدلو، وارفع الماء من البئر، وتطهر، وانشغل بالصلاة، وعندما يصل شيء أملكك إياه، حتى لا تعود فارغ اليد من دارنا، فعل اللص كذلك. ولما طلع النهار، أحضر السيد مائة دينار، وأعطاهما للشيخ، فقال الشيخ: خذها، فهذا جزء ليلة صلاتك، فاعترت اللص حالة، وارتعد، وغلبه البكاء وقال: كنت قد أخطأت الطريق، عملت ليلة من أجل الله فأكرمني مثل هذا الإكرام، وتاب وعاد إلى الله، ولم يقبل الذهب، وأصبح من مريدي الشيخ.

يروى: أن أحد المشايخ قال: رأيت أحمد بن خضرويه وقد جلس في عربة ذات سلاسل ذهبية، وكانت الملائكة تحمل تلك العربة في الهواء، فقلت: أيها الشيخ! إلى أين تطير؟ وأنت بهذه المنزلة، قال: لزيارة حبيب، فقلت: أيلزمك الذهاب لزيارة شخص وأنت تحظى بمثل ذلك المقام، قال: إننا لم أذهب وأتى ويحظى هو بدرجة الزائرين لا أنا.

يروى: أن أحمد كان يدخل الخانقاه ذات مرة بثياب خلق، وقد فرغ من رسوم الصوفية وانشغل بوظائف الحقيقة، فأنكره أصحاب تلك الخانقاه في الخفاء، وكانوا يقولون لشيخهم: إنه ليس أهلاً للخانقاه، حتى قدم أحمد ذات يوم إلى حافة بئر، فسقط دلوه فيه، فأذوه، فجاء أحمد إلى الشيخ وقال: اقرأ الفاتحة يخرج الدلو من البئر، فرفض الشيخ (وقال): أي طلب هذا فقال أحمد: إذا لم تقرأ أنت اسمح لي أن أقرأ أنا، فسمح له الشيخ، قرأ أحمد الفاتحة، فارتفع الدلو إلى حافة البئر، عندما رأى الشيخ ذلك، وضع العمامة وقال: أيها الشاب! من أنت؟ فقد نقص بيدر جاهي أمام بذرتك، فقال: قل للأصحاب ألا ينظروا إلى المسافرين نظرة احتقار، وقال: لأنني ذاهب بنفسى.

يروى: أن رجلاً جاءه، وقال: إننى فقير متعب، أرشدنى إلى الطريق حتى اتخلص من هذه المحنة، فقال الشيخ: اكتب اسم كل مهنة موجودة على ورقة، وضعها فى بوتقة، وأحضرها إلى. كتب الرجل أسماء كل الحرف، وأحضرها، فمد الشيخ يده إلى البوتقة، وسحب ورقة، كان قد كتب عليها السرقة، قال ينبغي عليك أن تعمل بالسرقة بقى الرجل متعجباً، ثم نهض، وذهب إلى جماعة كانوا يسرقون على قارعة الطريق وقال: إننى أرغب فى هذا العمل، فكيف أمارسه؟ فقالوا: لهذا العمل شرط هو: أن تنفذ ما نأمرك به، فقال: أفعل ما تأمرون وأقام معهم عدة أيام حتى وصلت قافلة ذات يوم، فسطوا عليها، وأحضروا رجلاً من أهلها كان غنياً جداً، وقالوا لهذا المستجد: اضرب رقبتك، فرفض الرجل وقال لنفسه: ربما يكون شيخ اللصوص هذا قد قتل عدداً كبيراً من الخلق، فأقتله أفضل من أن أقتل هذا الناجر، فقال له ذلك الرجل: إن كنت مستعداً للعمل، فيجب أن تفعل ما نأمرك به وإلا فإذهب إلى عمل آخر، قال: طالما أنه ينبغي على طاعة الأمر، فلأطع أمر الله لا أمر اللص، ثم أخذ

السيف، وترك ذلك التاجر، وفصل رأس شيخ اللصوص عن جسده، عندما رأى اللصوص ذلك هربوا، وسلمت الأحمال، ونجا التاجر، وأعطاه كثيراً من الذهب والفضة بحيث إنه استغنى.

يروى: أن فقيراً جاء لصيافة أحمد ذات مرة، فأشعل الشيخ سبعين شمعة، فقال الفقير: لا يروقني هذا، فإن التكلف لا ينسب إلى التصوف، فقال أحمد: اذهب، وأطفئ كل شيء لم أشعله من أجل الله، فكان ذلك الفقير يصب الماء والتراب حتى الصباح، فلم يستطع أن يطفئ شمعة واحدة من تلك الشموع السبعين، وفي اليوم التالي قال للفقير: ما كل هذا التعجب؟ انهض لترى العجائب، وكانوا يسيرون حتى جلسوا على باب كنيسة المسيحيين وعندما رأوا أحمد وأصحابه، قال كبيرهم: ادخلوا، فدخلوا، ووضع مائدة ثم قال لأحمد: كل، قال: لا يأكل الأحبة مع الأعداء، وقال له: اشرح الإسلام، ثم أسلم وأسلم سبعون شخصاً من أتباعه، ونام في تلك الليلة فرأى في المنام أن الحق (تعالى) قال: يا أحمد أضأت لنا سبعين شمعة فأضأننا لك سبعين قلباً بنور شعاع الإيمان.

يروى: أن أحمد قال: رأيت كل الخلق كالبقر والحمير يختطفون العلف من بعضهم البعض. فقال رجل: وأين كنت أيها السيد؟ قال: كنت معهم أيضاً لكن الفرق بيني وبينهم: أنهم كانوا يأكلون ويضحكون ويلهون ولا يعلمون، وكنت أنا أكل وأبكي وكنت قد وضعت رأسي على ركبتي وأنا أعلم.

وقال: من خدم الفقراء أكرم بثلاثة أشياء: التواضع، وحسن الأدب، وسخاوة النفس. (٤٩٥)

وقال: من أحب أن يكون الله معه في جميع الأحوال فليزِم الصدق لقوله تعالى: «إن الله مع الصادقين» (٤٩٦).

وقال: من صبر على صبره فهو الصابر لا من صبر وشكا(٤٩٧).

وقال: الصبر زاد المضطرين والرضا درجة العارفين(٤٩٨).

وقال: حقيقة المعرفة المحبة له بالقلب والذكر له باللسان وقطع الهمة عن كل شيء سواه(٤٩٩).

وقال: أقرب الخلق إلى الله أوسعهم خلقاً(٥٠٠).

وقال: ليس من طالبه الحق بالآئه، كمن طالبه الحق بنعمائه(٥٠١).

وسئل: ما علامة المحبة؟ فقال: من لا يعظم شيئاً قط من الكونين في قلبه لأنه قد امتلأ بذكر الله، ولا يرغب في شيء قط سوى خدمته، لأنه لا يرى عز الدنيا والآخرة إلا في خدمته، ومن يرى نفسه غريباً وإن كان بين أهله لأن شخصاً قط لا يوافقه فيما هو فيه من خدمة حبيبه.

وقال: القلوب جواله: إما أن تجول حول العرش، وإما أن تجول حول الخوف(٥٠٢).

وقال: القلوب أوعية كلما امتلأت من الحق، أظهرت زيادة أنوارها على الجوارح، وإذا امتلأت من الباطل أظهرت زيادة ظلمتها على الجوارح(٥٠٣).

وقال: لا نوم أثقل من الغفلة، ولا رق أملك من الشهوة، ولو لا ثقل الغفلة عليك لما ظفرت بك الشهوة(٥٠٤).

وقال: في الحرية تمام العبودية، وفي تحقيق العبودية تمام الحرية(٥٠٥).

وقال: يجب أن تحيا في الدنيا والدين بين متضادين.

وقال: الطريق واضح، والحق لائح، والداعى قد أسمع، فما التحير بعد هذا إلا من العمى(٥٠٦).

وسئل: أى الأعمال أفضل؟ قال: رعاية السر عن الالتفات إلى شيء سوى الله تعالى (٥٠٧).

وقرىء بين يدي أحمد بن خضرويه يوماً، (قول الله عز وجل): «ففرؤا إلى الله» (٥٠٨). فقال: يخبرهم بأن أفضل مفر هو إلى حضرة الله.

وقال له شخص: أوصلنى، فقال: أمت نفسك حتى يحببها (٥٠٩).

ولما اقتربت وفاته، كان عليه سبعمائة دينار ديناً كان قد منحها للمساكين والمسافرين، ووصل إلى اللزع، وتجمع غراموه حول فراشه، فاجى أحمد فى الحال وقال: إلهى: أتقبضنى وروحى رهينة لديهم، وأنا رهن لهم وكيف تأخذ منهم وثيقتهم، فأختر شخصاً يرد لهم حقوقهم، وعندئذ أقبض روحى، وبيلما كان يناجى إذ دق شخص الباب ليخرج غرماء الشيخ، فخرجوا جميعاً، وأخذوا حقوقهم كاملة، ولما أدى الدين انفصلت الروح عن أحمد (٥١٠).

رحمة الله عليه،

ذكر أبي تراب النخشبى^(٥١١) (قدس الله روحه)

هو مناضل معركة البلاء والعارف بالصدق والصفاء، هو رجل ميدان المعنى، وفرد إيوان التقوى، هو محقق الحق ونبي زمانه وقطبه أبو تراب النخشبى (رحمة الله عليه).

كان من عيارى الطريقة، ومجردى طريق البلاء، كان من سائحي بادية الفقر، ومن سادة هذه الطائفة، وكان من أكابر مشايخ خراسان، وكانت له قدم راسخة في المجاهدة والتقوى، ونفس عالية في الإشارات والكلمات.

كان قد وقف أربعين موقفاً، ولم يكن قد وضع رأسه على وسادة قط أعواماً طويلة سوى أنه استغرق في النوم في الحرم ذات يوم، فأرادت جماعة من الحور أن يعرضن أنفسهن عليه. فقال الشيخ: إننى أخشى الغفور ولا أخشى الحور. فقالت الحور: أيها الشيخ، مع أن الأمر كذلك، لكن أصحابنا يشمتن فينا حين يسمعن أننا لم نحظ بالقبول منك، فأجاب الرضوان: محال أن يخشاك هذا العزيز، فإذهبن حتى يستقر في الجنة غداً ويجلس على عرش المملكة. عندئذ تأتين، وتؤدين ما بنا منكم من تقصير في خدمته. فقال أبو تراب: يا رضوان! قل لهن: يقمن بخدمتى إن نزلت بالجنة.

يقول ابن الجلاء: دخل أبو تراب مكة طيب النفس، فقلت: أين أكلت؟ فقال: أكلة بالبصرة وأكلة ببغداد وأكله هذا^(٥١٢).

ويقول ابن الجلاء: صحبت ثلاثمائة شيخ ما لقيت فيهم أعظم من أربعة أولهم أبو تراب النخشي^(٥١٣).

يسرى: أنه عندما كان يرى من أصحابه ما يكره، كان يتوب ويكثر من مجاهداته، ويقول بشؤمي وقع هذا المسكين في هذا البلاء^(٥١٤).

وكان يقول لأصحابه: من لبس منكم مرقعة فقد سأل، ومن قعد في خانقاه فقد سأل، ومن قرأ القرآن من مصحف فقد سأل^(٥١٥).

ومد أحد أصحابه يده إلى قشر شمام ذات يوم، وقد طوى ثلاثة أيام لم يأكل فيها شيئاً، فقال له: اذهب، فإنك لا تصلح للتصوف، وعليك أن تلزم السوق^(٥١٦).

وقال: بيني وبين الله عهد ألا أمد يدي إلى حرام إلا وقصرت يدي عنه^(٥١٧).

وقال: لم تسيطر رغبة على نفسي قط إلا مرة واحدة كنت أسير في البادية، فرغبت في خبز ساخن وبيض، وحدث أن ضللت الطريق إلى قبيلة، وكانت مجموعة منها قد وقفت، وكانوا مشغولين بأمر، ولما رأوني تعلقوا بي وقالوا: سرقت بضاعتنا، وكان شخص قد جاء وسرق بضاعتهم، فقبضوا على الشيخ وضربوه مائتي خشبة، وأثناء ذلك مر شيخ من ذلك المكان، ورأى شخصاً يضرب فاقترب منه وعرف من هو فمزق مرقعته وصاح قائلاً: إنه شيخ شيوخ الطريقة أي جراه هذه! أي وقاحة هذه! التي تفعلوها مع سيد صديقي الطريقة جميعاً فصرخ أولئك الناس، وندموا وطلبوا المعذرة. قال

الشيخ: أيها الأخوة، بحق وفاء الإسلام لم يمر على وقت قط أطيب من هذا الوقت، ومرت على أعوام كنت أريد فيها أن أحقق هذه الرغبة، والآن حققتها. ثم أخذ الشيخ الصوفي بيده وحمله إلى الخانقاه، وأمر بإحضار طعام، ثم ذهب وأحضر خبزاً ساخناً وبيضاً، فقال الشيخ: أيها النفس! كل رغبة ترغيبينها لن تدركيها دون مائتي مقرة^(٥١٨).

يروى: أن أبا تراب كان له عدد من الأبناء، وكان قد ظهر في عهده ذنب مفترس فمزق عدداً من أبنائه. وكان قد جلس على سجادة يوماً، فقصده الذئب، فأخبروه بذلك وعندما رآه الذئب، عاد.

يروى: أن أبا تراب كان يسير مع أصحابه في البادية ذات مرة، فعطش الأصحاب، وأرادوا أن يتوضأوا، فرجعوا إلى الشيخ فرسم الشيخ خطاً، فتفجرت المياه وتوضأوا.

يقول أبو العباس السيرفي: كنت مع أبي تراب في البادية، فقال أحد الأصحاب أنا عطشان، فضرب الأرض برجله، فإذا بعين ماء، فقال الرجل: أحب أن أشربه في قدح، فضرب بيده الأرض فإذا قدح من زجاج أبيض كأحسن ما رأيت، فشرب من ذلك الماء، وسقى الرفاق ومازال القدح معنا حتى مكة^(٥١٩).

وقال أبو تراب لأبي العباس: ما يقول أصحابك فيما يظهره الحق (تعالى) على أوليائه من كرامات؟ فقال: لم أر شخصاً قط آمن بها إلا قلة، فقال: من لا يؤمن بها، فهو كافر وقال المريديون ذات مرة: لا بد من القوت، فقال الشيخ: ليس هناك بد مما ليس منه بد^(٥٢٠).

قال أبو تراب: كنت أسير في البادية ذات ليلة بمفردي، وكانت الليلة مظلمة فجأه تقدم إليه عبد كالمنارة، فخفت عندما رأيته وقلت له: أملاك أنت أم

آدمي؟ فقال: أنت مسلم أم كافر؟ قلت: مسلم: قال: لا يخشى المسلم سوى الله شيئاً، قال الشيخ: فعاد لي صوابي، وعلمت أنه رسول الغيب. فسلمت، وزال الخوف عني.

وقال: رأيت غلاماً في البادية بلا زاد ولا راحلة، فقلت: إذا لم يكن معه اليقين لهلك، ثم قلت أمتضى في مثل هذا المكان دون زاد أيها الغلام؟ فقال: أيها الشيخ ارفع رأسك أترى سوى الله شخصاً قط، فقلت: اذهب الآن إلى أي مكان تريده.

وقال: لم أأخذ شيئاً من شخص قط طيلة عشرين عاماً، ولم أعط شيئاً لشخص. قالوا: كيف؟ قال: إن كنت أخذت كنت أخذ منه وإن كنت أعطيت كنت أعطيته.

وقال: عرض على طعام ذات يوم، فامتنعت عنه، فطلت جائعاً أربعة عشر يوماً يشوم ذلك (الامتناع) (٥٢١).

وقال: لا أعرف شيئاً قط أضر للمريد من السفر مقابلة لنفسه، ولا يجد الفساد سبيلاً إلى المريد قط (إلا بسبب) الأسفار الباطلة.

وقال: قال الحق تعالى: اجتنبوا الكبار، وليست الكبار إلا الدعوى الفاسدة والإشارات الباطلة وإطلاق العبارات والألفاظ الكاذبة.

ثم قال: قال الله تعالى وإن الشياطين ليوحون إلى أوليائهم ليجادلوكم (٥٢٢).

وقال: لا يحظى شخص قط برضاء الله إن كانت في قلبه ذرة للدنيا.

وقال: إذا صدق العبد في العمل وجد حلاوته قبل أن يعملها فإذا أخلص فيه وجد حلاوته ولذته وقت مباشرة الفعل (٥٢٣).

وقال: أنتم تحبون ثلاثة وهي ليست لكم: تحبون النفس وهي لله وتحبون الروح والروح لله، وتحبون المال، والمال لله، وتطلبون اثنين ولا تجدونهما: الفرح والراحة وهما في الجنة(٥٢٤).

وقال: سبب الوصول إلى (الحق)، سبع عشرة درجة أدناها الإجابة وأعلاها التوكل على الله بحقيقته(٥٢٥).

وقال: التوكل هو أن تلقى بنفسك في بحر العبودية، وتعلق قلبك بالله إن أعطاك تشكر وإن منع عنك تصبر.

وقال: لا يُظلم أمام العارف شيء قط ويستنير به كل ظلام.

وقال: من القلوب قلب أحياء الله بنور الفهم.

وقال: القناعة قوة من الله.

وقال: ليس من العبادات شيء أُنفع من إصلاح الخواطر(٥٢٦).

وقال: احفظ همك، فإنه مقدمة الأشياء فمن صح له همه صح له ما بعد ذلك، من أفعاله، وأحواله(٥٢٧).

وقال: كأن الحق تعالى ينطق العلماء، في كل زمان، بما يشاكل أعمال أهل ذلك الزمان(٥٢٨).

وقال: حقيقة الغنى أن تستغنى عن من هو مثلك، وحقيقة الفقر أن تفقر إلى من هو مثلك(٥٢٩).

يسروى: أن رجلاً قال له: ألك حاجة أقضيها لك؟ فقال الشيخ: يوم يكون لى إليك وإلى أمثالك حاجة لا يكون لى إلى الله حاجة(٥٣٠). أى إننى فى مقام الرضا وأى شأن للراضى بالحاجة!؟

وقال : الفقير قوته ما وجد، ولباسه ما ستر، ومسكته حيث نزل (٥٣١).

وكانت وفاته في بادية البصرة. وبعد بضع سنوات جاءته جماعة فرأوه واقفاً على قدميه ووجهه إلى القبلة، وقد نبس، ووضع ركوة أمامه وأمسك بيده عصا. ولم يحم حوله أى سبع من السباع (٥٣٢). (رحمة الله عليه).

ذكر يحيى بن معاذ^(٥٣٣) (قدس الله روحه العزيز)

هو ينبوع روضة الرضا، مركز كعبة الرجا، هو ناطق الحقائق وواعظ الخلائق، هو رجل المراد يحيى بن معاذ (رحمة الله عليه).

كان لطيف زمانه، وكانت له خلق عجيبة، وخلط بين البسط والقبض وغبه الرجاء وسلك مسلك الخائفين، وكان لسان الطريقة والمحبة، وكانت له همة عالية، وكان جسور الحضرة، وكان له وعظ شاف إلى حد أنه كان يسمى يحيى الواعظ، وكانت له قدم راسخة في العلم والعمل، واختص باللطائف والحقائق، واتصف بالمجاهدة والمشاهدة، وكان صاحب تصانيف وله كلام موزون مبهم إلى حد أن المشايخ قالوا عنه: كان لله (تعالى) رجلان يسميان يحيى، أحدهما من الأنبياء والثاني من الأولياء (صلوات الله عليهما) فأما يحيى بن زكريا (عليه السلام) فقد سلك طريق الخوف بحيث يمس الصديقون من فلاحهم بسبب خوفه، وأما يحيى بن معاذ فقد سلك طريق الرجاء على نحو مرغ أيدي أدياء الرجاء في التراب^(٥٣٤).

قالوا: حال يحيى بن زكريا (عليه السلام) معروف، فكيف كان حال يحيى هذا؟ قال: هكذا بلغني أنه لم يمل الطاعة قط، ولم تجر عليه كبيرة، واحتواه

من الله خطر عظيم فى المعاملة والممارسة، فلم يكن لأحد من الأصحاب طاقته (٥٣٥).

قيل له: أيها الشيخ، ما معاملة الراجين وما معاملة الخائفين؟ قال: اعلم أن ترك العبودية ضلالة، وأن الخوف والرجاء قائمعا الإيمان، فمحال أن يقع أحد فى الضلالة بممارسة ركن من أركان الإيمان. فالخائف يعبد خشية القطيعة، والراجى أملاً فى الوصول، وما لم توجد العبادة لا يصح الخوف ولا الرجاء، فإذا حدثت العبادة لا تكون دون خوف ورجاء.

وكان أول من اعتلى المنبر بعد الخلفاء الراشدين من مشايخ هذه الطريقة (٥٣٦).

يسروى: أن يحيى بن معاذ اعتلى المنبر ذات يوم، وقد حضر أربعة آلاف رجل فنظر جيداً ونزل، وقال: إن الرجل الذى اعتلينا المنبر من أجله ليس حاضراً.

يسروى: أن أخاً كان ليحيى ذهب إلى مكة، وجاورها، وكتب رسالة إلى يحيى (فحواها): إننى أرغب فى ثلاثة أشياء، وجدت اثنين ويقى واحد، فأدع أن يكرمى الله به أيضاً، ورغبت أن أمضى آخر عمرى فى بقعة أفضل، فجلت إلى الحرم أفضل البقاع، ورغبت أن يكون لى خادم يخدمنى، ويهيبه لى ماء الوضوء، فوهبنى جارية لائقة، ورغبتى الثالثة أن أراك قبل الموت فليحققها الله لى ذات يوم. فكتب له يحيى: أما عن ما قلته: من أنك رغبت أفضل بقعة فكن أفضل الخلق فى كل بقعة تريد أن تكون فيها، فالبقاع عزيزة بالناس لا العكس. وأما فيما يتعلق بما قلته: أردت خادماً ووجدته فإن كانت لك مرومة وفتوة لما جعلت خادم الحق خادماً لك، ولما امتدعت عن خدمة الحق وانشغلت بخدمة نفسك، يلزمك خادم، وترغب أن تكون مخدوماً، والمخدومية من

صفات الحق، والخامية من صفات العبد، ينبغي للعبد عبداً، وطالما طمع العبد في مقام الحق كان بمثابة فرعون، وأما عن ما قلته: إننى أرغب فى رؤياك، فإنه إذا كان لك خبر عن الله لما تذكرتنى، فصاحب الحق صحبة لا تذكرك بأخ قط حيث ينبغي التضحية بالأبناء فما بالك بالأخ، إذا وجدته فبماذا سأفيدك؟ وإن لم تجده فأى فائدة لك بى؟

يسروى: أن يحيى كتب رسالة إلى صاحبه ذات مرة (مضمونها): الدنيا كاللوم والآخرة كاليقظة، ومن رأى فى المنام أنه يبكى، كان تفسيره أنه سيضحك فى اليقظة ويسر، فأبك فى منام الدنيا حتى تضحك فى يقظة الآخرة وتسعد.

يسروى: أن بنتاً كانت ليحیی، قالت يوماً لأمها: يلزمنى الشئ الفلانى، فقالت لها أمها: اطلبيه من الله، فقالت: يا أمى! إننى أوجل أن أطلب حاجاتى الشخصية من حضرته، وما تعطيه لى هو ملك له أيضاً (٥٣٧).

يسروى أن يحيى مرَّ مع أخيه على باب قرية، فقال أخوه: ما أطيبها قرية، فقال يحيى الأطيب منها قلب شخص فارغ منها «استغنى بالملك عن الملك».

يسروى: أنهم صحبوا يحيى إلى دعوة، وكان رجلاً قليل الأكل، فلم يأكل شيئاً فأحروا عليه فقال: لا تتخلى عن مقرعة الرياضة لحظة، فقد استكان هوى نفسها هذا فى كمين مكروه، وإن تركنا له العنان لحظة، ألقى بنا فى دوامة الهلاك.

كان الشمع قد وضع أمامه ذات ليلة، فهبت ريح وأطفأته، فانخرط يحيى فى البكاء قيل له: لماذا تبكى؟ أنملك هذه البرهة؟ فقال: لا أبكى لهذا، بل أبكى لأن شموع الإيمان ومصابيح التوحيد قد أضيئت فى صدورنا، وأخاف لأنه لا ينبغي أن تهب رياح من مهب الاستغناء كذلك فتطفئها كلها.

كانوا يقولون أمامه يوماً: لا تساوى الدنيا حبة أمام ملك الموت، فقال: أخطأتم، لو لم يكن هناك ملك الموت لما كانت الدنيا تساوى شيئاً، قالوا: لماذا؟ قال: الموت جسر يوصل الحبيب إلى الحبيب.

وسئل عن هذه الآية يوماً: آمنا برب العالمين، فقال: لا يعجز إيمان ساعة عن محو كفر عشرين عاماً، فكيف يعجز إيمان سبعين عاماً عن محو ذنوب سبعين عاماً.

وقال: إن قال الله (تعالى) يوم القيامة: ما تريد؟ أقول: يا إلهي، أريد أن ترسلني إلى أسفل السافلين، وتأمراً أن ينصبوا لي خياماً نارية، ويضعون فيها عرشاً نارياً، ولما تجلس في أسفل الجحيم على عرش المملكة، تصدر أمراً أن تنفخ نفخة من تلك النار التي وضعتها في سريرتي كوديعة، حتى أطيح بمالك وخزانة الجحيم والجحيم دفعة واحدة إلى ستر العدم. وإن أردت نصاً دليلاً على هذه الحكاية فهو «يامؤمن فإن نورك أطفأ لهبي، وهذا دليل كاف».

وقال: إن مدحتُ الجحيم فلن أحرق عاشقاً قط لأن عشقه حرقه مائة مرة، فقال سائل: وإن كانت لذلك العاشق ذنوب كثيرة، ألا تحرقه؟ قال: لا، لأنها لم تكن باختياره، فسلك العاشق اضطراراً وليس اختياراً.

وقال: من سر بخدمة الله (عز وجل) سرت الأشياء كلها بخدمته، ومن قرت عينه بالله، قرت عيون كل شيء بالنظر إليه.

وقال: لا يحتار في الله شخص قط مثل شخص يحتار في أمر العجائب التي تمر عليه.

وقال: الله (تعالى) أكرم من أن يدعو العارفين إلى طعام الجنة لأن لهم همة لا تستكين إلا بروية الله.

وقال: على قدر حبك لله تعالى يحبك الخلق، وعلى قدر خوفك من الله يخشاك الخلق، وعلى قدر شغلك بالله يشتغل في أمرك الخلق، ومن كان قد خجل من الله في حال الطاعة يخجل الله عز وجل - كراماً - من أن يعذبه لذنبه (٥٣٨).

وقال: حياء العبد حياء الندم، وحياء الله حياء الكرم.

وقال: يظن العبد بالله ظناً حسناً بقدر معرفته بكرم الله، وليس هناك شخص قط يترك الذنب من أجل نفسه وخوفاً عليها مثل شخص يترك الذنب خجلاً من الله؛ لأنه يعلم أن الله يراه في شيء قد نهى عنه، ومن ثم فيبانه يمرض عنه لذلك لا من أجل نفسه.

وقال: الظن الحسن بالله هو أفضل الظنون، طالما تصاحبه الأعمال اللائقة والمراقبة ولكن إن صحبته الغفلة والمعاصي تكون الرغبة التي تلقيه في الخطر. وقال: يصدر الظن الحسن من العمل للحسن والظن السيء من العمل السيء.

وقال: المخدوع من يهمل زمانه بالبطالة، ويسلط جوارحه على الهلاك، ويموت قبل أن يثوب إلى رشده من الجناية.

وقال: العبرة بالأوتار والمعتبر بالمتقال (٥٣٩).

وقال: من لم يعتبر بالمعانية، لم يتعظ بالموعظة، ومن اعتبر بالمعانية، استغنى عن الموعظة (٥٤٠).

وقال: اجتنب صحبة ثلاثة أقوام: الطماء الغافلين، والقراء المداهنين، والمتصوفة الجاهلين (٥٤١).

وقال: الوحدة منية الصديقين والأنس بالخلق وحشتمهم^(٥١٢).

وقال: ثلاث خصال من صفة الأولياء: الثقة بالله في كل شيء، والغنى به عن كل شيء، والرجوع إليه في كل شيء^(٥١٣).

وقال: إن كان الموت يباع في السوق، ويوضع على طبق، لكان جديراً بأهل الآخرة لأن أياً منهم لم يكن يرغب سواه ولم يكن يشتري سواه.

وقال: أصحاب الدنيا تخدمهم الإمام والعبيد، وأصحاب الآخرة يخدمهم الأبرار والأحرار والزهاد والأكابر^(٥١٤).

وقال: لا يكون الرجل حكيماً ما لم يجمع بين ثلاث خصال: الأولى: أن ينظر إلى الأغنياء بعين العظة لا الحسد، والثانية: أن ينظر إلى النساء بعين الشفقة لا الشهوة، والثالثة: أن ينظر إلى الفقراء بعين التواضع لا التكبر.

وقال: من خان الله في السر هنك الله ستره في العلانية^(٥١٥).

وقال: طالما أنصف العبد الله على نفسه غفر الله له.

وقال: أقلوا الحديث مع الناس وأكثره مع الله.

وقال: طالما تخلى العارف عن الأدب مع الله هلك مع الهالكين.

وقال: من استغنى بالله فهو غنى على الدوام، ومن استغنى بكسبه ظل فقيراً على الدوام. ويطلب المجذوبون في الأول والمجاهدون في الآخر.

كما قال: نعمة الفضل في السراء، ونعمة التطهير في الضراء فإن تكن عبداً فكن عبداً في السراء.

وقال: أعجب من آهة الموحدين التي تشتعل النيران في الجحيم إذ كيف تشتعل النار بصدق توحيده.

وقال : سبحان الله الذى يرتكب العبد الذنب ويخجل هو (الحى) منه .

وقال : ذنب تفقر به إليه أحب إلى من طاعة يفتخرون بها عليه (٥٤٦) .

وقال : من أحب الله كره النفس .

وقال : لا يرائى الولى ولا ينافق ومثل ذلك الشخص يكون قليل الأصدقاء .

وقال : بنس الصديق صديق تحتاج أن تسأله حاجةً ، أو تقول له اذكرنى فى دعائك ، أو تحتاج أن تعيش معه بالمداواة ، أو يلجئك إلى الاعتذار فى ذلة كانت منك (٥٤٧) .

وقال : ليكن حظ المؤمن منك ثلاثاً : إن لم تنفعه فلا تضره ، وإن لم تفرجه فلا تنعمه وإن لم تمدحه فلا تنممه (٥٤٨) .

وقال : ليست هناك حماقة أكثر من أن يلقى (المرء) جذوة النار ويطمع فى الجنة .

وقال : ذنب بعد التوبة أسوأ من سبعين ذنباً قبلها .

وقال : ذنب المؤمن يكون بين الخوف والرجاء كالثعلب بين أسدين .

وقال : أفضل دواء لكم ترك الذنب .

وقال : أعجب من شخص يتعفف عن الطعام خشية المرض ، ومن ثم فلماذا لا يتعفف عن الذنب خشية العقوبة .

وقال : كرم الله أكثر وضوحاً فى خلق الجحيم عنه فى خلق الجنة ، فبالرغم من أنه قد وعد بالجنة ، فإن لم يكن الخوف من الجحيم لما طاعه أحد .

وقال : الدنيا دار الأشغال ، ولا يزال العبد بين الأشغال والأهوال حتى يستقره القرار إما إلى الجنة وإما إلى النار (٥٤٩) .

وقال: جميع الدنيا، من أولها إلى آخرها، لا تساوى غم ساعة، فكيف تغم عمرك فيها مع قليل يصيبك منها؟ (٥٥٠).

وقال: الدنيا دكان الشيطان فاحذر، ولا تسرق شيئاً من دكانه لأنه يتسلل من خلفك ويسترده منك (٥٥١).

وقال: الدنيا عروس وطالبها ما شطنها، والزاهد فيها يسود وجهها وينتف شعرها ويمزق ثيابها (٥٥٢).

وقال: فى الدنيا هم وغم وفى الآخرة عذاب وعقاب فمنى ستكون الراحة إذن؟

وقال: يقول الله (تعالى): لا تشكو منى بسبب هم الدنيا، فليس خافياً عليكم أن العالمين لى وأنا لكم.

وقال: فى كسب الدنيا نل النفوس وفى كسب الجنة عز النفوس، فباللعب من شخص يختار الهوان والذلة فى طلب شيء لن يخلد أو يبقى.

وقال: يحل عليك مؤم الدنيا بحيث تشغلك الرغبة فيها عن الله كى تحصل على ما تسعى إليه.

وقال: العقلاء ثلاثة: من ترك الدنيا قبل أن تتركه، ومن بنى قبره قبل أن يدخله ومن أرضى ربه قبل أن يلقاه (٥٥٣).

وقال: مصيبتان لم يسمع الأولون والآخرون عن أفجع منهما ويحلان عند الموت. قيل: ما هما؟ قال: يؤخذ المال كله ممن جمعه ويسئل عنه كله (٥٥٤).

وقال: الدينار والدرهم عقريان: لا تمد يدك لهما ما لم تتعلم رقيتهما وإلا قتلك سمهما قالوا: وما رقيتهما؟ قال: أن يكون دخله من الحلال وإنفاقه فى سبيل الحق (٥٥٥).

وقال: طلب العاقل للدنيا، أحسن من ترك الجاهل لها^(٥٥٦).

وقال: يا أرباب العلم والاعتقاد! قصوركم فيصيرية ودياركم كسروية وعمايركم شدادية وكبركم عادى وليس فيكم أحمدى قط^(٥٥٧).

وقال: طالب الدنيا دائماً فى ذل المعصية، وطالب الآخرة فى عز الطاعة على الدوام، وطالب الحق دائماً فى روح وراحة.

وقال: ارتداء الصوف حانوت، والحديث فى الزهد حرفته وهو عارض لنوافل الله بكل هذه الدلائل.

وقال: من طعن فى التوكل فقد طعن فى الإيمان.

وقال: التكبر مع شخص يتكبر عليك بماله تواضع.

وقال: من شروط إدبار الرجال اهتمامهم بأنفسهم.

وقال: لا مفر للمريد من ثلاث: دار يتوارى فيه، وكفاية يستطيع العيش بها، وعمل يستطيع أن يحترفه، فداره الخلوة وكفايته التوكل وحرفته العبادة.

وقال: عندما يبغى المريد بكثرة الأكل تيكى عليه الملائكة، ومن ابتلى بالحرص على الطعام سرعان ما يحترق بنار الشهوة.

وقال: فى جسد ابن آدم ألف عضو كلها من الشر وكلها فى يد الشيطان عندما يتحقق الجوع للمريد يهذب نفسه فنتيبس كل الأعضاء وتحترق جميعها بنار الجوع.

وقال: الجوع نور والشبع نار والشهوة حطبها تتوالد منه النار ولا تخمد ما لم يخدمها الله.

وقال: لا يشبع العبد قط ما لم يسلبه الله شيئاً لا يستطيع أن يجده ثانية بعد ذلك.

وقال: الجوع طعام الله في الأرض يقنات به الصديقون فقط.

وقال: الجوع رياضة للمريدين، وتجربة للتائبين وسياسة للزاهدين ومكرمة للعارفين.

وقال: أعوذ بالله (تعالى) من زاهد يفسد معدته بكثرة أطعمة الأغنياء المتنوعة.

وقال: إنهم ثلاثة أقوام: زاهد ومشتاق وواصل: الزاهد يعالج بالصبر، والمشتاق يعالج بالشكر، والواصل يعالج بالولاية.

وقال: حين ترى أن الرجل يشير إلى العمل اعلم أن طريقته الورع، وحين ترى أنه يشير إلى الآيات فاعلم أن طريقه طريق الأبدال، وحين ترى أنه يسير إلى الآلاء فاعلم أن طريقه طريق المحبين، وحين ترى أنه يتعلق بالذكر فاعلم أن طريقه طريق العارفين.

وقال: مادمت تشكر، فإنك لست بشاكر، فغاية الشكر التحير.

وقال: لا يسكن قلب مريد الآخرة إلا في أربعة مواضع: إما زاوية دار أو مسجد أو قبر أو موضع لا يستطيع أن يراه فيه أحد قط ثم لا يجلس إلا مع شخص لا يشبع من ذكر الله تعالى. قيل: ما أفسى شيء على المريد قال: مجالسة الأصدقاء.

وقال: انظر أنسك بالخلوة والأنس بالحق في الخلوة، فإن كان أنسك بالخلوة فإنه يزول حين تخرج منها، وإن كان أنسك بالله استوت لديك الدنيا بأسرها من بادية وجبل وصحراء.

وقال: الوحدة أنيس الصديقين. وقال: عند نزول البلاء، تظهر حقائق الصبر، وعند مكاشفة المقدور، تظهر حقائق الرضا^(٥٥٨).

وقال: محبوب اليوم يعقب المكروه غداً، ومكروه اليوم يعقب المحبوب غداً (٥٥٦).

وقال: ضياع الدين من الطمع وبقاء الدين فى الورع.

وقال: لا ضرر للمعصية مع النية الحسنة.

وقال: مقدار حبة من محبة أحب إلى من سبعين عاماً عبادة بلا محبة.

وقال: الأعمال فى حاجة إلى ثلاث خصال: العلم والنية والإخلاص.

وقال: يمكن (للمرء) الخلاص من العبودية بصدق التوكل، ويستطيع أن يحظى بالجزاء بالإخلاص فى الإنفاق، ويمكن أن يطيب عيشه بالرضاء بالقضاء.

وقال: الإيمان ثلاث: الخوف والرجاء والمحبة، ويتضمن الخوف ترك الذنب حتى تنجو من النار، ويتضمن الرجاء الاستغراق فى الطاعة حتى تفوز بالجنة، وتتضمن المحبة احتمال المكروه حتى يتحقق رضاء الحق.

وقال: العارف من لا يحب شيئاً أكثر من ذكر الله. وقال: لا تسرى المعرفة إلى قلبك ما لم تؤد حقها عليك.

وقال: الخوف شجرة فى القلب ثمرتها الدعاء والتضرع، عندما يخاف القلب تستجيب جملة الجوارح للطاعة وتجتنب المعاصى.

وقال: أسمى منازل الطالبين الخوف، وأسمى منازل الواصلين الحياء.

وقال: لكل شىء زينة، وزينة العبادة الخوف وعلامة الخوف قصر الأمل.

وقال: علامة الفقر الخوف من الفقر. وقال: أسمى تعفف التواضع.

وقال: الإخلاص لله هو تنزيه العمل عن العيوب.

وقال: علامة الشوق أن تحفظ الجوارح عن الشهوات، وعلامة الشوق لله محبة الحياة مع الراحة، أي طالما تكون الحياة ولا يكون الألم الذي يحرق يزداد الشوق إليه.

وقال: الطاعة خزانة الله ومفتاحها الدعاء.

وقال: التوحيد نور والشرك نار، يحرق نور التوحيد كل سيئات الموحدين، وتجعل نار الشرك كل حسنات المشركين رماداً.

وقال: طالما أن التوحيد ليس بعاجز عن كل شيء اعترضه من قبل من كفر وطغيان، فإنه ليس بعاجز عن أن يمحو كل شيء يعترضه بعد ذلك من ذنوب وعصيان.

وقال: الورع هو الوقوف على حد العلم دون تأويل.

وقال: الورع على نوعين: ورع في الظاهر لا يتحرك إلا بالله وورع في الباطن وهو لا يسرى إلى قلبك إلا بالله.

وقال: الزهد ثلاثة حروف: الزاى والهاء والدال أما الزاى فترك الزينة والهاء ترك الهوى والدال ترك الدنيا.

وقال: ينبعث السخاء بالملك من الزهد ومن الحب السخاء بالنفس والروح.

وقال: الزهد هو الحرص على ترك الدنيا أكثر منه على طلبها. وقال: الزاهد صافي الظاهر، والعارف صافي الباطن مختلط الظاهر^(٥٠٠).

وقال: الفوت أشد من الموت لأن الموت انقطاع عن الخلق، والفوت انقطاع عن الحق تعالى^(٥٠١).

وقال: من تحدث قبل أن يفكر جنى الدم، ومن فكر قبل أن يتحدث وجد السلامة.

وقال: علامات التوبة النصوح ثلاث: قلة الأكل من أجل الصوم، وقلة النوم من أجل الصلاة، وقلة القول من أجل ذكر الله (تعالى).

وقال: يمحو ذكره كل الذنوب فكيف يكون رضاؤه؟ ويمحو رضاؤه الآمال فكيف يكون حبه؟ ويصيب حبه العقول بالدهشة فكيف يكون وده؟ وينسى وده كل شيء دونه فكيف يكون لطفه؟!

سئل: بما يمكننا أن نعرف أن الله (تعالى) راض عنا أم لا؟ قال: إن كنت راضياً عنه فهذا دليل على أنه راض عنك.

قالوا: وحينما لا يكون شخص راضياً عنه ويدعى معرفته، قال: بلى، من يغفل إنعامه ويفضبه لمقدور سواء نعمة أو محنة أو مصيبة.

وقال شخص: متى أصل إلى مقام التوكل، وأخلع رداء الطمع، وأجلس مع الزاهدين؟ قال: حين تجعل النفس تترنض في السر، حتى تصل إلى درجة أنه لو لم يرزقك الحق ثلاثة أيام فلا تضعف من داخلك، وإذا لم تصل إلى هذه الدرجة يكون جلوسك على بساط الزاهدين جهلاً ولا تأمن فضيحتك.

قيل: من يكون أكثر أمناً غداً؟ قال: من يكون أكثر خوفاً اليوم.

قيل: متى يصل الرجل إلى التوكل؟ قال: حين يرضى بوكالة الله (تعالى).

قيل ما الغنى؟ قال: الإيمان بالله.

قيل: من العارف؟ قال: غير موجود.

قيل: ما الفقر؟ قال: أن تستغنى باللهك عن كل الكائنات.

حدث أن كان الحديث عن الغنى والفقر يدور أمامه ذات يوم فقال: لن تكون هناك قيمة للغنى ولا الفقر غداً، إنما ستكون للصبر والشكر، فعليك أن تشكر وتصبر.

قالوا: من أرسخ قدماً من الخلق في الزهد، قال: من كان أكثر يقيناً.

قيل: ما علامة المحبة؟ قال: لا تزيد بالبر ولا تنقص بالجفاء^(٥٢٢).

قال له رجل: أوصني، فقال: سبحان الله، طالما لا تقبل نفسى منى كيف تقبل أخرى منى؟!.

قالوا: نرى جماعة يفتابونك، قال: إن أراد الله أن يغرر لى فلا ضرر على مما يقولونه، وإن لم يرد فإننى جدير بما يقولون.

قيل: لماذا تتحدث دائماً عن الرجاء وتشرح كرمه ولطفه؟ قال: لا بد أن يكون حديث مثلى مع الفتيان إلا عن الكرم واللطف.

وله مناجاة قال فيها: إلهى، أرجو منك السيئات قبل أن أرجو الحسنات؛ لأننى أجد نفسى أعتمد على الطاعة بإخلاص، وكيف أستطيع الطاعة بإخلاص وأنا معروف بالأفات؟! ولكننى أجد نفسى فى الذنوب على نحو أعتمد معه على عفوك، وكيف لا تغفر ذنبى وأنت موصوف بالجود.

وقال: إلهى أرسلت موسى الكليم وهارون العزيز إلى فرعون الطاغى الباغى، وقلت: ترفقا به، إلهى، هذا هو لطفك مع شخص يدعى الأنوهية، فكيف يكون لطفك مع شخص يعبدك (مخلصاً) من الأعماق.

وقال: إلهى، هذا هو لطفك وحلمك مع شخص يقول «أنا ريكم الأعلى، فمن يعرف ما سيكون لطفك وكرمك مع شخص يقول «سبحان ربي الأعلى».

وقال: إلهى ليس لى فى كل مالى وملكى سوى مرقعة بالية، ومع هذا إن طلبها شخص منى لا أمنعها عنه مع أننى محتاج إليها. لديك آلاف مؤلفة من الرحمات ولست محتاجاً إليها مثقال ذرة، فكيف تضن بتلك الرحمات الموجودة عليهم.

وقال: إلهي، قلت: «من جاء بالحسنة فله خير منها» (٥١٣) وليس هناك شيء قط أطيب من الإيمان الذي وهبتنا إياه، والشيء الأفضل منه الذي تهيه لنا ليس إلا لقاءك يا إلهي.

وقال: إلهي، كما أنك لا تشبه شخصاً فلا تشبه أعمالك أعمال شخص، فكل شخص يحب شخصاً يبحث عن الراحة التامة له، وأنت عندما تحب شخصاً تمطر على رأسه البلاء.

وقال: إلهي! كل شيء تمنحه لي من الدنيا امنحه للكافرين وكل شيء تمنحه لي من العقبى امنحه للمؤمنين، فيكفيني ذكرك في الدنيا ولقاؤك في العقبى.

وقال: إلهي، كيف أمتنع بالذنب عن الدعاء ولا أراك تمتنع بذنبي عن العطاء، فمع أنني ارتكب الذنوب فإنك تمنحني العطاء، ومن ثم فلا أستطيع التوقف عن الدعاء على الرغم من اقترافي الذنوب.

وقال: إلهي! إذا لم أستطع الإقلاع عن الذنب فإنك تستطيع أن تغفر ذنبي.

وقال: إلهي كل ذنب يصدر مني في الوجود له وجهان: أحدهما بلطفك والآخر بضعفي فإما أن تغفره بلطفك أو تعفو عنه بضعفي.

وقال: إلهي، أخشاك لسوء سلوكي، وأرجوك بفضلك، ومن ثم أمتنع فضلك على بسبب سوء سلوكي.

وقال: إلهي! أعف عني فإنني ملك لك.

وقال: إلهي! كيف أخشاك وأنت كريم؟ وكيف لا أخشاك وأنت عزيز؟

وقال: إلهي كيف أدعوك وأنا عاصي؟ وكيف لا أدعوك وأنت إله كريم؟ (٥٦٤).

وقال: إلهي! ما أطيبك إلهاً منزهاً، يذنب العبد وتخلج كرمًا.

وقال: إلهي أخشاك لأنني عبد، وأرجوك لإنك إله.

وقال: إلهي! إنك تحبني لأنني أحبك مع أنك في غنى عني، ومن ثم فكيف لا أحبك لأنك تحبني مع كل احتياجي هذا لك.

وقال: إلهي إنني غريب، وقد ألفت ذكرك لأن الغريب يتآلف مع الغريب.

وقال: إلهي! أحلى عطاء في قلبي رجاؤك، وأطيب كلام على لساني الثناء عليك، وأحب الأوقات إلى وقت لقائك.

وقال: إلهي! لا أستحق الجنة ولا أطيق الجحيم، الآن توقف الأمر على فضلك.

وقال: إن قال لي غداً ما أحضرت؟ أقول: قد عقدت من السجن شعراً أشعث ورداءة قذرة وعالماً حزيناً وخجلاً، فما أستطيع أن أحضر؟ فاغسلني واخلع علي ولا تسأل.

يسروري: أن يحيى اقترض مائة ألف درهم كان قد صرفها على الغازين والحجيج والفقراء والعلماء والمتصوفة، وكان غرماؤه يطالبونه، فانشغل قلبه بذلك، وفي ليلة الجمعة رأى النبي (صلى الله عليه وعلى آله وسلم) في المنام، قال: يا يحيى! لا تحزن، فإنني أتألم لضيقك، فانفض، واذهب إلى خراسان فإن امرأة قد وضعت لك ثلاثمائة ألف درهم مقابل تلك المائة ألف درهم التي اقترضتها، قال: يا رسول الله! في أي مدينة؟ ومن تلك المرأة؟ قال: امض من

مدينة إلى مدينة وعظ فإن كلامك شفاء للقلوب، ومثلما جئتكم في المنام أجيء
لنلك المرأة، ثم قدم يحيى إلى نيسابور، فوضعه أمام طاقة منبر، فقال يا أهل
نيسابور، قد جئت هنا بإشارة من النبي (عليه السلام) فقد قال: إن شخصاً
سيؤدى دينك، وإن على ألف درهم فضة، واعلموا أن لحديثنا جمال في كل
وقت الآن جاء هذا الدين حجاباً، فقال أحدهم: أعطيك خمسين ألف درهم وقال
آخر: أعطيك أربعين ألف درهم، فلم يأخذها يحيى وقال: أشار السيد (عليه
السلام) إلى شخص، ثم انخرط في الحديث، وحملوا سبع جنازات من مجلسه
في اليوم الأول، ولما لم يؤد دينه في نيسابور قصد بلخ، ولما وصل هناك
احتجزه الناس مدة حتى تكلم وفضل الغنى على الفقر فأعطوه مائة ألف درهم،
وكان هناك شيخ في تلك الناحية لم يعجبه ذلك الكلام وتفضيل الغنى فقال: لا
بارك الله له، ولما خرج من بلخ، قطع عليه اللصوص الطريق، وسلبوه المال،
قيل: كان هذا أثر دعاء ذلك الشيخ، ثم قصد هراة، ويقال: مضى إلى مرو ثم
قدم إلى هراة، وقص المنام، وكانت ابنة أمير هراة في المجلس فأرسلت إليه
شخصاً قال (عن لسانها): أيها الإمام! أفرغ قلبك من الدين، فتلك الليلة التي
قال لك فيها سيد العالم (عليه السلام) قال لى فيها أيضاً فقلت: يا رسول الله
هل أذهب إليه؟ فقال: سيأتى هو، وكنت أنتظرك، ولما زوجنى والدى أعد لى
ما كان للأخرين من قصدير ونحاس وفضة وذهب، وتلك هى الفضة ثلاثمائة
ألف درهم، أنرتها كلها لك، ولكن لى حاجة وهى أن تعظ فى المجلس أربعة
أيام متتالية فوعظ يحيى فى المجلس أربعة أيام، فى اليوم الأول: رفعوا عشرة
نعوش، وفى اليوم الثانى: حملوا خمسة وعشرين، وفى اليوم الثالث: أربعين
نعشاً، وفى اليوم الرابع: سبعين نعشاً، وفى اليوم الخامس: ترك هراة بسبعة
أحمال من الفضة ولما وصل بهم كان معه ولد، وكان يحضر ذلك المال، فقال:

لا ينبغي أن يمنحها إلى الغرماء والفقراء حين يصل إلى المدينة ويتركنى بلا نصيب.

كان يناجى في السحر ووضع رأسه في سجدة، فجأة وقع حجر على رأسه، فقال يحيى: امنحوا المال للغرماء، وأسلم الروح، فحمله أهل الطريقة على أعناقهم وأحضره إلى نيسابور ودفنوه في قبور عامرة^(٥٦٥). (رحمة الله عليه).

ذكر الشاه شجاع الكرمانى (٥٦٦) (قدس الله روحه)

هو ثاقب البصيرة، وصقّر الصورة والسيرة، هو صديق المعرفة، والمخلص بلا صفة هو نور السراج الروحانى الشاه بن شجاع الكرمانى (رحمة الله عليه).

كان شيخ زمانه، وسيد عصره، وكان من عيارى الطريقة، ومن صعالكة سبيل الحقيقة وكان حاد الفراسة، ولم تكن فراسته تخطىء قط، وكان من أبناء الملوك، وصاحب تصانيف وقد ألف كتاباً يسمى «مرآة الحكماء» (٥٦٧).

وكان قد رأى كثيراً من المشايخ مثل أبى تراب ويحيى بن معاذ وغيرهما، وكان يرتدى القباء.

لما قدم إلى نيسابور، ورآه أبو حفص الحداد وبسبب ما حظى به من عظمة نهض وقدم إليه وقال: «وجدت فى القباء ما طلبت فى العباء».

يروى: أنه لم يلم لأربعين عاماً، وكان يضع الملح فى عينيه، فكانت عيناه قد أصبحت كقدحين من الدماء ونام ذات ليلة بعد أربعين عاماً فرأى الله (سبحانه وتعالى) فى المنام، فقال: يا إلهى، كنت أطلبك بسهر الليل فرأيتك فى النوم! فقال: يا شاه لقد أدركتنا فى النوم بالسهر، ولو لم يكن ذلك السهر لما كان مثل هذا المنام (٥٦٨).

كانوا يرونه بعد ذلك كان يضع وسادة في كل مكان كان يذهب إليه، وكان ينام ويقول: لعلنى أرى مثل ذلك المنام ذات مرة، وكان قد أصبح عاشقاً للنوم، وكان يقول لا أمنح ذرة من خوفى هذا بيقظة العالم كله (٥٦٩).

يسروى: أن ابناً كان لشاه، كان قد كتب على صدره، الله، بخط أخضر، ولما أدركه الشباب، اشتغل بالترحال، وكان يعزف على الربابة، وكان له صوت حسن، وكان يعزف على الربابة ويبكي. خرج ثملاً ذات ليلة، ونزل عازفاً ومنشداً في محلة، فنهضت عروس من جانب زوجها وجاءت لمشاهدته، فاستيقظ الزوج، فلم ير زوجته، فنهض، وشاهد تلك الحال، فنادى يا بنى، ألم يحن وقت التوبة حتى الآن؟! فوقع هذا الكلام من قلبه موقعاً، وقال: أن، أن، مزرق رداءه وحطم الربابة، ودخل الدار، ولم يأكل قط لأربعين يوماً، ثم خرج، ومضى، فقال الشاه: ما منحوه لنا في أربعين عاماً منح له في أربعين يوماً.

يسروى: أن بنتاً كانت لشاه، وكان يطلبها ملوك كرمان، فطلب منهم عدة أيام مهلة كان يطوف فيها في المساجد، حتى رأى فقيراً كان يحسن الصلاة، فظل الشاه صابراً حتى فرغ الفقير من الصلاة وقال: أيها الفقير! أنت متزوج؟ قال: لا قال: أتريد زوجة تقرأ القرآن؟. قال: ومن يزوجنى مثل هذه المرأة وأنا لا أملك أكثر من ثلاثة دراهم؟ قال: أنا أزوجك ابنتى، وهذه الدراهم الثلاثة التى تملكها أنفق واحداً منها فى الخبز، وواحداً فى العطر وأعقد عقد النكاح، وهكذا فعلاً، وأرسل ابنته إلى داره فى نفس الليلة، فلما دخلت الفتاة دار الدرويش رأت خبزاً يابساً، وقد وضع على حاقة قدح ماء، فقالت: ما هذا الخبز؟ قال: كان قد بقى من البارحة وتركته لهذه الليلة، فهمت البنت بالخروج، فقال الفقير: علمت أن ابنة الشاه شجاع لا تستطيع العيش معى، ولا

تخضع لضعفي، فقالت الابنة: أيها الشاب إنني لا أمضى بسبب فقرك لكن بسبب ضعف إيمانك وبقينك فقد أبقيت خبزاً من الأمس للغد ولا تعتمد على الرزق، ولكنني أعجب من والدي فقد (حفظني) في داره عشرين عاماً وقال: سأزوجك لتقي، وعندئذ زوجني لشخص لا يعتمد على الله في رزقه، قال الفقير: لهذا الذنب عذر فقالت: والعذر هو: إما أن أبقى أنا في هذا الدار أو الخبز اليابس.

يروى: أن أبا حفص الحداد كتب رسالة إلى الشاه شجاع، وقال: نظرت إلى نفسي وعملي وتقصيري فيمست والسلام. فرد عليه الشاه: جعلت رسالتك مرآة لقلبي، فإن كان يأسى من نفسي خالصاً لصفاء رجائي في الله، وإن صفاء رجائي في الله لصفاء خوفي منه، وعندئذ أياس من نفسي وإن يمست من نفسي أستطيع أن أذكر الله آنذاك، وإن ذكرت الله ذكرني، وإن ذكرني الله أنجو من المخلوقات وأتعلق بكل المحبوبات والسلام.

يروى: أن محبة كانت بين الشاه ويحيى بن معاذ، واجتمعا في مدينة، ولم يكن الشاه يحضر مجلس يحيى، فقيل له: لماذا لا تأتي؟ قال: الصواب في ذلك، فألحوا عليه، فمضى ذات يوم، وجلس في زاوية، فسكت يحيى عن الكلام وقال: هنا شخص حاضر أولى مني بالحديث، فقال الشاه: قلت: إن مجيبي ليس من المصلحة.

وقال: لأهل الفضل فضل ما لم يروه، فإذا رأوه فلا فضل لهم. ولأهل الولاية ولاية ما لم يروها أيضاً، فإذا رأوها فلا ولاية لهم (٥٧٠).

وقال: الفقر سر الحق لدى العبد، حين يخفيه بأمن وحين يفشيه يتركه اسم الفقر.

وقال: علامات الصدق ثلاث: الأولى: أن يذهب قدر الدنيا عن قلبك بحيث يصبح الذهب والفضة أمامك كالتراب، فإذا وقعت الفضة والذهب في يدك تنفض يدك منها كما تنفض التراب الثانية: أن يستغنى قلبك عن رؤية الخلق بحيث يستوى لديك المدح والذم فلا تزداد بالمدح ولا تنقص بالذم. والثالثة: أن يعينك على مقاومة الشهوة من قلبك بحيث تسر بالجوع وترك الشهوات لأن أهل الدنيا يسرون بالشبع واطلاق الشهوات وكلما تكون كذلك، الزم طريق المرئدين، وإذا لم تكن كذلك فأى شأن لك بهذا الكلام؟

وقال: الخوف حزن دائم.

وقال: الخوف الواجب هو أن تعرف أنك مقصر في حقوق الله (تعالى).

وقال: علامة الطبع الحسن أن تكف أذاك عن الخلق وتتحمل أذاهم.

وقال: علامة التقوى الورع وعلامة الورع الوقوف عند الشبهات^(٥٧١).

وقال: مات العشاق بالعشق لأنهم عندما أدركوا الوصال ادعوا الأوهية وهماً.

وقال: علامة الرجاء حسن الظاهر.

وقال: علامات الصبر ثلاث: ترك الشكوى وصدق الرضا وقبول القضاء

بقلب راض.

وقال: من غض بصره عن المحارم، وأمسك نفسه عن الشهوات، وعمر باطله بدوام المراقبة، وجمل ظاهره باتباع السنة، وعود نفسه أكل الحلال لم تخطيء له فإسرة^(٥٧٢).

يسررى: أنه قال لأصحابه ذات يوم: اجتنبوا الكذب والخيانة والغيبة ثم

اصنعوا ما بدالك^(٥٧٣).

وقال: دع الدنيا تتوب، ودع هوى النفس تصل إلى المراد.

سئل: كيف تكون فى الليل؟ قال: الطائر الذى يضربونه بالعصا ويدورونه

حول النار لا حاجة للسؤال عنه!

يسرى: أن السيد على السيرجانى^(٥٧٤) كان يتصدق بخبز على قبره، ووضع الطعام أمامه ذات يوم وقال: إلهى أرسل حديقاً، وفجأة دخل كلب، فصاح عليه السيد على، فمضى الكلب فهتف هاتف من قبر الشاه: أتريد حديقاً وعندما ترسله ترده. فهض فى الحال، وخرج مسرعاً، وأخذ يطوف الانحاء، فلم ير كلباً، فمضى إلى الصحراء فرآه نائماً فى زاوية، فوضع أمامه ما أحضره، فلم يلتفت الكلب إليه قط، خجل السيد على، ووقف فى مقام الاستفكار وأمسك المندبل وقال: تبت، فقال الكلب: أحسنت يا سيد على، تدعو الضيف وحين يأتى تطرده! تلزمك عين، وإن لم يكن الشاه لما رأيت ما رأيت. (رحمة الله عليه).

ذكر يوسف بن الحسين^(٥٧٥) (قدس الله روحه العزيز)

هو معتكف الحضرة الدائم، وحجة ولاية (ولا يخافون لومة لائم)^(٥٧٦)، هو الشمس المحتجبة، وماء الحياة فى الظلمة، هو صقر الكونين قطب الزمان يوسف بن الحسين (رحمة الله عليه).

كان من جملة للمشايخ، ومن المقدمين بين أولياء العالم فى أنواع العلوم الظاهرة والباطنة، وله آراء فى بيان المعارف والأسرار.

وكان شيخ الرى، وكان قد رأى كثيراً من المشايخ والشيوخ، وصاحب أبا تراب، وكان من رفاق أبى سعيد الخراز، وكان مريداً لذى النون المصرى. وكان قد عمر طويلاً، وقد أبدى فى أمره جدية تامة على الدوام، وكان آية فى الأدب، وكان هو نفسه أديباً، وله رياضات وكرامات، وله فى الملامة قدم راسخة وهمة عالية.

وكانت بداية أمره أنه وصل مع جمع إلى قبيلة من قبائل العرب، فلما رآه ابنة أمير العرب فتنتت به لأنه كان جميلاً جداً، وفجأة اغتمت تلك الفتاة الفرصة وألقت بنفسها أمامه فارتعد وتركها، وابتعد عن القبيلة، ونام فى تلك الليلة. وكان قد أسند رأسه على ركبته واستغرق فى النوم، فرأى موضعاً لم يكن

قد رأى مثله من قبل، وجماعة مرتدية ثياباً خضراء، ورجلاً جالساً على العرش كالمك، فأراد يوسف أن يعرف من هم؟ فذهب بنفسه إليهم، فأرشدوه إلى الطريق ويجلوه، فقال: من أنتم؟ قالوا: إننا ملائكة والذي على العرش هو يوسف النبي (عليه السلام) وقد جاء لزيارة يوسف بن الحسين.

قال: غلبني البكاء وقلت: من أنا حتى يأتي نبي الله لزيارتي، وبينما كنت في هذا التفكير نزل يوسف (عليه السلام) من العرش، واحتضنني وأجلسني على العرش، فقلت: يا نبي الله! من أنا حتى تفعل معي هذا اللطف؟!

قال: في تلك الساعة التي ألفت فيها تلك الفتاة شديدة الجمال بنفسها أمامك وتركتها للحق (تعالى) واستعذت به، عرض الحق (تعالى) (أمرك) على وعلى الملائكة ووضحه وقال: انظر يا يوسف! أنت يوسف الذي كان يقصد دفع زليخا، وهو يوسف الذي لم يقصد ابنة ملك العرب وفرّ. ومن ثم أرسلني وهؤلاء الملائكة لزيارتك. وبشر بأنك من رجال الحق.

ثم قال: في كل عصر آية، وآية هذا العصر ذو النون المصري الذي منح الاسم الاعظم فاذهب إليه. عندما استيقظ يوسف، كان قد احتواه الأمل كلية، وغلبه الشوق، فأتجه إلى مصر وكان يرغب في اسم الله الأعظم. وعندما وصل إلى مسجد ذي النون، سلم، وجلس فأجاب ذو النون السلام، اعتكف يوسف عاماً في زاوية المسجد ولم يجرؤ أن يسأل ذا النون شيئاً، بعد عام، سأل ذو النون: من أين هذا الفتى؟ قال: من الري، ولم يقل شيئاً لعام تال أقام فيه يوسف في تلك الزاوية أيضاً، ولما مر عام آخر، قال ذو النون: لما جاء هذا الشاب؟ قال: لزيارتكم، ولم يقل شيئاً لعام آخر، بعد ذلك قال: ألك حاجة؟ قال: جئت لتعلمني الاسم الاعظم، ولم يقل شيئاً لعام آخر وبعد ذلك أعطاه قدحاً خشبياً مغلقاً وقال: أعبر نهر النيل، ففي المكان الفلاني شيخ، أعطه هذا الوعاء،

وتعلم كل شيء يقوله لك، حمل يوسف الوعاء، ومضى، ولما قطع مسافة من الطريق ثارت الوسوس داخله (متمثالاً) ما الذى يتحرك فى هذا الوعاء؟ ففتحه، فقفز فأر وفرّ، اندهش يوسف وقال: أين أذهب الآن؟ أذهب إلى هذا الشيخ أم إلى ذى النون؟ وفى النهاية ذهب إلى الشيخ بالوعاء الفارغ، عندما رآه الشيخ ابتسم وقال: هل طلبت منه اسم الله الأعظم؟ قال بلى. قال: كان ذو النون: يرى قلقك فأعطاك فأرك، سبحان الله لم تستطع الحفاظ على فأر فكيف تحفظ اسم الله الأعظم؟ خجل يوسف ورجع إلى مسجد ذى النون، قال ذو النون رجوت الحق بالأمس سبع مرات أن يسمح لى أن أعلمك الاسم الأعظم، فلم يأذن لى، أى أن الوقت لم يحن بعد. ثم قال الحق (تعالى): اختبره بفأر، ولما اختبرتك كان الأمر كذلك فارجع إلى مدينتك الآن حتى يحين الوقت. قال يوسف: أوصنى، قال: أوصيك بثلاث: واحدة كبيرة والأخرى متوسطة والثالثة صغيرة، الوصية الكبيرة هى: أن تنسى كل ما قرأته وأن تمحو كل ما كتبه حتى ينقشع الحجاب.

فقال يوسف: لا أستطيع هذا. قال ذو النون: والمتوسطة هى: أن تنسى ولا تنصح باسمى لشخص، فهكذا قال شيخى وهكذا أمر بأن كل هذا غرور قال: ولا أستطيع أن أفعل هذا أيضاً ثم قال: والوصية الصغرى هى: أن تنصح الخلق وتدعوهم إلى الله.

قال: أقدر على هذا إن شاء الله قال: لكن بشرط أن تنصح دون أن تُرى بين الخلق قال: سأفعل ذلك.

ثم جاء إلى الرى، وكان ابن شيخها، فاستقبله أهل المدينة، ولما بدأ المجلس شرح كلام الحقائق، فعاده أهل الظاهر فلم يكن هناك فى ذلك الوقت علم سوى علم الظاهر، وكان يملك طريق الملامة أيضاً إلى حد أن شخصاً لم يأت إلى

مجلسه . دخل ذات يوم ليعظ في المجلس فلم ير أحداً، أراد أن يعود، فنادته عجوز (قائلة): ألم تكن قد تعاهدت مع ذى اللون على أن تنصح من لا تراه من الخلق؟ وأن تتحدث من أجل الله؟ عندما سمع هذا، اندهش، وبدأ الكلام غير مهتم بأن يكون هناك أحد أم لا، وقضى خمسين عاماً على هذا الحال .

وأصبح إبراهيم الخواص مريداً له، وقرى شأنه، ووصل أمره ببركة صحبته إلى حد أنه كان يقطع البادية بلا زاد أو راحلة . وقال إبراهيم: سمعت نداء ذات ليلة (فحواه): اذهب وقل ليوسف بن الحسين إنك من المطرودين، فقال إبراهيم: شق على هذا الكلام بحيث إن ضربت بجبل على رأسى لكان أيسر على من أن أبلغه هذا الكلام، وفي الليلة التالية سمعت بتهديد أكبر: قل له إنك من المطرودين، فنهضت واغتسلت واستغفرت وجلست أفكر، وفي الليلة الثالثة سمعت نفس النداء: قل له إنك من المطرودين، وإن لم تقل له تصاب بالآم تعقدك، فنهضت، ودخلت المسجد فى حزن عميق، فرأيت جالساً فى المحراب، ولما رآنى قال: أتذكر أى بيت؟ قلت: بلى تذكرت بيتاً عربياً قلته فسريه ونهض ووقف طويلاً على قدميه، وسال الدمع من عينيه كما لو أنه كان قد اختلط بالدم . ثم التفت إلى وقال: كانوا يقرأون أمامى منذ الصباح وحتى الآن فلم تسقط من عيني قطرة ماء، واعتدنتى هذه الحالة بهذا البيت الذى قلته، فسأل طوفان من عيني صدق الناس إنه زنديق، وصدق الخطاب الصادر من الحضرة: إنه من المطرودين، فشخص يتأثر ببيت هكذا ولا يتأثر بالقرآن، هو مطرود! قال إبراهيم: عجبت لأمره، وضعف اعتقادي فيه فخفت ونهضت واتجهت إلى الصحراء، وتصادف أن التقيت بالخضر فقال لى: يوسف بن الحسين جريح الحق، ولكن مقامه أعلى العليين فينبغى الخطو خطوات كثيرة فى سبيل الحق حتى إذا وضعوا يد الرفض على جبئك يظل مقامك أعلى العليين، لأن كل من يتخلف فى هذا الطريق يتخلف عن الملك لا عن الوزارة .

يروى: أن عبد الواحد بن زيد^(٥٧٧) كان رجلاً متمرداً، وكان والداه يعانون منه دائماً لأنه كان عاقاً جداً، مرَّ يوماً على مجلس يوسف بن الحسين: وكان يقول هذا القول: «دهام بلطفه كأنه محتاج إليهم، فأطاح عبد الواحد بذيابه وصاح صيحة، وذهب إلى المقابر، وظل ثلاثة أيام بلياليها، في الليلة الأولى رآه يوسف بن الحسين في المنام وكأنه كان يسمع خطاباً: «أدرك الشاب التائب، فأخذ يوسف يطوف حتى وصل إليه في تلك المقابر، واحتضنه ففتح عينه وقال: أرسلوا لك منذ ثلاثة أيام بلياليها وتأتى الآن! قال هذا وأسلم الروح.

يروى: أن تاجراً من نيسابور كانت لديه جارية تركية، اشتراها بألف دينار وكان له غريم في مدينة أخرى، أراد أن يسرع ويسترد ماله منه، ولم يلق في شخص في نيسابور كي يترك له جاريته، فجاء إلى أبي عثمان الحيري وقص حاله، فلم يقبل أبو عثمان فتشفع كثيراً وقال له: املحها السبيل إلى حرمك، فسرعان ما أعود، الخلاصة قبل، ومضى ذلك التاجر، فوقع نظر أبي عثمان على تلك الجارية رغماً عنه فعشقتها بحيث سلبه العشق قراره ولم يعرف ما يفعل؟ فهضض وذهب إلى شيخه أبي حفص الحداد، فقال له أبو حفص: يبغى عليك أن تذهب إلى يوسف بن الحسين في الري، فقصد أبو عثمان العراق في الحال، ولما وصل إلى الري، سأل عن مقام يوسف بن الحسين فقالوا: ما تفعل بذلك الزنديق الإباحي؟ ويبدو أنك من أهل الصلاح وتضرك صحبتته، وقالوا له كلاماً من هذا القبيل، فقدم أبو عثمان على مجيئه وعاد. ولما قدم إلى نيسابور، قال أبو حفص: رأيت يوسف بن الحسين؟ قال: لا، قال: لماذا؟ فقص الحال قائلاً: سمعت أنه رجل كذا وكذا، فلم أذهب إليه وعدت، فقال له أبو حفص: عد وأدركه، فعاد أبو عثمان، وقدم إلى الري، وسأل عن داره فقالوا له

مئات الأقوال الأخرى، فقال: لى معه أمر هام فأرشدوه، ولما وصل إلى داره، رأى شيخاً جالماً وأمامه ولد أمرد جميل جداً، ووضع أمامه كأساً، وكان اللور يشع من وجهه، فدخل وسلم وجلس، واسترسل الشيخ يوسف في الكلام، وقال كلمات عالية سامية فدهش أبو عثمان ثم قال: لله أيها السيد مع مثل هذه الكلمات والمشاهدة أى حالة هذه التى تعتريك من خمر وأمرد؟! قال يوسف: هذا الأمرد ابنى، وكليل من الناس من يعرفون أنه ابنى، وأنا أعلمه القرآن، وكان كأساً قد سقط فى الموقد فرفعتہ ونظفته وملأته بالماء، ومن طلب الماء شرب منه لأننى لا أملك قدحاً. قال أبو عثمان: لله، لماذا تفعل مثل هذا؟ فيقول الناس ما يقولون. قال يوسف: أفعل هذا لكى لا يرسل أحد جاريتته التركية إلى دارى واثقاً فى عندما سمع أبو عثمان هذا جثا على قدمه، وعرف أن هذا الرجل يحظى بدرجة عالية.

يروى: أن حمرة ظهرت فى عين يوسف وفتوراً بسبب عدم النوم، فسألوا إبراهيم الخواص كيف كانت عبادته؟ قال: عندما كان يفرغ من صلاة العشاء كان يقف حتى النهار على قدميه لا يركع ولا يسجد ثم سألوا يوسف: أى عبادة الوقوف حتى النهار؟ قال: أودى فريضة الصلاة ببسر لكنى أريد أن أودى صلاة الليل فأقف هكذا ولا يمكنى التكبير بسبب عظمته. وفجأة يحل بى شىء ويعترينى حتى الصباح، وعندما يطلع الصبح أودى الفريضة.

يروى: أنه كتب رسالة للجنيد ذات مرة (جاء فيها): لا أذائق الله طعم نفسك فإنك إن ذقتها لم تذق بعدها خيراً أبداً^(٥٧٨).

وقال: لكل أمة صفة وهم وديعة الله يحجبهم عن خلقه فإن وجدوا فى هذه الأمة فهم الصوفية.

وقال: آفة الصوفية فى صحبة الأحداث ومعاشرة الأنداد ورفقة النساء^(٥٧٩).

وقال: علم القوم بأن الله يراهم، فاستحيوا من نظره أن يراعوا شيئاً سواه^(٥٨٠). ومن ذكر الله بحقيقة ذكره، نسي ذكر غيره، ومن نسي ذكر كل شيء في ذكره، حفظ عليه كل شيء، إذ كان الله عوضاً عن كل شيء^(٥٨١).

وقال: إشارة الخلق على قدر إدراكهم، وإدراك الخلق على قدر معرفتهم، ومعرفة الخلق على قدر محبتهم، وليس هناك حال أحب إلى الله تعالى من محبة العبد له.

وسئل عن المحبة فقال: من أكثر من محبة الله كثرت مهانته وذلتة وكثرت شفقتة على الخلق ونصيحته لهم.

وقال: علامة معرفة الأنس اجتناب (المرء) ما يمنعه عن ذكر الحبيب.

وقال: علامتا الصادق اثنان: محبة الوحدة وإخفاء الطاعة.

وقال: توحيد الخاصة أن يفكر (المرء) في التوحيد في السريرة والقلب كما لو كان واقفاً أمام الحضرة، ويسرى تدبيره عليه في أحكام قدرته ويحار توحيده وهو فان عن نفسه وجاهل بأنه موجود كما كان من قبل تحت جريان حكمه.

وقال: من سقط في بحر التجريد ازداد عطشاً كل يوم ولا يرتوى قط لأن للعطش حقيقة لا تسكن سوى بالحق.

وقال: أتمن شيء في الدنيا الإخلاص، كلما اجتهدت أن أطيع الرباء عن قلبي يتسلل إلى قلبي بلون آخر.

وقال: لأن ألقى الله (تعالى) بجميع المعاصي أحب إلى من أن ألقاه بذرة من التصنع^(٥٨٢).

وقال: علامة الزهد هي ألا يطلب (المرء) المفقود حتى لا يجعله الموجود مفقوداً.

وقال : غاية العبودية أن تكون عبداً له في كل شيء .

وقال : من عرفه بالفكر عبده بالقلب .

وقال : أذل الناس الطماعون وأشرفهم الفقير الصادق (٥٨٣) .

ولما افتدريت وفاته قال : إلهي ، إنك تعلم أنني نصحت الخلق قولاً ، ونصحت النفس فعلاً ، فاغفر خيانة نفسي بلصحتي خلك .

وبعد وفاته رأوه في المنام ، فقالوا : ما فعل الله بك ؟ قال : غفر لي ، قالوا : لأي سبب ؟ قال : ببركة أنني لم أخلط الهزل بالجد أبداً . (رحمة الله عليه) .

ذكر أبي حفص الحداد^(٥٨٤) (قدس الله روحه العزيز)

هو قدوة الرجال، ونقطة الكمال، هو العابد الصادق والزاهد العاشق، هو سلطان الأوتاد، قطب العالم أبو حفص الحداد (رحمة الله عليه).

كان ملك المشايخ على الإطلاق، وكان خليفة الحق بالاستحقاق، وكان من سادة هذه الطائفة، ولم يكن هناك شخص في عظمته في زمانه، وكان في الرياضة والكرامة والمروءة والفتوة بلا نظير، وكان فريداً في الكشف والبيان، وكان الله (عز وجل) معلمة وملقنه بلا واسطة، وكان شيخاً لأبي عثمان الحيري، وقدم شاه بن شجاع من كرمان لزيارته وصحبه إلى بغداد لزيارة المشايخ.

وكانت بداية أمره أنه عشق جارية إلى حد أنها سلبته قراره، فقيل له: يوجد بمدينة نيسابور يهودى ساحر لديه تدبير أمرك، فذهب إليه أبو حفص، وشرح له حاله فقال له عليك أن تكف عن الصلاة أربعين يوماً، وألا تؤد طاعة أو صديقاً حسناً، وألا يرد اسم الله على لسانك، وألا تنو نية حسنة، حتى أتدبر أمرك، وأحقق مرادك بالسحر، ففعل أبو حفص ذلك لأربعين يوماً. وبعد ذلك صنع اليهودى طلسماً، ولم يتحقق المراد فقال اليهودى: لا شك أن خيراً صدر

منك في الوجود، وإلا فإنني على يقين أن المراد كان سيتحقق. قال أبو حفص: إنني لم أفعل شيئاً إلا أنني كنت قادمة في الطريق، فأبعدت حجراً بقدمي حتى لا يتعثر فيه شخص، فقال له اليهودي: لا تغضب لإله الذي عصيته أربعين يوماً ولم يضع هذا المقدار من تعبك بكرمه، فاضطربت نار في قلب أبي حفص وقويت إلى حد أنه تاب على يد اليهودي (٥٨٥).

وكان يعمل بالحدادة ويخفي حقيقته وكان يكسب كل يوم ديناراً، ويعطيه للفقراء ليلاً أو يلقي به في جعبة الأراذل، ولم يكن يعرفن، وكان يؤدي صلاة العشاء متسولاً، ويفطر بما يحصل عليه. وكان يلتقط بقايا الكراث من الحوض الذي يغسل فيه، وكان يعد خبزاً لطعامه، وظل يمضي فترة على هذا النحو. كان هناك رجل كفيف يمر بالسوق يوماً، وكان يقرأ هذه الآية، أعوذ بالله من الشيطان الرجيم بسم الله الرحمن الرحيم وبدا لهم ما لم يكونوا يحتسبون، (٥٨٦).

فانشغل قلبه بهذه الآية وحل به شيء فغاب عن نفسه، وأدخل يده في النار بدلاً من الملقط، وأخرج حديدة محماة وضعها على السندان، فضربها الصبيان بالمطرقة ثم نظروا فرأوا الحديدة في يده، وكان يتلقفها فقالوا: ما هذا الحال يا استاذ؟ فصاح عليهم: اضربوا، قالوا: وأين تطرق يا أستاذ طالما أن الحديدة قد صارت نظيفة، ولما عاد إلى صحوه، ورأى الحديدة المحماة في يده، وسمع هذا الكلام: أين تطرق طالما أن الحديد قد صار نظيفاً، صاح صيحة وألقى بالحديدة من يده، وترك المكان للسلب والنهب (٥٨٧).

وقال: أردنا مرات عديدة بالتكلف أن نترك هذا العمل فلم نفعل حتى هاجمنا هذا الحديث وسلبنا أنفسنا، وعلى الرغم من أنني كنت أتوقف عن العمل حتى يرجع عني فلا جدوى. ثم اتجه إلى الرياضة الشاقة، وسلك مسلك العزلة والمراقبة.

وكما يروى: أنهم كانوا يستمعون إلى الأحاديث بجواره، فقالوا له: لماذا لا تأتي كي نستمع إلى الأحاديث، قال: أردت أن أوفى حديثاً واحداً حقه طيلة ثلاثين عاماً فلم أستطع، فكيف استمع إلى حديث آخر؟ قالوا: وأى حديث ذلك؟ قال: يقول الرسول (صلى الله عليه وعلى آله وسلم) «من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه».

يروي: أن أبا حفص قد ذهب مع أصحابه إلى الصحراء، وتحدث إليهم فطاب وقتهم فجاء غزال من الجبل، ووضع رأسه على طرف أبي حفص، فكان أبو حفص يلطم وجهه ويصيح، فمضى الغزال، وعاد الشيخ إلى حاله. سأله الأصحاب: ما هذا؟ قال: لما طاب وقتنا جال بخاطري: أن ليت كانت لدى شاة فكنت أشويها، ولما كان الأصحاب لم يتفرقوا بعد هذه الليلة، ولما جال بخاطري هذا جاء غزال، فقال المریدون: يا شيخ أى معنى للصياح واللطم من شخص حاله مع الحق هكذا؟ قال: ألا تعلمون أن نيل المراد هو الحرمان منه فإن كان الله (تعالى) يريد بفرعون خيراً لما جعل النيل يسرى وفقاً لمراده.

يروي: أن أبا حفص كلما كان يفضب كان يتكلم فى حسن الخلق، حتى يسكن غضبه عندئذ ينصرف إلى حديث آخر (٥٨٨).

يروي: أن أبا حفص كان يمضى يوماً، فرأى رجلاً حائراً باكياً، فقال: ما حدث لك؟ قال: لقد فقدت حماراً أملكه، ولم أملك غيره، فتوقف الشيخ وقال: بعزته، لا أخطو خطوة ما لم يعد الحمار إليه، فظهر فى الحال.

يقول أبو عثمان الحيرى: كنت أمضى يوماً إلى أبى حفص، فرأيت أمامه بضع حبات من الزبيب، فأخذت زبيبة ووضعتها فى فمى، فأمسك بحلقى، وقال: أيها الخائن، لما أكلت زبيبى وبأى سبب؟ فقلت: إننى أعرف قلبك وأثق فيك، وعلمت أيضاً أن كل ما تملكه تؤثره، فقال: إننى لا أثق بقلبي أيها

الجاهل، فكيف تثق أنت به؟ بعزة الحق إننى أحيأ عمرى فى خشية منه ولا أعلم ما سيصدر منى. فشخص لا يعرف ما بداخله، فماذا يعرف شخص آخر عما بداخله؟ (٥٨٩).

ويقول أبو عثمان أيضاً: كنت مع أبى حفص فى دار أبى بكر بن حنيفة (٥٩٠). وكانت هناك مجموعة من الأصحاب، كانوا يتحدثون عن فقير، فقلت: ليته كان يحضر، فقال الشيخ: إن كانت هناك ورقة، لكنت كتبت عليها حتى يحضر. فقلت: هنا ورقة، قال: لقد ذهب رب البيت إلى السوق، وربما مات، فيكون هناك وارث للورقة، فلا يجوز كتابة شيء عليها (٥٩١).

قال: أبو عثمان: قلت لأبى حفص: اشرح لى كيف أعظ فى مجلس العلم، قال: وما الذى يدعوك إلى هذا؟ قال: الشفقة على الخلق، فقال: وأى حد بلغت من شفقتك عليهم؟ قال: إلى حد أننى أجزى أن يلقى بى الحق تعالى فى الجحيم عوضاً عن العاصين، ويمدبنى بدلاً منهم. قال: إن كان الأمر هكذا فبسم الله عندما تعظ فى مجلس فانصح قلبك وجسدك أولاً، ثانياً: لا يزك تجمع الناس فهم يراقبون ظاهرك ويراقب الحق (تعالى) باطنك، ومن ثم اعطيت المدبر، واخفى أبو حفص فى زاوية، ولما انتهى المجلس نهض سائل، وطلب قميصاً، فخلعت قميصى فى الحال، وأعطيته له قال أبو حفص: يا كذاب انزل من المنبر، فقلت: أى كذاب؟ قال: ادعيت أن شفقتك على الخلق أكثر من شفقتك على نفسك، وسبقت إلى الصدقة كى يكون لك فضل السباقيين، فطلبت الأفضل لنفسك وإن كانت دعواك صادقة، لتأخرت برهة ليكون فضل السباقيين لآخر، ومن ثم فأنت كذاب والمنبر ليس مكاناً للكذابين (٥٩٢).

يروى: أنه كان يمضى فى السوق يوماً، فتقدم إليه يهودى، فاعتراه الحال، وقد صوابه، ولما عاد إلى رُشد، سأله فقال: رأيت رجلاً ارتدى لباس العدل،

ورأيت نفسى ارتديت لباس الفضل، فخفت خشية أن ينزعوا لباس الفضل على ويلبسوه لذلك اليهودى، وينزعوا عنه لباس العدل ويلبسوه لى .

وقال: كنت أرى الحق وقد نظر إلى غاضباً طيلة ثلاثين عاماً، فسبحان الله أى خوف ومهابة كانت له وهو فى تلك الحال .

سروى: أن أبا حفص اعتزم الحج وكان عامياً، ولا يعرف العربية، فلما وصل إلى بغداد قال المريدون لبعضهم البعض: شين عظيم أن يلزم شيخ شيوخ خراسان ترجمان كى يعرف لغتهم، ثم أرسل الجنيد المريدن لاستقباله، وعرف الشيخ ما كان يفكر فيه أصحابنا، فبدأ الحديث بالعربية فى الحال إلى حد أن أهل بغداد تعجبوا من فصاحته، وتجمعت لديه جماعة من الأكابر، وسألوه عن الفتوة، فقال أبو حفص: القول لكم فقولوا أنتم، فقال الجنيد: الفتوة فى رأى إسقاط رؤية نفسك، وترك نسبة ما تكون قد فعلته لنفسك، فقال أبو حفص: ما أحسن ما قلت. ولكن الفتوة عندى أداء الإنصاف وترك مطالبة الإنصاف. فقال الجنيد: اعملوا يا أصحابنا، قال أبو حفص: لا يستقيم هذا بالقول، عندما سمع الجنيد هذا قال: قوموا يا أصحابنا، فقد زاد أبو حفص على آدم، وذريته^(٥٩٣) فى الفتوة أى أنه حصر أولاد آدم فى الفتوة إن كانت الفتوة هى ما يقوله.

وكانت لأبى حفص هيبه شديدة وإجلال عظيم لدى أصحابه، ولم يكن مريد قط يجرؤ أن يجلس أمامه أو يلقى نظرة على وجهه، وكان الجميع يقفون أمامه ولا يجلسون دون أمره وكان أبو حفص يجلس كالمسلطان. قال الجنيد: علمت الأصحاب أدب السلاطين، فقال أبو حفص: إنك لا ترى أكثر من عنوان الرسالة لكن يمكنك الاستدلال منه على ما فيها. ثم قال أبو حفص: مرهم بإعداد قدر من الحساء وحلوى، فأشار الجنيد إلى مريد ليمده، ولما أحضره قال

أبو حفص: ضعوه على حمال يحمله إلى أن يصيبه التعب، عندئذ ينادى أمام باب كل دار يصل إليه ويعطيه لمن يخرج. فعل الحمال ذلك وكان يمضي حتى أصابه التعب، ولم يطق (مواصلة السير)، فوضعه أمام باب دار ونادى وكان رب الدار شيخاً فقال: آحضرت الحساء والحلوى حتى أفتح الباب؟ قال: بلى ففتح الباب، وقال: ادخل، قال الحمال: تعجبت وسألت الشيخ: ما هذا الحال؟ وكيف عرفت أنني آحضرت الحساء والحلوى؟ قال: جال هذا بخاطري في مناجاتي بالأمس، فأبنائي يطلبونها مني منذ مدة، وأعلم أنها لم تسقط من السماء.

بروي: أن مريداً شديد الأدب التحق بخدمة أبي حفص، ونظر إليه الجديد عدة مرات ليرحب بمقدمه، وسأل (أبا حفص): كم عام قضاهما في خدمتك؟ قال أبو حفص: عشر سنوات، قال: إنه يحظى بأدب جم وعظمة عجيبة وكفاءة، فقال أبو حفص: بلى، فقد ضحى بسبعة عشر ألف دينار في سبيلنا، واقترض سبعة عشر ألف أخرى، وضحى بها ولا يجرؤ حتى الآن أن يسألنا عن شيء. ثم اتجه أبو حفص إلى البادية، وقال: رأيت أبا تراب في البادية ولم أكن قد أكلت شيئاً لمتة عشر يوماً، فذهبت إلى حافة حوض لأشرب واستغرقت في التفكير، قال أبو تراب: ما أفعذك هنا؟ قلت: انتظر لمن تكون الغلبة للعلم أم اليقين؟ حتى أكون عوناً لمن تكون له الغلبة، فإن كانت للعلم أشرب الماء، وإن كانت لليقين أنصرف، فقال أبو تراب: ليعظم شأنك. ولما وصل إلى مكة رأى جماعة من المساكين المحتاجين العاجزين، فأراد أن ينعم عليهم، فاحتد واعتراه حال، فمديده ورفع حجراً وقال: بعزتك لأحطم فتاديل المساجد كلها إن لم تهبنى شيئاً!

قال هذا، وأخذ يطوف، وفي الحال جاء شخص، وأحضر صرة ذهب وأعطاهم له لينفقها على الدراويش، ولما أدى الحج، وقدم إلى بغداد، استقبله

أصحاب الجنيد وقال الجنيد: ما الهدية التي أحضرتها لنا أيها الشيخ؟ قال أبو حفص: ربما لا يستطيع أحد أصحابنا أن يحيا كما ينبغي وها أنا ظفرت بما قلته، فإن رأيتم وقاحة من أخ فابحثوا له عن عذر، وأطلبوا العذر من أنفسكم دونه، فإن لم يجد ذلك العذر وكان الحق معك فابحث عن عذر أفضل، وأطلب من نفسك عذراً آخراً دونه، فإن لم تجد ابحت عن عذر آخر حتى أريعين عذراً، فإن لم تجد وكان الحق معك ولم تمنح الأعدار الأريعين الجرم، فأجلس وقل لنفسك: ما أعجبك يا دابة النفس وما أعجب ثقلك وظلمتك وأنايتك الحقيرة ووضاعتك الظالمة، التمس لك أخ أريعين عذراً من أجل جرم ولم تقبلي واحداً وتشبثت برأيك! إنني تخليت عنك وأنت تعلمين، فافعلي ما تريدين. عندما سمع الجنيد هذا تعجب. أي لمن يمكن أن تكون هذه المقدرة.

يسروى: أن الشبلي استضاف أبا حفص أربعة أشهر، وكان يحضر كل يوم عدة ألوان من الطعام وعدة أصناف من الحلوى، ولما ذهب لوداعه في آخر الأمر قال: يا شبلي! إن أتيت إلى نيسابور مرة علمتك الضيافة والمروءة. قال: وما فعلت يا أبا حفص؟ قال: تكلفت والمتكلف ليس من أهل المروءة، فيجب ألا ينثلك مجيء الضيف وألا تسعد برحيله، وطالما تكلفت، ثقل عليك مجيئه وسهل عليك رحيله، ومن كان هذا حاله مع الضيف فهو ليس من أهل المروءة. ولما جاء الشبلي إلى نيسابور، نزل عند أبي حفص، وكان معه أريعون شخصاً، فأشعل أبو حفص واحداً وأريعين سراجاً ليلاً. قال الشبلي: ألم تقل إنه لا يحب التكلف؟ قال أبو حفص: انهض وأطفئها، فنهض الشبلي ومهما حاول لم يستطع أن يطفىء أكثر من سراج، فقال: ما هذه الحال يا شيخ؟ فقال: إنكم أريعون شخصاً من رسل الحق، فالضيف رسول الحق، ولا جرم أشعلت مصباحاً باسم كل منكم من أجل الله وسراجاً من أجلي، تلك التي كانت من

أجل الله لم تستطع إطفاءها، أما ما كان من أجلى أطفأته، فكل ما فعلته أنت في بغداد فعلته من أجلى، وهذا الذى فعلته أنا، فعلته من أجل الله، ولا جرم أن ذلك تكلفاً وهذا ليس بتكلف.

يقول أبو على الثقفى: قال أبو حفص: من لم يزن أفعاله وأحواله فى كل وقت بميزان الكتاب والسنة ولم يتهم خواطره فلا تعده من جملة الرجال (٥٩٤).

سئل: الصمت أفضل للولى أم الكلام؟ فقال إن عرف المتحدث آفة الحديث صمت قدر ما استطاع وإن عمر عمر نوح. وإن عرف الصامت راحة الصمت لرجا الله أن يهبه عمرين كعمر نوح حتى يصمت.

قالوا: لماذا تكره الدنيا؟ قال: لأنها دار توقع العبد كل لحظة فى ذنب جديد قالوا: إن كانت الدنيا سيئة فالتوبة حسنة وتكون التوبة فى الدنيا أيضاً، فقال: بلى، لكننى على يقين بالذنب الذى فى الدنيا وأنت على يقين لا شك، وكلانا فى خطر.

قالوا: ما العبودية؟ قال: أن تترك كل ما تملك وتلتزم بما أمرت به (٥٩٥).

قالوا: ما الفقر؟ قال: إبداء الذلة فى حضرة الله.

قالوا: ما علامة الأحاب؟ قال: من يفرح الأصدقاء فى اليوم الذى يموت فيه، أى بحيث يخرج من الدنيا مجرداً فلا يبقى شىء يخالف دعواه فى التجريد.

قالوا: من الولى؟ فقال: من أيد بالكرامات، وغُيب عنها (٥٩٦).

قالوا: من العاقل؟ فقال: المطالب نفسه بالإخلاص (٥٩٧).

قالوا: ما البخل؟ فقال: ترك الإيثار عند الحاجة إليه (٥٩٨).

وقال: الإيثار هو أن تقدم حظوظ الإخوان على حظك في أمر دنياك وأخرتك (٥٩٩).

وقال: الكرم طرح الدنيا لمن يحتاج إليها والإقبال على الله، لاحتياجك إليه (٦٠٠).

وقال: أحسن وسيلة تقرب العبد إلى الله دوام الفقر في كل حال، والتزام السنة في كل الأفعال وطلب القوت الحلال.

وقال: من لا يهتم نفسه في كل الأوقات والأحوال ولا يخالفها فهو مغرور، ومن نظر إلى نفسه بعين الرضا هلك.

وقال: الخوف سراج القلب به يمكن رؤية ما في القلب من خير أو شر.

وقال: لا يصح الفقر لشخص ما لم يكن العطاء أحب إليه من الأخذ.

وقال: لا تخش شخصاً يدعى الفراسة ولكن عليك أن تخشى فراسة الآخرين.

وقال: من يعط ويأخذ فهو رجل ومن يعط ولا يأخذ فهو نصف رجل، ومن لا يعطى ويأخذ فهو ذبابة وليس شخصاً ولا خير فيه. قال أبو عثمان الحيرى: سئل عن معنى هذا الكلام، فقال: من يأخذ من الله، ويعطى الله فهو رجل، لأنه في هذه الحال لا يرى نفسه فيما يفعل. ومن يعطى ولا يأخذ، فإنه نصف رجل، لأنه يرى نفسه فيما يفعل فيرى أن له - لأنه لا يأخذ - فضيلة. ومن لا يعطى ويأخذ فهو لا شيء لأنه يظن أنه المعطى والآخذ، دون الله (تعالى) (٦٠١).

وقال: من رأى فضل الله عليه في كل حال، أرجو ألا يكون من الهالكين (٦٠٢).

وقال : لا تكن عبادتك لريك سبياً لأن تكون معبوداً للمعبود (٦٠٣).

وقال : أفضل عمل لأهل الأعمال مراقبتهم لأنفسهم مع الله.

وقال : ما أحسن الاستغناء بالله، وأقبح الاستغناء بالخلق (٦٠٤).

وقال : من تذوق جرعة من شراب الذوق فقد وعيه بحيث أنه لا يستطيع أن يثوب إلى رشده ثانية سوى عند اللقاء والمشاهدة.

وقال : لا ينقطع الحال عن العالم ولا مع القبول.

وقال : يعلم الخلق الوصول والقرب والمقامات العالية، وكل أمل أن يدلوني على السبيل إلى الحق وإن قطع كله في لحظة.

وقال : العبادات في الظاهر سرور وفي الحقيقة غرور، لأنها قد سبقت المقدور والواصل هو شخص لا يفرح بفعله، فلا يفرح بفعله سوى مغرور.

وقال : المعاصي بريد الكفر كما أن السم بريد الموت (٦٠٥).

وقال : من عرف أنه سيبعث ويحاسب ولا يجتنب المعاصي ولا يمتنع عن المخالفات لا شك أنه يعلم في باطنه أنه لا يؤمن بالبعث والحساب.

وقال : قل لمن يحب أن يتواضع قلبه: صاحب الصالحين والزم خدمتهم.

وقال : نور الوحدة في خدمته ونور الروح في الاستقامة له.

وقال : التقوى في الحلال المحض وكفى.

وقال : التصوف كله أدب.

وقال : ليس للعبد في التوبة شيء لأن التوبة إليه لا منه (٦٠٦).

وقال : كل عمل لائق يكتب ويمحونه من ذاكرتك.

وقال: الكفيف من يرى الله بالأشياء ولا يرى الأشياء بالله، والبصير من كان نظره إلى الكائنات من الله.

يروى: أن رجلاً طلب منه وصية فقال: يا أخى! الزم باباً واحداً حتى تفتح لك كل الأبواب، والزم سيداً واحداً حتى يطيعك كل السادات.

قال محمش^(٦٠٧): صحبت أبا حفص اثنتين وعشرين سنة ما رأيته ذكر الله (تعالى) على سبيل الغفلة والانبساط، وما كان يذكره إلا على سبيل الحضور والتعظيم والحرمة. فكان إذا ذكر الله تغيرت عليه حاله، حتى كان يرى ذلك منه جميع من حضره^(٦٠٨).

ومن أقواله أنه قال عند النزاع: انكسار القلب واجب في جميع أحوال تقصيره.

سئل: بما اتجهت إلى الله؟ فقال: بما يتجه الفقير إلى الغنى إلا بالفقر والذلة. وكانت وصية عبد الله السلمى^(٦٠٩) عندما توفى وضعوا رأسى على قدم أبى حفص. (رحمة الله عليه).

ذكر حمدون بن القصار^(١١٠) (قدس الله روحه العزيز)

هو فريد القيامة، ودليل الملامة، هو شيخ أرباب الذوق وشيخ أصحاب الشوق هو سيد الأبرار حمدون بن القصار (رحمة الله عليه).

كان من كبار المشايخ، واتصف بالورع والتقوى، وحظى بدرجة عالية في الفقه وعلم الحديث، وله آراء عجيبة في رؤية عيوب النفس، ووصل في المجاهدة والمعاملة إلى الغاية، وله كلام عال مؤثر في القلوب. وذهب مذهب الثوري، وكان مريداً لأبي تراب وشيخاً لعبد الله بن المبارك، وابتنى بلاملة الخلق، وانتشر مذهب الملامتية في نيسابور بسببه، وهو مجتهد في الطريقة وصاحب مذهب، وتعدده مجموعة من هذه الطائفة ولياً لهم ويقال لهم «القصاريون» ووصل في التقوى إلى حد أنه كان بجوار فراش صاحب له ذات ليلة وكان في النزح فلما مات، أطفأ حمدون السراج، وقال: لهذا السراج وارث حقيقي في هذه الساعة ولا يجوز لنا إشعاله^(١١١).

وقال: كنت أسير يوماً على شاطئ بحيرة نيسابور، وكان هناك عيار اسمه نوح معروف بالفتوة، تقدم إليّ، فقلت يا نوح! ما الفتوة؟ قال: فتوتى أم فتوتك؟ قلت: الاثنان قال: فتوتى هي أن أخلع القباء وألبس المرقعة وأمارس

معاملاتها لأصير صوفياً، وأجتنب المعصية في ذلك القوب حياء من الخلق. وفتوتك هي أن تخلع المرقعة حتى لا تفتتن بالخلق ولا يفتتن بك الخلق، ففتوتى حفظ الشريعة على الإظهار، وفتوك حفظ الحقيقة على الأسرار وهذا أصل عظيم^(٦١٢).

يروى: أنه عندما علا شأنه وانتشرت أقواله جاءه أئمة نيسابور وأكابرهما، وقالوا له ينبغي عليك أن تعظ الخلق ليكون كلامك فائدة للقلوب. قال: لا يجوز لى الكلام قالوا: لماذا؟ قال، لأن قلبى مازال متعلقاً بالدنيا والجاه، فلا يفيد حديثى ولا يؤثر فى القلوب، والكلام الذى لا يؤثر فى القلوب يكون استهزاء بالعلم واستخفافاً بالشريعة، والكلام مسلم به لشخص يكون فى صمته خلل الدين، فإذا تكلم ارتفع الخلل^(٦١٣).

وقال: لا يجوز لشخص قط الحديث فى العلم طالما يردد كلام شخص آخر وينوب عنه، ولا يجوز له أن يتكلم طالما لا يرى أنه فرض واجب عليه حتى تكون له الصلاحية، قالوا: وما علامة الصلاحية؟ قال: كل كلام يقوله لا يحتاج إلى تكراره ثانية ولا يتدبر أثناءه ما سيقوله بعده. وكان قوله عن الغيب كما لو أنه كان يرد إليه من الغيب فيقوله وهو فان.

سئل: ما بال كلام السلف أنفع للقلوب من كلامنا؟ قال: لأنهم تكلموا لعز الإسلام ونجاة النفس، ورضى الحق، ونحن نتكلم لعز النفس، ومطلب الدنيا، وقبول الخلق^(٦١٤).

وقال: ينبغي أن يكون علم الحق (تعالى) أطيب لك من علم الخلق أى أن معاملتك الحق فى الخلاء أفضل من معاملته فى الملأ.

وقال: من تحقق فى حال لا يستطيع أن يخبر عنه^(٦١٥).

وقال: لا تفش على أحد ما هو واجب أن يخفى عليك أيضاً.

وقال: لا تفش على أحد ما تحب أن يكون مستوراً^(٦١٦).

وقال: من رأيت فيه خصلة من الخير، فلا تفارقه فإنه سرعان ما يصيبك من بركاته^(٦١٧).

وقال: أوصيكم بشيئين: صحبة العلماء، واحتمال الجهال^(٦١٨).

وقال: اصحبوا الصوفية فالسيئات عندهم أعذار والحسنات لديهم ليس لها أهمية كبرى حتى يعظموك بها فتقع في الخطأ.

وقال: من نظر سير السلف عرف تقصيره، ورأى تخلفه عن درجات الرجال^(٦١٩).

وقال: ما أطيب ما يصلك ببسر وبدون عناء لكن العناء يكمن في طلب الزيادة.

وقال: شكر النعمة هو أن ترى نفسك متطفاً.

وقال: من استطاع منكم أن لا يعنى رؤية نقصان نفسه فليفعل^(٦٢٠).

وقال: من ظن نفسه خيراً من نفس فرعون فقد أظهر الكبر^(٦٢١).

وقال: إذا رأيت ثملاً يترنج فاحذر ألا تلومه خشية أن تبغى بمثل ذلك^(٦٢٢).

وقال: الملامة ترك السلامة.

وسئل عن الملامة فقال: الطريق إليها شاق على الخلق ومغلق لكنى أقول طرفاً منها فصفة الملامة رجاء المرجئة وخوف القدرية^(٦٢٣) أى أن المرجئة قد

وصلوا في الرجاء إلى حد أنهم كانوا يلومون كل شخص بسببه والقدرية وصلوا في الخوف إلى حد أنهم كانوا يلومون كل الخلق بسببه . فكانت الملامة في كل حال هي مرمى السهام .

وقال : لا أعرف الطبع الحسن إلا في السخاوة ، ولا أعرف الطبع السيء إلا في البخل .

وقال : من عد نفسه ملكاً فهو بخيل .

وقال : حال الفقير في تواضعه ، فإذا تكبر بقره فقد أرى على الأغنياء في التكبر (٦٢٤) .

وقال : التواضع ألا ترى شخصاً محتاجاً إليك في الدنيا أو الآخرة .

وقال : مقام الفقير الحق على قدر تواضعه وكلما ترك التواضع ترك جملة الخيرات .

وقال : ميراث الذكاء العجب ولهذا أفسح أغلب المشايخ والأكابر هذا الطريق للأذكياء .

وقال : كثرة الأكل أساس كل الأتواء وهي آفة الدين .

وقال : من شغله طلب الدنيا عن الآخرة ذل إما في الدنيا وإما في الآخرة (٦٢٥) .

وقال : حقر الدنيا تعظم في عين أهلها وتصبح مالكا لها .

وقال عبد الله بن المبارك : أوصاني حمدون (قائلاً) : لا تغضب من أجل الدنيا ما استطعت (٦٢٦) .

سئل من العبد؟ فقال: من لا يعبد ولا يحب أن يعبد .

قالوا: ما الزهد؟ قال: الزهد - عندي - ألا تكون بما في يدك أسكن قلباً منك بما في ضمان سيدك (٦٢٧).

سئل عن التوكل فقال: التوكل هو إن كنت قد اقترضت عشرة آلاف درهم، فلا تنظر إليها قط، ولا تياس من الحق (تعالى) في أداها.
وقال: التوكل هو الاعتماد على الله.

وقال: إن استطعت أن تدع أمرك إلى الله أفضل من أن تتشغل بالحيلة والتدبير.

وقال: لا يجزع من المعصية إلا من يتهم الله (٦٢٨).

وقال: لا يفرح إبليس ورفاقه بشيء قط كثلاثة أشياء: أولها: أن يقتل مؤمن مؤمناً والثاني: من يموت كافراً، والثالث: قلب خاف الفقر.

قال عبد الله بن المبارك: مرض حمدون، فقالوا له: أوصى الأبناء فقال: أخشى عليهم من الغنى أكثر من الفقر، وقال لعبد الله وهو في النزاع: لا تدعني وسط النساء.

رحمة الله عليه.

ذكر منصور بن عمار (٦٢١) (قدس الله روحه العزيز)

هو السابق إلى طريق المعنى، وناقد نقد التقوى، هو جوهر خاتم الهداية، وأمير عالم الولاية، هو المشهود بالأسرار منصور بن عمار (رحمة الله عليه).

كان من حكماء المشايخ ومن سادات الطائفة، وله في الموعظة كلمات عالية بحيث لم يعط أحد أفضل منه وله بيان شاف، وكان كاملاً في أنواع العلوم ومهماً في المعاملة والمعرفة ويبالغ بعض المتصوفة بشأنه، وكان من أصحاب العراقيين (٦٢٠)، ومقبولاً لدى الخراسانيين.

وكان من مرو ويقال إنه كان من بوشنج (٦٢١)، وأقام في البصرة.

وكان سبب توبته أنه وجد في الطريق ورقة كتب عليها بسم الله الرحمن الرحيم. فرفعها، فلم يجد لها موضعاً فأكلها، فرأى في المنام هاتفاً يقول له: إنا فتحنا عليك باب الحكمة باحترامك لتلك الورقة (٦٢٢) ثم ارتاض مدة وبدأ مجالسه.

يسرّوي: أن شاباً انشغل بمجلس لهو، وأعطى غلاماً أربعة دراهم ليشتري نقلاً للمجلس فمر الغلام في طريقه على مجلس منصور بن عمار، وقال: أتوقف برهة (لأسمع) ما يقول. وكان منصور يطلب شيئاً من أجل فقير فقال:

من يعطني أربعة دراهم، أدعوه أربع دعوات، قال الغلام: ليس هناك شيء أفضل من أن أعطيه هذه الدراهم الأربعة حتى يدعو لي تلك الدعوات، فأعطاه الدراهم، قال منصور أي دعاء تريده الآن؟ قال: أولاً: أن أتحضر، ثانياً: أن يتوب الحق (تعالى) على سيدي، ثالثاً: أن يعرض لي الأربعة دراهم، رابعاً: أن يرحمني ويرحم سيدي ويرحمك ورواد مجلسك. فدعا منصور بن عمار وعاد الغلام إلى الدار، قال السيد: أين كنت؟ وما أحضرت؟ قال: كنت في مجلس منصور بن عمار، واشتريت أربع دعوات بتلك الدراهم الأربعة، قال السيد: أي دعوات، فشرح الغلام حاله فقال السيد: حررتك وتبت، بالله لا أشرب الخمر قط، وسأمنحك أربعمائة درهم عوضاً عن الأربعة دراهم، أما الدعاء الرابع فلا يتعلق بي فقد فعلت ما بيدي. ورأى في المنام ليلاً أن هاتفاً قال: فعلت ما بيدك بلؤمك وقطنا أيضاً ما حولته إلينا بكرمنا ورحمناك والغلام ومنصور ورواد مجلسه.

يروى: أن منصور كان يعظ في المجلس يوماً فأعطاه رجل رقعة كان قد كتب عليها هذا البيت:

وغير تقي يأمر الناس بالتسقى

طبيب يداوى الناس وهو مريض

فأجاب منصور: أيها الرجل، أعمل بقولي لأن قولي وعلمي يفيدانك ولا يضرك تقصيري في العمل.

وقال: خرجت ذات ليلة، ووصلت إلى باب دار، وكان شخص يناجي (قائلاً): إلهي هذا الذنب سرى علي لا لأنني أخالف أمرك، لكنه كان من نفسي التي قطعت طريقي وعارونها إبليس لاجرم وقعت في الذنب، فإذا لم تأخذ

بيدى من يأخذ بها، وإذا لم تغفر لى فمن يغفر لى . عندما سمعت هذا بدأت أقول «أعوذ بالله من الشيطان الرجيم وقودها الناس والحجارة عليها ملائكة غلاظ شداد لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون»، (١٣٣) ثم سمعت صوتاً، إذ بينما كنت أمر على باب تلك الدار فى الصباح سمعت صياحاً، فقلت: ما الحال؟ كانت هناك عجوز قالت: لقد مات ابنى بالأمس خشية من الحق تعالى . حيث قرأت آية فى الحى، فصاح صيحة وأسلم الروح . قال منصور: قرأتها أنا وقتلته .

يروى: أن هارون الرشيد قال له: أسألك مسألة وأمهلك ثلاثة أيام لتجيبها، قال: قل، قال: من أعلم الخلق ومن أجهلهم؟ فنهض منصور وخرج ثم عاد من الطريق، وقال: يا أمير المؤمنين، اسمع الإجابة، أعلم الخلق مطيع خائف، وأجهلهم عاص آمن .

وقال: سبحان الله الذى جعل قلوب العارفين أوعية ذكره، وقلوب الزاهدين موضع التوكل، وقلوب المتوكلين منبع الرضا، وقلوب الفقراء مكان القناعة، وقلوب أهل الدنيا موطن الطمع (١٣٤).

وقال الناس على قسمين: مفتقر إلى الله فهو فى أعلى الدرجات بحكم ظاهر الشريعة وآخر لا يرى الافتقار لما علم أنه لن يكون هناك سوى ما قسمه الحق (تعالى) فى الأزل من خلق ورزق وأجل وحياة وسعادة وشقاء فهو فى عين الافتقار إلى الحق وفى عين الاستغناء عن غير الحق (١٣٥).

وقال: إن الحكمة تنطق فى قلوب العارفين بلسان التصديق، وفى قلوب الزاهدين بلسان التفضيل وفى قلوب العباد بلسان التوفيق، وفى قلوب المريدين بلسان التفكير وفى قلوب العلماء بلسان التذكير (١٣٦).

وقال: ما أطيب المرء الذى يقوم فى الصباح وتكون العبادة حرفة، والفقر رغبته والعزلة شهوته، والآخرة همته والموت فكرته، والتوبة عزمه، وقبول التوبة والرحمة أمه.

وقال: الناس على قسمين: عارف بنفسه وعارف بربه العارف بنفسه شغله المجاهدة والرياضة، والعارف بالحق شغله العبادة وطلب الرضا (١٣٧).

وقال: قلوب العباد كلها روحانية، وطالما وجدت الدنيا سبيلاً إليها امتنع منها روحها (١٣٨).

وقال: أحسن لباس العبد التواضع والانكسار، وأحسن لباس العارفين التقوى (١٣٩).

وقال: من ينشغل بذكر الخلق تقاعد عن ذكر الحق.

وقال: سلامة النفس فى مخالفتها وبلاؤك فى متابعتها (١٤٠).

وقال: من جزع من مصائب الدنيا تحولت مصيبته فى دينه (١٤١).

وقال: دع شهوات الدنيا، لترتاح من عنائها، واحفظ لسانك حتى تتحرر من طلب المعذرة.

وقال: فركك بالمعصية حين تقدر وتظفر أسوأ من معصيتك.

وقال: كلما تحل بمكان أضرب حجراً على الحديد، فتحدث شرارة عنهما فإن احترق قل له اعتذر فإنك كنت قد اعترضت قافلة.

لما مات منصور، رآه أبو الحسن الشعراني (١٤٢) فى المنام، فقال: ما فعل الله بك؟ قال: قال أنت منصور بن عمار، فقلت له: بلى، قال: أنت الذى كنت تزهد الناس فى الدنيا وترغب أنت فيها، قلت: يا إلهى إن الأمر على هذا

النحو، ولكن ما اتخذت مجلساً إلا بدأت بالفناء عليك ثناءً جميلاً وثبتت
 بالصلاة على نبيك (صلى الله عليه وسلم) وثلثت بنصيحة الخلق، فقال: (الحق
 تعالى) صدقت ثم أمر الملائكة (قائلاً): ضعوا له كرسيًا حتى يمجدنى فى
 سمائى بين الملائكة كما كان يمجدنى فى أرضى بين آدميين^(١٤٣)، رحمة
 الله عليه.

الحواشي والتعليقات

الحواشي والتعليقات

- (١) هو الإمام السادس للشيعة الإثني عشرية، ولد عام ٧٧ هـ وتوفي عام ١٤٣ هـ، كان عالماً في الدين، وزاهداً في الدنيا، وورعاً، وقد أقام في المدينة فترة يفيد الشيعة الملتصين إليه.
- انظر: فريد الدين عطار نيسابوري، تذكرة الأولياء، برسي، تصحيح متن، توضيحات وفهارس د. محمد استعلامي، چاپ دوم، ٢٥٣٥ هـ. ش. (ص ٨٢٦). الإمام محمد علي بن حزم الأندلسي المتوفى ٤٥٦ هـ كتاب في الفصل في المال والأهواء والحل بهامشه كتاب المال والحل للإمام أبي الفتح عبدالكريم الشهرستاني المتوفى ٥٤٨ هـ، القاهرة ٣١٧ هـ - ١٣٢١ م. الطبعة الأولى، (ص ٢٢٤).
- (٢) وردت في النسخ الأخرى (الناقل عن علي).
- (٣) الرافضة: عندما توفي أبو جعفر محمد علي انقسم أتباعه إلى فرقتين فرقة قالت بإمامة محمد بن عبدالله بن الحسن بن حسن بن علي بن أبي طالب الخارج بالمدينة وزعموا أنه القائم المهدي، وأنه حي، ويقوم في جبل الطمية في طريق مكة نجد، وتبعهم المغيرة بن سعد في هذا فبرئت منه شيعة جعفر بن محمد ورفضوه فأطلق عليهم اسم الرافضة.
- وقال فخر الدين الرازي: سموا بالرافض، لأن زيدا علي بن الحسين خرج علي هشام بن عبدالملك فطمع جلده في أبي بكر فلمعهم من ذلك فرفضوه.
- وقال أبو الحسن الأشعري: سموا بالرافضة لأنهم رفضوا إمامة أبي بكر وعمر وأجمعوا على أن النبي استخلف علي بن أبي طالب، وانقسم الرافضة إلى اثنتي عشرة فرقة الطوية، والأمرية، والإسحاقية، والداووسية، والإمامية، واليزيدية، والمباسبية، والملائسفة، والرجعية، واللاعنية والمترصة.
- انظر: سعد بن عبدالله أبو خلف الأشعري القمي ٣٠١ هـ، كتاب المقالات والفرق، صححه وقدم وعلق عليه د. محمد جواد مشكور، طهران ١٩٦٣ م (ص ٧٦، ٧٧).
- الحافظ الإمام جمال الدين أبو الفرج عبدالرحمن بن الجوزي البخاري م. ٥٩٧ هـ، تلبس إبليس، (ص ١٨).

- (٤) أبو حنيفة: انظر الكتاب، (ص ٣٠٨).
- (٥) المنصور: هو أبو جعفر عبدالله بن محمد بن علي الخليفة العباسي الثاني، ولد سنة ١٠١ هـ، وفولى الخلافة عام ١٣٦ هـ فأنتم دور التأسيس للدولة العباسية، وبني مدينة بغداد، وجعلها عاصمة للعباسيين، وقد بلغت في عهده درجة كبيرة من العظمة والازدهار، ووطد أمور الدولة لمن بعده وصان حدودها، وأتبع سياسة القوة مع العلويين.
- انظر: د. حسن أحمد محمود، د. أحمد إبراهيم الشريف، العالم الإسلامي في العصر العباسي ١٩٨٠م، الطبعة الرابعة، (ص ١٣١، ١٣٢)، محمد بك الخضري، محاضرات تاريخ الأمم الإسلامية، الدولة العباسية، القاهرة ١٣٤٩ هـ ١٩٣٠ هـ، الطبعة الثالثة، (ص ٧٢).
- (٦) الرواية المتعلقة بقتل جعفر الصادق تشبه جزءاً من قصة فرعون وموسى. «فألقي عصاه فإذا هي ثعبان مبين».
- انظر: سورة الأعراف، (الآية ١٠٧) رد. استعلامي، (ص ٨٢٦).
- (٧) داود الطائي: انظر الكتاب، (ص ٣٢٤).
- (٨) سفيان الثوري: انظر الكتاب، (ص ٢٩٧).
- (٩) يشير إلى جزء من معنى الآية سورة الأعراف (١٤٣).
- (١٠) سورة النمل، الآية (٦١).
- (١١) سورة التوبة، الآية (١١٢).
- (١٢) سورة البقرة، الآية (١٠٥)، سورة آل عمران، الآية (٧٤).
- فُكر أويس القرني:
- (١٣) أويس القرني: هو أويس بن عامر، من مشايخ المتصوفة وسادات التابعين، كان معاصراً للرسول (ﷺ) قيل: إنه مات بالحيرة، وقيل مات مع علي بن أبي طالب في صفين.
- انظر ترجمته في كشف المحجوب، (ص ٢٩١) من الترجمة العربية، حلية الأولياء ج ٢، ص ٧٩. وانظر: د. استعلامي (ص ٨٢٧).
- (١٤) الأربعين هم مجموعة من أولياء الله عددهم أربعين ويسمون أيضاً بالأبدال وهم يشتهرون وجود الحق تعالى بوجودهم ويقال إنهم من اللاتماننة شخص المقربين للحضرة ومقامهم الشام.
- انظر د. استعلامي، ص (٨٢٧).
- (١٥) أشير إلى هذا الحديث في مثنوى مولانا جلال الدين حيث قال:
- من يجد راحة الرحمن من اليمن
كيف لا يجد راحة الباطل مني
أن كه يابد رحمن ازيمن
جون نيابد بوى باطل را زمن
فقلا عن د. استعلامي، (ص ٨٢٧).

- (١٦) لم يرد هذا الحديث في مصادر الحديث الموثوقة.
- (١٧) سورة القمر، جزء من الآية (٥٥)
- (١٨) ربيعة ومضر قبيلتان من أشهر قبائل العرب، لتكسب الأولى إلى ربيعة بن نزار بن معد بن عدنان وتقيم بين اليمامة والبحرين، ومضر- بضم الأول وفتح الثاني - أخو ربيعة ويعد نبي الإسلام من نسله، وكان له صوت أجش وأول من قام بحداية اللوق. وقد كان لأبناء مضر مقام الرياسة في مكة والحرم.
- انظر. استعلامي، (ص٨٢٨).
- (١٩) وردت في ج٢ من حلية الأولياء (ص٨١، ٨٢)، وكشف المحجوب (ص١٠٠) من الترجمة العربية.
- (٢٠) وردت في حلية الأولياء، ج٢، (ص٨٧)، وكشف المحجوب، (ص٩٩، ١٠٠).
- (٢١) ورد هذا الحديث في إتحاف السادة المتقين للزيدي ح٨، (ص٤٤٨، ٤٤٩).
- (٢٢) عرته: بضم الأول وفتح الثاني والثالث مكان في عرفات.
- د. استعلامي، (ص٨٢٨).
- (٢٣) وردت في حلية الأولياء، ج٢، (ص٨٢، ٨٣)، وكشف المحجوب، (ص١٠٠) من الترجمة العربية.
- (٢٤) هرم بن حيان: من التابعين الذين كانوا يعيشون في عهد عمرو عثمان وقاتل في عديد من المعارك سخرت بوشهر في إحدائها عام ١٨ هـ وتوفي عام ٣٦ هـ.
- د. استعلامي، (ص٨٢٨).
- (٢٥) وردت في كشف المحجوب (ص١٠٠، ١٠١).
- (٢٦) وردت في حلية الأولياء، ج٢، (ص٨٤، ٨٥، ٨٦).
- (٢٧) ربيع بن خيلم: زاهد كان يعيش في القرن الأول الهجري وتوفي حوالي عام ٧٠ هـ.
- د. استعلامي، (ص٨٢٨).
- (٢٨) وردت في حلية الأولياء، ج٢، (ص٨٧) مع الاختلاف.
- (٢٩) أبو القاسم علي الجرجاني من عارفي القرن الرابع الهجري، ومن نسل الجندب وكان معاصراً لأبي سعيد بن أبي الخير.
- د. استعلامي، (ص٨٢٨).
- (٣٠) لم يرد هذا الحديث في مصادر الحديث الموثوقة.
- (٣١) سورة المائدة، الآية (٥٤).
- ذكر الحسن البصري:
- (٣٢) الحسن البصري: هو أبو سعيد حسن بن يسار من زاهدي صدر الإسلام المشهورين، كان أبوه من أهل بيسان وكانت أمه تخدم أم سلمة، وولد في خلافة عمر، كتب تفسيراً للقرآن ورسالة في فضل مدينة مكة وله كتاب بطون الغلاص وتوفي ببغداد عام ٣٧١ هـ.

- انظر ترجمته في الرسالة القشيرية، (ص ٥١)، صفة الصفوة، ج ٣، (ص ١٥٥)، كشف المحجوب، (ص ٢٩٤) من الترجمة العربية.
- وانظر د. استعلامي، (ص ٨٢٩).
- (٣٣) - أم سلمة: هـ بنت سهل المعروفة بأُم سلمة من زوجات الرسول، تزوجها الرسول عام ٤ هـ، وكان لديها ابن يدعى سلمة روى عنها ٣٧٨ حديث.
- انظر د. استعلامي، (ص ٨٢٩).
- (٣٤) - وردت في صفة الصفوة، ج ٣، (ص ١٥٥).
- (٣٥) - رابعة: انظر الكتاب (ص ١٨٨).
- (٣٦) - الحاج:
- هو الحاج بن يوسف الشقي من رجال دولة بلي أمية، ولد في الطائف حوالي عام ٤١ هـ ٦٦١ م، استعان به الخليفة عبدالملك بن مروان في قتال ابن الزبير فحاصره في مكة وقتله وصلبه عام ٧٣ هـ، فكافأه الخليفة بأن ولاء على البلاد التي فتحها وهي مكة والمدينة واليمن واليامة، ثم ولاء على العرلق عام ٦٩٤ م فقتنى على قلعة الخوارج ودخل الكوفة وفي سنة ٧٨ هـ ضم الحجاج إلى ولايته العراق وخراسان وشرقي بلاد العرب كله، ثم ضم عمان وبلغ جنوده وادي السند، ومهد السبيل لقيام دولة الوليد، وتوفي عام ٩٥ هـ.
- انظر ترجمته في: دائرة المعارف الإسلامية، المجلد الثالث عشر، ص ٣٢٣: ٣٦٨، انظر: د. محمد حلمي محمد أحمد: للخلافة والدولة في العصر الأموي، القاهرة ١٣٨٦ هـ - ١٩٦٦ م.
- (٣٧) - محمد بن كعب القرظي: قرظي بفتح الأول والثاني ينسب إلى قرظ في اليمن أو إلى الصحابي قرظة بن كعب. وقد اشتهر اثنان من الرواة والمحدثين بهذه النسبة اسمهما محمد بن عمار لامحمد بن كعب ويجوز أنه واحد سواهما. د. استعلامي، (ص ٨٢٩).
- (٣٨) - لم يرد هذا الحديث في مصادر الحديث الموثوقة.
- (٣٩) - عمر بن عبدالعزيز:
- هو أبو حفص عمر بن عبدالعزيز بن مروان خامس الخلفاء الراشدين، حفظ القرآن في صفه وتفقّه في المدينة حتى بلغ مرتبة الاجتهاد، استمرت خلافته سلكين وستة أشهر، توفي بدير سمعان عام ١٠١ هـ.
- انظر: أبي الفلاح عبدالحمي بن العماد الحلبي، شذرات الذهب، القاهرة ١٣٥٠ هـ الجزء الأول، (ص ١١٩).
- (٤٠) - ثابت البناني:
- أبو محمد ثابت البناني، من أتباع الحسن البصري، ومن أزهد رجال عصره توفي عام ١٢٣ هـ.
- انظر ترجمته في صفة الصفوة، ج ٣، (ص ١٧٥)، وانظر د. استعلامي، (ص ٨٢٩).

- (٤١) سعيد بن جبير: مولى بنى والده، كنيته أبو عبدالله بن الحارثية، من بنى أسد بن خزيمه، قتل بأمر الحجاج عام ٩٥ هـ.
- صفة الصفوة، ج٣، (ص٤٩)، د. استعلامي، (ص٨٢٩).
- (٤٢) مالك بن دينار، انظر الكتاب (ص٢٣٤).
- (٤٣) جيب المسمى، انظر الكتاب (ص٢٤٥).
- (٤٤) أبو عمرو (إمام القراء): رجل لغوي وأديب ولد في مكة وتوفي في الكوفة في منتصف القرن الثاني، نسب إليه قراءة من سبع قراءات للقرآن.
- د. استعلامي، (ص٨٢٩).
- (٤٦) سورة النجم، الآية (٣٣).
- (٤٧) سورة النساء، الآية (١١٥، ١١٦).
- مالك بن دينار:
- (٤٨) مالك بن دينار، كنيته أبو يحيى، وهو من أهل البصرة، كان مولى لامرأة من بنى سامة بن لؤي، وكان يكتب المصنفات توفي عام ١٣١ هـ.
- انظر: صفة الصفوة: ج٣، (ص١٨٤)، كشف المحجوب، (ص٢٩٨)، د. استعلامي: (ص٨٣٠).
- (٤٩) سورة آل عمران الآية (١٣٥).
- (٥٠) وردت في صفة الصفوة، ج٣، (ص١٨٤) مع الاختصار.
- (٥١) جعفر بن سليمان: اسمه حفص بن سليمان وكنيته أبو سلمة وأصله من همدان، التحق بوزارة السفاح وقتل عام ١٣٣ هـ.
- د. استعلامي، (ص٨٣٠).
- (٥٢) ابن المبارك: انظر الكتاب (ص٤٠٢).
- (٥٣) سورة البقرة، الآية (١٥٢).
- (٥٤) سورة غافر، جزء من الآية (٦٠).
- ذكر محمد بن واسع:
- (٥٥) محمد بن واسع، يكنى أبو عبدالله وتوفي عام ١٢٠ هـ.
- انظر ترجمته في صفة الصفوة، ج٣، (ص١٧٩: ١٨٣) طبقات الشعراني، ج١، (ص٢٩).
- (٥٦) وردت في حلية الأولياء، ج٢، (ص٣٥١).
- (٥٧) قتيبة بن مسلم: أبو حفص قتيبة بن مسلم بن عمرو من فاضلي العرب ومصدقهم، قتل في فرغانة عام ٩٦ هـ.
- د. استعلامي، (ص٨٣٠).

- (٥٨) وردت في كشف المحجوب، (ص ٣٠١).
- (٥٩) وردت في حلية الأولياء، ج ٢، (ص ٣٥٠)، صفة الصفوة، ج ٢، (ص ١٨٢).
- (٦٠) وردت في كشف المحجوب، (ص ٥٧٦، ٣٠١).
- (٦١) وردت في كشف المحجوب، (ص ٥١٧).
- ذكر حبيب العجمي:
- (٦٢) للتروية وعرفة ٩، ٨ من ذي الحجة، د. استعلامي، (ص ٨٣٠)، وردت في حلية الأولياء، ج ٦، (ص ١٥٤)، صفة الصفوة، (ص ٢١٥).
- (٦٣) وردت في حلية الأولياء، ج ٦، (ص ١٥٠).
- (٦٤) وردت في كشف المحجوب، (ص ٢٩٧) من الترجمة العربية.
- (٦٥) وردت في كشف المحجوب، (ص ٢٩٨).
- (٦٦) أحمد بن حنبل: انظر الكتاب أنظر (ص ٤٤٦).
- (٦٧) وردت في كشف المحجوب، (ص ٢٩٨) من الترجمة العربية.
- ذكر أبي هازم المكي:
- (٦٨) بو حازم المكي: ذكر في المصادر الأخرى بأبي حازم المدني، وكان من معاصري هشام بن عبد الملك وبناء عليه فقد عاش حتى أواخر القرن الأول الهجري.
- د. استعلامي، (٨٣١).
- (٦٩) عمرو بن عثمان بن كريب: كنيته أبو عبدالله، وينسب إلى الجليل في الصحبة وصحبها سعيد الخراز وغيره، مات ببغداد عام ١٩١ هـ.
- كشف المحجوب، (ص ٣٠٠). وانظر ترجمته في: نفحات الأنس، (ص ٢٨٤)، خزينة الأصفياء، ج ١، (ص ١٧١).
- (٧٠) وردت في كشف المحجوب، (ص ٣٠٠) من الترجمة العربية.
- (٧١) وردت في كشف المحجوب، (ص ٣٠١) من الترجمة العربية.
- ذكر عتبة الغلام:
- (٧٢) عتبة الغلام: سمي بالغلام لجهده واجتهاده مع سفره منه، وكان يفتل الخوص، اشتغل بالعبادة، وقتل شهيداً في بعض الغزوات.
- انظر: صفة الصفوة، ج ٣، (ص ٢٥١: ٢٥٣). وانظر: ترجمته في ج ٦، من للحلية، (ص ٢٢٦).
- (٧٣) وردت في حلية الأولياء، ج ٦، (ص ٢٢٨)، صفة الصفوة، ج ٣، (ص ٢٥٢) مع الاختلاف.
- (٧٤) عبدالواحد بن زيد: كان من زهادي البصرة وتوفي ١٧٧ هـ.
- د. استعلامي، (ص ٨٣١).

- (٧٥) وردت في حلية الأولياء، ج٦، (ص٢٣٤)، صفة الصغرة، ج٣، (ص٢٥٢).
- (٧٦) وردت في حلية الأولياء، ج٦، (ص٢٣٥)، صفة الصغرة، ج٣، (ص٢٥٠)، كشف المحجوب، (ص٤٠٧) من الترجمة العربية.
- (٧٧) وردت في حلية الأولياء، (ص٢٣٧)، صفة الصغرة، ج٣، (ص٢٥١).
- ذُكر رابعة:
- (٧٨) كانت رابعة مولاة؛ لأن عنك الذين ينسب إليهم آل عدوة ولهذا تسمى رابعة العدوية وكنيتها أم الخير، ولدت في أسرة فقيرة، وتوفى والدها وهي في ريعان شبابها، وحدث أن حل فحط بالبصرة فتفرقت وأخوانها الثلاث، فرأها ظالم وياعها بسنة دراهم، ونظراً لما كانت تمنيه في رفقها من ذل ومهانة فقد انصرفت إلى الحياة الروحية والزهدي، وبدأت تستشعر الحب لله ونشرت نفسها له.
- انظر: عبدالرحمن بدوي، شهيدة العشق الإلهي، رابعة العدوية، (ص١٠: ٦١)
- (٧٩) ورد هذا الحديث في مسند بن حنبل، ج٢، (ص٢٨٥).
- (٨٠) أبو علي الفارمدي: من أهل فارمد أو فريومد التابعة لطوس، ولد عام ٤٠٢هـ وتوفى عام ٤٧٧هـ، عاصر الشيخ أبنا سعيد، وأدرك مجلس الشيخ أبي القاسم القشيري وكان موضع اهتمام السيد نظام الملك.
- د. محمد استعلامي، (ص٨٣١).
- (٨١) ثمانية عشر ألف عالم يعتقد السابقون أن الوجود يشتمل على ثمانية عشر ألف عالم، وربما يوحي هذا العدد بالكثرة.
- د. استعلامي، (ص٨٣١).
- (٨٢) ورد هذا الحديث في مسند بن حنبل، ج٢، (ص٤١٣).
- (٨٣) سورة القمر الآية (٥٥).
- (٨٤) سورة المائدة، الآية (٥٤).
- (٨٥) صالح المري: هو صالح بن بشير بن وناح، ولد لأب عريى وأم خراسانية، وكان من المحنثين، ودعاه المهدي إلى بغداد للإقامة من علمه للحديث.
- د. استعلامي، (ص٨٣٢).
- (٨٦) سورة النازعات، الآية (٢٤).
- (٨٧) وردت في التعرف لمذهب أهل التصوف، (ص١٥٥).
- (٨٨) سورة الفجر، الآيات الأربع الأخيرة.
- (٨٩) محمد بن أسلم، انظر الكتاب (ص٣٤١).
- ذُكر الغضل بن عياض:
- (٩٠) أبو علي الفضيل بن عياض، خراساني من ناحية مرو، ولد بمسرقند ونشأ بأبهور، وقدم إلى الكوفة، وهو كبير، فسمع بها الحديث، وتعد ومات بمكة عام ١٨٧هـ.

- انظر ترجمته في: الرسالة القشيرية، (ص ١٥)، صفة الصفة، ج ٣، (ص ١٥٩)، حلية الأولياء، ج ٨، (ص ١٦١). كشف المحجوب، (ص ٣٠٨) من للترجمة العربية.
- (٩١) سورة الحديد الآية (١٦).
- (٩٢) وردت في الرسالة القشيرية، (ص ١٥).
- (٩٣) سفيان عينية: هو أبو محمد بن سفيان الأعور الكوفي من الزاهدين والصارفين المشهورين. د. استعلامي، (ص ٨٣٢).
- (٩٤) سورة الجاثية، الآية (٢١).
- (٩٥) سالم بن عبدالله: من فقهاء ومحدثي أواخر القرن الأول الهجري. د. استعلامي، (ص ٨٣٢).
- (٩٦) رجاء بن حيوة: هو أبو المقدم رجاء كندی من فقهاء للمصرى الأموي. د. استعلامي، (ص ٨٣٢).
- (٩٧) وردت في كشف المحجوب، (ص ١٢٤).
- (٩٨) وردت في حلية الأولياء، ج ٨، (ص ١٠٥، ١٠٦، ١٠٧)، وصفة الصفة، ج ٢، (ص ١٦١)، ١٦٢، ١٦٣)، كشف المحجوب، (ص ٣١٠، ٣١١) من للترجمة العربية مع الاختلاف.
- (٩٩) وردت في حلية الأولياء، ج ٨، (ص ١١٣).
- (١٠٠) وردت في حلية الأولياء، ج ٨، (ص ١١٤) مع الاختلاف.
- (١٠١) وردت في حلية الأولياء، ج ٨، (ص ٨٨)، الرسالة القشيرية، (ص ١٥).
- (١٠٢) وردت في حلية الأولياء، ج ٨، (ص ٨٩)، الرسالة القشيرية، (ص ١٥)، صفة الصفة، ج ٨، (ص ١٥٩).
- (١٠٣) وردت في الرسالة، (ص ٩٦).
- (١٠٤) وردت في حلية الأولياء، ج ٨، (ص ٩٤)، الرسالة القشيرية، (ص ١٥).
- (١٠٥) وردت في حلية الأولياء، ج ٨، (ص ٩١) مع الاختلاف.
- (١٠٦) وردت في حلية الأولياء، ج ٨، (ص ١٠٩).
- (١٠٧) وردت في حلية الأولياء، ج ٨، (ص ١٠)، الرسالة القشيرية، (ص ١٥).
- (١٠٨) وردت في حلية الأولياء، ج ٨، (ص ٨٧)، الرسالة القشيرية، (ص ١٥).
- ذكر إبراهيم بن أدهم:
- (١٠٩) أبو اسحق إبراهيم بن أدهم، من أهل بلخ، كان من أبناء الملوك، خرج متصديداً فهتف به هانف أيقظه من غفله وجعله يسلك طريق الزهد والورع. صاحب سفيان الثوري والفضيل بن عياض ودخل الشام ومات بها سنة ١٦١، أو ١٦٢ هـ.
- انظر ترجمته في طبقات الصوفية، (ص ٢٧)، الرسالة القشيرية، (ص ١٣)، صفة للصفوة، ج ٤، (ص ١٣٤)، حلية الأولياء، ج ٧، (ص ٣٦٧)، كشف المحجوب (ص ٣١٤)، من للترجمة العربية.

- (١١٠) وردت في كشف المحجوب، (ص٣١٥) من الترجمة العربية.
- (١١١) وردت في كشف المحجوب، (ص٢٤٣).
- (١١٢) وردت في طبقات الصوفية، (ص٣٠)، صفة الصوفية، ح٤، (ص١٣٤) مع الاختلاف، كشف المحجوب، (ص٣١٤) من الترجمة العربية.
- (١١٣) وردت في التعرف لمذهب أهل التصوف، (ص١٤١)، الرسالة القشيرية (ص١٣) مع الاختلاف.
- (١١٤) وردت في الرسالة، (ص١٣)
- (١١٥) وردت في طبقات الصوفية، (ص٣١)، الرسالة القشيرية، (ص١٣).
- (١١٦) أي تطهر وتعبد. د. استعلامي، (ص٨٣٤)
- (١١٧) سورة هود، بداية الآية (١١٢).
- (١١٨) وردت في اللمع، (ص٢٦٥).
- (١١٩) وردت في حلية الأولياء، ج٨ (ص٢٦) مع الاختلاف، كشف المحجوب، (ص٢٠٥) من الترجمة العربية.
- (١٢٠) وردت في كشف المحجوب (ص٢٠٥) من الترجمة العربية.
- (١٢١) وردت في كشف المحجوب، (ص٥٦٧) من الترجمة العربية.
- (١٢٢) وردت في حلية الأولياء، ج٧، (ص٣٨١) مع الاختلاف.
- (١٢٣) وردت في حلية الأولياء، ج٧، (ص٣٨٢)، الرسالة القشيرية، (ص١٤).
- (١٢٤) المعتمد: هو أبو إسحق محمد بن الرشيد بن المهدي بن المنصور، ولد عام ١٧٩ هـ، كان والياً على الشام وضمصر في عهد أخيه المأمون الذي ولاء عهده، فتولى الخلافة العباسية عام ٢١٨ هـ، وثار على سياسته نفسها، ولهذا يمد حكمه امتداداً لحكم المأمون فقد مال إلى الترك، وبنى لهم عاصمة جديدة، وتوفي في سامراء عام ٢٢٧ هـ.
- انظر: محمد بك الفضري، محاضرات تاريخ الأمم الإسلامية، الدولة العباسية، (ص٣١٢)، د. حسن أحمد محمود، د. أحمد إبراهيم الشريف، العالم الإسلامي في العصر العباسي، (ص١٣٥).
- (١٢٥) وردت في كشف المحجوب، (ص٢٦٥) من الترجمة العربية.
- (١٢٦) سورة الفرقان، الآية (٥٨)، وتوكل على.
- (١٢٧) وردت في اللمع، (ص٢٦٧) مع الاختلاف.
- (١٢٨) سورة مريم، الآية (٩٣).
- (١٢٩) وردت في طبقات الصوفية، (ص٣٧).
- (١٣٠) أحمد خضرويه، انظر الكتاب (ص٥٤٣).
- (١٣١) وردت في طبقات الصوفية، (ص٣٨)، الرسالة القشيرية، (ص١٣).

- (١٣٢) وردت في حلية الأولياء، ج٨، (ص ١٥).
- (١٣٣) وردت في حلية الأولياء، ج٨، (ص ٣٢)، الرسالة القشيرية (ص ١٣)،
- (١٣٤) وردت في كشف المحجوب، (ص ٢١٤) مع الاختلاف.
- (١٣٥) وردت في حلية الأولياء، ج٧، (ص ٢٧٩) مع الاختلاف، الرسالة القشيرية، (ص ١٣، ١٤)، صفة الصفوة، ج٤، (ص ١٢٧) مع الاختلاف.
- (١٣٦) وردت في حلية الأولياء، ج٧، (ص ٣٦٨)، صفة الصفوة، ج٤، (ص ١٣٧).
- (١٣٧) الصطوري: اسم شاعر حلبى توفى عام ٣٣٤هـ ولم يكن معاصراً لإبراهيم بن أدهم.
د. استعلامى، (ص ٨٣٤).
- (١٣٨) الرجاء المقصود رجاء بن حيوة أبو المقدم الكندى، كان يصحب الخلفاء ويأمرهم بالمعروف، فلما مات عمر بن عبدالعزيز انقطع عن صحبتهم.
انظر ترجمته في صفة الصفوة، ج٤، (ص ١٨١).
- (١٣٩) أصل الكلمة (كورسك) وهي كلمة بهلوية ساسانية
د. استعلامى، (ص ٨٣٤).
- (١٤٠) وردت في حلية الأولياء، ج٨، (ص ٧) مع الاختلاف.
- (١٤١) وردت هذه القصة نظماً في مثنوى مولانا جلال الدين، الجزء الثانى نورد بيتين منها:
هم زابراهيم ادهم آدهم آست كوزراهى برلب دريا نغست
دلخ خود مى دوخت بر ساحل روان يك اميرى آمد آنجا ناكهان
نقلا عن د. استعلامى، (ص ٨٣٤، ٨٣٥)
وترجمتها:
- ورد عن إبراهيم بن أدهم أيضاً
أنه جلس على شاطئ بحر وكان يحبك مرعته على الشاطئ فقدم أمير إلى ذلك المكان فجاء
ذكر بشر الحافى:
- (١٤٢) أصله من مرو وسكن بغداد ومات بها، ولد عام ١٥٠هـ وتوفى ٢٢٧هـ سحب الفضل ابن
عياض، وكان عالماً ورعاً كبيراً للشأن
- انظر ترجمته في حلية الأولياء، ج٨، (ص ٣٢٦)، الرسالة القشيرية، (ص ١٨)، صفة
الصفوة، ج٢، (ص ٢١٤)، كشف المحجوب، (ص ٣١٦) من الترجمة العربية.
- (١٤٣) وردت في الرسالة القشيرية، (ص ١٨)، كشف المحجوب، (ص ٣١٦) من الترجمة العربية
مع الاختلاف.
- (١٤٤) وردت في صفة الصفوة، ج٢، (ص ٢١٤، ٢١٥) مع الاختلاف.
- (١٤٥) وردت في حلية الأولياء، ج٨، (ص ٣٢٦) مع الاختلاف.

(١٤٦) ثعلبية: سمى اثنان وعشرون شخصاً من صحابة الرسول بهذا الاسم ولا يمكن القول أنهم هو المقصود.

د. استعلامي ، (ص ٨٣٦).

(١٤٧) وردت في صفة الصفة، ج٢، (ص٢١٨) مع الاختلاف.

(١٤٨) وردت في الرسالة القشيرية، (ص١٩).

(١٤٩) وردت في الرسالة القشيرية، (ص٢٠).

(١٥٠) وردت في طبقات الصوفية، (ص٤٥) وفي الرسالة القشيرية، (ص١٩).

(١٥١) وردت في طبقات الصوفية ، (ص٤٥) وفي الرسالة، (ص١٩) ، صفة الصفة، ج٢، (ص٢١٦).

(١٥٢) وردت في الرسالة القشيرية، (ص١٩).

(١٥٣) وردت في اللع، (ص٢١٤) مع الاختلاف.

(١٥٤) وردت في طبقات الصوفية، (ص٤٧).

(١٥٥) وردت في الرسالة القشيرية، (ص١٨).

(١٥٦) وردت في كشف المحجوب (ص٣١٧) من الترجمة العربية.

(١٥٧) وردت في حلية الأولياء، ج٨، (ص٣٤٣).

(١٥٨) وردت في حلية الأولياء، ج٨، (ص٣٥٤).

(١٥٩) وردت في حلية الأولياء ، ج٨، (ص٣٥٠).

(١٦٠) وردت في طبقات الصوفية، (ص٤٥).

(١٦١) وردت في حلية الأولياء، ج٨، (ص٣٤٧).

(١٦٢) وردت في صفة الصفة، ج٢، (ص٢٢١) عن أحمد بن حنبل.

(١٦٣) وردت في حلية الأولياء، ج٨، (ص٣٣٦).

ذكر ذي النون المصري:

(١٦٤) اسمه ثوبان بن إبراهيم وقيل للفيض إبراهيم ولقبه ذو النون، أصله من اللبوة وكان من قرية من قرى مصر يقال لها أخميم، كان أرحم زمانه علماً وورعاً وأدباً، توفي عام ٢٤٥ هـ.

انظر ترجمته في حلية الأولياء، ج٩، (ص٣٣١)، الرسالة القشيرية، (ص١٥) ، صفة الصفة، ج٤ (ص٢٦١)، كشف المحجوب، (ص٣١١) من الترجمة العربية.

(١٦٥) ورد هذا الحديث في إتحاف السادة المتقين للزيبي، ج٨، (ص٢١٨).

(١٦٦) وردت في الرسالة القشيرية، (ص١٥).

(١٦٧) وردت هذه القصة في حلية الأولياء ، ج٩، (ص٣٥٧) مع الاختلاف. وهي تشبه قصة مالك بن دينار وإبراهيم بن آدم.

- (١٦٨) سورة الأعراف، الآية (١٦٠).
- (١٦٩) يجوز أنها «إنك تعلم ما نريد، سورة هود. الآية (٧٩). وردت على لسان قوم هود إلى هود.
- (١٧٠) المتوكل: هو جعفر المتوكل على الله بن المعتمد بن الرشيد الخليفة العباسي العاشر، ولد بقم الصلح عام ٢٠٦هـ، وتولى الخلافة عام ٢٣٢هـ، واستمر خليفة إلى أن قتل عام ٢٤٧هـ.
- محمد بك الفخري، محاضرات تاريخ الأمم الإسلامية، للدولة العباسية، (ص٢٤٦).
- (١٧١) أحمد السلمي: أحمد بن محمد السلمي كان يعيش في القرن الثالث الهجري وعاصرنا النور.
- د. اسطغامي، (ص٨٣٧).
- (١٧٢) وردت في طبقات الصوفية، (ص٢٥)، كشف للمحجوب، (ص٦٠٥) من الترجمة العربية.
- (١٧٣) وردت في حلية الأولياء، ج٩، (ص٣٧٤)، صفة الصفوة، ج٤، (ص٣٦٤).
- (١٧٤) وردت في حلية الأولياء، ج٩، (ص٣٧٦، ٣٧٧)، صفة الصفوة، ج٤ (ص٢٦٤).
- (١٧٥) سورة فاطر، الآية (٢٨).
- (١٧٦) إشارة إلى الحديث لا يزال عبدي يتقرب إلى بالغرائل حتى أحبه، فإذا أحببته...
- (١٧٧) وردت في اللمع (ص٦٨)، كشف للمحجوب، (ص٥٤١) من الترجمة العربية.
- (١٧٨) وردت في حلية الأولياء، ج٩، (ص٣٩٥).
- (١٧٩) وردت في صفة الصفوة، ج٤، (ص٢٦٣).
- (١٨٠) وردت في اللمع، (ص٣٤٢).
- (١٨١) وردت في حلية الأولياء، ج٩، (ص٣٩٥).
- (١٨٢) وردت في حلية الأولياء، ج٩، (ص٣٧٧).
- (١٨٣) وردت في حلية الأولياء، ج٩، (ص٣٤٢).
- (١٨٤) وردت في التعرف لمذهب أهل التصوف، (ص١٠٣).
- (١٨٥) وردت في حلية الأولياء، ج٩، (ص٣٥٣)، صفة الصفوة، ج٤، (ص٢٦٣).
- (١٨٦) وردت في حلية الأولياء، ج٩، (ص٣٩٥).
- (١٨٧) وردت في حلية الأولياء، ج٩، (ص٣٥٣)، صفة الصفوة، ج٤، (ص٢٦٣).
- (١٨٨) إشارة إلى فكرة النور المحمدي أو الحقيقة المحمدية.
- (١٨٩) وردت في حلية الأولياء، ج٩، (ص٣٨٠).
- (١٩٠) وردت في حلية الأولياء، ج٩، (ص٣٥٢، ٣٦٨).
- (١٩١) وردت في حلية الأولياء، ج٩، (ص٣٧٢).
- (١٩٢) يوسف بن الحسين: انظر الكتب، (ص٥٨٠).

- (١٩٣) التعرف لمذهب أهل التصوف، (ص١٣٧)، وردت في حلية الأولياء، ج٩، (ص٢٧٤).
- (١٩٤) وردت في حلية الأولياء، ج٩، (ص٣٥٣)، صفة الصفة، ج٤، (ص٢٦٢).
- ذكر أبي يزيد البسطامي:
- (١٩٥) هو أبو يزيد طيفور بن عيسى البسطامي، كان جده مجوسياً يدعى سروشان وأسلم، وكانوا ثلاثة أخوة آدم وطيفور وعلى كانوا جميعاً زهاداً وعباداً قيل إنه مات ٢٦١ هـ وقيل ٢٣٤ هـ.
- انظر ترجمته في حلية الأولياء، ج١٠، (ص٣٤)، الرسالة القشيرية، (ص٢٣) صفة الصفة، ج٤، (ص٩٩). كشف المحجوب (ص٣١٧) من الترجمة العربية.
- (١٩٦) وردت في كشف المحجوب، (ص٣١٨) من الترجمة العربية.
- (١٩٧) سورة لقمان، جزء من الآية (١٤).
- (١٩٨) وردت في اللع، (ص١٤٤)، الرسالة القشيرية، (ص٢٣)، كشف للمحجوب، (ص٥٣) من الترجمة العربية.
- (١٩٩) سورة البقرة، الآية (١٨).
- (٢٠٠) وردت في كشف للمحجوب، (ص٢٦٢) من الترجمة العربية.
- (٢٠١) الشيخ السلهكي: أهد تلاميذ أبي عبد الله محمد بن علي الندائني، ومن فحول متصوفة القرن الخامس ومشايخه.
- د. استعلامي، (ص٨٣٩).
- (٢٠٢) وردت في حلية الأولياء، ج١٠، (ص٣٥)، صفة الصفة، ج٤، (ص٩٩).
- (٢٠٣) أبو موسى: يقال أبو موسى الديبلي من المشايخ المعاصرين لأبي يزيد البسطامي.
- د. استعلامي، (ص٨٣٩).
- (٢٠٤) أبو ترلب النخشي: انظر الكتاب (ص٥٥١).
- (٢٠٥) يحيى بن معاذ: انظر الكتاب (ص٥٥٧).
- (٢٠٦) أحمد بن حرب: انظر الكتاب (ص٤٨٢).
- (٢٠٧) وردت في حلية الأولياء، ج١٠، (ص٣٦، ٣٥).
- (٢٠٨) هذه الرواية نظمها سعدى في بستانه في الباب الرابع في التواضع قال في بدايتها:
- يكي بريطى در بقل داشت، مست به شب درس پارسائی شکست
ونرجمته:
- حمل شخصى ثمل عوداً تحت إيبله ذات ليلة وضربه على رأس زاهد
- (٢٠٩) أحمد بن خضرويه: انظر الكتاب (ص٥٤٣).
- (٢١٠) إبراهيم الهروي: يقال إنه أبو إسحق إبراهيم الهرائي الذي كان من أصحاب إبراهيم بن أدهم.
- د. استعلامي (ص٨٣٩).

- (٢١١) وردت في اللمع، (ص١٤٥)، الرسالة القشيرية، (ص٢٣).
- (٢١٢) حاتم الأصب: انظر الكتاب (ص٣٤٧).
- (٢١٣) سورة الأنعام، الآية (٩١).
- (٢١٤) وردت في حلية الأولياء، ج١٠، (ص٤٠).
- (٢١٥) القشيري: سبق للتعريف به في الباب الثالث.
- (٢١٦) وردت في كشف المحجوب (ص٣١٩) من الترجمة العربية.
- (٢١٧) وردت في كشف المحجوب (ص٤٩٠، ٤٩١) من الترجمة العربية.
- (٢١٨) وردت في كشف المحجوب (ص٤٩٠، ٤٩١) من الترجمة العربية.
- (٢١٩) سورة الأعراف (الآية ٥٤)، سورة يونس (الآية ٣)، سورة الرعد (الآية ٢).
- (٢٢٠) ورد هذا الحديث في إتعايف السادة المتقين للزبيدي، ج١، (ص٢٩٠).
- (٢٢١) سورة الأعراف، جزء من الآية (١٧٢).
- (٢٢٢) وردت في طبقات الصوفية (ص٧١)، حلية الأولياء، ج١٠، (ص٣٩)، صفة الصفوة، ج٤، (ص٩٩).
- (٢٢٣) سورة الحديد، الآية (٣).
- (٢٢٤) وردت هذه العبارة في كثير من سور القرآن منها سورة البقرة، الآية (١١٧).
- (٢٢٥) وردت في طبقات الصوفية، (ص٧٠)، حلية الأولياء، ج١٠، (ص٣٦)، صفة الصفوة، ج٤، (ص٥٨).
- (٢٢٦) وردت في حلية الأولياء، ج١٠، (ص٣٩) مع الاختلاف.
- (٢٢٧) وردت في طبقات الصوفية، (ص٧٤)، حلية الأولياء، ج١٠، (ص٣٩)، صفة الصفوة، ج٤، (ص٩٩، ١٠٠).
- (٢٢٨) وردت في طبقات الصوفية، (ص٧٤).
- (٢٢٩) طبقات الصوفية، (ص٧٣).
- (٢٣٠) وردت في حلية الأولياء، ج١٠، (ص٣٨)، صفة الصفوة، ج٤، (ص١٠١).
- (٢٣١) سهل بن عبد الله: انظر الكتاب، (ص٤٩٧).
- (٢٣٢) لم يرد هذا الحديث في مصادر الحديث الموثوقة.
- (٢٣٣) سورة الدازعات، (الآية ٢٤).
- (٢٣٤) وردت في حلية الأولياء، ج١٠، (ص٣٦) مع الاختلاف.
- (٢٣٥) وردت في طبقات الصوفية، (ص٧٢)، وحليج الأولياء، ج١٠، (ص٣٩)، ج٤، صفة الصفوة (ص٩٨).
- (٢٣٦) وردت في طبقات الصوفية، (ص٧٠)، حلية الأولياء، ج١٠، (ص٣٦) صفة الصفوة، ج٤، (ص٩٨).

- (٢٣٧) وردت في صفة الصفوة، (ص ١٠١).
- (٢٣٨) وردت في صفة الصفوة، ج٤، (ص ١٠١) مع الاختلاف.
- (٢٣٩) وردت في حلية الأولياء، ج١٠، (ص ٣٩).
- (٢٤٠) وردت في صفة الصفوة، ج٤، (ص ١٠٢).
- (٢٤١) وردت في حلية الأولياء، ج١٠، (ص ٣٤)، صفة الصفوة، ج٤، (ص ٩٩).
- (٢٤٢) وردت في طبقات الصوفية (ص ٧١)، صفة الصفوة، ج٤، (ص ٩٩).
- (٢٤٣) نكرى، نكرى: كلمة تركية قديمة بمعنى المعبود أو الله واستعملت في هذه العبارة على أساس أن عبادة الأصنام راجت في تركستان ويريد أبو يزيد أن يقول: إن كل ما فعله حتى الآن قد كان عبادة للأصنام.
- د. استعلاسى، (ص ٨٣٩).
- ذكر عبد الله بن المبارك:
- (٢٤٤) عبد الله بن المبارك: يكنى بأبي عبد الرحمن، كان أبوه تركياً عند رجل من التجار من بني حنظلة، وكانت أمه تركية خوارزمية: ولد سنة ١١٨ أو ١١٩ هـ. وتوفي ١٨١ هـ.
- انظر ترجمته في صفة الصفوة، ج٤، (ص ١٢١)، كشف المحجوب، (ص ٣٠٦)، من الترجمة العربية.
- (٢٤٥) ذو الجهادين: من يجاهد الجهاد الأصفر والجهاد الأكبر أى يقاوم الكفار ويمادى النفس.
- د. استعلاسى، (ص ٨٤٢).
- (٢٤٦) سفيان الثوري: انظر الكتاب، (ص ٢٩٧).
- (٢٤٧) صفة وردت في صفة الصفوة، ج٤، (ص ١٢٣، ١٢٤) مع الاختلاف.
- (٢٤٨) رواية مشابهة للرواية التي وردت في ذكر مالك بن دينار.
- (٢٤٩) وردت في كشف المحجوب، (ص ٣٠٧) من الترجمة العربية.
- (٢٥٠) وردت في صفة الصفوة، ج٤، (ص ١٢٨).
- (٢٥١) سورة الحج، الآية (٢٧).
- (٢٥٢) سهل بن عبد الله المرزى: يبدو أنه سهل بن عبد الله اللصرى، انظر الكتاب، (ص ٤٩٧).
- (٢٥٣) وردت في كشف المحجوب، (ص ٣٠٧) من الترجمة العربية.
- ذكر سفيان الثوري:
- (٢٥٤) سفيان الثوري: أبو عبد الله سفيان بن سعيد بن مسروق بن عدنان الثوري الكوفي، ولد عام ٩٧ هـ وكان إماماً في علم الحديث، ومن آثاره الجامع الكبير، والجامع الصغير وكلاهما في الحديث وكتاب الفرائض. توفي بالبصرة عام ١٦١ هـ. انظر ترجمته في صفة الصفوة، ج٣، (ص ٩٧). وانظر كشف المحجوب، (ص ٢٤٢) من الترجمة العربية.

- (٢٥٥) سفيان بن عيينه: أبو محمد سفيان الأعرى الكوفي الأصل، ولد بالكوفة عام ١٠٧هـ. فهر من صوفية القرن الثاني الهجري وسكن مكة وتوفي عام ١٩٧هـ.
- انظر صفة الصوفة، ج٢، (ص١٥٤)، د. استعلاسي، ص (٨٤٣).
- (٢٥٦) صفة الصوفة، ج٣، (ص٩٩) مع الاختلاف.
- (٢٥٧) وردت في كشف المحجوب، (ص٥٣٤)
- (٢٥٨) عبد الله بن المهدي: كان خادم سفيان ومريده.
- د. استعلاسي، (ص٨٤٣).
- (٢٥٩) وردت في صفة الصوفة، ج٣، (ص٩٨).
- ذكر شقيق البلخي:
- (٢٦٠) شقيق البلخي: شقيق بن إبراهيم أبو علي الأندري، من أهل بلخ، ومن مشاهير مشايخ خراسان، وكان أستاذ حاتم الأصم، صحب إبراهيم بن آدم، وأخذ عنه الطريقة.
- انظر ترجمته في حلية الأولياء، ج٨ (ص٥٩).
- الرسالة القشيرية، (ص٢٢)، صفة الصوفة، ج٤، (ص١٣٩).
- (٢٦١) إبراهيم بن آدم: سبق التعريف به.
- (٢٦٢) وردت في حلية الأولياء، ج٨، (ص٥٩)، الرسالة القشيرية، (ص٢٢)، صفة الصوفة، ج٤، (ص١٣٩).
- (٢٦٣) وردت في الرسالة القشيرية، (ص٢٢، ٢٣).
- (٢٦٤) وردت في الرسالة القشيرية، (ص٢٢).
- (٢٦٥) وردت في حلية الأولياء، ج٨، (ص٦٤)، الرسالة القشيرية (ص٢٢)، صفة الصوفة، ج٤، (ص١٤٠).
- (٢٦٦) ذو النورين: لقب الخليفة عثمان وسمى بذى النورين لأنه تزوج بنتان من بنات الرسول.
- د. استعلاسي، (ص٨٤٣).
- (٢٦٧) وردت في طبقات الصوفية، (ص٦٦).
- (٢٦٨) وردت في طبقات الصوفية، (ص٦٤)، حلية الأولياء، ج٨، (ص٦٢).
- (٢٦٩) وردت في طبقات الصوفية، (ص٦٥).
- (٢٧٠) وردت في طبقات الصوفية، (ص٦٥)، حلية الأولياء، ج٨، (ص٦٩).
- (٢٧١) وردت في حلية الأولياء، ج٨، (ص٦٤) مع الاختلاف.
- ذكر الإمام أبي حنيفة:
- (٢٧٢) الإمام أبو حنيفة: أبو حنيفة النعمان بن ثابت الخزاز هو إمام الفرقة السنية الحنفية، ولد عام ٨٠هـ، وتوفي ١٥٠ أو ١٥٣هـ ودفن في مقابر خيرزبان التابعة للكوفة، ومن آثاره: الفقه الأكبر، كتاب الرد على القدرية، كتاب العلم والمعلم، كتاب الرصبة.

- انظر ترجمته في كشف المحجوب (ص ٣٠٢) من الترجمة العربية.
 د. استعلامى (ص ٨٤٣)
- (٢٧٣) أبو يوسف: المقصود يعقوب الأنصارى الذى كان تلميذاً لأبى حنيفة ووصل إلى منصب قاضى القضاة فى عهد هارون الرشيد.
 د. استعلامى، (ص ٨٤٤).
- (٢٧٤) الشعبى: مستشار الخليفة فى أمور الشرع والقضاء، توفى حوالى عام ١٠٠ هـ. وكان من محدثى القرن الأول الهجرى، ومن التابعين.
 د. استعلامى (ص ٨٤٤).
- (٢٧٥) سورة البقرة، الآية (٢٨٦).
- (٢٧٦) شريك: من محدثى القرن الأول.
 د. استعلامى، (ص ٨٤٤).
- (٢٧٧) مسعر بن كدام: روى الحديث عن التابعين، توفى حوالى ١٥٠ هـ.
 د. استعلامى، (ص ٨٤٤).
- (٢٧٨) سورة الصافات، الآية (٢٢).
- (٢٨٩) سورة البقرة، الآية (١٨٨).
- (٢٨٠) محمد بن الحسن: أبو عبدالله محمد بن حسن الشيبانى، ولد فى واسط وتلمذ على يد أبى حنيفة فى الكوفة، وكان من عقلاء زمانه، وعاش ٥٧ عاماً.
 د. استعلامى، (ص ٨٤٤).
- (٢٨١) داود الطائى: أنظر الكتاب (ص ٣٢٤).
- (٢٨٢) أبو يوسف هو يعقوب الأنصارى ومحمد هو محمد بن الحسين وسبق التعريف بهما.
- (٢٨٣) سورة لقمان، الآية (٢٤).
- (٢٨٤) أبو على بن عثمان الجلابى: سبق التعريف به.
 ذكر الإمام الشافعى:
- (٢٨٥) الشافعى: أبو عبد الله محمد بن إدريس الهاشمى، واحد من أئمة السنة الأربعة، ولد عام ١٥٠ هـ فى غزة، وتوفى ٢٠٤ هـ فى القاهرة ومن آثاره: كتاب الأم فى الفقه، والمسنود، وأحكام القرآن، وللمواريث والسنن وسبيل النجاة.
- انظر ترجمته فى صفة الصفة، ج-٢، (ص ١٦٥)، كشف المحجوب، (ص ٣٢٧) مسن الترجمة العربية، وانظر د. استعلامى، (ص ٨٤٤، ٨٤٥).
- (٢٨٦) وردت فى صفة الصفة، ج-٢، (ص ١٦٦).
- (٢٨٧) سفيان الثورى: سبق التعريف به.

- (٢٨٨) سليم الراعي: من أنقياء القرن الثاني الهجري وعارفيه.
 د- استعلاى، (٨٤٥).
- (٢٨٩) سورة النازعات، الآية (٤٠، ٤١).
 (٢٩٠) صفة الصفوة، ج٢، (ص١٧٠)
 (٢٩١) سورة البقرة، الآية (٣١).
- (٢٩٢) ربيع بن سليمان: هو أبو محمد ربيع بن عبد الجبار المرادي المصري، ولد عام ١٧٣ هـ.
 وتوفي ٢٧٠ هـ في مصر، وهو مؤذن وراوي وكان من أصحاب الإمام الشافعي.
 د- استعلاى (ص٨٤٥).
- (٢٩٣) وردت في صفة الصفوة، ج٢، (ص١٧٢).
 ذكر الإمام أحمد بن حنبل:
- (٢٩٤) أحمد بن حنبل: أبو عبد الله أحمد بن حنبل، سكن والده مرو، ولد عام ١٦٤ هـ ببغداد بعد
 أن حج به حملاً من مرو، وتوفي عام ٢٤١ هـ وله مؤلف معروف في الحديث بطوان
 المسند.
- انظر ترجمته في طبقات الفقهاء لأبي إسحق الشيرازي المتوفى ٤٧٦ هـ، ببغداد ١٣٥٦ هـ،
 (ص٧٥)، حلية الأولياء، ج٩، (ص١٦١). صفة الصفوة، ج٢، (ص٢٢١)، كشف
 المحجوب، (ص٢٢٨) من الترجمة العربية.
- (٢٩٥) ورد هذا الحديث القدسي في الأسماء والصفات للبيهقي، (ص٣٢٧).
 (٢٩٦) وردت في كشف المحجوب، (ص٣٢٩، ٣٣٠) من الترجمة العربية.
 (٢٩٧) وردت في كشف المحجوب، (ص٣٢٩) من الترجمة العربية.
 (٢٩٨) وردت في كشف المحجوب، (ص٣٢٩) من الترجمة العربية.
 (٢٩٩) وردت في حلية الأولياء ج٩، (ص١٨٦، ١٨٧)، صفة الصفوة، ج٢، (ص٢٢٩).
 (٣٠٠) وردت في حلية الأولياء، ج٩، (ص١٧٧) مع الاختلاف.
 (٣٠١) كَر: مقياس طول يساري ١٦ عقدة زراع.
 (٣٠٢) وردت في حلية الأولياء، ج٩، (ص١٧٧)، صفة الصفوة، ج٢، (ص٢٢٥) مع
 الاختلاف..
- (٣٠٣) وردت في صفة الصفوة، ج٢، (ص٢٢٣) مع الاختلاف
 (٣٠٤) وردت في حلية الأولياء، ج٩، (ص١٦٩)، صفة الصفوة، ج٢، (ص٢٢٨).
 (٣٠٥) وردت في كشف المحجوب، (ص٣٢٩) من الترجمة العربية.
 (٣٠٦) وردت في كشف المحجوب، (ص٣٢٩) من الترجمة العربية.
 (٣٠٧) سورة ق، الآية (١٧).

- (٣٠٨) وردت في حلية الأولياء، ج٩، (ص١٨٣)، صفة الصفرة، ج٢، (ص٢٢٣) مع الاختلاف.
- (٣٠٩) وردت في حلية الأولياء، ج٩، (ص١٨٠) مع اختلاف الأعداد.
- (٣١٠) محمد بن خزيمة: كان أبو بكر محمد بن خزيمة السلمى اللخمي مابورى من الحافظين والمحدثين المشهورين. توفي ٨٣١هـ.
- د. استعلامي، (ص٨٤٦).
- (٣١١) وردت في حلية الأولياء، ج٢، (ص٢٢٤).
- (٣١٢) وردت في حلية الأولياء، ج٩، (ص١٨٩، ١٩٠)، صفة الصفرة، ج٢، (ص٢٢٤).
- ذكر داود الطائى:
- (٣١٣) داود الطائى: أبو سليمان بلود بن نصير الطائى، سمع للحديث وتفقه ثم اشتغل بالتبصير، كان معاصراً للخليفة المهدي العباسي ومن عارفى ذلك العصر المشهورين.
- انظر ترجمته في حلية الأولياء، ج٧، (ص٣٣٥)، الرسالة القشورية، (ص٢١)، صفة الصفرة، ج٣، (ص٨٦)، كشف المحجوب، (ص٣٢٠) من الترجمة العربية.
- (٣١٤) حبيب الراعى: هو أبو حاتم حبيب بن سليم الراعى، صاحب سلمان الفارسي (رضى الله عنه، وكان صاحب أعظام، ويقوم على شاطئ الفرات، ويسلك طريق العزلة.
- انظر: كشف المحجوب، (ص٢٩٩) من الترجمة العربية.
- (٣١٥) وردت في صفة الصفرة، ج٣، (ص٨٧)، الرسالة القشورية، (ص٢١) مع الاختلاف.
- (٣١٦) وردت في حلية الأولياء، ج٧، (ص٣٤٧)، الرسالة القشورية، (ص٢١)، صفة الصفرة، ج٣، (ص٩٢).
- (٣١٧) وردت في حلية الأولياء، ج٧، (ص٣٤٤) مع الاختلاف.
- (٣١٨) وردت في حلية الأولياء، ج٧، (ص٣٥٨).
- (٣١٩) أبو ربيع الواسطي: هو أشعث بن سعيد البصري، كان من المحدثين.
- د. استعلامي، (ص٨٤٦).
- (٣٢٠) وردت في حلية الأولياء، ج٧، (ص٣٤٣، ٣٤٥)، الرسالة القشورية، (ص٢١)، صفة الصفرة، (ص٨٧، ٨٨).
- (٣٢١) وردت في حلية الأولياء، ج٧، (ص٣٤٣)، صفة الصفرة، ج٣، (ص٨٨).
- (٣٢٢) وردت في حلية الأولياء، ج٧، (ص٣٥٦)، الرسالة القشورية، (ص٢٢)، صفة الصفرة، ج٣، (ص٩٣).
- (٣٢٣) وردت في كشف المحجوب، (ص٣٢١) من الترجمة العربية.
- (٣٢٤) وردت في كشف المحجوب، (ص٣٢١) من الترجمة العربية.
- (٣٢٥) وردت في حلية الأولياء، ج٧، (ص٣٥٤)، الرسالة القشورية (ص٢١)، صفة الصفرة، ج٣، (ص٩٠).

- (٣٢٦) وردت في كشف المحجوب، (ص ٣٢١) من الترجمة العربية.
- (٣٢٧) وردت في حلية الأولياء، ج٧، (ص ٣٥٥)، الرسالة القشيرية، (ص ٢١) مع الاختلاف.
- ذكر حارث المحاسبى:
- (٣٢٨) حارث للمحاسبى: أبو عبد الله الحارث بن أسد المحاسبى، من أهل البصرة ومن زاهدى القرن الثالث الهجرى وعارفيه، مات ببغداد عام ٢٤٣هـ. ومن مؤلفاته كتاب «الرعاية لمحقوق الله».
- انظر ترجمته في طبقات الصوفية، (ص ٥٦) حلية الأولياء، ج١٠، (ص ٧٣)، الرسالة القشيرية، (ص ٢٠)، صفة الصفة، ج٢، (ص ٢٤٠).
- (٣٢٩) عبد الله بن خفيف: هو أبو عبد الله بن خفيف واسمه محمد بن خفيف، أقام في شيراز، كانت أمه نيسابورية، وكان شيخ المشايخ في وقته، وكان عالماً بعلوم الظاهر وعلم الحقائق، توفي عام ٣٧١هـ.
- طبقات الصوفية، (ص ٤٦٢).
- (٣٣٠) رويم: هو أبو محمد رويم بن أحمد بن يزيد، من أهل بغداد، كان فقيهاً على مذهب داود الإصبهاني توفي عام ٣٠٣هـ.
- طبقات الصوفية، (ص ١٨٠).
- (٣٣١) عمرو بن عثمان المكي: هو أبو عبد الله عمرو بن عثمان بن كرب بن عضض، انتسب إلى الجليدي في النسبة، وصحب أبا سعود الخراز وغيره من المشايخ، توفي ببغداد عام ٢٩١هـ، وقيل ٢٩٧هـ.
- طبقات الصوفية، (ص ٢٠٠، ٢٠١).
- (٣٣٢) وردت في الرسالة (ص ٢٠).
- (٣٣٣) وردت في الرسالة القشيرية، (ص ٢٠) مع الاختلاف في قيمة الميراث.
- (٣٣٤) وردت في الرسالة القشيرية، (ص ٢٠)، صفة الصفة، ج٢، (ص ٢٤٠) مع الاختلاف.
- (٣٣٥) وردت في الحلية، ج١٠، (ص ٧٤، ٧٥)، الرسالة القشيرية، (ص ٢٠).
- (٣٣٦) وردت في حلية الأولياء، ج١٠، (ص ١٠٩)، طبقات الصوفية (ص ٥٩).
- (٣٣٧) وردت في حلية الأولياء، ج١٠، (ص ١٠٧) مع الاختلاف.
- (٣٣٨) وردت في كشف المحجوب، (ص ٣٢٠) من الترجمة العربية.
- (٣٣٩) وردت في طبقات الصوفية، (ص ٦٠)، حلية الأولياء، ج١٠، (ص ٨٨).
- (٣٤٠) وردت في طبقات الصوفية، (ص ٥٩) مع الاختلاف، حلية الأولياء، ج١٠، (ص ١٠٩).
- (٣٤١) وردت في حلية الأولياء، ج١٠، (ص ٧٥) مع الاختلاف، صفة الصفة، ج٢، (ص ٢٤٠).
- (٣٤٢) سورة القصص، النصف الأول، من الآية (٥٦).
- (٣٤٣) وردت في حلية الأولياء، ج١٠، (ص ٧٥)، الرسالة القشيرية، (ص ٢٠)، صفة الصفة، ج٢، (ص ٢٤٠).

ذكر أبي سليمان الداراني:

(٣٤٤) أبو سليمان الداراني: هو عبد الرحمن بن أحمد بن عطية العنسي، سمي الداراني نسبة إلى قرية داريا، من قرى دمشق. توفي عام ٢٢٥هـ.

انظر ترجمته في حلية الأولياء، ج٩، (ص٢٥٤). الرسالة القشيرية، (ص٢٥). صفة الصفوة، ج٤، (ص١٨٩).

(٣٤٥) وردت في صفة الصفوة، ج٤، (ص١٨٩).

(٣٤٦) وردت في حلية الأولياء، ج٩، (ص٢٥٩)، الرسالة القشيرية، (ص٢٥)، صفة الصفوة، ج٤، (ص١٩٠).

(٣٤٧) وردت في حلية الأولياء، ج٩، (ص٢٥٩)، الرسالة القشيرية، (ص٢٥)، صفة الصفوة، ج٤، (ص١٩٠).

(٣٤٨) أحمد بن أبي الحارث: انظر الكتاب، (ص٥٤٠).

(٣٤٩) وردت في صفة الصفوة، ج٤، (ص١٩٣) مع الاختلاف.

(٣٥٠) صالح بن عبد الكريم: كان عابداً من أهل بغداد، روى عن الفضيل بن عياض وسفيان بن عيينة.

د. استعلامي، (ص٨٤٧)

(٣٥١) وردت في الرسالة القشيرية، (ص٢٥).

(٣٥٢) وردت في صفة الصفوة، ج٤، (ص١٨٩).

(٣٥٣) وردت في حلية الأولياء، ج٩، (ص٢٦١).

(٣٥٤) وردت في حلية الأولياء، ج٩، (ص٢٦٠) مع الاختلاف.

(٣٥٥، ٣٥٦) وردت في حلية الأولياء، ج٩، (ص٢٥٦، ٢٥٥)، الرسالة القشيرية، (ص٢٥)، صفة الصفوة، ج٤، (ص١٩٤).

(٣٥٧) معاذ بن جبل: كان من صحابة النبي (توفي ١٨هـ).

د. استعلامي، (ص٨٤٧).

ذكر محمد بن السماك:

(٣٥٨) محمد بن السماك: كنيته أبو العباس، من زاهدي النصف الثاني من القرن الثاني الهجري، كان من أهل الكوفة ثم قدم إلى بغداد، ومكث بها فترة، ثم عاد إلى الكوفة، وتوفي بها عام ١٨٣هـ.

انظر ترجمته في حلية الأولياء، ج٨، (ص٢٠٣)، صفة الصفوة، ج٣، (ص١١٥).

(٣٥٩) سورة الاسراء الآية (١٠٥).

(٣٦٠) وردت في صفة الصفوة، ج٣، (ص١١٦).

ذكر محمد بن أسلم:

(٣٦١) محمد بن أسلم: هو أبو عبد الله محمد بن القاسم الطوسي، خادم ابن أسلم، كان يعد من الأبدال ويقال له رباني هذه الأمة، توفي عام ٢٤٢ هـ.

أنظر ترجمته في حلية الأولياء ج٩ (ص٢٣٨)، صفة الصفة، ج٤، (ص١١٣)

(٣٦٢) عبد الله بن طاهر الأمير الثالث للأسرة الطاهرية، وابن طاهر ذي اليمدين، تولى للعرش عام ٢١٣ هـ وتوفي عام ٢٣٠ هـ. ق. واتخذ نيسابور عاصمة له وبهزمته مازيار بن قارن ومعاركه الأخرى ضم طبرستان وكرمان والرى إلى منطقة نفوذه.

د. استعلامي، (ص٨٤٨)

(٣٦٣) وردت في حلية الأولياء، ج٩، (ص٢٤١).

ذكر أحمد بن حرب:

(٣٦٤) أحمد بن حرب: كان زاهداً من زهاد نيسابور، ومن مؤلفاته كتاب الدعاء، وكتاب الزهد، وكتاب الحكمة وكتاب الكسب، توفي عام ٢٣٤ هـ.

د. استعلامي، (ص٨٤٨).

(٣٦٥) وردت في كشف المحجوب، (ص٦١٢) من الترجمة العربية.

ذكر حاتم الأصم:

(٣٦٦) حاتم الأصم: هو أبو عبد الرحمن حاتم بن علوان وقول حاتم بن يوسف من قدماء مشايخ خراسان ومن أهل بلخ، توفي بوشجرد (إحدى قرى ماوردها النهر) سنة ٢٣٧ هـ.

انظر ترجمته في طبقات الصوفية (ص٩١)، الرسالة القشيرية (ص٢٦)، صفة الصفة، ج٤، (ص١٤٢).

(٣٦٧) وردت في الرسالة القشيرية، (ص٢٦).

(٣٦٨) سعد بن محمد الرازي: يقال هو أبو بكر محمد بن عبدالله بن عبد العزيز بن شادان المتوفى عام ٣٧٤ هـ.

د. استعلامي، (ص٨٤٩).

(٣٦٩) سورة النكاثر، الآية (٨).

(٣٧٠) سورة الذاريات، الآية (٢٢).

(٣٧١) سورة الملائقين، جزء من الآية (٧).

(٣٧٢) حامد الغفاف: هو حامد بن محمود بن حرب النيسابوري من قارئي خراسان ورواتها، عاش في القرن الثالث الهجري، توفي عام ٢٦٦ هـ.

د. استعلامي (ص٨٤٩).

(٣٧٣) وردت في طبقات الصوفية، (ص٩٦)، الرسالة القشيرية، (ص٢٦)، صفة الصفة، ج٤، (ص١٤٢).

- (٣٧٤) وردت في الرسالة القشيرية، (ص٢٦)، صفة الصفرة، ج٤، (ص١٤٢) مع الاختلاف.
- (٣٧٥) وردت في كشف المحجوب، (ص٥٤٢، ٥٤٣).
- (٣٧٦) بلعم: هو بلعم بن يعقوب أبو بلعم بن باعور، كان من أهل الجزيرة وكانت لديه القدرة على التنبؤ.
- د. استعلامي (ص٨٤٩).
- (٣٧٧) سورة الأعراف، جزء من الآية (١٧٦).
- (٣٧٨) تطلبه: اسم عدة أشخاص من صحابة الرسول (ﷺ)
- د. استعلامي (ص٨٤٩)
- (٣٧٩) وردت في طبقات الصوفية، (ص٨٧)، حلية الأولياء، ج٨، (ص٨٧)، الرسالة القشيرية، (ص٢٦).
- (٣٨٠) وردت في طبقات الصوفية، (ص٩٧).
- (٣٨١) سورة البقرة، الآية (٨٨).
- (٣٨٢) وردت في طبقات الصوفية، (ص٩٧)، حلية الأولياء، ج٨، (ص٧٥)، صفة الصفرة، ج٤، (ص١٤٢).
- (٣٨٣) وردت في طبقات الصوفية، (ص٩٦)، كشف المحجوب، (ص٣٢٦).
- (٣٨٤) وردت في طبقات الصوفية، (ص٩٥).
- (٣٨٥) وردت في طبقات الصوفية، (ص٩٥)، حلية الأولياء، ج٨، (ص٧٩).
- (٣٨٦) وردت في طبقات الصوفية، (ص٩٦، ٩٥).
- (٣٨٧) سورة فصلت، جزء من الآية (٣٠).
- (٣٨٨) وردت في طبقات الصوفية، (ص٩٣)، حلية الأولياء، ج٨، (ص٧٨).
- (٣٨٩) سورة النساء جزء من الآية (٧٧).
- ذكر سهل بن هبده الله الصمدي:
- (٣٩٠) سهل بن عبدالله الصمدي: هو سهل بن عبدالله بن يونس، من أهل تستر، صاحب خاله محمد بن سوار، ورأى ذا النون بمكة، توفي عام ٢٨٣ هـ، وقيل ٢٧٣ هـ.
- انظر ترجمته في طبقات الصوفية، (ص٢٠٦)، حلية الأولياء، ج١٠، (ص١٨٩)، الرسالة القشيرية، (ص٢٤)، صفة الصفرة، ج٤، (ص٥٩).
- (٣٩١) سورة الأعراف، الآية (١٧٢).
- (٣٩٢) وردت في الرسالة، (ص٢٦).
- (٣٩٣) وردت في الرسالة، (ص٢٤).
- (٣٩٤) وردت في الرسالة القشيرية، (ص٢٥).

- (٣٩٥) وردت في حلية الأولياء، ج١٠، (ص٢١٠)، وذكر يعقوب بدلاً من عمرو.
 (٣٩٦) وردت في كشف المحجوب، (ص٤٧٠) من الترجمة العربية.
 (٣٩٧) وردت في كشف المحجوب، (ص٥٩٣) من الترجمة العربية.
 (٣٩٨) وردت في اللمع، (ص٣٧٦).
 (٣٩٩) وردت في طبقات الصوفية، (ص٢١٠)، حلية الأولياء، ج١٠، (ص١٩٠).
 (٤٠٠) وردت في صفة الصفة، ج٤، (ص٥٩).
 (٤٠١) وردت في كشف المحجوب، (ص٥٤٤-) من الترجمة العربية.
 (٤٠٢) وردت في اللمع، (ص٧٩).
 (٤٠٣) من أقوال علي بن أبي طالب القصار. د. استعلامي، (ص٨٥١).
 (٤٠٤) وردت في التعرف لمنهأهل النصف، (ص١٢١).
 (٤٠٥) وردت في صفة الصفة، ج٤، (ص٥٩).
 (٤٠٦) وردت في كشف المحجوب، (ص٥٦٦) من الترجمة العربية.

ذُكر معروف الكرخي:

- (٤٠٧) معروف الكرخي: هو أبو محفوظ معروف بن فيروز ينسب إلى كرخ التابعة لهتداد، كان من موالى علي بن موسى الرضا (رضي الله عنه). توفي عام ٢٠٠هـ. وقيل ٢٠١هـ. ودفن ببغداد وقبره يستشفى به.
 انظر ترجمته في طبقات الصوفية (ص٨٣)، حلية الأولياء ج٨، (ص٣٢٠)، الرسالة القشيرية، (ص١٥)، صفة الصفة، ج٢، (ص٢١٠)، كشف المحجوب، (ص٣٢٥).
 (٤٠٨) وردت في الرسالة القشيرية، (ص١٦)، صفة الصفة، ج٢، (ص٢١٠)، (ص٢١١).
 (٤٠٩) محمد بن منصور الطوسي: هو أبو جعفر محمد العابد الطوسي ولد عام ٢٦٦هـ وفي رواية ٢٦٨هـ وتوفي ما بين عامي ٣٥٤، ٣٥٦هـ.
 د. استعلامي، (ص٨٥١).
 (٤١٠) وردت في صفة الصفة، ج٢، (ص٢١٣) مع الاختلاف.
 (٤١١) وردت في صفة الصفة، ج٢، (ص٢١٢) مع الاختلاف.
 (٤١٢) وردت في صفة الصفة، ج٢، (ص٢١٣) مع الاختلاف.
 (٤١٣) وردت في طبقات الصوفية، (ص٨٨)، حلية الأولياء، ج٨، (ص٣٦٤) مع الاختلاف.
 (٤١٤) وردت في طبقات الصوفية، (ص٨٩)، حلية الأولياء، ج٨، (ص٣١٧)، كشف المحجوب، (ص٣٢٥).
 (٤١٥) وردت في طبقات الصوفية، (ص٨٩).
 (٤١٦) وردت في طبقات الصوفية، (ص٩٠)، حلية الأولياء، ج٨، (ص٣٦٧).

- (٤١٧) وردت في حلية الأولياء، ج٨، (ص٣٦١).
- (٤١٨) وردت في طبقات الصوفية، (ص٨٨)، حلية الأولياء، ج٨، (ص٣٦٧).
- (٤١٩) وردت في طبقات الصوفية، (ص٩٠)، حلية الأولياء، ج٨، (ص٣٦٧).
- (٤٢٠) وردت في طبقات الصوفية، (ص٨٩).
- (٤٢١) وردت في طبقات الصوفية، (ص٨٨).
- (٤٢٢) وردت في طبقات الصوفية، (ص٨٩).
- (٤٢٣) وردت في طبقات الصوفية، (ص٨٩)، صفة الصفوة، ج٢، (ص٢١٢).
- (٤٢٤) وردت في طبقات الصوفية، (ص٩٠).
- (٤٢٥) وردت في طبقات الصوفية، (ص٨٩)، حلية الأولياء، ج٨، (ص٣٦٧)، صفة الصفوة، ج٢، (ص٢١٢).
- (٤٢٦) إبراهيم: ليس معلوماً أي إبراهيم هو ومن المسلم به أنه ليس إبراهيم ابن أدهم أو إبراهيم الخواص أو إبراهيم الرقي، لأن زمانهم لا يتفق ومعروف استعلاسى، (ص٨٥٢).
- (٤٢٧) وردت في طبقات الصوفية، (ص٨٧)، حلية الأولياء، ج٨، (ص٣٦٠)، صفة الصفوة، ج٢، (ص٢١٢).
- (٤٢٨) وردت في حلية الأولياء، ج٨، (ص٣٦٤)، الرسالة القشيرية، (ص١٥).
- (٤٢٩) وردت في طبقات الصوفية، (ص٨٥) مع الاختلاف.
- (٤٣٠) وردت في حلية الأولياء، ج٨، (ص٣٦٢)، الرسالة القشيرية، (ص١٦)، صفة الصفوة، (ص٢١٤).
- (٤٣١) وردت في الرسالة القشيرية، (ص١٦)، صفة الصفوة، ج٢، (ص٢١٣).
- (٤٣٢) محمد بن الحسين: أبو جعفر محمد بن الحسين البرجلاني، كان من برجلائنا التابعة لواسط، وكان مريداً لمعروف، وتلمذ على يده، توفي عام ٣٢٨هـ.
- د. استعلاسى (ص٨٥٢).
- (٤٣٣) وردت في الرسالة القشيرية، (ص١٦).
- (٤٣٤) وردت في حلية الأولياء، ج٨، (ص٣٦٦)، الرسالة القشيرية، (ص١٦)، صفة الصفوة، ج٢، (ص٢١٣، ٢١٤).
- ذُكر سرى السقطي:
- (٤٣٥) سرى السقطي: هو أبو الحسن السري بن المغلس السقطي، إمام البخناديين وشيخهم في وقته، وأول من تكلم في لسان التوحيد، توفي عام ٢٥٧هـ.
- انظر ترجمته في طبقات الصوفية، (ص٤٨)، حلية الأولياء، ج١٠، (ص١١٦)، الرسالة القشيرية، (ص١٦)، صفة الصفوة، ج٢، (ص٢٤٢).

- (٤٣٦) دابره لانقطى: صفة لانقط تسمى التحرر وعدم الاهتمام بالتعينات والظواهر ودابره لانقطى تسمى عالم الحرية.
- د. استعلامى، (ص٨٥٢).
- (٤٣٧) وردت فى أسرار التوحيد، (ص٢٨٤).
- (٤٣٨) وردت فى صفة الصفوة، ج٢، (ص٢٤٢).
- (٤٣٩) وردت فى كشف المحجوب، (ص٣٢٢) من الترجمة العربية.
- (٤٤٠) وردت فى كش المحجوب، (ص٤٢٢) من الترجمة العربية.
- (٤٤١) وردت فى حلية الأولياء ج١٠، (ص١٢٣)، الرسالة القشيرية، (ص١٧).
- (٤٤٢) وردت فى الرسالة القشيرية، (ص١٧)، صفة الصفوة، ج٢، (ص٢٤٨).
- (٤٤٣) وردت فى حلية الأولياء، ج١٠، (ص١١٦)، صفة الصفوة، ج٢، (ص٢٤٣).
- (٤٤٤) وردت فى التعرف لمذهب أهل التصوف، (ص٥٣)، حلية الأولياء ج١٠، (ص١١٦)، الرسالة القشيرية (ص١٨)، صفة الصفوة، ج٢، (ص٢٤٥).
- (٤٤٥) وردت فى التعرف لمذهب أهل التصوف، (ص١٥٥)، حلية الأولياء، ج١٠، (ص١٢٠)، الرسالة القشيرية، (ص١٨)، صفة الصفوة، ج٢، (ص٢٤٣).
- (٤٤٦) وردت فى حلية الأولياء، ج١٠، (ص١٢٤)، صفة الصفوة، ج٢، (ص٢٤٤).
- (٤٤٧) وردت فى الرسالة القشيرية، (ص١٧).
- (٤٤٨) وردت فى التعرف لمذهب أهل التصوف، (ص١٤٤)، صفة الصفوة، ج٢، (ص٢٤٣).
- (٤٤٩) سورة الصافات، الآية (٦١).
- (٤٥٠) وردت فى الرسالة القشيرية، (ص١٧)، صفة الصفوة، ج٢، (ص٢٤٨).
- (٤٥١) وردت فى طبقات الصوفية، (ص٥٠)، حلية الأولياء، ج١٠، (ص١٢٤)، صفة الصفوة، ج٢، (ص٢٤٦).
- (٤٥٢) وردت فى طبقات الصوفية، (ص٥٠)، حلية الأولياء، ج١٠، (ص١٢٤)، صفة الصفوة، ج٢، (ص٢٤٤).
- (٤٥٣) وردت فى طبقات الصوفية، (ص٥٠)، حلية الأولياء، ج١٠، (ص١١٩)، صفة الصفوة، ج٢، (ص٢٤٤).
- (٤٥٤) وردت فى حلية الأولياء، ج١٠، (ص١١٨)، صفة الصفوة، ج٢، (ص٢٤٩).
- (٤٥٥) وردت فى طبقات الصوفية، (ص٥٤).
- (٤٥٦) وردت فى طبقات الصوفية، (ص٥٣)، حلية الأولياء، ج١٠، (ص١٢٤).
- (٤٥٧) وردت فى طبقات الصوفية، (ص٥٣)، حلية الأولياء، ج١٠، (ص١٢٤)، صفة الصفوة، ج٢، (ص٢٤٤).

- (٤٥٨) وردت في طبقات الصوفية ، (ص٥٣) .
- (٤٥٩) وردت في طبقات الصوفية ، (ص٥٢) ، حلية الأولياء ، ج١٠ ، (ص١٢٤) ، صفة الصفرة ، ج٢ ، (ص٢٤٤) .
- (٤٦٠) وردت في طبقات الصوفية ، (ص٥٣) ، حلية الأولياء ، ج١٠ ، (ص١٢٤) ، صفة الصفرة ، ج٢ ، (ص٢٤٤) .
- (٤٦١) وردت في طبقات الصوفية ، (ص٥٣) ، حلية الأولياء ، ج١٠ ، (ص١٢٤) .
- (٤٦٢) وردت في طبقات الصوفية ، (ص٥٣) ، حلية الأولياء ، ج١٠ ، (ص١٢٤) .
- (٤٦٣) وردت في صفة الصفرة ، ج٢ ، (ص٢٤٦) .
- (٤٦٤) سورة الانطار ، الآية (١٣) .
- (٤٦٥) وردت في طبقات الصوفية ، (ص٥٤) ، حلية الأولياء ، ج١٠ ، (ص١٢٤ ، ١٢٥) .
- (٤٦٦) وردت في اللمع ، (ص٢٤٤) ، حلية الأولياء ، ج١٠ ، (ص١٢٥) ، صفة الصفرة ، ج٢ ، (ص٢٤٥) مع الاختلاف .
- (٤٦٧) وردت في الرسالة للكشيرية ، (ص١٧) .
- (٤٦٨) وردت في طبقات الصوفية ، (ص٥٤) ، صفة الصفرة ، ج٢ ، (ص٢٤٥) .
- (٤٦٩) وردت في طبقات الصوفية ، (ص٥٣) .
- (٤٧٠) وردت في طبقات الصوفية ، (ص٥٤) ، صفة الصفرة ، ج٢ ، (ص٢٤٥) .
- (٤٧١) وردت في طبقات الصوفية ، (ص٥٥) .
- ذُكر فتح الموصلي :
- (٤٧٢) فتح الموصلي : هناك فحان موصليان هما : أبو محمد فتح بن محمد بن وشاح أبو نصر فتح بن سعيد الموصلي ، وقد اختلطت الروايات عنهما ، والمقصود هنا هو فتح بن سعيد الذي توفي عام ٢٢٠ هـ .
- انظر ترجمته في حلية الأولياء ، ج٨ ، (ص٢٩٢) ، صفة الصفرة ، ج٤ ، (ص١٥٨) .
- (٤٧٣) وردت في حلية الأولياء ، ج٨ ، (ص٢٩٢) ، صفة الصفرة ، ج٤ ، (ص١٥٨) .
- ذُكر أحمد بن أبي الحواري :
- (٤٧٤) أحمد بن أبي الحواري : هو أبو الحسن أحمد بن أبي الحواري ، سكن دمشق ، ونشأ في بيت ورع وزهد فأخوه وأبيه كانا من المارفين الورعين توفي عام ٢٣٠ هـ .
- انظر ترجمته في طبقات الصوفية ، (ص٩٨) ، حلية الأولياء ، ج١٠ ، (ص٥) ، صفة الصفرة ، ج٤ ، (ص٢٠١) ، كشف المحجوب ، (ص٣٣٠) من الترجمة العربية .
- (٤٧٥) وردت في حلية الأولياء ، ج١٠ ، (ص٨٨) .
- (٤٧٦) وردت في طبقات الصوفية ، (ص١٠٠) .

- (٤٧٧) وردت في طبقات الصوفية، (ص ١٠٠)، حلية الأولياء، ج ١٠، (ص ٦).
- (٤٧٨) وردت في طبقات الصوفية، (ص ١٠٢)، حلية الأولياء، ج ١٠، (ص ٢٢).
- (٤٧٩) وردت في طبقات الصوفية، (ص ١٠١)، حلية الأولياء، ج ١٠، (ص ٧).
- (٤٨٠) وردت في طبقات الصوفية، (ص ١٠١).
- (٤٨١) وردت في طبقات الصوفية، (ص ١٠١).
- (٤٨٢) وردت في حلية الأولياء، ج ١٠، (ص ٧).
- (٤٨٣) وردت في طبقات الصوفية، (ص ١٠٢)، حلية الأولياء، ج ١٠، (ص ٢)، صفة الصفة، ج ٤، (ص ٢٠١).
- فكر أحمد بن خضرويه:
- (٤٨٤) أحمد بن خضرويه: أبو حامد أحمد بن خضرويه البلخي، من كبار مشايخ خراسان، ومن المذكرين بالفتوة، توفي ٢٤٠ هـ.
- انظر ترجمته في طبقات الصوفية، (ص ١٠٢)، حلية الأولياء، ج ١٠، (ص ٤٢)، الرسالة القشيرية، (ص ٢٧)، صفة الصفة، ج ٤، (ص ١٤٣)، كشف المحجوب، (ص ٣٣٢).
- (٤٨٥) وردت في طبقات الصوفية، (ص ١٠٣)، الرسالة القشيرية، (ص ٢٧)، صفة الصفة، ج ٤، (ص ١٤٣).
- (٤٨٦) وردت في كشف المحجوب، (ص ٣٣٣) من الترجمة العربية.
- (٤٨٧) وردت في كشف المحجوب، (ص ٣٣٢) من الترجمة العربية.
- (٤٨٨) وردت في حلية الأولياء، ج ١٠، (ص ٤٢) مع الاختلاف.
- (٤٨٩) وردت في كشف المحجوب، (ص ٣٣٢).
- (٤٩٠) وردت في كشف المحجوب، (ص ٣٣٣) من الترجمة العربية.
- (٤٩١) وردت في كشف المحجوب، (ص ٣٣٣) من الترجمة العربية.
- (٤٩٢) وردت في طبقات الصوفية، (ص ١٠٥).
- (٤٩٣) وردت في كشف المحجوب، (ص ٣٣٤) من الترجمة العربية.
- (٤٩٤) وردت في طبقات الصوفية، (ص ١٠٦)، كشف المحجوب، (ص ٣٣٤) من الترجمة العربية.
- (٤٩٥) وردت في طبقات الصوفية، (ص ١٠٥).
- (٤٩٦) وردت في حلية الأولياء، ج ١٠، (ص ٤٢).
- (٤٩٧) وردت في طبقات الصوفية، (ص ١٠٤).
- (٤٩٨) وردت في طبقات الصوفية، (ص ١٠٤)، صفة الصفة، ج ٤، (ص ١٤٣).
- (٤٩٩) وردت في طبقات الصوفية، (ص ١٠٥).

- (٥٠٠) وردت في طبقات الصوفية، (ص١٠٦).
- (٥٠١) وردت في طبقات الصوفية، (ص١٠٦).
- (٥٠٢) وردت في طبقات الصوفية، (ص١٠٤).
- (٥٠٣) وردت في طبقات الصوفية، (ص١٠٥).
- (٥٠٤) وردت في طبقات الصوفية، (ص١٠٦)، الرسالة القشيرية، (ص٢٨)، صفة الصوفة، ج٤، (ص١٤٣).
- (٥٠٥) وردت في طبقات الصوفية، (ص١٠٤).
- (٥٠٦) وردت في طبقات الصوفية، (ص١٠٥)، كشف المحجوب، (ص٣٣٣) من الترجمة العربية.
- (٥٠٧) وردت في طبقات الصوفية، (ص١٠٦).
- (٥٠٨) سورة الذاريات، الآية (٥١).
- (٥٠٩) وردت في طبقات الصوفية، (ص١٠٥)، صفة الصوفة، ج٤، (ص١٤٣).
- (٥١٠) وردت في حلية الأولياء، ج١٠، (ص٤٢)، الرسالة القشيرية، (ص٢٨)، صفة الصوفة، ج٤، (ص٤٣، ٤٤).
- ذكر أبي تراب النخشي:
- (٥١١) أبو تراب النخشي: هو عسكر بن حنين، ويقال عسكر بن محمد بن حصين من جملة مشايخ خراسان، تفقه على مذهب الإمام للشافعي وأخذ عنه الإمام أحمد ابن حنبل، توفي عام ٢٤٥هـ.
- انظر ترجمته في طبقات الصوفية، (ص١٤٧)، حلية الأولياء، ج١٠، (ص٤٥)، الرسالة القشيرية، (ص٢٨)، صفة الصوفة، ج٤، (ص١٥٠)، كشف المحجوب، (ص٣٣٤) من الترجمة العربية.
- (٥١٢) وردت في حلية الأولياء، ج١٠، (ص٤٩)، الرسالة القشيرية، (ص٢٩)، صفة الصوفة، ج٤، (ص١٥٠).
- (٥١٣) وردت في حلية الأولياء، ج١٠، (ص٤٧)، الرسالة القشيرية، (ص٢٨)، صفة الصوفة، ج٤، (ص١٥٠).
- (٥١٤) وردت في حلية الأولياء، ج١٠، (ص٤٦)، الرسالة القشيرية، (ص٢٨).
- (٥١٥) وردت في حلية الأولياء، ج١٠، (ص٤٦)، الرسالة القشيرية، (ص٢٩).
- (٥١٦) وردت في حلية الأولياء، ج١٠، (ص٤٩)، الرسالة القشيرية، (ص٢٩).
- (٥١٧) وردت في حلية الأولياء، ج١٠، (ص٤٨)، الرسالة القشيرية، (ص٢٩)، صفة الصوفة، ج٤، (ص١٥٠).
- (٥١٨) وردت في حلية الأولياء، ج١٠، (ص٤٧)، الرسالة القشيرية، (ص٢٩).

- (٥١٩) وردت في صفة الصفوة، ج٤، (ص ١٥٠، ١٥١).
- (٥٢٠) وردت في طبقات الصوفية، (ص ١٤٩).
- (٥٢١) وردت في اللمع، (ص ٢٤٤).
- (٥٢٢) سورة الأنعام، جزء من الآية (١٢١).
- (٥٢٣) طبقات الصوفية، (ص ١٤٩)، حلية الأولياء، ج١٠، (ص ٥٠)، الرسالة القشيرية، (ص ٢٨).
- (٥٢٤) وردت في طبقات الصوفية، (ص ١٤٨)، حلية الأولياء، ج١٠، (ص ٥٠).
- (٥٢٥) وردت في طبقات الصوفية، (ص ١٤٩).
- (٥٢٦) وردت في طبقات الصوفية، (ص ١٤٩).
- (٥٢٧) وردت في طبقات الصوفية، (ص ١٥١).
- (٥٢٨) وردت في طبقات الصوفية، (ص ١٥١).
- (٥٢٩) وردت في طبقات الصوفية، (ص ١٥٠)، حلية الأولياء، ج١٠، (ص ٥٠).
- (٥٣٠) وردت في طبقات الصوفية، (ص ١٥٠)، حلية الأولياء، ج١٠، (ص ٥٠).
- (٥٣١) وردت في طبقات الصوفية، (ص ١٤٩)، كشف المحجوب، (ص ٣٣٤) من الترجمة العربية.
- (٥٣٢) وردت في كشف المحجوب، (ص ٣٣٤) من الترجمة العربية.
- تُذكر يحيى بن معاذ:
- (٥٣٣) يحيى بن معاذ: أبو زكريا يحيى بن معاذ بن جعفر الرازي الواعظ، خرج إلى بلخ، وأقام بها مدة ثم رجع إلى نيسابور ومات بها عام ٢٥٨ هـ.
- انظر ترجمته في: طبقات الصوفية، (ص ١٠٧)، حلية الأولياء، ج١٠، (ص ٥١)، الرسالة القشيرية، (ص ٢٧)، صفة الصفوة، ج٤، (ص ٩٠)، كشف المحجوب، (ص ٣٣٥) من الترجمة العربية.
- (٥٣٤) وردت في كشف المحجوب، (ص ٣٣٥) من الترجمة العربية.
- (٥٣٥) وردت في كشف المحجوب، (ص ٣٣٥) من الترجمة العربية.
- (٥٣٦) وردت في كشف المحجوب، (ص ٣٣٥) من الترجمة العربية.
- (٥٣٧) وردت في كشف المحجوب، (ص ٦٠٦) من الترجمة العربية.
- (٥٣٨) وردت في طبقات الصوفية، (ص ١١١)، حلية الأولياء، ج١٠، (ص ٥٨، ٥٩)، صفة الصفوة، ج٤، (ص ٨٧) مع الاختلاف.
- (٥٣٩) وردت في طبقات الصوفية، (ص ١١٤).
- (٥٤٠) وردت في طبقات الصوفية، (ص ١١٣).

(٥٤١) وردت فى طبقات الصوفية، (ص١١٣)، كشف المحجوب، (ص٢١٢) من الترجمة العربية.

(٥٤٢) وردت فى طبقات الصوفية، (ص١١٢).

(٥٤٣) وردت فى طبقات الصوفية، (ص١١٠).

(٥٤٤) وردت فى طبقات الصوفية، (ص١١٤).

(٥٤٥) وردت فى الرسالة القشيرية، (ص٢٧)، صفة الصفوة، ج٤، (ص٩٠).

(٥٤٦) وردت فى صفة الصفوة، ج٤، (ص٨٤، ٨٧).

(٥٤٧) وردت فى كشف المحجوب، (ص٥٨٣).

(٥٤٨) وردت فى صفة للصفوة، ج٤، (ص٨٤).

(٥٤٩) وردت فى طبقات الصوفية، (ص١١٠)، كشف المحجوب، (ص٣٣٥).

(٥٥٠) وردت فى طبقات الصوفية، (ص١١٠).

(٥٥١) وردت فى حلية الأولياء، ج١٠، (ص٥٤).

(٥٥٢) وردت فى صفة الصفوة، ج٤، (ص٩٠).

(٥٥٣) وردت فى حلية الأولياء، ج١٠، (ص٦٨)، صفة الصفوة، ج٤، (ص٨٧).

(٥٥٤) وردت فى صفة الصفوة، ج٤، (ص٨٥).

(٥٥٥) وردت فى حلية الأولياء، ج١٠، (ص٦٠) مع الاختلاف.

(٥٥٦) وردت فى طبقات الصوفية، (ص١١١).

(٥٥٧) فيصرية نسبة إلى فيصر ملك الروم، وكسوية نسبة إلى كمرى ملك الساسانيين وشدادية نسبة إلى شداد صاحب أرم وعام قوم هود اللبى وهذه الألفاظ الأربعة تعلى الكفر ومخالفة الإسلام.

د. استعلامى، (ص٨٥٤).

(٥٥٨) وردت فى طبقات الصوفية، (ص١١٣).

(٥٥٩) وردت فى طبقات الصوفية، (ص١١٣).

(٥٦٠) وردت فى طبقات الصوفية، (ص١١٢).

(٥٦١) وردت فى طبقات الصوفية، (ص١١٢)، الرسالة القشيرية، (ص٢٧).

(٥٦٢) وردت فى كشف المحجوب، (ص٥٥٦) مع الاختلاف.

(٥٦٣) سورة الأنعام، جزء من الآية، (١٦٠).

(٥٦٤) وردت فى صفة الصفوة، ج٤، (ص٨٤).

(٥٦٥) معمرة: اسم حى أو جزء قديم من نيسابور.

د. استعلامى، (ص٨٥٥).

ذكر شاه شجاع الكرمانى :

(٥٦٦) شاه شجاع: أبو الفوارس شاه بن شجاع الكرمانى كان من أولاد الملوك وتزهد مات قبل سنة ثلاثمائة هـ .

انظر ترجمته فى طبقات الصوفية، (ص١٩٢)، حلية الأولياء، ج١٠، ص(٢٣٧).

الرسالة القشيرية، (ص٣٧)، صفة الصفة، ج٤، (ص٦٢)، كشف المحجوب، (ص٣٥٠).

(٥٦٧) مرآة الحكماء: ذكره الهجويزى فى موضعين فى كشف المحجوب واعتبره أثراً لشاه الكرمانى.

د. استعلامى، (ص٨٥٥).

(٥٦٨) وردت فى كشف المحجوب (ص٣٥٠) من الترجمة العربية.

(٥٦٩) وردت فى كشف المحجوب، (ص٥٩٧) مع الاختلاف.

(٥٧٠) وردت فى طبقات الصوفية، (ص١٩٢)، حلية الأولياء، ج١٠، (ص٢٣٨)، صفة الصفة، ج٤، (ص١٦٢)، كشف المحجوب، (ص٣٥٠).

(٥٧١) وردت فى طبقات الصوفية، (ص١٩١)، الرسالة القشيرية، (ص٣٧).

(٥٧٢) وردت فى حلية الأولياء، ج١٠، (ص٢٣٧)، الرسالة القشيرية (ص٣٧)، صفة الصفة، ج٤، (ص٦٢).

(٥٧٣) وردت فى الرسالة للقشيرية، (ص٣٧).

(٥٧٤) السيد على السيرجانى: ذكره الهجويزى، (ص٢١٥) من كشف المحجوب وعده من عارفى كرمان.

د. استعلامى، (ص٨٥٥).

ذكر يوسف بن الحسين:

(٥٧٥) يوسف بن الحسين: هو أبو يعقوب يوسف بن الحسين، شيخ الرى، سمع الحديث عن أحمد بن حنبل، توفى عام ٣٠٤ هـ.

انظر ترجمته فى طبقات الصوفية، (ص١٨٥)، حلية الأولياء، ج١٠، (ص٢٣٨)، الرسالة القشيرية، (ص٣٧)، صفة الصفة، ج٤، (ص٩٤).

(٥٧٦) سورة المائدة، الآية (٥٤).

(٥٧٧) عبدالواحد بن زيد: إن كان المراد عبدالواحد بن زيد البصرى زاهد القرن الثانى، فهو لم يستطع أن يدرك مجلس يوسف.

د. استعلامى، (ص٨٥٥).

(٥٧٨) وردت فى الرسالة القشيرية، (ص٣٧).

(٥٧٩) وردت فى حلية الأولياء، ج١٠، (ص٢٤٠)، الرسالة القشيرية، (ص٣٧).

- (٥٨٠) وردت في طبقات الصوفية (ص١٨٧)، حلية الأولياء، ج١٠، (ص٢٣٩)، صفة الصفة، ج٤، (ص١٩٤).
- (٥٨١) وردت في طبقات الصوفية، (ص١٨٧).
- (٥٨٢) وردت في الرسالة القشيرية، (ص٣٧).
- (٥٨٣) وردت في طبقات الصوفية، (ص١٨٩)، كشف المحجوب، (ص٢٤٨)، مع الاختلاف.
- ذكر أبي حفص الحداد:
- (٥٨٤) أبو حفص الحداد: اسمه عمرو بن سلم، ويقال: عمرو بن سلمه وهو الأصح، من قرية يقال لها كورد آباد على باب مدينة نيسابور على طريق بخارى، مات سنة نيف وستين ومائتين.
- انظر ترجمته في طبقات الصوفية، (ص١١٣)، حلية الأولياء، ج١٠، (ص٢٢٩)، الرسالة القشيرية (ص٢٨)، صفة الصفة، ج٤، (ص١٠٧).
- (٥٨٥) وردت في كشف المحجوب، (ص٣٣٦) من الترجمة العربية.
- (٥٨٦) سورة الزمر، الآية (٤٧).
- (٥٨٧) وردت في حلية الأولياء، ج١٠، (ص٢٣٠) مع الاختلاف، كشف المحجوب، (ص٢٣٧)، أسرار التوحيد، (ص٢٨٩) من الترجمة العربية - مع الاختلاف.
- (٥٨٨) وردت في طبقات الصوفية، (ص١١٧).
- (٥٨٩) وردت في التعريف لمذهب أهل التصوف، (ص١٤٧).
- (٥٩٠) أبو بكر بن حنيفة: هذا الاسم ليس معروفاً في مصادر الصوفية وأقوالهم وأحوالهم، فإن لم يكن هناك تصحيح فاحتمال أن يكون للمتصود أبا بكر بن علي الفقيه الحنفي الذي اشتهر في القرن الرابع وكان من فقهاء زمانه، وكان يدرس في بغداد، وفي هذه الحالة فإنه عاش بعد عصر أبي حفص فلا تصح هذه الرواية.
- د. استعلامي، (ص٨٥٦).
- (٥٩١) وردت في التعريف لمذهب أهل التصوف، (ص١٤٧).
- (٥٩٢) وردت في التعريف لمذهب أهل التصوف، (ص١٤٥، ١٤٦).
- (٥٩٣) وردت في طبقات الصوفية (ص١١٧، ١١٨)، حلية الأولياء، ج١٠، (ص٢٣٠)، الرسالة القشيرية، (ص٢٨).
- (٥٩٤) وردت في حلية الأولياء، ج١٠، (ص٢٣٠)، الرسالة القشيرية (ص٢٨).
- (٥٩٥) وردت في حلية الأولياء، ج١٠، (ص٢٣٠).
- (٥٩٦) وردت في طبقات الصوفية، (ص١٢١).
- (٥٩٧) وردت في طبقات الصوفية، (ص١٢١).
- (٥٩٨) وردت في طبقات الصوفية، (ص١٢٠).

- (٥٩٩) وردت في طبقات الصوفية، (ص ١٢٢).
- (٦٠٠) وردت في طبقات الصوفية، (ص ١١٩)، حلية الأولياء، ج ١٠، (ص ٢٣٠).
- (٦٠١) وردت في طبقات الصوفية، (ص ١٢٠).
- (٦٠٢) وردت في طبقات الصوفية، (ص ١٢١).
- (٦٠٣) وردت في طبقات الصوفية، (ص ١٢١).
- (٦٠٤) وردت في طبقات الصوفية، (ص ١١٧).
- (٦٠٥) وردت في طبقات الصوفية، (ص ١١٦)، حلية الأولياء، ج ١٠، (ص ٢٢٩)، الرسالة القشيرية، (ص ٢٨).
- (٦٠٦) وردت في كشف المحجوب، (ص ٥٤١).
- (٦٠٧) محمض: في اللغة الفارسية تختصر التركيبات مثل «محمد شاد هو، أحمد شاد إلى، ممشاد، «محمشاد، وهذا اللفظ يمكن أن يكون مخفف «محمد شاد، أو، ممشاد الديلوري، أي العارف الشهير الذي توفي عام ٢٩٩ هـ.
- (٦٠٨) وردت في طبقات الصوفية، (ص ١١٦).
- (٦٠٩) عبدالله السلمي: كنيته أبو عبدالرحمن واسمه محمد وهو عارف القرن الخامس الهجري وكتابه طبقات الصوفية في عرف عارفي إيران وصوفيتها الكبار من المصادر القيمة جداً.
- د. استعلامي، (ص ٨٥٦)
- ذكر حمدون القصار:
- (٦١٠) حمدون القصار: هو حمدون بن أحمد بن عمارة أبو صالح القصار النيسابوري شيخ الملامتين، عنه انشر مذهب الملامية بنيسابور، توفي عام ٢٧١ هـ.
- انظر ترجمته في طبقات الصوفية، (ص ١٢٣)، حلية الأولياء، ج ١٠، ص (٢٣١)، الرسالة القشيرية، (ص ٣١)، صفة الصفوة، ج ٤، (ص ١١٠) كشف المحجوب، (ص ٣٣٨) من الترجمة العربية.
- (٦١١) وردت في الرسالة القشيرية، (ص ٣١).
- (٦١٢) وردت في كشف المحجوب، (ص ٤١٢) من الترجمة العربية.
- (٦١٣) وردت في كشف المحجوب، (ص ٣٣٨) من الترجمة العربية.
- (٦١٤) وردت في طبقات الصوفية، (ص ١٢٥)، حلية الأولياء، ج ١٠، (ص ٢٣١)، صفة الصفوة، ج ٤، (ص ١٠٩)، كشف المحجوب، (ص ٣٣٨) من الترجمة العربية.
- (٦١٥) وردت في طبقات الصوفية، (ص ١٢٧).
- (٦١٦) وردت في طبقات الصوفية، (ص ١٢٨)، الرسالة القشيرية، (ص ٣١)، صفة الصفوة، ج ٤، (ص ١١٠).
- (٦١٧) وردت في طبقات الصوفية، (ص ١٢٨).

- (٦١٨) وردت في طبقات الصوفية، (ص ١٢٧).
- (٦١٩) وردت في طبقات الصوفية، (ص ١٢٧)، الرسالة القشيرية، (ص ٣١)، صفة الصفة، ج ٤، (ص ١٠٩).
- (٦٢٠) وردت في طبقات الصوفية، (ص ١٢٩)، صفة الصفة، ج ٤، (ص ١١٠).
- (٦٢١) وردت في حلية الأولياء، ج ١٠، (ص ٢٣١)، الرسالة القشيرية، (ص ٣١).
- (٦٢٢) وردت في طبقات الصوفية، (ص ١٢٦)، الرسالة القشيرية، (ص ٣١)، صفة الصفة، ج ٤، (ص ١٠٩).
- (٦٢٣) وردت في طبقات الصوفية، (ص ١٢٩)، حلية الأولياء، ج ١٠، (ص ٢٣١).
- (٦٢٤) وردت في طبقات الصوفية، (ص ١٢٨).
- (٦٢٥) وردت في طبقات الصوفية، (ص ١٢٧).
- (٦٢٦) وردت في طبقات الصوفية، (ص ١٢٦)، حلية الأولياء، ج ١٠، (ص ٢٣١)، الرسالة القشيرية، (ص ٣١).
- (٦٢٧) وردت في طبقات الصوفية، (ص ١٢٨).
- (٦٢٨) وردت في حلية الأولياء، ج ١٠، (ص ٢٣١).
- ذكر منصور بن عمار:
- (٦٢٩) منصور بن عمار: هو أبو السرى منصور بن عمار بن كثير من أهل مرو ومن قرية داندانقان وقبل إنه من بوشنج. أقام بالبصرة وكان من الرعاظين الأكابر.
- انظر ترجمته في طبقات الصوفية، (ص ١٣٠)، حلية الأولياء، ج ٩، (ص ٣٢٥)، الرسالة القشيرية، (ص ٣٠)، صفة الصفة، ج ٢، (ص ٢٠٤)، كشف المحجوب، (ص ٣٣٨) من الترجمة العربية.
- (٦٣٠) العراقيون: أي صوفية العراق. وقد ورد هذا الاصطلاح في ترجمة الرسالة القشيرية عدة مرات.
- د. استعلامي، (ص ٨٥٧).
- (٦٣١) بوشنج: بلدة نزهة خصية، في واد مشجر، من نواحي هراة ببيلهما عشرة فراسخ وقد تسمى «بوشنك» وقد تعرب فيقال «فوشنك».
- نقلا عن طبقات الصوفية، (ص ١٣٠).
- (٦٣٢) وردت في الرسالة القشيرية، (ص ٣٠).
- (٦٣٣) سورة التحريم، الآية (٦).
- (٦٣٤) وردت في حلية الأولياء، ج ٩، (ص ٣٢٧).
- (٦٣٥) وردت في كشف المحجوب، (ص ٣٣٩) من الترجمة الربية.
- (٦٣٦) وردت في حلية الأولياء، ج ٩، (ص ٣٢٧).

- (٦٣٧) وردت في كشف المحجوب، (ص٣٣٩) من الترجمة العربية مع الاختلاف.
- (٦٣٨) وردت في حلية الأولياء، ج٩، (ص٣٢٧) مع الاختلاف.
- (٦٣٩) وردت في حلية الأنبا، ج٩، (ص٣٢٧)، الرسالة القشيرية (ص٣٠).
- (٦٤٠) وردت في حلية الأولياء، ج٩، (ص٣٢٧).
- (٦٤١) وردت في حلية الأولياء، ج٩، (ص٣٢٧)، الرسالة القشيرية (ص٣٠).
- (٦٤٢) أبو الحسن الشعراني: هو اسماعيل بن محمد الليسابوري محدث للنصف الأول من القرن الرابع الهجري وزااده م ٣٤٧هـ.
- د. استعلامي، (ص٨٥٧)
- (٦٤٣) وردت في الرسالة القشيرية، (ص٣٠) صفة الصفوة، ج٢، (ص٢٠٥).

ثبت باسماء المصادر والمراجع

المراجع العربية

- (١) إبراهيم الدسوقي ثنا: التصوف عند الفرس، بدون تاريخ.
- (٢) أبو اسحق الشيرازي: طبقات الفقهاء، بغداد ١٣٥٦ هـ.
- (٣) أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي: الأسماء والصفات، راجعه وقدم له وعلق فهارسه حامد إبراهيم أحمد، الطبعة الأولى، بدون تاريخ.
- (٤) أبو بكر محمد الكلابادي: التعرف لمذهب أهل التصوف، تحقيق د. عبد الحلیم محمود، طه عبد الباقي، سرور، القاهرة ١٣٨٠ هـ - ١٩٦٠ م.
- (٥) أبو بكر بن هداية الله الحسيني الملقب بالمصنف: طبقات الشافعية، بغداد ١٣٥٦ هـ.
- (٦) أبو الحسن علي بن عثمان الجلابي الهجویری: كشف المحجوب، دراسة وترجمة وتعليق د. إسماعيل عبد الهادي فنديل، بيروت ١٩٨٠ م.
- (٧) أبو عبد الرحمن السلمي طبقات الصوفية، تحقيق نور الدين شربية، ١٤٠٦ هـ، ١٩٨٦ م - الطبعة الثالثة.
- (٨) أبو الفلاح عبد الحی بن العماد الحدادی: شذرات الذهب فی أخبار من ذهب، القاهرة ١٣٥٠ هـ الجزء الأول.
- (٩) أبو القاسم عبد الكريم بن هولزن القشيري: الرسالة القشيرية وعليها هوامش من شرح زكريا الأنصاري، القاهرة، طبعة محمد علي صبيح.
- (١٠) أبو نصر السراج الطوسي: اللمع، تحقيق د. عبد الحلیم محمود، طه عبد الباقي سرور، مصر ١٣٨٠ هـ - ١٩٦٠ م.
- (١١) أبو نعم أحمد بن عبد الله الإصبيhani: حلية الأولياء وطبقات الأفضياء، لبنان، بدون تاريخ.
- (١٢) أحمد بن حنبل المسند، بيروت، ١٩٨٥ م.
- (١٣) د. أحمد معوض: شاعر الصوفية فريد الدين العطار وقصته رابعة ويكتاش، بدون تاريخ.
- (١٤) أحمد ناجي القيسي: عطار نامه أو كتاب فريد الدين العطار الديسابوري وكتابه منلق الطير، بغداد ١٣٨٨ هـ - ١٩٧٨ م، الطبعة الأولى.

- (١٥) إدوارد جرانفيل برين: تاريخ الأدب في إيران من الفردوسي إلى السعدي، ترجمة إبراهيم أمين الشواربي، ١٣٧٣ هـ - ١٩٥٤ م.
- (١٦) د. أمين عبد المجيد بدوي: القصة في الأدب الفارسي، بدون تاريخ.
- (١٧) د. بدیع محمد جمعة: ملطق الطیر لفرید الدین العطار النیسابوری، مراجعة وتقديم د. عبد النعم محمد حسنين، ١٩٧٥ م - الطبعة الأولى.
- (١٨) جراهام بولی الأدب الإسلامی فی شبه القارة الهندیة الباكستانیة تقديم وتعلیق وترجمة د. حسین مجیب المصری، القاهرة ١٩٨٨ ك.
- (١٩) جمال الدين أبو الفرج عبدالرحمن بن الجوزي: تلبیس یلیس، بدون تاریخ.
- (٢٠) جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن الجوزي صفة الصفة، ضبطها وكتبها هو أمشها إبراهيم رمضان وسعيد اللحام، بيروت ١٤٠٩ هـ - ١٩٨٩ م - الطبعة الأولى.
- (٢١) د. حسن أحمد محمود، د. أحمد إبراهيم الشريف العالم الإسلامي في العصر العباسي، ١٩٨٠ م، الطبعة الرابعة.
- (٢٢) رضاد زاده شفق: تاريخ الأدب الفارسي، ترجمة محمد موسى هنداوي، بدون تاريخ.
- (٢٣) سعد بن عبد الله أبو خلف الأشعري: كتاب المقالات والفرق، تصحيح وتقديم وتعلیق، د. محمد جواد مشكور، طهران ١٩٦٣ م.
- (٢٤) شهاب الدين أبي عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي: كتاب معجم البلدان، تصحيح وترتيب محمد أمين الخانجي الكتبي، ١٣٢٣ هـ، الطبعة الأولى.
- (٢٥) عبد الرحمن بدوي: شهيدة العشق الإلهي رابعة العدوية، الكويت ١٩٧٨، الطبعة الرابعة.
- (٢٦) عبد الوهاب عزلم: التصوف و فرید الدین العطار، القاهرة ١٩٤٥ م.
- (٢٧) د. قاسم غني: تاريخ التصوف في الإسلام، ترجمة صادق نشأت، راجعه أحمد ناجي القيسي، د. محمد مصطفي مراد، ١٩٧٢ م - الجزء الثاني.
- (٢٨) محمد الحسبي الزبيدي: إلتعاف السادة الصفتين بشرح إحياء علوم الدين، دار الفكر، بدون تاريخ.
- (٢٩) د. محمد حلمي محمد أحمد الخلافة: والدولة في العصر الأموي، القاهرة ١٣٨٦ هـ - ١٩٦٦ م، الطبعة الأولى.
- (٣٠) محمد بك الخضري: محاضرات تاريخ الأمم الإسلامية، الدولة العباسية، القاهرة ١٣٤٩ هـ - ١٩٣٠ م - الطبعة الثالثة.
- (٣١) محمد علي بن حزم الأنلسي: كتاب في الفصل في الملل والأهواء والنحل وبهامشه كتاب الملل والنحل للإمام أبي الفتح عبد الكريم الشهرستاني، القاهرة ١٣١٧ هـ - ١٣٢١ م، الطبعة الأولى.
- (٣٢) محمد بن المنور بن أبي سعيد بن أبي الخير أسرار الدوحيد في مقامات الشيخ أبي سعيد، ترجمة د. إسعاد عبد الهادي قنديل، مراجعة د. يحيى الخشاب، بدون تاريخ.

(٣٣) مصطفى بن عبد الله الشهير بحاجي خليفة: كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون
تصحیح محمد شرف الدين يالقا، رفعت بيگه انگلیسی ١٣٦٠ هـ - ١٩٤١ م.

المراجع الفارسية

- (٣٤) أبو الحسن علي عثمان الجلابي الهجویری: كشف المحجوب، تصحيح محمد عباس، ١٣٣٦ هـ. ش.
- (٣٥) أحمد سهيلي خوانساری: خسرو نامه فرید الدين أبو حامد محمد بن أبوبکر إبراهيم عطار نیشابوری، تهران ١٣٣٩ هـ. ش.
- (٣٦) بدیع الزمان فریرز انفر: شرح احوال ونقد وتحليل آثار شيخ فرید الدين محمد عطار نیشابوری، تهران ١٣٥٣ هـ. ش. چاپ دوم.
- (٣٧) حمد الله بن أبي بكر المستوفي القزوينی: تاريخ كزیده بسمی واهتمام ادوارد براون انگلیسی، جلد أول.
- (٣٨) دولتشاه بن علاء الدولة بختیشاه: تذكرة الشعراء، بسمی واهتمام وتصحيح ادوارد براون انگلیسی، لیدن ١٣١٨ هـ - ١٩٠٠ م.
- (٣٩) ذبیح الله صفا: تاريخ ادبيات در ايران، تهران ١٣٣٩ هـ. ش. چاپ سوم، جلد دوم.
- (٤٠) ذبیح الله صفا كنج سخن از شاعران بزرگ پارسی كوی وملسخب آثار آنان، تهران ١٣٥٤ هـ. ش. چاپ دوم، جلد دوم.
- (٤١) رضا زاده شفق: تاريخ ادبيات ايران، تهران، ١٣٢١ هـ. ش.
- (٤٢) رضا قليخان هدايت: مجمع الفصحاء، ١٢٧١ هـ، الجزء الأول.
- (٤٣) رضا قليخان هدايت: تذكرة رياض العارفين، ١٣١٦ هـ. ش، چاپ دوم.
- (٤٤) زهراي خانلر (كيا) فرهنگ ادبيات فارسی درى ايران، بدون تاريخ.
- (٤٥) سعيد نفیسی جستجو در احوال و آثار تاريخی فرید الدين عطار نیشابوری، تهران ١٣٢٠ هـ. ش.
- (٤٦) سيد جعفر سجادی فرهنگ لغات واصطلاحات وتعابير عرفانی ١٣٥٤ هـ. ش. چاپ دوم.
- (٤٧) سيد علير ضانقوی: تذكرة نویسی در هند وپاکستان، ١٣٤٣ هـ. ش. ١٩٦٤ م.
- (٤٨) شبلي النعمانی شعر العمم باتاريخ شعرا وادبيات ايران، ترجمة سيد محمد تقی فخر داعی كيلانی، تهران، ١٣٢٧ هـ. ش. جلد دوم.
- (٤٩) عبد الرحمن بن أحمد جامی: نفحات الأنس من حضرات القدس، تصحيح مهدي توحيدى پور، ١٣٣٦ هـ. ش.
- (٥٠) علي اكبر دهخدا: لغت نامه زیر نظر دكتور محمد معین و دكتور سيد جعفر شهیدی، ١٣٤٥ هـ. ش.
- (٥١) غلام سرور صاحب مرحوم لاهوری: خزينة الأصفیاء، جلد دوم، بدون تاريخ.

- (٥٢) فريد الدين عطار تذكرة الأولياء، بسمي واهتمام وتصحيح رنولد آلن نيكلسون، ليدن ١٣٢٢ هـ، ١٩٠٥ م.
- (٥٣) فريد الدين عطار: تذكرة الأولياء، برسي، تصحيح متن، توضيحات د. محمد استعلامي، ٢٥٣٥ شاهنشاهی چاپ دوم.
- (٥٤) قاسم غفني بحث در آثار وافكار واحوال حافظ، صمت اول، تاريخ تصوف دراسلام وتطورات وتحولات مختلفه آن از صدر اسلام تا عصر حافظ، جلد دوم.
- (٥٥) قاسم غفني السابق، طبعة تهران، ١٣٤٠ هـ. ش.
- (٥٦) محمد بن عمر الرادوياني: كتاب ترجمان البلاغة، باهتمام وتصحيح احمد آتش، استانبول، ١٩٤٩ م.
- (٥٧) محمد بن المنور بن ابي سعيد بن ابي الخير اسرار للترديد في مقامات الشيخ ابي سعيد، باهتمام د. ذبيح الله صفا، تهران ١٣٣٢ هـ. ش.
- (٥٨) محمد تقى بهار: سبلك شناسى با تاريخ تطور نثر فارسى، تهران، جلد دوم.
- (٥٩) محمد على مدرسى: ريحانة الأدب فى تراجم المعروفين بالكلمة واللقب ياكلى والقاب، تبريز، چاپ دوم، جلد چهارم.
- (٦٠) محمد نصير ميرزا حسين الشيرازى: آثار عجم، ١٣١٤ هـ. ش.
- (٦١) هرمان اته: تاريخ ادبيات فارسى، ترجمة د. رضا زاده شفق، تهران ١٣٥١ هـ. ش.
- (٦٢) كارنامه بزرگان ايران، ١٣٤٠ هـ. ش.

الوسائل

- (٦٣) ابراهيم حامد المغازى: محمود الشبستري ومدرسته فى التصوف، رسالة دكتوراه، ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م.
- (٦٤) ملكه على النركى: منظومة إلهى نامه للشاعر فريد الدين العطار، بحث غير منشور أعدته للحصول على الدكتوراه فى اللغة الفارسية وآدابها عام ١٩٧٩ م.

دوائر المعارف

- (٦٥) دائرة المعارف الإسلامية أصدرها بالانكليزية والفرنسية والألمانية أئمة المستشرقين فى العالم ويشرف على تحريرها تحت رعاية الإتحاد الدولى للمجامع العلمية.
- هوسما، وفنسنك، وكب، وهفننك، وليفى بروهنال وشاده، وباسيه، وغيرهم.
- إعداد وتحرير:
- ابراهيم زكى خورشيد، أحمد الشلتنارى، د. عبد الحميد يونس، للمجلد الثالث عشر.

الفهرس

٥	مقدمة
١١	تمهيد عن الكاتب ومؤلفاته
١٣	القسم الأول
١٣	دراسة في كتاب «تذكرة الأولياء»
١٣	الباب الأول
١٣	كتاب تذكرة الأولياء
١٥	الفصل الأول: عنوان الكتاب وتاريخ تأليفه
٢٣	الفصل الثاني: موضوع الكتاب
٣٩	الفصل الثالث: مصادر الكتاب
٥١	الباب الثاني
٥١	منهج «فريد الدين العطار» في تذكرة الأولياء
٥٣	الفصل الأول: المنهج
٦٧	الفصل الثاني: الأسلوب
٩١	الباب الثالث
٩١	«تذكرة الأولياء» دراسة مقارنة
٩٣	الفصل الأول: تذكرة الأولياء بين كتب التصوف العربية والفارسية ...
١٠٥	الفصل الثاني: مكانة الكتاب بين مصادر التصوف الإسلامي
١٣٣	الفصل الثالث: القيمة الأدبية والعلمية للكتاب
١٤٩	الخاتمة
١٧٣	القسم الثاني
١٧٥	مقدمة: مخطوطات الكتاب وطبعاته

١٧٥	مخطوطات الكتاب
١٨٠	طبقات الكتاب
١٨٣	الترجمة
١٨٥	مقدمة
١٩٥	ذكر ابن محمد جعفر الصادق
٢٠٣	ذكر أويس القرني
٢١٣	ذكر الحسن البصري
٢٣٣	ذكر مالك بن دينار
٢٤٣	ذكر محمد بن الواسع
٢٤٥	ذكر حبيب المعجمي
٢٥٣	ذكر أبي حازم المكي
٢٥٥	ذكر عتبة الغلام
٢٥٩	ذكر رابعة
٢٧٧	ذكر الفضيل بن عياض
٢٩١	ذكر إبراهيم بن أدهم
٣١٥	ذكر بشر الحافي
٣٢٥	ذكر ذى اللون
٣٥١	ذكر أبي يزيد البسطامي
٤٠٧	ذكر عبد الله بن المبارك
٤١٩	ذكر سفيان الثوري
٤٢٩	ذكر شقيق البلخي
٤٣٧	ذكر الإمام أبي حنيفة
٤٤٥	ذكر الإمام الشافعي
٤٥٣	ذكر الإمام أحمد بن حنبل
٤٦١	ذكر داود الطائي
٤٦٩	ذكر حارث المحاسبي

٤٧٥	ذكر أبي سليمان الداراني
٤٨٥	ذكر محمد بن السماك
٤٨٧	ذكر محمد بن أسلم
٤٩١	ذكر أحمد بن حرب
٤٩٧	ذكر حاتم الأصم
٥٠٧	ذكر سهل بن عبدالله التستري
٥٢٩	ذكر معروف الكرخي
٥٣٧	ذكر سري السقطي
٥٤٩	ذكر فتح الموصلي
٥٥٣	ذكر أحمد بن أبي الحواري
٥٥٧	ذكر أحمد بن خضرويه
٥٦٥	ذكر أبي تراب النخشي
٥٧١	ذكر يحيى بن معاذ
٥٨٩	ذكر الشاه شجاع الكرمانى
٥٩٥	ذكر يوسف بن الحسين
٦٠٣	ذكر أبي حفص الحداد
٦١٥	ذكر حمدون بن القصار
٦٢١	ذكر منصور بن عمار
٦٢٧	الحواشي والتعليقات
٦٦٥	ثبت بأسماء المصادر والمراجع

الهيئة المصرية العامة للكتاب

ص. ب : ٢٢٥ الرقم البريدي : ١١٧٩٤ رمسيس

WWW.egyptianbook.org

E - mail : info @egyptianbook.org